النبأ العظيم

في تفسير القرآن الكريم

الجزء الثاني



مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rd
رقم الاستدعاء : BP97.5.K41 N3 2017
المؤلف : الخراساني الحائري ، محمد عبد النبي ، 1178-1232 للهجرة.
العنوان : النبأ العظيم في تفسير القرآن الكريم /
بيان المسؤولية : العلامة السيد الميرزا محمد بن عبد النبي الخراساني الحائري، تحقيق الدكتور عادل عبد الجبار ثامر الشاطي.
المطبعة : دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.
بيان الطبعة : الطبعة الاولى 2017 - 1438 للهجرة.
بيان النشر : كربلاء، العراق : العتبة الحسينة المقدسة، دار القرآن الكريم، 1438 للهجر/ 2017.
الوصف المادي : 3 مجلد ؛ 24 سم .
سلسلة النشر : العتبة الحسينة المقدسة ؛ 317.
سلسلة النشر : (دار القرآن الكريم، مركز البحوث والدراسات القرآنية ؛ 24 ؛)
تبصرة ببليوغرافية : يتضمن مراجع ببليوغرافية.
الموضوع بالعنوان : القرآن - تفاسير الشيعة الامامية.
مصطلح موضوعي : تفاسير الشيعة الامامية- القرن 13 للهجرة.
مدخل اضافي : الشاطي، عادل عبد الجبار ثامر- محقق.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

الاخـــراج الفني: قحطان عامر محمد
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٨١٤) لسنة ٢٠١٧م

النبأ العظيم
في تفسير القرآن الكريم

العلامة السيد الميرزا

محمد بن عبد النبي الخراساني الحائري

ت ١٢٣٢هـ

الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور عادل عبد الجبار ثامر الشاطي



(من سورة النحل الى آَخر سورة الفتح)



الفصل السادس عشر

سورة النحل



سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٢﴾

يُقَالُ: نَذَرتُ بِكَذَا؛ إِذَا عَلَّمتَهُ[1].

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٤﴾

النُّطفَةُ فِي الأَصلِ: المَاءُ القَلِيلُ، غَيرَ أَنَّهُ بِالتَّعَارُفِ صَارَ إِسماً لِمَاءِ الفَحلِ أَكثَرُ مَا يَقَعُ[2].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٠٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٩.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥)

الأَنعَامُ: هِي الإِبِلُ، وَفي اللُّغَةِ: هِي ذَوَاتُ الأَخفَافِ وَالأَظلَافِ دُونَ الحَوَافِرِ [١].

الدِّفء: اللِّبَاسُ، وَقِيلَ: مَا يُستَدفَأ بِهِ مِمَّا يُعمَلُ مِنَ الصُّوفِ وَالوَبَرِ وَالشَّعرِ، فَيَدخُلُ فِيهَا الأَكسِيَةُ وَاللّحفُ وَالمَلبُوسَاتُ وَالمَبسُوطَاتُ، وَالدِّفء: إِسمٌ لِمَا يُستَدفأ بِه، وَهوَ: اللِّبَاسُ المَعمُولُ مِن صُوفٍ أَو وَبَرٍ، أَو شَعرٍ [٢].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٦)

المَرَاحُ: ضِدَّ المَرعَى، سَرَحتُ المَاشِيَةَ إِلى الإِرَاحَةِ: أَطلَقتُهَا وَعَطَّفتُهَا وَهي مَلَاءُ البَطنِ، حَافِلَةُ الضُّرُوعِ [٣].

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٧)

الشِّقُ: الكُلفَةَ [٤].

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩)

الجُورُ: العُدُولُ عَنِ الحَقِّ، وَفي التَنزِيلِ: ﴿**وَمِنْهَا جَائِرٌ**﴾ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٩.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٨٦.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٤٠.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٥٣٣.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (١٠)

يُقَالُ: سَامَت المَاشِيَةُ؛ إِذَا رَعَت، فَهي سَامَة، وَأَسامَهَا صَاحِبُهَا [١].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أَي: تَرعَونَ أَنعَامَكُم مِن غَيرِ كُلفَةٍ وَإِلتِزَامِ مَؤونَةٍ لِعَلَفِهَا [٢].

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١)

إِعلَم: أَنَّه مَن أَرَادَ أَن يَعرِفَهُ خَالِقَهُ فَلْيَتَأَمَّل أَنَّ الحَبَّةَ تَقَعُ فِي الأَرضِ وَتَصِلُ إِلَيهَا نَدَاوَةٌ تَنفُذُ فِيهَا، فَيَنشَقُّ أَعلَاهَا وَيَخرُجُ مِنهُ سَاقُ الشَّجَرَةِ، وَيَنشَقُّ أَسفَلَهَا فَيَخرُجُ مِنهُ عُرُوقُهَا، ثُمَّ يَنمُو، فَيَخرُجُ مِنهُ الأَورَاقَ وَالأَزهَارَ وَالأَكمَامَ وَالأَثمَار.

وَيَشتَمِلُ كُلٌّ مِنهَا عَلَى أَجسَامٍ مُختَلِفَةِ الأَشكَالِ وَالطِّبَاعِ، مَعَ إِتِّحَادِ المَوَادِّ، وَنِسبَةِ الطَّبَائِعِ السُّفلِيَّةِ، وَالتَّأثِيرَاتِ الفَلَكِيَّةِ إِلَى الكُلِّ عَلَى السَّوَاءِ، فَعُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لَيسَ إِلَّا بِفِعلِ فَاعِلٍ مُختَارٍ مُقَدَّسٍ مِن مُنَازَعَةِ الأَضدَادِ وَالأَندَادَ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَزَّ شَأنُهُ:

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أَلَا فِي الجَنَّةِ رَزَقَنَا وَجَمِيعُ المُؤمِنِينَ [٣].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: يُنبِتُ لَكُم بِالمَاءِ مِن نَحوِ السَّمَاءِ هَذِهِ الأَشيَاءَ الَّتِي عَدَّهَا لِتَنتَفِعُوا بِهَا.

وَقَرَأَ أَبُو بَكرٍ بِالنُّونِ [٤] عَلَى التَّفخِيمِ [٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٠٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٤٣.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٨٨.
(٤) أي: ننتفع.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٨٨.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٤)

الطَّرِيُّ: ذُو الطَّرَاوَةِ، يُقَالُ: لَحمٌ طَرِيٌّ يَنبَغِي أَن يُسرَعَ إِلى أَكلِهِ لَئلَّا يَفسُد [١].

الحِليَةُ: اللُّؤلُؤ وَالمَرجَان، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾**[٢].

المَخرُ: شَقُّ المَاءِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ [٣] وَالمَخرُ أَيضاً: صَوتُ جَري الفُلكِ بِالرِّيَاحِ [٤].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾** أَي: شَوَاقٌّ في البَحرِ وَقَوَاطِعَ لِمَائِهِ [٥].

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (١٦)

قَولُهُ تَعَالَى: **﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾** قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (نَحنُ العَلَامَاتُ، وَالنَّجمُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله) [٦].

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: (إِنَّ اللهَ جَعَلَ النُّجُومَ أَمَاناً لِأَهلِ السَّمَاءِ، وَجَعَلَ أَهلَ بَيتِي أَمَاناً لِأَهلِ الأَرضِ) [٧].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٠٤.

(٢) معاني القرآن، النحاس: ٥/ ٤٤٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٠/ ٨٩.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣١٩.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٤٥.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٢٠، وعن الرضا عليه السلام كما في الكافي، الكليني: ١/ ٢٠٧ح ٣، تفسير العياشي: ٢/ ٢٥٦ح ١٠.

(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٤٦ عنه بحار الانوار، المجلسي: ٢٤/ ٦٧.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾﴿٢٥﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ**﴾ اللَّامُ لِلعَاقِبَةِ وَالمَعنَى: كَانَ عَاقِبَةُ أَمرَهُم حِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ أَن حُمِّلُوا أَوزَارَ كُفرَهُم تَامَّةً يَومَ القِيَامَةِ [١].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى الهُدَى فَاتُّبِعَ، فَلَهُ مِثلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتُّبِعَ، فَلَهُ مِثلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ مِن غَيرِ أَن يُنقِصَ مِن أَوزَارَهُم شَيءٌ) [٢].

﴿**ما يَزِرُونَ**﴾ أَي: لَبِئسَ الحِملُ حِملَهُم فِي الآثَامِ، وَهوَ مَا يَحمِلُونَهُ مِنَ الآثَامِ [٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٥٠.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٤/ ٢٦ح ١٩٢٠، سنن ابن ماجة: ١/ ٧٥ح ٢٠٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٠.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

وَقولُهُم: أُتِي فُلَانٌ مِن مَأمَنَهُ؛ أَي: أَتَاهُ الهَلَاكُ مِن جِهَةِ مَأْمَنِه [١] كَمَن أَتَى بَاكِرَاً وَعَادَ ضَرَرُهُ عَلَيهِ.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَمرُودَ بن كَنعَان بَنَى صُرحَاً طَوِيلاً، وَأَرَادَ مِنهُ الصُّعُودَ إِلى السَّمَاءِ لِيُقَاتِلَ أَهلُهَا بِزَعمِه، فَأَرسَلَ اللهُ تَعَالَى رِيحَاً، فَأَلقَت رَأسَ الصُّرحِ فِي البَحرِ، وَخَرَّ عَلَيهِم البَاقِي [٢].

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾

وَفي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**فَلَبِئْسَ مَثْوَى**﴾ اللَّامُ لِلتَوكِيدِ [٣].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٠﴾

يُقَالُ: نِعمَ الدَّارُ تَنزِلُهَا، وَمِثلَهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ**﴾.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٣٧٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٢.

﴿فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ (٣٤)

الحِيقُ لَا يُستَعمَلُ إِلَّا في الشَّرِّ [١] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ**﴾ أَي: أَحَاطَ، وَحَلَّ بِهِم جَزَاؤهُ [٢].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٦)

الطَّاغُوتُ: الشَّيطَانُ [٣] وَكُلُّ دَاعٍ إِلى ضَلَالَةٍ فَهوَ طَاغُوتٌ [٤].

يُقَالُ: مَا أَرسَلتُ فُلَانَاً إِلَّا بِالعَرَائضِ وَالحُجَجِ، وَمِثلُهُ: مَا ضَرَبتُ زَيداً إِلَّا بِالسَّوطِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمائِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَهُمْ داخِرُونَ﴾ (٤٨)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾ مَا مَوصُولَةٌ، وَبَيَانُها: ﴿**مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ**﴾ وَالشَّيء أَعَمُّ مِن مَا [٥].

التَّفَؤ: تَفَعُّلٌ مِنَ الفَيء، وَيُقَالُ: فَاءَ الفَيء يَفِيء، إِذَا رَجعَ وَعَادَ بَعدَمَا كَانَ ضِيَاءُ الشَّمسِ نَسَخَهُ [٦].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٩٦.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٢٣.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (طغا) ٢/ ٣٧٤.

(٤) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ١٦٣.

(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٠١.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٦١.

وَقولُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلالُه﴾ أَي: يَتَمَيَّلُ[١].

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: (إِنَّ للَّـهِ تَعَالَى مَلائكَةً في السَّماءِ السَّابِعَةِ سُجُوداً مُنذُ خلقَهُم إلى يَوم القِيامَةِ، تَرعُدُ فَرائصَهُم مِن مَخافَةِ اللَّـهِ تَعَالَى، لَا تَقطُرُ مِن دُمُوعِهِم قَطرَةً إِلَّا صَارَت مَلَكاً، فَإِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ رَفَعُوا رُؤوسَهُم وَقَالُوا: مَا عَبَدنَاكَ حَقَّ عِبادَتِكَ)[٢].

﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾ (٥٠)

﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾ أَي: يَخَافُونَ رَبَّهُم أَن يُرسِلَ عَذَاباً مِن فَوقِهِم، أَو: يَخَافُونَهُ فَوقَهُم بِالقَهرِ، كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾[٣][٤].

وَقِيلَ: إِنَّ قَولَهُ: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ مِن صِفَةِ المَلَائكَةِ، وَالمَعنَى: إِنَّ المَلَائكَةَ فَوق بَنِي آدَم، وَفَوقَ مَا في الأَرضِ مِن دَابَّةٍ يَخَافُونَ الله، مَعَ عُلُوِّ مَرتبَتِهِم: ﴿وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾ مِن أَنوَاعِ الطَّاعَاتِ[٥].

﴿وَقالَ اللهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (٥١)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أَي: لَا تَعبُدُوا مَعَهُ إِلَهاً آخر، وَذَكَرَ إِثنَين كَمَا يُقَالُ: فَعَلتُ ذَلِكَ لِأَمرَينِ إِثنَينِ، وَقِيلَ: إِنَّ تَقدِيرَهُ: لَا تَتَخِذُوا إِلَهينِ يُرِيدُ نَفسَهُ وَغَيرَهُ: ﴿إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ فَقَط لَا غير[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٦٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٦٤، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٦٧/ ٣٣٨.

(٣) الأنعام: ٦١.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٠٢.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٦٤.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٦٥.

وَوَرَدَ عَن بَعضِ الحُكَماءِ، أَنَّهُ قَالَ: نَهَاكَ أَن تَتخِذَ إِلَهينِ، فَاتَّخَذتَ آلِهَةً؛ عَبَدتَ نَفسَكَ، وَهَوَاكَ، وَدُنيَاكَ، وَطَبعُكَ، وَمُرَادُكَ، وَعَبَدتَ الخَلقَ، فَأَنَّى تَكُونَ مُوحِداً بِمَن شَبَّهتَ [١].

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٥٢)

يُقَالُ: وَصَبَ الشَّيءِ وُصُوباً؛ إِذَا دَامَ، وَوَصَبَ الدَّينُ: وَجَبَ [٢].

وَمِنهُ: الوَاصِبُ؛ وَهوَ الوَاجِبُ الثَّابِتُ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَهُ الدِّينُ واصِباً**﴾ أَي: لَهُ الطَّاعَةُ دَائِمَةٌ وَاجِبَةٌ، وَكُلُّ نِعمَةٍ مِنهُ تَعَالَى فَالطَّاعَةُ لَهُ عَلى كُلِّ مُنعَمٍ عَلَيهِ [٣].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مِنَ الوَصَبِ؛ أَي: وَلَهُ الدِّينُ ذَا كُلفَةٍ وَمَشَقَّةٍ، وَلِذَلِكَ سُمِّي تَكلِيفَاً، أَو: وَلَهُ الجَزَاءُ دَائِماً ثَابِتاً سَرمَدَاً لَا يَزُولُ، يَعنِي: الثَّوَابُ وَالعِقَابُ [٤].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (٥٣)

الجُؤارُ: رَفعُ الصَّوتِ بِالدُّعَاءِ وَالإِستِغَاثَةِ، وَفي التَّنزِيلِ: ﴿**فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [٥].

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٥٧٣.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٨٧٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٦٥.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤١٣.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٣١.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا**﴾ ظَلَّ بِمَعنَى: صَارَ، كَمَا يُستَعمَلُ أَصبَحَ وَأَمسَى وَبَاتَ بِمَعنَى الصَّيرُورَةَ [١] أَي: صَارَ لَونُ وَجهِهِ مُتَغَيِّرَاً إِلَى السَّوَادِ لِمَا يَظهَرُ مِنهُ مِن أَثَرِ الحُزنِ وَالكَرَاهَةِ، فَقَد جَعَلُوا للَّـهِ مَا يَكرَهُونَهُ لأَنفُسِهِم، وَهَذَا غَايَةُ الجَهلِ [٢].

﴿**وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ أَي: مَملُوءٌ غَيظَاً مِنَ المَرأَةِ [٣].

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

يُقَالُ: دَسَستُ الشَّيء فِي التُّرَابِ أَدُسُّهُ؛ إِذَا أَخفَيتُهُ [٤].

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

يُقَالُ: أَفرَطتُهُ فِي طَلَبِ المَاءِ؛ إِذَا أَقدَمتُهُ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ**﴾ أَي: مُقَدَّمُونَ إِلَى النَّارِ [٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤١٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٦٨.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٠٥.

(٤) العين، الفراهيدي، مادة (دس) ٧/ ١٨٥.

(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٠٦.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦)

الأَنعَامُ: الإِبِلُ وَالبَقَرُ وَالغَنَمُ [١] هُوَ إِسمُ مُفرَدٍ بِمَعنَى الجَمعِ [٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً﴾ أَي: عِظَةً وَاعتِبَارًا، أَو دِلَالَةً عَلَى قُدرَةِ اللَّهِ [٣].

﴿نُسْقيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَم لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبينَ﴾ قَرَأَ أَبُو بَكرٍ: نَسقِيكُم، بِفَتحِ النُّونِ، وَهوَ استِئنَافٌ [٤] كَأَنَّهُ قِيلَ: نَسقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهِ.

وَالمَعنَى: أَنَّهُ سُبحَانَهُ يَخلِقُ اللَّبَنَ وَسِيطاً بَينَ الفَرثِ وَالدَّمَ يَكتَنِفَانَهُ، بَينَهُ وَبَينَهُمَا بَرزَخٌ مِن قُدرَةِ اللَّهِ عَزَّ إِسمُهُ، لَا يَشُوبَانَهُ، وَلَا يَبغِي أَحدَهُمَا عَلَيهِ بِلَونٍ، وَلَا طَعمٍ، وَلَا رَائحَةٍ، بَل هُوَ خَالِصٌ ذَلِكَ كُلُّهُ [٥].

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ: إِذَا أَكَلَتَ البَهِيمَةُ العَلَفَ، فَاستَقَرَّ فِي كَرِشِهَا طَحَنَتهُ، فَكَانَ أَسفُلُهُ فَرثَاً، وَأَوسَطُهُ لَبَنَاً، وَأَعلَاهُ دَمَاً، وَالكَبِدُ مُسَلَّطٌ عَلَى هَذِهِ الأَصنَاف الثَّلَاثَةَ يُقَسِّمُهَا، فَيَجرِي الدَّمُ فِي العُرُوقِ، وَاللَّبَنُ فِي الضَّرعِ، وَيَبقَى الفَرثُ فِي الكَرشِ [٦].

وَقَولُهُ: ﴿سَائِغاً﴾ أَي: سَهلُ المُرُورِ فِي الحَلقِ [٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٦٠.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ١/ ٤٣٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٧٤.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٥٩.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٣٥.
(٦) تفسير السمرقندي: ٢/ ٢٨٠.
(٧) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤١٦.

وَمِن الأُولَى لِلتبَعِيضِ؛ لأَنَّ اللَّبَنَ بَعضٌ مِمَا في بُطُونِهِ، وَالثَّانِيَةُ لابتِدَاءِ الغَايَةِ؛ لأَنَّ بَينَ الفَرثِ وَالدَّمِ مَكَانُ الإِسقَاءِ الَّذِي مِنهُ يَبتَدِئ، وَبِذَلِكَ بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ لِمَن يُنكِرُ البَعثَ أَنَّ مَن قَدِرَ عَلى إِخرَاجِ لَبَنٍ أَبيَضٍ مِنَ الفَرثِ وَالدَّمِ، مِن غَيرِ أَن يَختَلِطَ بِهِمَا، قَادِرٌ عَلى إِخرَاجِ المَوتَى مِنَ الأَرضِ مِن غَيرِ أَن يَختَلِطَ الشَّيءُ مِن أَبدَانِهِم بِأَبدَانِ غَيرِهُم[١].

﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾

السَّكَرُ: الخَمرُ وَكُلُّ مَا يُسكِرُ، سُمِّيَت بِالمَصدَرِ، مِن سَكَرَ سُكرَاً وَسَكرَاً[٢].

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿٦٨﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ أَي: أَلهَمَهَا، وَقَذَفَ في قُلُوبِهَا، وَعَلَّمَهَا عَلى وَجهٍ لَا سَبِيلَ لأَحَدٍ إِلى الوُقُوفِ عَلَيهِ؛ فَإِنَّ صُنعَتَهَا الأَنِيقَةُ وَلُطفُهَا في تَدبِيرِ أَمرِهَا، وَالعَجَائبُ المُرَكَّبَةُ في طِبَاعِهَا، شَوَاهِدٌ بَيِّنَةٌ عَلى اللَّـهِ سُبحَانَهُ، أَودَعَهَا عِلمَاً بِذَلِكَ[٣].

﴿**أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً**﴾ أَي: بِأَن تَتخِذ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتَاً لِلعَسَلِ وَلَا يَقدِرُ عَلَى مِثلِهَا أَحَدٌ[٤].

وَيَجُوزُ: أَن يَكُونَ أَن مُفَسِّرَةً؛ لأَنَّ في الإِيحَاءِ مَعنَى القَولِ، وَتَأنِيثُ الضَّمِيرِ عَلى المَعنَى؛ لأَنَّ النَّحلَ مُذَكَّرٌ[٥].

وَقَرَأَ أَبو بَكرٍ بِيُوتَاً بِكَسرِ البَاءِ؛ لأَجلِ اليَاءِ هُنَا وَفي جَمِيع القُرآنِ[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٧٥.
(٢) تفسير الرازي: ٢٠/ ٦٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٣٦.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٧٦.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٠٨.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٣٦.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦٩)

الذُّلُولُ: وَاحِدُ الذُّلَلِ [١].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً**﴾ أَي: مُذَلَّلَةً مُوطَأَةً لِلسُّلُوكِ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَلَّلَهَا وَسَهَّلَهَا وَانقِيَادُهَا لأَمرِهِ [٢].

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٢)

الحَافِدُ: المُسرِعُ فِي الخِدمَةِ، كَالبَنَاتِ يَخدِمنَ فِي البُيُوتِ أَتَمَّ خِدمَةٍ [٣].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾ أَي: وَأَولَادٌ، أَو بَنَاتٍ يَخدِمنَ فِي البُيُوتِ أَتَمَّ خِدمَةٍ، وَقِيلَ: هُمُ الأَختَانُ عَلى البَنَاتِ، وَقِيلَ: هُمُ الخَدَمُ وَالأَعوَانُ، وَقِيلَ: هُمُ الرَّبَائِبُ، وَقِيلَ: البُنُونُ الصِّغَارُ مِنَ الأَولَادِ، وَالحَفَدَةُ: الكِبَارُ مِنهُم [٤].

﴿**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾ وَمِن لِلتَبعِيضِ؛ لأَنَّه لَيسَ كُلُّ مَا يَستَطِيبُهُ الإِنسَانُ رِزقاً قَالَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ رِزقُهُ مَا لَهُ التَّصَرُّفُ فِيهِ، وَلَيسَ لأَحَدٍ مَنعُهُ مِنهُ، وَالمَعنَى: الأَشيَاءُ الَّتِي يَستَطِيبُونَهَا قَد أَبَاحَهَا لَكُم [٥].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤٠٤.
(٢) التفسير الأصفى، الكاشاني: ١/ ٦٥٤.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤١١.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٥٨٧، الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤١٩.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٧٩.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً**﴾ مَن مَوصُوفَةٌ؛ أَي: وَحُرَّاً رُزِقناه، لِيُطَابِقَ عَبدَاً[١] في قولِه: ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ**﴾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦)

الكَلُّ: الثِّقلُ[٢] إِذَا أُرِيدَ بِهِ إِستِقرَارُ الشَّيء، وَالمُبَالَغَةُ فِي ثُبُوتِهِ وَوُقُوعِهِ، وَالمُبَالَغَةُ في إِستِقرَارِهِ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧)

﴿**كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**﴾ أَي: كَرَجعِ الطَّرفِ مِن أَعلَى الحَدَقَةِ إِلى أَسفَلِهَا، أَو أَقرَبُ مِنهُ[٣].

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩)

الجَوُّ: الهَوَاءُ المُتبَاعِدُ مِنَ الأَرضِ في سَمتِ العُلُوِّ[٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٤٠.
(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (كلل) ٥/ ١٨١١.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤١٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٤٢.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٨٠)

الظَّعنُ: الإرتِحَالُ [١].

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١)

الكِّنُّ: مَا يُستكَنُّ بِهِ مِنَ الغِيرَانِ وَالبُيوتِ المَنحُوتَةِ في الجِبَالِ، وَالجَمعُ: أَكنَانٌ [٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً**﴾ مَوَاضِعَ لِتَسكُنُونَ بِهَا مِن كُهُوفٍ تَأْوُونَ إِلَيهَا.

القَمِيصُ: وَاحِدُ القُمُصِ، يُعمَلُ مِنَ القُطنِ وَالكِتَّانِ وَالصُّوفِ وَغَيرُهَا [٣].

الدِّرعُ: وَاحِدُ الدُّرُوعِ، وَهوَ كَالجَواشِن [٤].

السِّربَالُ: وَاحِدُ السَّرَابِيلُ، وَهوَ عَامٌّ؛ مِن حَدِيدٍ أَو غَيرِه [٥].

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (ظعن) ٦/ ٢١٥٩.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٢٣.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (قمص) ٣/ ١٠٥٤،التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤١٣.

(٤) العين، الفراهيدي، مادة (درع) ٢/ ٣٤.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٤٢.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَي: أَعرَضُوا، وَلَم يَقبَلُوا مِنكَ [١].

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ فَلَا يَضُرُّكَ، وَقَد بَلَّغتَ كَمَا أُمِرتَ، وَأَعذَرتَ، وَأَدَّيتَ مَا وَجَبَ عَلَيكَ مِنَ التَّبلِيغِ.

وَالبَلَاغُ: الإِسمُ، وَالتَّبلِيغُ: المَصدَرُ، كَالكَلَامُ وَالتَّكلِّيمُ، وَهذَا مِن إِقَامَةِ السَّبَبِ مَقَامَ المُسَبِّبِ [٢].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤)

العُتبَى: الرِّضَا، وَالإِستِعتَابُ هُو: الإِستِرضَاءُ، وَفِي التَّنزِيلِ: ﴿وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أَي: لَا يُقَالُ: أَرضُوا رَبَّكُم، لأَنَّ الآخِرَةَ لَيسَت بِدَارِ تَكلِيفٍ[٣].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٢)

النَّكثُ: وَاحِدُ الأَنكَاثِ، وَهو مَا يُنكَثُ وَيُنقَضُ فَتلُهُ بَعدَ الغَزلِ لِيُغزَلَ ثَانِيَةً [٤].

وَهي إِمرَأَةٌ حَمقَاءٌ مِن قُرَيش، وَاسمُهَا: رَيطَةُ بِنت عَمرو بن كعب بن سَعد، تَأمُرُهُنَّ أَن يَنقُضنَ مَا غَزَلنَ، وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَأبُهَا [٥].

---

(١) تفسير الصافي: ٣/ ٤١٥.
(٢) تفسير الصافي: ٣/ ٤١٥.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٤٣.
(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نكث) ٢/ ١٩٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٩٤.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٢)

وَمِنهُ ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ وَالقُدسُ: الطُّهرُ، وَهوَ: جَبرئِيلُ، وَالمُرَادُ الرُّوحُ المُقَدَّسُ، كَما يُقَالُ: حَاتَمُ الجُودِ، وَزَيدُ الخَيرِ، وَالمُقَدَّسُ: المُطَهَّرُ مِنَ المَاءِ [١].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠٣)

ثُمَّ يُقَالُ: أَلحَدَهُ، فَهوَ مُلحَدٌ وَمَلحُودٌ، إِذَا أَمَالَ حَفرَه عَن الإِستِقَامَةِ، ثُمَّ استُعِيرَ ذَلِك لِكُلِّ إِمَالَةٍ عَن إِستِقَامَةٍ، فَقَالُوا: أَلحَدَ فُلَانٌ في دِينِهِ؛ أَي: مَالَ عَنهُ، وَلَحدُ القَبرِ مَأَخُوذٌ مِنهُ [٢].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ أَي: يُضِيفُونَ إِلَيهِ التَّعلِيمَ، وَيُمِيلُونَ إِلَيهِ القَولَ أَعجَمِيَّةٌ [٣].

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٠٥)

وَقَد رُوِي مَرفُوعَاً: (أَنَّه قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، المُؤمِنُ يَزنِي؟ قَالَ: قَد يَكُونُ ذَلِكَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، المُؤمِنُ يَسرِقُ؟ قَالَ: قَد يَكُونُ ذَلِكَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، المُؤمِنُ يَكذِبُ؟ قَالَ: لَا، ثُمَ قَرَأَ: **﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أُولَئِك هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾**) [٤] لَا أَنتَ يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) تفسير الرازي: ٢٠/ ١١٦.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٤٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٠٠.
(٤) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٣/ ٥٦٥ح ١٦٥٥، معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٨٦.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦)

رُوِي مَرفُوعاً: (أَنَّهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، المُؤمِنُ يَزنِي؟ قَالَ: قَد يَكُونُ ذَلِكَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، المُؤمِنُ يَسرِقُ؟ قَالَ: قَد يَكُونُ ذَلِكَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، المُؤمِنُ يَكذِبُ؟ قَالَ: لَا، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة)[١].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١)

﴿**تُجَادِلُ**﴾ المُجَادَلَةُ: أَي؛ الإِحتِجَاجُ عَنهَا، وَالإِعتِذَارُ لَهَا[٢].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢)

يُسَمَّى أَثَرُ الجُوعِ: لِبَاساً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾ لأَنَّ أَثَرَهُمَا يَظهَرُ عَلَى الإِنسَانِ كَمَا يَظهَرُ عَلَى اللِّبَاسِ، وَقِيلَ: لأَنَّ أَهلَ مَكَّةَ شَمِلَهُم الجُوعُ، كَمَا يَشمِلُ اللِّبَاسُ البَدَنَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَأَذَاقَهُم مَا يَغشِيهُم وَيَشمِلَهُم مِنَ الجُوعِ وَالخَوفِ[٣].

قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ القَريَةَ: مَكَّةَ، عَذَّبَهُم اللهُ بِالجُوعِ سَبعَ سِنِينٍ، حَتَّى أَكلُوا القَدَّ وَالعِلهَزَ، وَهوَ: الوَبَرُ، يُخلَطُ بِالدَّمِ وَالقَرَادِ، ثُمَّ يُؤكَل، وَهُم مَعَ ذَلِكَ خَائِفُونَ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَأَصحَابَهُ يَغِيرُونَ عَلَى قَوَافِلَهُم، وَذَلِكَ حِينَ دَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عَلَيهِم، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٠١.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ٣٣٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٠٦.

أُشدُد وَطأَتَكَ عَلَى مُضَر، وَاجعَل عَلَيهِم سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُف) [١] فَعَذَّبَهُم اللهُ بِعَذابِ الإِستِئصَالِ.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٣)

قِيلَ: إِنَّ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله كَانَ أَفضَلُ مِن إِبرَاهِيم عليه السلام بَل مِنَ الأَنبِيَاءِ جَمِيعَاً، فَكَيفَ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ الفَاضِلُ بِإِتِّبَاعِ المَفضُولِ - يَعنِي إِبرَاهِيم عليه السلام - بِقَولِهِ: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً**﴾ أَي: أَمَرنَاكَ بِإِتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبرَاهِيمَ، مُستَقِيمَ الطَّرِيقَةِ في الدُّعَاءِ إِلى تَوحِيدِ اللَّـهِ، وَخَلعِ الأَندَادِ لَهُ، وَفي العَمَلِ بِسُنَّتِهِ.

وَفي لَفظَةِ: ﴿**ثُمَّ**﴾ تَعظِيمُ لِمَنزِلَةِ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله وَإِعلَامٌ بِأَنَّ أَفضَلَ مَا أُعطِيَ خَلِيلُ الرَّحمَنِ عليه السلام مِنَ الكَرَامَةِ: إِتبَاعُ نَبِيُّنَا صلى الله عليه وآله ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ بَل قُدوَةُ المُوَحِّدِينَ.

فَجَوَابُهُ: إِنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام سَبَقَ إِلَى إِتِّبَاعِ الحَقِّ، وَلَا يَكُونُ في سِبقِ المَفضُولِ إِلَى سَابِقَةِ الحَقِّ زِرَايَةٌ عَلَى الفَاضِلِ في إِتِّبَاعِهِ [٢].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٥٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٠٩.



الفصل السابع عشر

سورة الإسراء



سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٣﴾

قَولُهُ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ نَصبٌ عَلى الإختِصَاصِ، أَو عَلى النِّدَاءِ، وَالمَعنَى: قُلنَا لَهُم: لَا ﴿تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي﴾ ﴿وَكيلاً﴾ يَا: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أَو: لَا ﴿تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي﴾ ﴿وَكيلاً﴾ فَيَكُونُ: ﴿وَكيلاً﴾ مُوَحَّدُ اللَّفظِ، مَجمُوعَ المَعنَى كَرَفِيق.

﴿إِنَّهُ﴾ أَي: إِنَّ نُوحاًعليه السلام: ﴿كانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ [1].

إِنَّ نُوحاًعليه السلام كَانَ عَبدَاً للَّـهِ كَثِيرُ الشُّكرِ، وَكَانَ إِذَا لَبِسَ ثَوبَاً، أَو أَكَلَ طَعَاماً، أَو شَرِبَ مَاءً، حَمِدَ اللهَ، وَشَكَرَ لَهُ، وَقَالَ: الحَمدُ للَّـهِ.

وَقِيلَ: إِنَّهعليه السلام كَانَ يَقُولُ فِي إِبتِدَاءِ الأَكلِ وَالشُّربِ: بِسمِ اللَّـهِ، وَفِي إِنتِهَائِهِ: الحَمدُ للَّـهِ.

وَرُوِي عَن أَبِي عَبدِ اللَّـهِعليه السلام وَأَبِي جَعفَرٍعليه السلام: (إِنَّ نُوحَاًعليه السلام كَانَ إِذَا أَصبَحَ وَأَمسَى،

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٥٩.

قَالَ: اللَّـهُمَّ إِنِّي أُشهِدُكَ أَنَّ مَا أَصبَحَ أَو أَمسَى بِي مِن نِعمَةٍ، فِي دِينٍ أَو دُنيَاً فَمِنكَ وَحدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الحَمدُ، وَلَكَ الشُّكرُ بِهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَرضَى، وَبَعدَ الرِّضَا، وَهَذَا كَانَ شُكرُهُ)[1].

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤)

قِيلَ: كَانَ بَنِي إِسرَائِيلَ - وَهِي الأُولَى - قَتَلُوا زَكَرِيَّا، وَحَبَسُوا أَرمِيَا حِينَ أَنذَرَهُم سَخَطَ اللَّـهِ، والأُخرَى: قَتَلُوا يَحيَى بِن زَكَرِيَّا، وَقَصَدُوا قَتلَ عِيسَى ابنُ مَريَمَ[2].

ثُمَّ سَلَّطَ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِم سَابُور ذُو الأَكتَافِ؛ مَلِكَاً مِن مُلُوكِ فَارِس فِي قَتلِ زَكَرِيَّا، وَسَلَّطَ عَلَيهِم فِي قَتلِ يَحيَى بَختَ نَصر؛ وَهوَ رَجُلٌ مِن بَابِل[3].

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (٥)

الجَوسُ: التَّخَلُّلُ فِي الدِّيَارِ؛ وَهوَ التَّرَدُّدُ[4] فِي: ﴿**خِلَالَ الدِّيَارِ**﴾ أَي: وَسَطُهَا.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ**﴾ أَي: فَطَافُوا وَسطَ الدِّيَارِ يَتَرَدَّدُونَ، وَيَنظُرُونَ هَل بَقِيَ مِنهُم أَحَدٌ لَم يَقتُلوه[5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢١٨.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٣٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٢١.
(٤) غريب القرآن، الطريحي: ٣٠٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٢٢.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ﴿٦﴾

النَّفِيرُ: العَدَدُ مِنَ الرِّجَالِ، أو هُوَ: جَمعُ نَفرٍ، كَالعَبِيدِ وَالكَلِيب [١].

وَقِيلَ: النَّفرُ مَن يَنفِرُ مَعَ الرَّجُلِ مِن قَومِهِ [٢].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ أَي: أَكثَرَ عَدَداً مِن أَعدَاءِكُم [٣].

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ ﴿٧﴾

قَولُهُ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أَي: إِن أَحسَنتُم فَالإِحسَانُ يَختَصُّ بِأَنفُسِكُم، وَإِن أَسَأتُم فَالإِسَاءَةُ مُختَصَّةٌ بِهَا، لَا يَتَعَدَّى النَّفعُ وَالضُّرَّ إِلى غَيرِكُم [٤].

وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿فَلَهَا﴾ عَلَى وَجهِ التَّقَابُلِ؛ لأَنَّ في مُقَابَلَةِ قَولِه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ فَكَذَلِكَ وَضعَ اللَّام مَوضِع إِلى.

وَقِيلَ: إِنَّ قَولُه: ﴿فَلَهَا﴾ بِمَعنَى فَعَلَيهَا، كَقَولِهِ سُبحَانَهُ: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةَ﴾ [٥] أَي: عَلَيهِم، وَقِيلَ: مَعنَاهُ: فَلَهَا الجَزَاءُ وَالعِقَابُ، وَإِذَا أَمكَنَ حَملُ الكَلَامِ عَلى الظَّاهِرِ، فَالأَولَى أَن لَا يَعدِلَ عَنهُ.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نفر) ٥/ ٢٢٦.
(٢) تفسير الرازي: ٢٠/ ١٥٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٦١.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٦١.
(٥) غافر: ٥٢.

وَهَذَ الخِطَابُ لِبَنِي إِسرَائيلَ، لِيَكُونَ الكَلَامُ جَارِياً عَلى النَّسَقِ وَالنِّظَامِ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ خِطَاباً لأُمَّةِ نَبِيِّنا صلى الله عليه وآله فتكُونُ إِعتِرَاضاً بَينَ القِصَّةِ، كَمَا يَفعَلُ الوَاعِظُ، يَحكِي شَيئاً ثُمَّ يَعظُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلى الحِكَايَةِ[١].

التَتبِيرُ: الإِهلَاكُ[٢] وَالتَّبَارُ وَالهَلَاكُ وَالدَّمَارُ بِمَعنىً.

وِمنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً**﴾ أَي: وَليُدَمِرُوا، أَو يُهلِكُوا مَا غَلَبُوا عَلَيهِ مِن دِيَارِكُم، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مَا مَعَ الفِعلِ بِتَأوِيلِ المَصدَرِ، وَالمُضَافُ مَحذُوفٌ، بِمَعنَى: مُدَّةُ عُلُوِّهِم[٣].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ﴿٨﴾

الحَصِيرُ: السِّجنُ، أَو الحَبسُ[٤].

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ ﴿١١﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ**﴾ أَي: يَدعُ اللهَ عِندَ غَضَبِهِ بِالشَّرِّ عَلَى نَفسِهِ وَأَهلِهِ وَمَالِهِ، أَو يَدعُوهُ مِمَّا يَحسَبُهُ خَيرَاً وَهوَ شَرٌّ: ﴿**دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ**﴾ أَي: مِثلَ دُعاءهُ بِالخَيرِ[٥] فَلَو أَجَابَ اللهُ دُعَاءهُ لأَهلَكَهُ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَا يُجِيبُ بِفَضلِهِ وَرَحمَتِهِ[٦].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٢٢.
(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٤/ ٣٦٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٢٣.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤٥٢.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٣٤.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٢٦.

﴿**وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً**﴾ وَيُسَارِعُ إلى كُلِّ مَا يَخطُرُ ببَالِهِ، وَلَا يَنظُرُ عَاقِبَتَهُ [١].

رُوِيَ عَن ابنِ عبَّاسٍ: إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ آدَم عليه السلام لـَمَّا إِنتَهَت النَّفخَةُ إِلَى سُرَّتِهِ أَرَادَ أَن يَنهَضَ فَلَم يَقدِر، فَشَبَّهَ اللهُ سُبحَانَهُ ابن آدَم بِأَبيهِ في الإِستِعجَالِ وَطَلَبِ الشَّيء قَبلَ وَقتِهِ [٢].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً﴾ ﴿١٢﴾

وَقَد تُضَافُ الكَلِمَةُ إِلى غَيرِهَا لِلتَبيِّنِ؛ كَإِضَافَةِ العَدَدِ إِلى المعدُودِ وَهُمَا بِمَعنًى، وَكَقولِهِ تَعَالَى: ﴿**فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ أَي: الآيَة الَّتي هِي اللَّيلُ بِالإِشرَاقِ [٣].

﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾ ﴿١٣﴾

قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ مَعنَاهُ: أَلزَمنَا كُلَّ إِنسَانٍ عَمَلُه، مِن خَيرٍ وَشَرٍّ لُزومَ الطَّوقِ في عُنُقهِ، لَا يَنفَكُّ عَنهُ، كَمَا قِيلَ في المَثَلِ: تَقَلَّدَهَا طَوقُ الحَمَامَةِ [٤] وَإِنَّمَا قِيلَ لِلعَمِلِ طَائِراً عَلى عَادَة العَربِ في قَولهُم: جَرَى طَائِرهُ هَكذَا، وَمِثلُ قَولِه سُبحَانَهُ: ﴿**قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ**﴾ [٥].

وَقِيلَ: طَائِرُه يُمنُه وَشُؤمه، وَهوَ مَا يُتَطيَّرُ بِهِ [٦].

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٣٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٢٦.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٣٥.
(٤) جمهرة الأمثال، الميداني: ١/ ٢٧٥ يقال ذلك للرذيلة يأتيها الإنسان فيلزمه عارها.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤٥٠.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣٠.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً﴾ كَتبَهُ الحَفَظَةُ عَلَيهِم مِمَّا عَمِلُوا [١].

﴿يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾ أَي: يَرى ذَلِكَ الكِتَاب مَفتُوحَاً مَعرُوضَاً عَلَيهِ، لِيَقرَأ مَا فِيهِ وَيَعلَمَ، وَالهَاءُ فِي: ﴿لَهُ﴾ يَجُوزُ أَن تَرجِع إِلى الإِنسَانِ وَإِلى العَمَلِ[٢].

﴿اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ ﴿١٤﴾

﴿اقْرَأْ كِتابَكَ﴾ هَاهُنا: حَذفٌ؛ أَي: يُقَالُ لَهُ اقرَأ كِتَابُكَ، وَعَن قَتَادَة: يَقرَأ ذَلِكَ اليَوم مَن لَم يَكُن فِي الدُّنيَا قَارِءاً [٣].

وَعن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّه قَالَ: (يَذكُرُ العَبدُ جَمِيعَ أَعمَالِه، وَمَا كُتِبَ عَليهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ فَعَلَهُ تِلكَ السَّاعَة، فَلِذَلكَ قَالُوا: ﴿يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها﴾ [٤] أَي: المُحصِي.

﴿كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ وَالبَاء مَزِيدَةٌ، وَ: ﴿حَسِيباً﴾ بِمَعنَى: الحَاسِبُ، كَضَرِيبِ القِدَاحِ، بِمَعنَى ضَارِبُها، وَ: ﴿عَلَيْكَ﴾ يَتعَلَّقُ بِه، مِن قَولهِم: حَسِيبٌ عَلَيهِ بِكَذَا [٥] وَالمَعنَى: كَفَى بِنَفسِكَ يومَ القِيَامَةِ عَلَيك مُحَاسِباً.

قَالَ الحَسنُ: يَا ابنَ آدَم لَقَد أَنصَفَكَ مَن جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفسِكَ [٦].

وَإِنَّمَا جَعَلَهُ مُحَاسِباً لِنَفسِهِ؛ لأَنَّهُ إِذَا رَأَى أَعمَالَهُ يَومَ القِيَامَةِ كُلُّهَا مَكتُوبَةً وَرَأَى جَزَاءَ

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ٣٠٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣٠.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٦٤.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣١.

أَعمَالِه مَكتُوباً بِالعَدلِ، لَم يُنقِص مِن ثَوابِهِ شَيءٌ، وَلَم يُزِد عَلى عِقَابِه شَيء، أَذعَنَ عِندَ ذَلِكَ وَخَضَعَ، وَتَضَرَّعَ وَاعتَرَفَ، وَلَم يَتَهيأ لَهُ حُجَّةٌ وَلَا إِنكَارٌ، وَظَهَرَ لأَهلِ المَحشَرِ أَنَّه تَعالى لَا يَظلِمُ عَلَيهِم شَيئاً [1].

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾ في الدُّنيَا، فَضَرَرُ ضَلَالِه رَاجِعٌ إِلى نَفسِه، وَعُقُوبَةُ ضَلَالِه عَلَيهَا أَيضاً، بِخِلَافِ مَا إِذَا اهتَدَى؛ فَإِنَّ مَن اهتَدَى في الدُّنيَا إِلى دِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِه، فَمَنفَعَةُ اهتدَائِهِ رَاجِعَةٌ إِلَيه [2].

﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ كُلُّ نَفسٍ حَامِلَةٌ وِزرُهَا لَا وُزرَ غَيرُهَا [3] وَالمُرَادُ: لَا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بِذَنبِ أَحدٍ، وَفي هَذَا دِلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلى بُطلَانِ قَولِ مَن قَالَ: إِنَّ أَطفَالَ الكُفَّارِ يُعذَّبُونَ مَع آبائِهِم [4].

﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ أَي: إِلى بَنِي آدَم رَسُولاً يُلزِمُهُم الحُجَّةَ؛ يَعنِي: وَمَا صَحَّ مِنَا في الحِكمَةِ أَنَّ نُعَذِّبَ أَحداً إِلَّا بَعدَ أَن نَبعَثَ بِالبَلَاغَةِ وَالمُعجِزُ رَسُولاً إِليهِ [5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣١.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٦٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣١.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٤١.

﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْميراً﴾ (١٦)

التَّرَفُّه: النِّعمَة، وَالْمُتَرَفُ الْمُتنَعِمُ [(١)].

يَعنِي: إِذَا أَرَادَ التَّاجِرُ أَن يَفتَقِرَ أَتَاهُ الخُسرَانُ مِن كُلِّ وَجهٍ، وَمَعلُومٌ أَنَّ التَّاجِرَ لَم يُرِد فِي الحَقِيقَةِ شَيئاً، لَكِن لَـمَّا كَانَ المَعلُوم مِن حَالِ ذَلِكَ الخُسرَانُ حُسنُ هَذَا الكَلَام استَعمَلَ ذِكرَ الإِرَدَاةِ لِهَذَا الوَجهُ، وَهَذَا ذِكرٌ لِلإِرَادَةِ عَلى وَجهِ المَجَازِ وَالإِتسَاعِ [(٢)].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبيراً بَصيراً﴾ (١٧)

القَرنُ مَائَةٌ وَعُشرُونَ سَنَة، وَقِيلَ: مَائَةُ سَنَة، وَقِيلَ: ثَمَانُونَ سَنَةٍ، وَقِيلَ: أَربَعُونَ سَنةٍ [(٣)].

﴿مَنْ كانَ يُريدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُريدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾ (١٨)

قَولُه تَعَالَى: ﴿**مَنْ كانَ يُريدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُريدُ**﴾ يَعنِي: مَن يُرِيدُ النِّعمَةَ العَاجِلَةَ؛ وَهي الدُّنيَا، وَلَم يُرِد غَيرُهَا.

﴿**عَجَّلْنا لَهُ فيها**﴾ أَي: تَفَضَلَّنَا عَلَيهِ بِما نَشَاءُ مِنَ البَسطِ وَالتَّقتِيرِ لِمَن نُرِيدُ إِعطَاءهُ، فَقَيَّدَ الأَمرَ بِقَيدَينِ؛ أَحدَهُمَا: تَقيِيدُ المُعَجِّلِ بِالمَشِئةِ، وَالثَّاني: تَقيِيدُ المُعَجَّلِ لَهُ بِإِرَادَتِهِ؛

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٨٢.

(٢) تفسير الرازي: ٦/ ٢٣٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣٦.

لأَن لَا يَجِدَ كُلُّ مُتَمَنٍ مَا يَتَمَنَّاهُ، وَلَا كُلُّ وَاحِدٍ جَمِيعَ مَا يَهوَاهُ [١].

وَقَولُه: ﴿**لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ بَدَلُ مَن لَهُ بَدَلُ البَعضِ مِنَ الكُلِّ؛ لأَنَّ الضَّمِيرَ فِي لَهُ يَرجِعُ إِلى مَن، وَهوَ لِلكَثرَةِ، وَقِيلَ: هُم مَن يُرِيدُ الدُّنيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ كَالمُرائِي وَالمُنَافِقِ [٢].

وَرَوى ابنُ عبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَعنَى الآية: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا**﴾ [٣] بِعَمَلِه الَّذِي افتَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ، لَا يُرِيدُ وَجهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، عَجَّلَ لَهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ اللهُ مِن عَرَضِ الدُّنيَا، وَلَيسَ لَهُ ثَوَابٌ فِي الآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّه سُبحَانَهُ يُعطِيه ذَلِكَ لِيَستَعِينَ بِه عَلى الطَّاعَةِ، فَيَستَعمِلَهُ فِي مَعصِيَةِ اللَّهِ، فَيُعَاقِبَهُ اللهُ عَليهِ) [٤].

المَدحُورُ: المُبعَدُ المَطرُود [٥].

﴿**ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً**﴾ أَي: مَطرُوداً مِن رَحمَةِ اللَّهِ [٦].

﴿وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ (١٩)

﴿**وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ**﴾ وَمعنَاهُ: أَي خَيرُهَا وَنَعِيمُهَا: ﴿**وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ أَي: مُصَدِّقٌ بِتَوحِيدِ اللَّهِ، وَمُقِرٌّ بِأَنبِيَائِهِ [٧].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٣٧.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٦٦.
(٣) النساء: ١٣٤.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣٦.
(٥) معالم التنزيل، البغوي: ٢/ ١٥٢.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٤٣.
(٧) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤٦٣.

﴿**فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً**﴾ أَي: تَكُونُ طَاعَاتُهُم مَقبُولَةً وَشُكرَ اللَّـهِ، نُهَيء الأَسبَابَ لِلفَرِيقَينِ جَمِيعاً لِيُطِيعُونَا وَيَستَعِينُوا بِنَا، فَمَن استَعَانَ عِندَهُ، وَمَن استَدبَرَ، جَعَلنَا عَلَيهِ زِمَامَهُ.

وَفي الأَوَّلِ: اشتُرِطَ في كَونِ السَّعي مَشكُورَاً ثَلَاثُ شَرَائِطٍ؛ أَوَّلُهَا: إِرَادَةُ الآخِرَةِ، وَثَانِيهَا: السَّعيُ فِيمَا كُلِّفَ مِنَ الفِعلِ وَالتَّركِ، وَثَالِثُهَا: الإِيمَانُ الصَّحِيحُ [١].

﴿كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ ﴿٢٠﴾

﴿**وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾ أَي: نَرزُقُ الجَمِيعَ، دُونَ أَن نَمنَعَ الكَافِرَ، أَو الفَاسِقَ لِفِسقِهِ [٢].

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ ﴿٢١﴾

﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ**﴾ يَعنِي: أُنظُر بِنَظَرِ الإِعتِبَارِ: ﴿**كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ**﴾ بِأَن جَعَلنَا بَعضَهُم أَغنِيَاء، وَبَعضَهُم فُقَرَاء، وَبَعضَهُم مَوَالِي، وَبَعضَهُم عَبِيدَاً، وَبَعضَهُم أَصِحَّاء، وَبَعضَهُم مَرضَى، عَلَى حَسَبِ مَا عَلِمنَاهُ مِن مَصَالِحِهِم.

﴿**وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ مِن دَرَجَاتِ الخَلَائِقِ في الدُّنيَا، فَيَنبَغِي أَن تَكُونَ رَغبَتُكُم في الآخِرَةِ، وَسَعيَكُم لَهَا، وَقَد رُوِي: (أَنَّ مَا بَينَ أَعلَى دَرَجَاتِ الجَنَّةِ وَأَسفَلُهَا، مِثلَ مَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ) [٣].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٤٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٣٧.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾

أُفٍّ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلى الضَجرِ، وَقِيلَ: اسمُ الفِعلِ الَّذِي هُوَ الضَّجَرُ؛ وَهوَ مَبنِيٌّ عَلى الكَسرِ لإِلتِقَاءِ السَّاكِنَينِ، كَمَا قرأهَا أَبو بَكرٍ، وَتَنوينَهُ فِي قِرَاءَةِ حَفصٍ لِلتَنكِيرِ[1].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (لَو عَلِمَ اللهُ تَعَالَى لَفظَةً أَوجَزُ فِي تَركِ عُقُوقِ الوَالِدَينِ مِن أُفٍّ لأَتَى بِهَا)[2].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخرَى، عَنهُ عليه السلام قَالَ: (أَدنَى العُقُوق: أُفٍّ، وَلَو عَلِمَ اللهُ شَيئاً أَيسَرُ مِنهُ ـ أَو أَهوَنَ مِنهُ ـ لَنَهَى عَنهُ)[3].

وَمَعنَى: ﴿**فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ**﴾ لَا تُؤذِهمَا قَلِيلاً وَلَا كَثِيرَاً، يَعنِي: لَا تَقُل لَهُمَا عِندَ الضَّجَرِ بِمَا يُستَقذَرُ مِنهُمَا: أُفٍ، فَضَلاً عَمَّا يَزِيدُ[4].

وَلَقد بَالَغَ عَزَّ وَجَلَّ فِي التَّوصِيَةِ بِهِمَا؛ حَيثُ قَرَنَ الإِحسَانَ إِلَيهِمَا بِتَوحِيدِه، وَلَا يَجُوزُ أَن يُدعَيَا بِإِسمِهِمَا، فَإِنَّهُ مِنَ الجَفَاءِ، وَسُوءِ الأَدَبِ.

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (لَا تَملَأ عَينَيكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيهِمَا إِلَّا بِرَحمَةٍ وَرَأفَةٍ، وَلَا تَرفَعُ صَوتُكَ فَوقَ صَوتِهِمَا، وَلَا يَدَيكَ فَوقَ أَيدِيهُمَا، وَلَا تَتَقَدَّمُ قُدَّامَهُمَا)[5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٤٠.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٧١/ ٤٢.
(٣) كنز الدقائق، الحويزي: ٣/ ١٥١ح١٤٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٦٨.
(٥) شجرة طوبى، الحائري: ٢/ ٣٧٢.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ ﴿٢٤﴾

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ أَي: أُدعُ لَهُمَا بِالمَغفِرَةِ وَالرَّحمَةِ في الحَيَاة وَالمَمَاتِ، وَفي هَذِه الآيَة دِلَالَةٌ عَلى أَنَّ دُعَاءَ الوَلَدِ لِوَالِدِه المَيِّت مَسمُوعٌ وَإِلَّا لَم يَكُن لِأَمرِه بِهِ مَعنَىً [١].

فَفِي الحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (رُغمَ أَنفِهِ، رُغمَ أَنفِهِ، رُغمَ أَنفِهِ) قَالُوا: مَن، يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: (مَن أَدرَكَ أَبَوِيهِ عِندَ الكِبَرِ، أَحَدَهُمَا، أَو كِلَاهُمَا، وَلَم يَدخُلِ الجَنَّةَ)[٢].

وَرَوى أَبو أُسَيدٍ الأَنصَارِيُّ [٣] قَالَ: بَينَمَا نَحنُ عِندَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ إِذ جَاءَهُ رَجُلٌ مِن بَنِي سَلَمَة، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، هَل بَقِي مِن بِرِّ أَبَويَّ شَيءٌ أَبرهُمَا بِهِ بَعدَ مَوتِهِمَا؟ قَالَ: (نَعَم؛ الصَّلَاةُ عَلَيهِمَا، وَالإِستِغفَارُ لَهُمَا، وَإِنفَاذُ عَهدِهِمَا مِن بَعدِهِمَا، وَإِكرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا) [٤].

وَلَا تَكتَفِي بِرَحمَتِكَ الَّتي لَا بَقَاءَ لَهَا عَلَيهِمَا، وَقَالَ قَتَادَة: هَكَذَا عُلِّمتُم، وَبِهَذَا أُمِرتُم، فَخُذُوا بِتَعلِيمِ اللَّـهِ وَأَدَبِه [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٤١.

(٢) الأدب المفرد، البخاري: ١٦ح ٢١، عنه الدر المنثور، السيوطي: ٤/ ١٧٢.

(٣) هو مالك بن ربيعة، الساعدي الأنصاري، من الصحابة، شهد بدراً، ينظر: التاريخ الكبير، البخاري: ٧/ ٢٩٩، نقد الرجال، التفريشي ٤/ ٨١.

(٤) سنن ابي داود: ٢/ ٥٠٧ح ٥١٤٣، المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٤/ ١٥٤.

(٥) جامع البيان، الطبري: ١٥/ ٨٦ح ١٦٧٦٩.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ (٢٥)

الأَوَّابُ: التَّوَابُ المُتَعَدِّدُ، الرَّاجِعُ عَن ذَنبِه، وَقِيلَ: الأَوَابُ؛ المُطِيعُ المُحسِنُ، وَقِيلَ: الأَوَّابُون هُم الَّذِينَ يُذنِبُونَ ثُمَّ يَتُوبُونَ، ثُمَّ يُذنِبُون ثُمَّ يَتُوبُون، وَقِيلَ: هُم المُسَبِّحُونَ، وَيَعضِدُه قَولُه تَعَالى: ﴿**يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَه**﴾ [١] وَقِيلَ: إِنَّهُم الَّذِينَ يُصَّلُونَ بَينَ المَغرِبِ وَالعِشَاءِ [٢].

عَن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (صَلَاةُ أَربَعِ رَكَعَاتٍ، يَقرَأُ فِي كُلِّ رَكعَةٍ خَمسِينَ مَرَّةً ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ هِيَ صَلَاةُ الأَوَّابِينَ) [٣].

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ (٢٦)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾ أَي: مَا أَوجَبَهُ اللهُ لَهُم فِي أَموَالِهِم، وَالمُرَادُ بِذِي القُربَى: قَرَابَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله [٤].

عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيُّ، أَنَّه قَالَ: لَـمَّا نَزَلَت قَولُهُ: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾ أَعطَى رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ عليها السلام فَدَك [٥].

وَبِهذَا الحَدِيثِ رَدَّ المَأمُون فَدَك عَلَى وُلدِ فَاطِمَةَ عليها السلام.

التَّبذِيرُ: تَفرِيقُ المَالِ فِيمَا لَا يَنبَغِي، وَإِنفَاقُهُ عَلَى الإِسرَافِ [٦].

---

(١) سبأ: ١٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٤٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٤٢، وورد الحديث باختلاف وتفاوت في مصادر كثيرة.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٤٤.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ٢٤٠ح ٣٢٣.

(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٤٦.

وَعَن مُجَاهِد: لَو أَنفقَ مُدّاً فِي بَاطِلٍ كَانَ تَبذِيراً، وَلَو أَنفقَ جَمِيعَ مَالِه فِي الحَقِّ لَم يَكُن مُبَذِّراً [١].

وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه بِسَعدٍ وَهوَ يَتوضَّأ، فَقَالَ: (مَا هَذَا السَّرفُ يَا سَعدُ؟) قَالَ: أَوَ فِي الوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ: (نَعَم، وَإِن كُنتَ عَلَى نَهرٍ جَارٍ) [٢].

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ ﴿٢٧﴾

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ﴾ أَي: أَمثَالَهُم السَّالِكُونَ طَرِيقَتَهُم، وَهَذَا غَايَةُ الذَّمِّ: ﴿وَكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ فَلَا يَنبَغِي أَن يُطَاعَ؛ لأَنَّهُ لَا يَدعُو إِلَا إِلَى مِثلِ فِعلِهِ مِنَ الشَّرِّ [٣].

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾ ﴿٢٨﴾

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها﴾ أَي: وَإِن أَعرَضتَ عَن هَؤلَاءِ الَّذِينَ أَمَرتُكَ بِإِيتَاءِ حُقُوقِهِم مِنَ الرَّدِّ، إِنتِظَار فَضلٍ مِن رَبِّكَ تَرجُوهُ، وَالسَّعَةُ الَّتِي يُمكِنُكَ مَعهَا البَذلُ: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾ جَمِيلاً سَهلاً لَيِّناً، يَتيَسَّرُ عَلَيكَ [٤].

رُوِيَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه: كَانَ لَـمَّا نَزَلَت هَذِه الآيَةُ، إِذَا سُئِلَ وَلَم يَكُن عِندَهُ مَا يُعطِي، قَالَ: (يَرزُقُنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِن فَضلِهِ) [٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٧٠.
(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٢٢١، شعب الإيمان، البيهقي: ٣/ ٣٠ح ٢٧٨٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٧٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٤٤.
(٥) زبدة البيان، الأردبيلي: ٣٨٤.

﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ (٢٩)

المَحسُورُ: العُريَانُ (١).

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً﴾ (٣١)

الخَطَأ: الإِثمُ، يُقَالُ: خَطا خَطَءاً كَأَثِم إِثمَاً (٢).

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلاً﴾ (٣٢)

الزِّنَا: وَطؤ المَرأَةِ بِلَا عَقدٍ، وَلَا شِبهَةُ عَقدٍ، مُختَاراً (٣).

وَعَن أَمِير المُؤمِنِينَ عليه السلام: أَنَّه قَالَ: (سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: في الزِّنَا سِتُّ خِصَالٍ؛ ثَلَاثٌ في الدُّنيا، وَثَلَاثٌ في الآخِرَةِ، فَأَمَّا اللَّوَاتِي في الدُّنيَا: فَيُذهِبُ بِنُورِ الوَجهِ، وَيَقطَعُ الرِّزقَ، وَيُسرِعُ الفَنَاءَ، وَأَمَّا اللَّوَاتِي في الآخِرَةِ: فَغَضَبُ الرَّبِّ، وَسُوءُ الحِسَابِ، وَالدُّخُولُ في النَّارِ، أَو: الخُلُودُ في النَّارِ) (٤).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً﴾** أَي: مَعصِيَةٌ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ قَبِيحَةٌ، زَائِدَةٌ عَلى حَدِّ القُبحِ (٥).

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٩، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٤٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤٥٧.

(٤) الخصال، الصدوق: ٣٢٠ح ٢و٣، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٠/ ٣١١ح ٢٥٧٠٠.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٤٨.

﴿وَساءَ سَبيلاً﴾ يَعنِي: بِئسَ طَرِيقُ الزِّنَا، وَفِيهِ إِسَاءَةٌ إِلى أَنَّ العَقلَ يُقَبِّحُ الزِّنَا؛ مِن حَيثُ أَنَّه يُؤدِّي إِلى قَطعِ الأَنسَابِ، وَإِبطَالُ المَوَارِيث، وَإِبطَالُ صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُقُوقِ الآبَاءَ عَلَى الأَولَادِ، وَذَلِكَ مُستَنكَرٌ فِي العَقلِ [١].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (٣٥)

القِسطَاسُ: المِيزَانُ، وَقَرَأَ أبو بَكرٍ: بِضَمِّ القَافِ [٢].

وَقِيلَ: هُوَ رُومِيٌّ عُرِّبَ، وَلَا يَقدَحُ ذَلِكَ فِي عَرَبِيَّةِ القُرآنِ؛ لأَنَّ العَجَمِيَّ إِذَا استَعمَلَتهُ العَرَبُ، وَأَجرَتهُ مَجرَى كَلَامَهُم فِي الإِعرَابِ، وَالتَّعرِيفِ وَالتَّنكِيرِ وَنَحوهَا، صَارَ عَرَبِيَّاً، يُقَالُ أَيضاً: القِسطَاسُ [٣].

الأَولُ: الرُّجُوعُ، يُقَالُ: آلَ، إِذَا رَجع، وَمِنهُ التَّأَوِيلُ؛ وَهوَ: مَا يَؤولُ إِلَيهِ[٤].

﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ (٣٦)

القَفو: إِتِّبَاعُ الأَثرِ، يَعنِي: قَفَا أَثرَهُ، وَقَافَهُ، وَاقتَفَاهُ، وَاقتَافَهُ، بِمَعنَى إِتَّبَعَهُ، وَمِنهُ القَافِيَةُ [٥].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أَي: وَلَا تَقُل مَا لَم يَتعَلَّقُ بِه عِلمُكَ تَقلِيدَاً أَو رَجمَاً بِالغيبِ، مِن قَولٍ أَو فِعلٍ، وَالمُرَادُ: النَّهيُ عَن أَن يَقُولَ الرَّجُلُ مَا لَا يَعلَمُ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٤٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤٧٦، التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ١/ ٤٤٦.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٤٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٤٩.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٥٣٩.

أَو يَعمَلُ مِمَّا لَا يَعلَم، وَيَدخُلُ فِيهِ النَّهيُ عَن إِتِّبَاعِ الظَّنِّ وَالتَّقلِيدِ.

وَقَد استَدَلَّ بِهِ جَمَاعَةٌ مِن أَصحَابِنَا: أَنَّ العَملَ بِالقِيَاسِ، وَبِخَبَرِ الوَاحِدِ غَيرُ جَائزٍ؛ لأَنَّهُمَا لَا يُوجِبَانِ العِلمَ، وَقَد نَهَى اللهُ سُبحَانَهُ عَن إِتِّبَاعِ مَا هُوَ غَيرُ مَعلُومٍ [١].

﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ يَعنِي: إِنَّ السَّمعَ يُسئَلُ عَمَّا سَمِعَ، وَالبَصَرُ عَمَّا رَأَى، وَالقَلبُ عَمَّا عَزَمَ عَلَيهِ

وَالمُرَادُ: إِنَّ أَصحَابَهَا هُمُ المَسؤُولُونَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿**كُلُّ أُولَئِكَ**﴾ وَقِيلَ: كُلُّ أُولَئِكَ الجَوَارِحِ لَا أَصحَابُهَا تُسئَلُ عَمَّا فَعَلَ [٢].

وَرَوَى أَبو حَمزَةَ الثُّمَالِيُّ [٣] عَن البَاقِرِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: لَا يَزُولُ قَدَمَ عَبدٍ يَومَ القِيَامَةِ مِن بَينِ يَدَي اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَسأَلُهُ عَن أَربَعِ خِصَالٍ؛ عُمرُكَ فِيمَا أَفنَيتُهُ، وَجَسَدُكَ فِيمَا أَبلَيتُهُ، وَمَالُكَ مِن أَينَ كَسَبتَهُ وَأَينَ وَضَعتَهُ، وَعَن حُبِّنَا أَهلَ البَيتِ) [٤].

صَلَوَاتُ اللَّـهِ وَسَلَامُه عَلَيهِم، رَزَقنَا اللهُ حُبَّهُم وَمُتَابَعَةَ آثَارَهُم.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٥١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٥١.

(٣) ثابت بن دينار، كوفي، ثقة، لقي الإمام السجاد والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وروى عنهم، ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حقه: (أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه) توفي سنة ١٥٠ هـ، ينظر: رجال النجاشي: ١١٥، فهرست الطوسي: ٩٠.

(٤) تفسير القمي: ٢/ ٢٠.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ ﴿٣٧﴾

المَرَحُ: شِدَّةُ الفَرَحِ بِالبَاطِلِ [١] وَقوله تعَالَى: ﴿**وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً**﴾ أَي: ذَا مَرَحٍ، وَهوَ الخُيَلَاءُ وَالتَّكَبُرُ [٢].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾ ﴿٤١﴾

النُّفُورُ: مَصدَرٌ بِمَعنَى التَّولِيَةُ، أَو جَمعُ نَافِرٍ كَشُهودٍ جَمعُ شَاهِدٍ [٣].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ ﴿٤٧﴾

يُقَالُ: فُلَانٌ مَسحُورٌ، إِذَا سُحِرَ وَجُنَّ، وَاختَلَطَ عَلَيهِ عَقلُهُ [٤].

﴿أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً﴾ ﴿٥١﴾

يُقَالُ: أَنغَضَ رَأسَهُ، إِذَا حَرَّكَهُ، وَالإِستِنغَاضُ الإِستحرَاكُ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ**﴾ أَي: فَسَيُحَرِّكُونَ إِلَيكَ رُؤوسَهُم تَعَجُّباً وَاستِهزَاءًا، يُقَالُ: سَارَ فُلَانٌ بِغضَبِهِ؛ أَي: جَاءَ غَضبَانٌ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٥٢.
(٢) تفسير الرازي: ٢٠/ ٢١١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٧٦.
(٤) التفسير الأصفى، الكاشاني: ١/ ٦٨٣.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤٨٩، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٥٩.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ (٥٣)

قِيلَ: قُل لَهُم: لِيَقُل بَعضَهُم لِبَعضٍ أَحسَنَ مَا يُقَال؛ مِثل: رَحِمَكَ اللهُ، وَيَغفِرُ اللهَ لَكَ [١].

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ (٥٥)

قِيلَ: مَكتُوبٌ فِي الزُّبُرِ: أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله خَاتَمُ الأَنبِيَاءِ، وَأَنَّ أُمَّتَهُ خَيرُ الأُمَمِ [٢].

وَقَالَ اللهُ تعَالَى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾**[٣] وَهُم مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وَأَهلُ بَيتِهِ عليهم السلام [٤].

وَالزَّبُورُ: إِسمٌ لِكُلِّ كِتَابٍ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الإِسم غَلَبَ عَلَى كِتَابِ دَاوودَ النَّبِيِّ عليه السلام كَمَا غَلَبَ إِسمُ الفُرقَانِ عَلَى القُرآنِ، وَإِن كَانَ كُلُ كِتَابٍ مِن كُتُبِ اللَّـهِ فُرقَاناً؛ لأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٦١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٥٣.

(٣) الأنبياء: ١٠٥.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٧٨.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٦٢، عن الحسن.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ ﴿٦٢﴾

الإِحتِنَاكُ: الإِقتِطَاعُ مِنَ الأَصلِ، يُقَالُ: إِحتَنَكَ فُلَانٌ مَا عِندَ فُلَانٍ مِن مَالٍ أَو عِلمٍ، إِذَا استَقصَاهُ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، أَو اصتَأَصَلَهُ[1].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ أَي: لَأَستَأصِلَنَّهُم بِالإِغوَاءِ، وَلَأَستَولِيَنَّ عَلَيهِم إِلَّا قَلِيلاً يَعصِمَهُم اللهُ وَهُم المُخلِصُونَ، وَيُقَالُ: إِحتَنَكَ الجَرَادُ الزَّرعَ؛ إِذَا أَكَلَهُ كُلَّهُ[2].

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ ﴿٦٤﴾

الفَزُّ: الخَفِيفُ[3].

قِيلَ: كُلُّ صَوتِ دُعِي بِهِ إِلَى الفَسَادِ، فَهوَ مِن صَوتِ الشَّيطَانِ[4].

الجَلَبَةُ: هِي الصِّيَاحُ[5] يُقَالُ: أَجلَبَ عَلَى القَومِ بِخَيلِهِ، إِذَا صَاحَ عَلَيهِم.

الرِّجلُ: بِكَسرِ الجِيمِ، فِعلٌ، قَد يَكُونُ فَاعِل، يُقَالُ رَجُلٌ رِجلٌ، أَي: رَاجِلٌ، وَالرَّاجِلُ ضِدَّ الرَّاكِبِ، وَقرَأَ أَبو بَكرٍ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ**﴾ رَجلِكَ بِإِسكَانِ الجِيمِ، وَعَلَى هَذَا هُو إِسمٌ لِلرَاجِلِ، كَالرَّاكِبِ وَالصَّحبِ، وَكُلُّ رَاكِبٍ

(١) تفسير الرازي: ٢١/ ٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٦٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٠٩.
(٤) التبيان في تفسير القرين، الطوسي: ٦/ ٤٩٩، أحكام القرآن، الجصاص: ٣/ ٢٦٦ عن ابن عباس.
(٥) البحر المحيط، أبو حيان: ٦/ ٤٣.

أَو مَاشٍ فِي مَعصِيَةٍ فَهوَ مِن خَيلِ إِبلِيس، مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ [١].

الغَرُورُ: تَزيِيْنٌ مِن الخَطَأَ بِمَا يُوهِمُ أَنَّه صَوَابٌ [٢].

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ (٦٦)

الإِزجَاءُ: سَوقُ الشَيءِ حَالَاً بَعدَ حَالٍ [٣] وَفي التَّنزِيلِ: **﴿رَبُّكُمُ الَّذي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾** يَعنِي: خَالُكُم وَمُدَبِرَكُم الَّذِي يُسَيِّرُ وَيُجرِي لَكُم السُّفُن في البَحرِ بِمَا خَلَقَ مِنَ الرِّيَاحِ، وَبِأَن يَجعَلُ المَاءَ عَلى وَجهٍ يُمكِنُ جَري السُّفُنِ فِيهِ [٤].

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً﴾ (٦٨)

الحَاصِبُ: الرِّيحُ الَّتي تَرمِي بِالحَصبَاءِ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٦٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٥٦.

(٣) تفسير أبي السعود: ٦/ ١٨٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٧١.

(٥) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ١٢٤.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾ (٦٩)

﴿**فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً**﴾ وَ: ﴿**قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ**﴾ هِي الرِّيحُ الَّتي لَهَا قَصفٌ؛ أَي: صَوتٌ شَدِيدٌ، كَأَنَّهَا تَقصِفُ؛ أَي: تَكسِرُ، وَهيَ الَّتي لَا تَمُرُّ بِشَيءٍ إِلَّا كَسَرَتهُ [١].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فيهِ**﴾ أَي: في البَحرِ: ﴿**تارَةً أُخْرى**﴾ أَي: لِحَاجَةٍ فَتَركَبُوهُ: ﴿**فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ**﴾ أَي: لِسَبَبِ كُفرَانِكُم نِعمَةَ الإِبحَارِ وَغَيرُهَا مِنَ النِّعَمِ [٢].

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (٧١)

﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ**﴾ رُوِي عَن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: أَلَا تَحمِدُونَ اللهَ! إِذَا كَانَ يومُ القِيَامَةِ، فَدُعِي كُلُّ قومٍ إِلَى مَن يَتَوَلَّونَهُ، وَفَزِعنَا إِلَى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وَفَزِعتُم إِلَينَا، فَإِلَى أَينَ تَرونَ يُذهَبُ بِكُم؟ إِلى الجَنَّةِ وَرَبِّ الكَعبَةِ قَالهَا ثَلَاثَاً) [٣].

وَقِيلَ: بِأُمهَاتِكُم، جَمعُ أُمٍّ، كَخُفٍّ وَخِفَافٍ [٤].

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ١٠٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٧٢.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ٢/ ٢٦٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٥٩.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٧٢﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى**﴾ أَي: أَعمَى القَلب: ﴿**فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا**﴾ قِيلَ: مَن كَانَ فِي الدُّنيَا أَعمَى القَلبِ فإنَّهُ: ﴿**فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى**﴾ العَينِ، يُحشَرُ كَذَلِكَ عُقُوبَةَ ضَلَالَتِه فِي الدُّنيَا، لَا يَرَى طَرِيقَ نَجَاةٍ، فَيَهلَكُ فِي النَّارِ [١].

وَقِيلَ: مَن كَانَ فِي الدُّنيَا أَعمَى عَن آيَاتِ اللَّـهِ، ضَالًّا عَن الحَقِّ، ذَاهِبًا عَن الدِّينِ، لَا يَهتَدِي إِلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ، فَهوَ فِي الآخِرَةِ أَعمَى، لَا يَهتَدِي إِلَى طَرِيقِ الجَنَّةِ، أَو عَن الحُجَّةِ إِذَا سُئِلَ؛ فَإِنَّ مَن ضَلَّ عَن مَعرِفَةِ اللَّـهِ يَكُونُ فِي القِيَامَةِ مُنقَطِعُ الحُجَّةِ، أَخرَسٌ أَصَمٌّ أَعمَى، فَهوَ أَضَلُّ سَبِيلًا مِنهُ فِي الدُّنيَا.

وَقِيلَ: تَأَويلَهُ أَنَّهُ إِذَا عَمِي فِي الدُّنيَا، وَقَد عَرَفَ الهُدَى، وَجُعِلَ لَهُ إِلَى التَّوبَةِ وَصلَةٌ فَعَمِي عَن رُشدِهِ، فَهوَ فِي الآخِرَةِ أَشَدُّ عَمًى، وَأَضَلُّ سَبِيلًا؛ لأَنَّهُ لَا يَجِدُ طَرِيقًا إِلَى الهِدَايَةِ [٢].

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ ﴿٧٣﴾

رُوِي: أَنَّ قُرَيشًا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَا نَدَعُكَ تَستَلِمَ الحَجرَ حَتَّى تُلِمَّ بِآلِهَتِنَا، وَتَمُسُّهَا بِيَدِكَ، فَقَالَ ﷺ فِي نَفسِه: (مَا عَلَيَّ أَن أُلِمَّ بِهَا، وَاللهُ أَعلَمُ أَنِّي لَهَا كَارِهٌ، وَيَدعُونِي أَن أَستَلِمَ الحَجَر) فَنَزَلَت قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلا**﴾ [٣].

وَفِي سَبَبِ نُزُولِهَا رُوَايَاتٌ أُخَرٌ.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٧٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٧٦، وقريب منه عن السيد المرتضى، الأمالي: ١/ ٦٠
(٣) جامع البيان، الطبري: ١٥/ ١٦٢ ح ١٧٠٠٣.

﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (٧٤)

يُقَالُ: كِدتُ أَفعَلُ كَذَا؛ أَي: قَارَبتُ أَن أَفعَلَهُ وَلَم أَفعَلهُ [١].

وَقَد صَحَّ عَن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (وُضِعَ عَن أَمَّتِي مَا حَدَّثَت بِهِ نَفسُهَا، مَا لَمْ تَعمَلَ بِهِ، أَو تَتَكَلَّمَ بِهِ) [٢].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾ أَي: لَقَد قَارَبتَ أَن تَمِيلَ إِلَيهُم أَدنَى مَيلٍ، فَتُعطِيهِم بَعضَ مَا سَأَلُوكَ [٣].

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (٧٦)

رُوِي: أَنَّه ﷺ قَالَ: (اللَّهُمَ لَا تَكِلنِي إِلى نَفسِي طَرفَةَ عَينٍ أَبداً) [٤].

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً﴾ (٧٧)

السُّنَّةُ: هِي العَادَةُ الجَارِيَةُ بَينَ القَومِ [٥].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (كود) ٢/ ٥٣٢.

(٢) تفسير السمعاني: ٣/ ٢٦٥.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٨٦.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٥٠٧، تفسير الرازي: ٢١/ ٢١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٨٠.

﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ (٧٨)

﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ الزَّوالُ، وَقِيلَ: الغُرُوبُ، وَالأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لِتَكُونَ الآيَةُ جَامِعَةً لِلصَّلَواتِ الخَمسِ؛ فَصَلاتَا دُلُوكِ الشَّمسِ: الظُّهرينِ، وَصَلاتَا: ﴿غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ العِشَائينِ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صَلَاةُ الفَجرِ، و: ﴿غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أَوَّلُ بُدوِ اللَّيلِ وَظُلمَتُهُ.

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ قَولُهُ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ حَثَّاً عَلَى طُولِ القِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ الفَجرِ؛ لِكَونِهَا مَشهُودَةً بِالجَمَاعَةِ الكَثِيرَةِ لِيَسمعَ النَّاسُ القُرآنَ، فَيَكثُرَ الثَّوَابَ (١).

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾ (٧٩)

التَّهَجُدُ: تَركُ الهُجُودِ؛ أَي: النَّومَ لِلصَّلاة، وَيُقَالُ لِلنوم: التَّهَجُدُ أَيضاً (٢).

قَولُه تَعَالَى: ﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾ عَسَى مِنَ اللَّـهِ وَاجِبَةٌ، وَالمَقَامُ بِمَعنَى: البَعث، فَهوَ مَصدَرٌ مِن غَيرِ جِنسِهِ.

﴿يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ يومَ القِيَامَةِ بَعثاً أَنتَ مَحمُودٌ فِيهِ، وَيَجُوزُ أَن يُجعَلَ البَعثُ بِمعنَى الإقَامَة، كَمَا يُقَالُ: بَعَثتُ بَعِيرِي؛ أَي: أَقَمتُهُ، فَيَكُونُ المَعنَى: يُقِيمُكَ رَبُّكَ مَقَامَاً مَحمُودَاً، يَحمِدُكَ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، وَهوَ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ، لِيَسئلَ فَيُعطِي، وَيُشَفَّعُ فَيَشفَعُ، وَلِيُعرَفَ فِيهِ عَلى جَمِيعِ الخَلَائِقِ، فَيُوضَعُ فِي كَفِّهِ لَوَاءُ الحَمدِ، تَجتَمِعُ تَحتَهُ الأَنبِيَاءُ وَالمَلَائِكَةُ (٣).

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٨٨.
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (هجد) ٦/ ٣٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٨٤.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾ ﴿٨٠﴾

المَدخَلُ وَالمَخرَجُ: قَد يَكُونَانِ مَصدَراً لِلإخرَاجِ وَلِلإدخَالِ[1].

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ ﴿٨١﴾

﴿وَزَهَقَ الْباطِلُ﴾ أَي: بَطُلَ[2].

قِيلَ: كَانَ حَولَ البَيتِ ثَلَاثُ مَائةٍ وَسُتُّونَ صَنَماً لِقَبَائِلِ العَرَبِ يَحُجُّونَ إِلَيهَا، فَلَمَّا نَزَلَت قَولُهُ تَعَالَى: **﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ﴾** يومَ الفَتحِ، قَالَ جِبرَئِيلُ عليه السلام لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: خُذ مَخصَرَتُكَ ثُمَّ ألقِهَا، فَجَعَلَ يَأتِي صَنَماً صَنَماً، وَهوَ يَنكُتُ بِالمِخصَرَةِ فِي عَينَيهِ، وَيَقُولُ: **﴿جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ﴾** فَيَنكَبُّ الصَّنَمَ لِوَجهِهِ، حَتَّى أَلقَاهَا جَمِيعاً.

وَبَقِي صَنَمُ خُزَاعَةَ فَوقَ الكَعبَةِ، وَكَانَ مِن قَوَارِيرَ صُفرٍ، فَقَالَ: (يَا عَلِيُّ، إِرمِ بِهِ) فَحَمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَتَّى صَعَدَ فَرَمَى بِهِ فَكَسَرَهُ، فَجَعَلَ أَهلُ مَكَّةَ يَتَعَجَبُونَ، وَيَقُولُونَ: مَا رَأَينَا رَجُلاً أَسحَرُ مِن مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[3].

وَقِيلَ: الحَقُّ القُرآنُ، وَالبَاطِلُ الشَّيطَانُ[4].

﴿إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾ أَي: بَاطِلاً مُضمَحِلاً، ذَاهِباً هَالِكَاً، لَا ثَبَاتَ لَهُ، وَمَعنَى زَهَقَ: بَطُلَ وَاضمَحَلَّ[5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٨٤.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٥١٢.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٨٩.
(٤) الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/ ٣٣١.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ١٦/ ٣٠٦.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٨٢﴾

﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ مَن لِلتَبيِّين أَو لِلتبعِيضِ، كُلُّ شَيءٍ نَزَلَ مِنَ القرآنِ فهوَ شِفَاءٌ، يَزدَادُونَ بِهِ إِيمَانَاً، فَيَقَعُ مِنهُم موقِعَ الشِّفَاءِ مِنَ المَرضَى، وَعَن النَّبِيِّ ﷺ: (مَن لَمْ يَستَشفِ بِالقُرآنِ، فَلَا شَفَاهُ اللهُ) [1].

وَوَجهُ الشَّفَاءُ فِيهِ مِن وُجُوهٍ؛ مِنهَا: مَا فِيهِ مِنَ البَيَانِ الَّذِي يُزِيلُ عَمَى الجَهلِ، وَحَيرَةَ الشَّكِّ، وَمِنهَا: مَا فِيهِ مِنَ النَّظمِ وَالتَّأَلِيف، وَالفَصَاحَةُ البَالِغَةُ حَدَّ الإِعجَازِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِدقِ النَّبِيِّ ﷺ فَهوَ مِن هَذِهِ الجِهَةِ شِفَاءٌ مِنَ الجَهلِ وَالشَّكِّ وَالعَمَى فِي الدِّينِ، فَيَكُونُ شِفَاءً لِلقُلُوبِ.

وَمِنهَا: أَنَّهُ يُتَبَرَّكُ بِهِ وَبِقَرَاءتِهِ، وَيُستَعَانُ بِهِ عَلَى دَفعِ العِلَلِ وَالأَسقَامِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَيَدفَعُ اللهُ بِهِ كَثِيراً مِنَ المَكَارِهِ وَالمَضَارِّ لِمَا تَقتَضِيه الحِكمَة، وَمِنهَا: مَا فِيهِ مِن أَدِلَّةِ التَّوحِيدِ وَالعَدلِ، وَبَيَانُ الشَّرَائِعِ وَالأَمثَال وَالحِكَم، وَمَا فِي التَّعبُّدِ بِتِلَاوَتهِ مِن الصَّلَاحِ الَّذِي يَدعُو إِلَى أَمثَالِه بِالمُشَارَكَةِ الَّتِي بَينَهُ وَبَينَهُ.

فَهوَ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ فِي دُنيَاهُم وَآخِرَتِهِم، وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ، أَي: نِعمَةٌ لَهُم، وَخَصَّهُم بِذَلِكَ لأَنَّهُم المُنتَفِعُونَ بِهِ [2].

﴿**وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسارا**﴾ يَخسَرُونَ الثَّوَابَ، وَيَستَحِقُّونَ العِقَابَ؛ لِتَكذِيبِهُم وَوُجوهَ إِعتِقَادِهُم.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٦٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٨٦.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً﴾ ﴿٨٣﴾

يُقَالُ: فُلَانٌ نَاءَ بِجَانِبِهِ؛ أَي: يُولِيهُ ظَهرَهُ، أَو: يُرِيدُ التَّجَبُّرَ وَالإِستِكبَار؛ لأَنَّ ذَلِكَ مِن عَادَةِ المُعجَبِ بِنَفسِهِ وَالنَّأيُ: الإِبعَادُ وَالإِعرَاضُ [(١)].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ ﴿٨٥﴾

وَقَد يُقَالُ لِلقُرآنِ: الرُّوح؛ لِتَسمِيَتِهِ سُبحَانَهُ إِيَّاهُ بِهِ فِي قَولِهِ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا**﴾ [(٢)] فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلِ الرُّوحُ**﴾ يَا مُحَمَّد ـ الَّذِي هُوَ القُرآنُ ـ ﴿**مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ أَنزَلَهُ عَلَيَّ، دِلَالَةً عَلَى نُبُوَّتِي، وَلَيسَ مِن فِعلِ المَخلُوقِينَ، وَلَا مِمَّا يَدخُلُ فِي أَحكَامِهِم [(٣)].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ ﴿٨٩﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾ أَي: بَيَّنَا فِي هَذَا القُرآنِ مِن كُلِّ مَا يُحتَاجُ إِلَيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالأَمثَالِ، وَالأَحكَامِ وَالعِبَرِ، وَمَا يَحتَاجُونَ إِلَيهِ فِي دِينِهِم وَدُنيَاهُم لِيَتَفَكَّرُوا فِيهَا [(٤)].

﴿**مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾ يَعنِي: هُوَ كَالمَثَلِ فِي غَرَابَتِهِ وَوُقُوعِهِ [(٥)].

﴿**فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً**﴾ إِلَا جُحُوداً لِلحَقِّ [(٦)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٩٠.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٨٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٩٠.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٦٥.

(٦) جامع البيان، الطبري: ١٥/ ١٩٩.

وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَجُز: ضَرَبتُ إِلَّا زَيدَاً؛ لأَنَّه مُتَأوَلٌ بِالنَّفِي، أَي: لَم يَأَبَوا إِلَّا الكُفرَ وَالطُّغيَانَ بِإقتِرَاحِ مَا لَيسَ بِشَيءٍ مِنَ الآيَاتِ [١].

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ (٩٠)

يَنبُوعٌ: يَفعُولٌ كَيَعْبُوبٌ، وَهوَ: العَينُ، يَنبُعُ مِنهُ المَاءَ، لَا يَنقَطِعُ مِن عَبِّ المَاءِ [٢].

التَّفجِيرُ: التَشَقُّقُ عَمَّا يَجرِي مِن مَاءٍ أَو ضِيَاءٍ، وَمِنهُ سُمِّي الفَجرُ؛ لأَنَّه يَنشَقُّ مِن عَمُودٍ، وَمِنهُ الفُجُورَ؛ لأَنَّه خُرُوجٌ إِلى الفَسَادِ [٣].

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: إِنَّ جَمَاعَةً مِن قُرَيشٍ؛ وَهُم: عُتبَة وَشَيبَة إِبنَا رَبِيعَة، وَأَبو سُفيَان بن حَربٍ، وَالأَسوَدُ بن المُطَّلِب، وَزُمعَةَ بن الأَسوَد، وَالوَلِيدُ بن المُغِيرَة، وَأَبو جَهل بن هِشَام، وَعَبد الله بن أَبِي أُميَّة، وَأُميَّة بن خَلَف، وَالعَاصُ ابن وَائل، وَنَبيه وَمُنَبِّه إِبنا الحَجَّاج، وَالنَّضرُ بن الحَارِث، وَأَبو البُختَرِيُّ بن هِشَام، اجتَمَعُوا عِندَ الكَعبَةِ.

وَقَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: إِبعَثُوا إِلى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوه وَخَاصِمُوه، فَبَعَثُوا إِلَيهِ: إِنَّ أَشرَافَ قَومِكَ قَد اجتَمَعُوا لَكَ، فَبَادَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه إِلَيهِم، ظَنَّا مِنهُ أَنَّهُم بَدَا لَهُم فِي أَمرِه، وَكَانَ حَرِيصَاً عَلى رُشدَهُم، فَجَلَس إِلِيهُم.

فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد، إِنَّا دَعَونَاكَ لِنَعذِرَ إِلَيكَ، فَلَا نَعلَمُ أَحَدَاً أَدخَلَ عَلى قَومِهِ مَا أَدخَلت عَلى قَومِكَ؛ شَتَمتَ الآلِهَةَ، وَعِبتَ الدِّينَ، وَسَفَّهتَ الأَحلَامَ، وَفَرَّقتَ الجَمَاعَةَ، فَإِن كُنتَ جِئتَ بِهَذَا لِتَطلِبَ مَالاً أَعطَينَاكَ، وَإِن كُنتَ تَطلِبُ الشَّرَفَ سَوَّدنَاكَ عَلَينَا، وَإِن كَانَت عِلَّةً غَلَبَت عَلَيكَ طَلَبنَا لَكَ الأَطِبَاءَ.

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٦٦.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٩٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٥١٨.

فَقَالَ ﷺ: (لَيسَ شَيءٌ مِن ذَلِكَ، بَل بَعَثَنِي اللهُ إِلَيكُم رَسُولاً، وَأَنزَلَ كِتَاباً، فَإِن قَبِلتُم مَا جِئتُ بِهِ فَهوَ حَظُّكُم فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة، وَإِن تَردُّوهُ أَصبِر حَتَّى يَحكُمَ اللهُ بَينَنَا).

قَالُوا: فَإِذَن لَيسَ أَحَدٌ أَضيَقُ بَلَدَا مِنَّا، فَاسأَل رَبُّكَ أَن يُسَيِّرَ هَذِهِ الجِبَالَ، وَيُجرِي لَنَا أَنهَاراً كَأَنهَارِ الشَّامِ وَالعِرَاق، وَأَن يَبعَثَ لَنَا مَن مَضَى، وَليَكُن فِيهُم قُصَي فَإِنَّهُ شَيخٌ صَدُوقٌ؛ لِنَسأَلَهُم عَمَّا تَقُولُ: أَحَقٌّ أَم بَاطِل.

فَقَالَ ﷺ: (مَا بِهَذَا بُعِثتُ).

قَالُوا: فَإِن لَمْ تَفعَل ذَلِكَ، فَاسأَل رَبُّكَ أَن يَبعَثَ مَلَكاً يُصَدِّقُكَ، وَيَجعَل لَنَا جَنَّاتٍ وَكُنُوزَاً، وَقُصُوراً مِن ذَهَبٍ.

فَقَالَ ﷺ: (مَا بِهَذَا بُعِثتُ، وَقَد جِئتُكُم بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِه، فَإِن قَبِلتُم وَإِلَّا فَهوَ يَحكُمُ بَينِي وَبَينكُم).

قَالُوا: فَأَسقِط عَلَينَا السَّمَاءَ كَمَا زَعَمتَ، إِنَّ رَبُّكَ إِن شَاءَ فَعَلَ ذَلِكَ.

قَالَ ﷺ: (ذَاكَ إِلى اللَّـهِ، إِن شَاءَ فَعَلَ).

وَقَالَ قَائِلٌ مِنهُم: لَا نُؤمِنَ حَتَّى تَأتِي بِاللَّـهِ وَالمَلَائِكَةَ قَبِيلَاً.

فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ عَبدُ اللَّـهِ بن أَبِي أُمَيَّة المَخزُومِيّ ابنُ عمَّتِه عَاتِكَة بِنت عَبد المُطَّلَب، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، عَرَضَ عَلَيكَ قَومُكَ مَا عَرَضُوا فَلَم تَقبلهُ، ثُمَّ سَأَلُوكَ لأَنفُسِهِم أُموراً فَلَم تَفعَل، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَن تَجعَلَ مَا تُخَوِّفَهُم بِهِ فَلَم تَفعَل، فَوَاللَّـهِ لَا أُؤمِنُ بِكَ أَبداً حَتَّى تتخِذَ سُلَّمَاً إِلى السَّمَاءِ، ثُمَّ تَرقَى فِيهِ وَأَنَا أَنظُرُ، وَيَأتِي مَعَكَ نَفَرٌ مِنَ المَلَائِكَةِ يَشهَدُونَ لَكَ، وَكِتَابٌ يَشهَدُ لَكَ.

وَقَالَ أَبو جَهلٍ: إِنَّه أَبَى إِلَّا سَبُّ الآلِهَة، وَشَتمُ الآبَاءِ، وَأَنَا أُعَاهِدُ اللهَ لأَحمِلَنَّ حَجَرَاً، فَإِذَا سَجدَ ضَرَبتُ بِهِ رَأسَهُ.

فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ حَزِيناً لَـمَّا رَأَى مِن قَومِه، فَأَنزَلَ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿**وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً**﴾ أَي: مِن أَرضِ مَكَّةَ [١].

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً﴾ ﴿٩١﴾

﴿**أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ**﴾ مِنَ المَاءِ: ﴿**خِلالَها تَفْجِيراً**﴾ أَي: وَسَطَهَا تَشقِيقَاً [٢].

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ ﴿٩٢﴾

الكِسفُ: بِفَتحِ السِّينِ وَسُكُونه، جَمعُ كَسفَةٍ، وَهي القِطعَةُ مِنَ الشَّيءِ[٣].

القَبِيلَةُ: وَاحِدَةُ القَبِيلِ، وَالقَبِيلُ: قَد يَكُونُ بِمَعنَى الكَفِيلِ [٤].

﴿**أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً**﴾ أَي: قِطَعَاً قَد تَرَكَّبَ بَعضُهَا عَلَى بَعضٍ.

وَقَولُه: ﴿**كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا**﴾ كَمَا خَوَّفتَنَا بِهِ؛ مِن إِنشِقَاقِ السَّمَاءِ وَإِنفِطَارُهَا، أَو كَمَا زَعَمتَ: إِنَّكَ نَبِيٌّ تَأَتي بِالمُعجِزَاتِ.

﴿**أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً**﴾ أَي: كَفِيلاً بِمَا تَقُولُ، شَاهِدَاً بِصِحَّتِه، أَي: تَأَتي بِاللَّهِ قَبِيلاً، وَبِالمَلائِكَةِ قَبِيلاً، حَتَّى يَكُونُ كَفِيلاً ضَامِناً لَنَا بِمَا تَقُولُ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٩٢.

(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ٢٧٠.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٢٧.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٩٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٩٣.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾ ﴿٩٣﴾

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أي من ذهب [١].

﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّماءِ﴾ أَي: يَصعَدُ في مَعَارِجِ السَّماءِ [٢].

﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ﴾ نَقرَؤهُ، وَكَانَ فِيهِ تَصدِيقُك، وَإِنَّمَا قَصَدُوا بِهذِه الإِقتَرَاحَات اللِّجَاجُ وَالعِنَادُ، وَكَما رُوِي في الجُزءِ المُتَقَدِّم.

﴿قُلْ سُبْحانَ رَبِّي﴾ مِن إِقتِرَاحَاتِهم، أَو تَنزِيهَا للَّـهِ مِن أَن يَأتي أَو يَتَحَكَّمُ عَلَيهِ، أَو يُشَارِكَهُ أَحَدٌ في القُدرَةِ .

﴿هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾ مِثلَ سَائِرِ الرُّسُلِ، وَقَد كَانُوا لَا يَأتُونَ أُمَمَهُم إِلَّا بِمَا يُظهِرُهُ اللهُ عَلَيهِم مِنَ الآيَاتِ، وَلَيسَ أَمرُ الآيَاتِ إِلَيَّ وَإِنَّما هُوَ إِلى اللَّـهِ، وَهوَ العَالِمُ بِالمَصَالِحِ للَّـهِ وَوَجهُ طَلَبِكُم إِيَّاه [٣].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٥٢٠.

(٢) تفسير الرازي: ٢١/ ٥٨.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٦٧.

﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً﴾ ﴿٩٤﴾

﴿**وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا**﴾ وَمَا صَرَفَ المُشرِكِينَ عَنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِه:

﴿**إِذْ جاءَهُمُ**﴾ البَيِّنَاتُ، حَتَّى أَتَاهُم الحُجَج وَالبَيِّنَات [١].

وَمِن حِكمَتِهِ تَعَالَى أَن لَا يُرسِلَ المَلَك إِلَّا إِلى الأَنبِيَاءِ، أَو إِلَى أَمثَالِهِ مِنَ المَلَائكَةِ [٢].

﴿قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ ﴿٩٦﴾

قَولُه تَعَالَى: ﴿**قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً**﴾ نَصبٌ عَلى التَّمييزِ، أَو عَلى الحَالِ [٣].

﴿**بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾ عَلَى أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُم بِإِظهَارِ المُعجِزَةِ عَلى وُفقِ دَعوَاي، أَو عَلى أَنِّي بَلَّغتُ مَا أُرسِلتُ بِهِ إِلَيكُم، وَأَنَّكُم عَانَدتُّم [٤].

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾ ﴿٩٧﴾

يُقَالُ: سُحِبَ فُلَانٌ عَلى وَجهِهِ إِلى الحَبسِ؛ أَي: جَرَّهُ إِلَيهِ مُهَاناً ذَلِيلاً.

الخُبوُّ: سُكُونُ النَّارِ عَنِ الإِلتِهَابِ [٥].

قَالَ اللهُ: ﴿**كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً**﴾ أَي: كُلَّمَا سَكَنَ إِلتِهَابُهَا زِدنَاهُم إِشتِعَالاً، فَيَكُونُ كَذَلِك [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٩٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٩٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٨١.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٦٨.
(٥) تفسير الرازي: ٢١/ ٦١.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٩٧.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً﴾ (١٠٠)

وَقِيلَ: القَتُورُ: البَخِيلُ، وَفي التَّنزِيلِ: ﴿**وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً**﴾ أَي: بَخِيلاً؛ لأَنَّ بِناءَ أَمرِهِ عَلى الحَاجَةِ وَالضَّنَّةِ بِمَا يَحتَاجُ إِليهِ، وَمُلاحَظَةُ العِوَضِ فِيمَا يَبذِلُهُ [(١)].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً﴾ (١٠١)

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ**﴾ اختُلِفَ في هَذِه الآيَاتِ التِّسع، فَقِيلَ: هِي العَصَا، وَاليَد، وَالجَرَاد، وَالقُمَّل، وَالضَّفَادِع، وَالبَحر، وَالطُّور الَّذِي رُفِعَ فَوقَ بَنِي إِسرَائِيل، وَقِيلَ: الطُّوفَانُ، وَالسُّنُون، وَبَعضٌ مِنَ الثَّمرَاتِ، مَكَانَ الحَجَرِ، وَالبَحرِ، وَالطُّورِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا تِسعُ آيَاتٍ في الأَحكَامِ [(٢)].

وَرُوِي: أَنَّ بَعضَ اليَهودِ سَأَلَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ عَن ذَلِكَ؟ قَالَ: (أَوحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عليه السلام أَن قُل لِبَنِي إِسرَائِيلَ؛ أَن لَا تُشرِكُوا بِاللَّـهِ شَيئاً، وَلَا تُسرِفُوا، وَلَا تَزنُوا، وَلَا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا تَمشُوا بِالبَرِيءِ إِلى سُلطَانٍ لِيَقتُلَه، وَلَا تَسحَرُوا، وَلَا تَأكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقذِفُوا المُحصَنَة، وَلَا تُوَلُّوا الفِرَارَ يَومَ الزَّحفِ، وَعَلَيكُم خَاصَّةً يَا يَهُود أَن لَا تَعتَدُوا فِي السَّبتِ) فَقَبَّلَ يَدَهُ، وَقَالَ: أَشهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ [(٣)].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٦٩.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٩٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٩٩.

﴿قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ بَصائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ (١٠٢)

المَثبُورُ: الهَالِكُ، وَالثَّبُورُ: الهَلَاكُ، وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً**﴾[1].

فَكَأَنَّهُ قَالَ مُوسَى عليه السلام: إِن ظَنَنتَنِي مَسحُورَاً، فَإِنِّي أَظُنُّكَ: ﴿**مَثْبُوراً**﴾ أَي: هَالِكاً[2].

﴿فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾ (١٠٣)

الإِستِفزَازُ: الإِستِخفَافُ[3].

﴿وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ (١٠٤)

اللَّفِيفُ: الجَمَاعَاتُ مِن قَبَائِلَ شَتَّى[4].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿**جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً**﴾ أَي: مِنَ القُبُورِ إِلَى المَوقِفِ لِلحِسَابِ وَالجَزَاءِ: ﴿**لَفِيفاً**﴾ أَي: جَمِيعَاً مُختَلِطِينَ[5].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٧٦.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٦٩.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٧٠.
(٤) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٦/ ٦٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٠١.

﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾ ﴿١٠٦﴾

قِيلَ: كَانَ بَينَ أَوَّلِ نُزُولِ القُرآنِ وَآخِرَهُ عُشرُونَ، أَو ثَلَاثٍ وَعِشرُون، أَو خَمسٍ وَعُشرُونَ سَنَةٍ [١].

المُكثُ: التَّثَبُّتُ [٢].

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾ ﴿١٠٧﴾

الذَّقنُ: مَجمَعُ اللَّحيَّينِ [٣].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أَي: أُعطُوا عِلمَ التَّورَاةِ مِن قَبلِ نُزُولِ القُرآنِ؛ كَعبَد اللَّهِ بن سَلَّام وَغَيرُهُ، فَعَلِمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ قَبلَ مَبعَثَهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُم أَهلُ العِلمِ مِن أَهلِ الكِتَابِ وَغَيرَهُم، وَقِيلَ: إِنَّهُم أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ﴾ أَي: القُرآنُ: ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾ أَي: يَسقُطُونَ عَلى الوُجُوهِ سَاجِدِينَ، وَإِنَّمَا خَصَّ الذَّقنَ؛ لأَنَّ مَن سَجَدَ كَانَ أَقرَبَ شَيءٍ مِنهُ إِلى الأَرضِ ذَقنُهُ، وَالذَّقنُ: مَجمَعُ اللَّحيَّينِ [٤].

وَاللَّامُ فِيهِ لِلإِختِصَاصِ؛ أَي: لإِختِصَاصِ الخُرُورِ بِهِ [٥].

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ﴾ يَبكُونَ إِشفَاقاً مِنَ التَّقصِيرِ فِي العِبَادَةِ، وَشَوقاً إِلى الثَّوَابِ، وَخَوفاً مِنَ العِقَابِ [٦].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١/ ٢٣٢.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٩٨.
(٣) تفسير الرازي: ٢١/ ٦٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٠٣.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٧١.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٠٣.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠٨)

﴿**وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا**﴾ أَي: عَمَّا يُضِيفُ إِلَيهِ المُشرِكُونَ: ﴿**إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمفْعُولاً**﴾ أَي: إِنَّهُ كَانَ وَعدُ رَبِّنَا يَقِيناً حَقّاً، وَلَم يَكُن وَعدُهُ إِلَّا كَائِناً [١].

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١٠٩)

وَكَرَّرَ قَولُه: ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ**﴾ لِإختِلَافِ الحَالَينِ؛ في حَالِ كَونِهِم سَاجِدِينَ وَخُرُورَهُم، وَفي حَالِ كَونِهِم بَاكِينَ [٢] للشُّكرِ عِندَ إِنجَازِ الوَعدِ، وَلِلخَشيَةِ عِندَ سَمَاعِ مَوَاعِظِ القُرآنِ ﴿**وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**﴾ فَمَا في القُرآنِ مِنَ المَوَاعِظِ: ﴿**خُشُوعاً**﴾ أَي: تَوَاضُعَاً للَّـهِ، وَاستِسلَامَاً لأَمرِه وَطَاعَتِه.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)

قَولُه تَعَالَى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ**﴾ نَزَلَت وَهوَ يَدعُوا إِلهَاً آخَر، أَو: أَنَّ المُشرِكِينَ قَالُوا: أَمَّا الرَّحِيمُ فَنعرِفهُ، وَأَمَّا الرَّحمَانُ فَلَا نَعرِفهُ، أَو: أَنَّ اليَهُودَ قَالُوا: إِنَّ ذِكرَ الرَّحمَنِ في القُرآنِ قَلِيلٌ، وَهوَ في التَّورَاةِ كَثِيرٌ [٣].

﴿**ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى**﴾ الدُّعَاءُ في الآيَةِ بِمَعنَى التَّسمِيَةُ، لَا بِمَعنَى النِّدَاء، وَهوَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفعُولَينِ، حُذِفَ أَحَدَهُمَا إِستِغنَاءً عَنهُ، أَو لِلتَخيِّيرِ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٠٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٩٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٠٣.

(٤) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٣٠٤.

وَالتَّنوينَ فِي: ﴿**أَيًّا**﴾ عِوَضٌ عَن المُضَافِ إِلَيهِ، وَ: ﴿**مَا**﴾ مَزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِلشَرطِ، وَ: ﴿**تَدْعُوا**﴾ مجزُومٌ بِالشَّرطِ الَّذِي يَتَضَمَّنَهُ أَي، وَالمَعنَي: أَيُّ هَذَينِ الإِسمَينِ سَمَّيتُم، أَو ذَكَرتُم: ﴿**فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿**فَلَهُ**﴾ لَا يَرجِعُ لأَحدِ الإِسمَينِ، لَكِن إِلَى: ﴿**الْحُسْنَى**﴾ وَهوَ ذَاتُهُ عَزَّ إِسمُهَ؛ لأَنَّ التَّسمِيَةَ لِلذَّاتِ لَا لِلإِسمِ.

وَالمُرَادُ: أَيّاً مَا تَدعُوهُ فَهوَ حَسَنٌ، فَوَضَعَ مَوضِعَهُ ﴿**فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ لأَنَّه إِذَا حَسُنَت أَسمَاؤهُ كُلُّهَا حَسَنُ هَذَانِ الإِسمَانِ؛ لأَنَّهُما مِنهَا، وَكَونُهَا حُسنَى لِدِلَالَتِهَا عَلى صِفَاتِ الجَلَالِ وَالإِكرَامِ، أَو عَلى مَعَانِي التَّمجِيدِ وَالتَّعظِيمِ وَالتَّقدِيسِ [1].

رُوِي: (أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى فَجهَرَ فِي صَلَواتِه، تَسَمَّعَ لَهُ المُشرِكُونَ، فَشَتَمُوهُ وَآذَوهُ، فَأَمَرَهُ اللهُ سُبحَانَهُ بِتَركِ الجَهرِ بِقَولِهِ [2]: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا**﴾.

أَي: لَا تَجهَر بِقَرَاءتِكَ صَلَوَاتُكَ عِندَ مَن يُؤذِيكَ، وَلَا تُخَافِت بِهَا عِندَ مَن يَلتَمِسُهَا مِنكَ [3].

يُقَالُ: الإِقتِصَادُ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ مَحبُوبٌ [4].

---

(١) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٣٠٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٠٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٥٣٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٧٣.



الفصل الثامن عشر

سورة الكهف



سورة الكهف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَن أُبي بن كَعبٍ، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: (مَن قَرَأ سُورَةَ الكَهفِ، فَهوَ مَعصُومٌ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مِن كُلِّ فِتنَةٍ تَكُونُ، فَإن خَرَجَ الدَّجَّالُ في تِلكَ الثَّمَانِيَة أَيَّامٍ، عَصَمَهُ اللهُ مِن فِتنَةِ الدَّجَّالِ).

و: (مَن قَرَأ الآيَة الَّتِي في آخِرُهَا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إلى الخَاتِمَة حِينَ يَأَخُذُ مَضجَعَهُ، كَانَ لَهُ نُوراً يِتَلأَلأ إلى الكَعبَةِ، حَشوُ ذَلِكَ النُّورِ مَلائكَةً يُصلُّونَ عَلَيهِ، حَتَّى يَقُومَ مِن مَضجَعَهِ، وَإن كَانَ مَضجَعَهِ بِمَكَّة فَتَلَاهَا، كَانَ لَهُ نُورٌ يِتَلأَلأ مِن مَضجَعِهِ إلى البَيتِ المَعمُورِ، حَشوُ ذَلِكَ النُّورِ مَلائكَةً يُصلُّونَ عَلَيهِ، وَيَستَغفِرُونَ لَهُ حَتَّى يَستَيقِظَ مِن نَومِهِ)[1].

وَعنهُ صلى الله عليه وآله: (مَن قَرَأ عَشرَ آيَاتٍ مِن سُورَةِ الكَهفِ حِفظاً، لَم تَضُرُّهُ فِتنَةُ الدَّجَّالِ، وَمَن قَرَأ السُّورَةَ كُلُّهَا دَخلَ الجَنَّةَ)[2].

وَعَنهُ صلى الله عليه وآله قَال: (أَلَا أَدُلُّكُم عَلى سُورَةٍ شَيَّعَهَا سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ حِينَ نَزَلَت، مَلأت

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٠٦.

(٢) الكشف والبيان، الثعلبي: ٦/ ١٤٤.

عَظَمَتُهَا مَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ؟) قَالُوا: بَلَى، قَالَ: (سُورَةُ أَصحَابِ الكَهفِ، مَن قَرَأهَا يومَ الجُمعةِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ إلى الجُمعَةِ الأُخرَى، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَأُعطِيَ نُوراً يَبلُغُ السَّمَاءَ، وَوُقِيَ فِتنَةَ الدَّجَّالِ)(١).

عَنهُ ﷺ: (... وَثَوَابُه أَكثَرُ إِذَا قَرَأ لَيلَةَ الجُمعَةِ).

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (٥)

قَولُه تَعَالى: ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**﴾ أَي: عَظُمَت الكَلِمَةُ كَلِمَةٌ تَخرُجُ مِن أَفوَاهِ هَؤلَاءِ الكُفَّار، وَوَصفُ الكَلِمَةُ بِالخُروجِ مِن الأَفوَاهِ تَوَسُّعاً وَمَجَازاً، وَإِن كَانَت الكَلِمَةُ عَرَضاً لَا يَجُوزُ عَلَيهَا الدُّخُول وَالخُروج، وَلَا الحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَلَكِن لـمَّا كَانَت الكَلِمَةَ قَد تُحفَظُ وَتُثبَّتُ، وَتُوجَدُ مَكتُوبَةً وَمَقرُوءَةً فِي غَيرِ المَوضِعِ الَّذِي فُعِلَت فِيهِ، وَصَفَهَا بِالخُروجِ، وَذَكَرَ الأَفوَاه تَأكِيداً، وَالمَعنَى: أَنَّهُم صَرَّحُوا بِهَذِهِ الكَلِمَة العَظِيمَة فِي القُبحِ، وَأَظهَرُوهَا(٢).

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٦)

البَاخِعُ: القَاتِلُ المُهلِكُ، يُقَالُ: بَخعَ نَفسَهُ؛ أَي: قَتَلَهَا(٣).

---

(١) كنز الدقائق، الحويزي: ٣/ ٢٤٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣١٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٠٨.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾ (٨)

الجُرُزُ: الأَرضُ الَّتي قُطِعَ نَبَاتُهَا، مِن الجَرزِ: وَهوَ القَطعُ[1].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿**إِنَّا لَجَاعِلُونَ**﴾ أَي: مِن هَذِهِ الزِّينَة: ﴿**مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً**﴾ أَي: مِثلُ الأَرضِ البَيضَاءَ لَا نَبَاتَ فِيهَا، بَعدَ أَن كَانَت خَضرَاءَ[2] يَعنِي: إِنَّا لَنُعِيدُ مَا عَلَيهَا مِنَ الزِّينَةِ تُرَاباً مُستَوِياً بِالأَرضِ، وَنَجعَلُهُ كَصَعِيدٍ أَملَسٍ لَا نَبَاتَ فِيهِ[3].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ (٩)

الرَّقِيمُ: قِيلَ: إِنَّهُ إِسمٌ لِلوَادِي الَّذِي كَانَ فِيهِ الكَهفُ، وَقِيلَ: ﴿**الرَّقِيم**﴾ الجَبَل الَّذِي فِيهِ الكَهفُ، وَقِيلَ: هُوَ القَريَةُ الَّتي خَرَجَ مِنهَا أَصحَابُ الكَهفِ، وَقِيلَ: هُوَ لَوحٌ مِن رَصَاصٍ، رُقِّمَت فِيهِ أَسمَاؤهُم وَقِصَّتُهُم، ثُمَّ وَضَعُوهُ عَلَى بَابِ الكَهفِ، وَقِيلَ: جُعِلَ ذَلِكَ اللَّوحُ فِي خَزَائِنِ المُلُوكِ؛ لأَنَّه مِن عَجِيبِ الأُمُورِ[4].

وَقِيلَ: إِنَّ أَصحَابَ الرَّقِيمِ هُم النَّفَرُ الثَّلَاثَة الَّذِينَ خَرَجُوا يَرتَادُونَ لأَهلَهُم، فَأَخَذَتهُم السَّمَاءُ، فَآووا إِلَى الكَهفِ، فَانحَطَّت صَخرَةٌ وَسَدَّت بَابَهُ، فَقَالَ: أَحَدُهُم: اذكُروا أَيَّكُم عَمِلَ حَسَنَةً لَعلَّ اللهُ يَرحَمُنَا بِبَرَكَتِه.

فَقَالَ وَاحِدٌ: إِستَعمَلتُ أُجَرَاءَ ذَاتَ يَومٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ وَسطَ النَّهَارِ وَعَمِلَ فِي بَقِيَّتِهِ مِثلَ عَمَلَهُم، فَأَعطَيتَهُ مِثلَ أَجرَهُم، فَغَضِبَ أَحَدُهُم وَتَركَ أُجرَتَهُ، فَوَضَعتُهُ فِي جَانِبِ البَيتِ، ثُمَّ مَرَّ بِي بَقَرٌ، فَاشتَرَيتُ بِهِ فَصِيلَةً، فَبَلَغَت مَا شَاءَ اللهُ، فَرجَعَ إِلَيَّ بَعدَ حِينٍ

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٧٨.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٠٣.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٧٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣١٤.

شَيخَاً ضَعِيفَاً لَا أَعرِفَهُ، وَقَالَ لي: إِنَّ لي عِندَكَ حَقَّاً، وَذَكَرَهُ حَتَّى عَرَفتَهُ، فَدَفَعتُهَا إِليهِ جَمِيعَاً.

اللَّـهُمَّ، إِن كُنتُ فَعَلتُ ذَلِكَ لِوَجهِكَ، فَأَفرُج عَنَّا، فَانصَدَعَ الجَبَلُ حَتَّى رَأَوا الضَّوءَ.

وَقَالَ الآخَرُ: كَان فيَّ فَضلٌ، وَأَصَابَ النَّاس شِدَّةٌ، فَجَاءتنِي إِمرَأَةٌ، فَطَلَبَت مِنِّي مَعرُوفَاً؟ فَقُلتُ: مَا هُوَ دُونَ نَفسُكِ فَأَبَت، وَعَادَت ثُمَّ رَجِعَت ثَلاثَاً، ثُمَّ ذَكَرَت لِزَوجِهَا، فَقَالَ: أَجِيبِي لَهُ وَأَغِيثِي عَيَالُكِ، فَأَتَت وَسَلَّمَت إِلَّي نَفسُهَا، فَلَـمَّا تَكَشَفتُهَا وَهَمَمتُ بِهَا إِرتَعَدَت، فَقُلتُ: مَالَكِ؟ فَقَالَت: أَخَافُ اللهَ، فَقُلتُ لَهَا: خِفتِه في الشِّدَّةِ، وَلَم أَخِفهُ في الرَّخَاءِ، فَتَركتُهَا وَأَعطَيتُهَا مُلتَمَسُهَا، اللَّـهُمَّ، إِن كُنتُ فَعَلتُهُ لِوَجهِكَ فَافرُج عَنَّا، فَانصَدَعَ حَتَّى تَعَارَفُوا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: كَانَ لي أَبوانِ هَرِمَانِ، وَكَانَ لي غَنَمٌ، وَكُنتُ أُطعِمُهَا وَأَسقِيهُمَا، ثُمَّ أَرجِعُ إِلى غَنَمِي، فَحَبَسَنِي ذَاتَ يَوم غَيثٌ، فَلَم أَبرَحُ حَتَّى أَمسَيتُ، فَأَتَيتُ أَهلِي، وَأَخَذتُ مَحلَبِي وَحَلَبتُ فِيهِ، وَمَضَيتُ إِلَيهُمَا، فَوَجَدَّتهُمَا نَائمَينِ، فَشَقَّ عَلَيَّ أَن أُوقِظُهُمَا، فَوَقَعتُ جَالِساً وَمِحلَبِي علَى يَدِي، حَتَّى أَيقَظَهُمَا الصُّبحُ، فَسَقَيتُهُمَا، اللَّـهُمَّ، إِن كَانَ فَعَلتُهُ لِوَجهِكَ، فَافرُج عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنهُم، فَخَرجُوا، رَوَاهُ نُعمَان بن البَشِيرِ [١] مَرفُوعَاً [٢].

---

(١) الأنصاري، من الصحابة، أمر على الكوفة من قبل معاوية لسبعة أشهر، ثم حمص، وفي خلافة يزيد انقلب زبيرياً فخالفه أهل حمص حتى قتلوه، وقيل: أنه هو الذي أمره يزيد بتجهيز عيال الحسين عليه السلام بما يصلحهم للعودة الى المدينة، ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦/ ٥٣، معجم رجال الحديث، الخوئي: ٢٠/ ١٧١.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٨٠.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ (١٠)

الأَويُ: الرُّجُوعُ [١].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**﴾ أَي: أُذكُر، إذ إِلتَجأَ أُولَئكَ الشُّبَّانُ إِلَى الكَهفِ، وَجعَلُوهُ مَأْوَاهُم، هَرَبَا بِدِينَهُم إلى اللَّـهِ تَعَالَى [٢].

الرَّشَدُ: النَّجَاةُ [٣].

الفِتيَةُ: شُبَّانٌ، جَمعُ فَتىً، كَصَبِيٍّ وَصِبيَةٍ [٤].

يُقَالُ: فَرَّ فُلَانٌ إِلى بَعضِ الغِيرَانِ مِنَ العَدُوِّ [٥].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ (١٤)

يُقَالُ: شَطَّ فُلَانٌ؛ إِذَا بَعُدَ، وَشَطَّ الحَاكِمُ شَطَطَاً: إِذَا أَفرَطَ فِي الظُّلمِ، وَالشَّطَطُ: الإِفرَاطُ فِي الظُّلمِ [٦].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿**لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً**﴾ أَي: قُلنَا إِذَن نَعبُدُ الآلِهَةَ مِن دُونِ اللَّـهِ قَولاً ذَا شَطَطٍ، أَي: ذَا إِفرَاطٍ فِي الظُّلمِ عَلي أَنفُسِنَا: ﴿**لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهاً**﴾ [٧].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (أوى) ١/ ١٥١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣١٤.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٢.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٨٢.
(٥) الكهف: هو الغار إذا اتسع، المفردات، الراغب: ٤٤٢.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٠٥.
(٧) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٧٤.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَته وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ (١٦)

المرفق ما يرتفق به أي ينتفع [1].

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (١٧)

الزَّوَرُ: المَيْلُ [2] وَالتَّزَاوُرُ: التَّمَايُلُ.

وَقَولُه تَعالَى: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ**﴾ أَي: تَمِيلُ عَنهُ وَقتَ طُلُوعِهَا إِلَى جِهَةِ اليَمِينِ.

﴿**ذَاتَ الْيَمِينِ**﴾ جِهَةُ اليَمِينِ، وَحَقِيقَتُهَا: الجِهَةُ المُسَمَّاتُ بِاليَمِينِ [3].

القَرضُ: القَطعُ، يُقَالُ: قَرَّضتُ المَوضِعَ؛ إِذَا قَطَّعتُهُ وَجَاوَزتُهُ [4].

الفَجوَةُ: المُتَّسَعُ مِنَ الشَّيءِ [5].

---

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٤١٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (زور) ٤/ ٣٣٦.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٠٦.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٠.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣١٩.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ﴿١٨﴾

الوَصِيدُ: الفَنَاءُ، وَقِيلَ: البَابُ، وَقِيلَ: العَتَبَةُ [١].

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾ أَي: بِفَنَاءِ الكَهفِ[٢].

وَمعَنَى: ﴿**باسِطٌ ذِراعَيْهِ**﴾ هُوَ: أَن يُلقِيهُمَا عَلى الأَرضِ مَبسُوطَتَينِ، كَافتِرَاشِ السَّبُعِ [٣].

وَاختُلِفَ في كَلبُهُم؛ فَقِيلَ: إِنَّ أَصحَابَ الكَهفِ هَرَبُوا مِن مَلِكَهُم لَيلاً، فَمَرُّوا بِرَاعٍ مَعَهُ كَلبٌ، فَتَبِعَهُم عَلى دِينُهُم، وَتَبِعَهُ كَلبُه، وَقِيلَ: إِنَّهُم مَرُّوا بِكَلبٍ فَتَبِعَهُم فَطَرَدُوهُ فَعَادَ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ مِرَارَاً، فَأَنطَقَهُ اللهُ سُبحَانَهُ، فَقَالَ لَهُم: مَا تُرِيدُونَ مِنِّي؟ لَا تَخشَوا خِيَانَةً، فَأَنَا أُحِبُّ أَولِيَاءَ اللَّـهِ، فَنَامُوا حَتَّى أَحرِسَكُم، وَقِيلَ: ذَلِكَ كَلبُ صَيدَهُم، وَهوَ أَصفَرُ اللَّونِ، وَاسمُهُ قِطمِير، وَفي تَفسِيرِ الحَسَنِ: أَنَّ ذَلِكَ الكَلبُ مَكَثَ هُنَاكَ ثَلاثَمِائةٍ وَتِسعِ سِنِينَ بِغَيرِ طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ، وَلَا نَومٍ وَلَا قِيَامٍ [٤].

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٨٤.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٢١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٢١.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ (١٩)

الوَرِقُ: وزَانُ كَتِف؛ الدَّرَاهِمُ[(١)].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ**﴾ أي: بِدَرَاهِمَكُم الَّتي كَانَت مَعَكُم، وَقَرأ أَبُو بَكرٍ: بِوَرْقِكُم، سَاكِنَةُ الرَّاءِ[(٢)].

قَولُهُم: زَكَى المَالُ؛ أَي: زَادَ وَكَثُرَ[(٣)].

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ (٢١)

يُقَالُ: عَثَرَ عَلَى الشَّيءِ؛ إِذَا إِطَّلَعَ عَلَيهِ، وَالإِعثَارُ: الإِطِّلَاعُ[(٤)].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ورق) ١٠/ ٣٧٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٢٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٤٤٤.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٢٢﴾

يُقَالُ: قَالَهُ رَجماً بِالغَيبِ؛ أَي: قَالَهُ قَذفاً بِالظَّنِ، مِن غَيرِ يَقِينٍ وَقَطعٍ [1].

قَولُه تعَالَى: ﴿**يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ أَي: سَيقُولَنَّ مَن خَاضَ فِي قِصَّةِ أَصحَابِ الكَهفِ فِي زَمَانِ رَسُول اللَّهِ ﷺ مِن أَهلِ الكِتَابِ وَالْمُسلِمِينَ: ﴿**ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ وقَولُهُ: ﴿**ثَلَاثَةٌ**﴾ خَبَرُ مُبتَدَءٍ محَذُوفٍ، وَكَذَلِكَ: ﴿**خَمْسَةٌ**﴾ وَ: ﴿**سَبْعَةٌ**﴾ أَي: سَيقُولُ قَومٌ مِن الْمُختَصِمِينَ فِي عَدَدِهُم، هُم: ﴿**ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ وَ: ﴿**وَيَقُولُونَ**﴾ أَي: وَيقُولُ آخَرُونَ: هُم: ﴿**خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ**﴾ أَي: قَذفاً بِالظَّنِّ مِن غَيرِ يَقِينٍ، وَ: ﴿**وَيَقُولُونَ**﴾ أَي: وَيَقُولُ آخَرُونَ: هُم: ﴿**سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا إِخبَارٌ مِنَ اللَّهِ سُبحَانَهُ، بِأَنَّهُ: سَيَقَعُ نِزَاعٌ فِي عَدَدِهِم [2].

ثُمَّ وَقَعَ ذَلِكَ لَـمَّا وَفَد نَصَارَى نَجرَان إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَرى ذِكرُ أَصحَابِ الكَهفِ، فَقَالَت اليّعقُوبِيَّةُ مِنهُم: كَانُوا: ﴿**ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ وَقَالَت النَّسطُورِيَّةُ: كَانُوا: ﴿**خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ وَقَالَ الْمُسلِمُونَ: كَانُوا: ﴿**سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ بِإِخبَارِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُم عَن جبرَئيل: ﴿**سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ وَمَا يَعلَمُ: ﴿**بِعِدَّتِهِم**﴾ إِلَّا اللهُ، وَ: ﴿**إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ مِنَ النَّاسِ.

وَقِيلَ: ﴿**قَلِيلٌ**﴾ مِن أَهلِ الكِتَابِ، وَقَال ابنُ عبَّاسٍ: أَنَا مِن ذَلِكَ القَلِيلُ، وَرُوِي

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤١٠.

عَنهُ، أَنَّهُ قَالَ: هُم: مكسلمينا، وتمليخا وهو رئيسهم، ونينونس، وسارينوش، ودربونس، وكشوطبونس وهو الرَّاعي [1].

وَأمَّا الوَاو الدَّاخِلَةُ علَى الجُملَةِ المَذكُورَةِ الأَخيرَة، وَهي قَولُه: ﴿**وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ فَإِنَّها دَخَلَت علَى الجُملَةِ الوَاقِعَةِ صِفَةً لِلنكِرَةِ، كَما تَدخُلُ علَى الجُملَةِ الوَاقِعَةِ حَالاً عَن المَعرِفَةِ، تَقُولُ: جَاءنِي رَجُلٌ وَمَعَهُ آخر، وَجَاءنِي زَيدٌ وَمَعَهُ غُلَامُهُ، وَفَائدَةُ الوَاوِ تَأكِيدُ لُصُوقِ الصِّفَةِ بِالمَوصُوفِ، وَالدِّلَالَةُ علَى أَنَّ إِلتصَاقُهَا بِهَا أَمرٌ ثَابِتٌ مُستَقِرٌّ، فَهَذِه الوَاو تُؤذِنُ بِأَنَّ قَولَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿**سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ قَولٌ صَادِرٌ عَن عِلمٍ، لَا عَن رَجمِ ظَنٍّ كَقَولٍ عَنهُم [2].

المِرَاءُ: الجِدَالُ، يُقَالُ: مَارَى القَومُ يُمَارِي مِرَاءً؛ إِذَا جَادَلُوا وَحَاجَجوا [3].

﴿إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وَقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً﴾ (٢٤)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ**﴾ أَي: أُذكُر مَشِيئَتُه، وَقُل: إِن شَاءَ اللهُ، إِذَا إِعتَراكَ نِسيَانٌ، يَعنِي: إِذَا نَسِيتَ إِن شَاءَ اللهُ فَتَدَارَكهَا، وَإِن كَانَ بَعدَ يَومٍ أَو شَهرٍ أَو سَنَةٍ.

وَعَن ابنِ عبَّاسٍ، وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام: (مَا لَم يَنقَطِعُ الكَلَامَ).

وَقِيلَ: مَعنَاهُ: وَاذكُر رَبَّكَ إِذَا إِعتَراكَ النِّسيَانُ لِيَذكُرُكَ المَنسِيُّ، وَادعُ اللهَ أَن يُذَكِّرُكَ إِذَا نَسِيتَ شَيئاً، الغَيبُ: أَن يَكُونَ الشَّيء بِحَيث مَا لَا يَقَعُ عَلَيهِ الإِدرَاك [4].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٢٩.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٠٩.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (مرا) ١٥/ ٢٧٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٣٠.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦)

قَولُه تعَالَى: ﴿**أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ**﴾ وَأَسمِع؛ أَي: مَا أُبصِرُه وَمَا أَسمَعُهُ، يَعنِي: مَا أَبصَرَ اللهُ تَعَالَى للكُلِّ، وَمَا أَسمَعُهُ لِكُلِّ مَسمُوعٍ، فَلَا يَخفَى عَلَيهِ شَيء، إِذًا لَا يُجِيبُهُ، وَلَا يَتَفَاوَتُ دُونَهُ لَطِيفٌ وَكَثِيفٌ، وَصَغِيرٌ وَكَبِيرٌ، وَخَفِيٌّ وَجَلِيٌّ.

وَالهَاءُ تَعُودُ إِلى اللَّهِ، وَمَحَلُّهَا الرَّفعُ علَى الفَاعِلِيَّةِ، وَالبَاءُ مَزِيدَةٌ عِندَ سِيبوَيهِ، وَكَأَنَّ أَصلُهُ: أَبصَرَ؛ أَي: صَارَ ذَا بَصَرٍ، ثُمَّ نُقِلَ إِلى صِيغَةِ الأَمرِ بِمَعنَى الإِنشَاء، فَبَرَزَ الضَّمِيرُ لِعَدَمِ لِيَاقَةِ الصِّيغَةِ لَهُ، أَو لِزِيَادَةِ البَاءِ، كَمَا فِي قَولِه تعَالَى: ﴿**وَكَفَى بِهِ**﴾[1] وَالنَّصبُ علَى المَفعُولِيَّةِ عِندَ الأَخفَش، وَالفَاعِلُ الضَّمِيرُ المَأمُور، وَهوَ: كُلُّ أَحَدٍ، وَالبَاءُ مَزِيدَةٌ إِن كَانَت الهَمزَة لِلتَعدِيَةِ، وَتَعدِيَةٌ إِن كَانَت لِلصَيرُورَةِ[2].

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٧)

يُقَالُ: إِلتَحَدَ فُلَانٌ إِلى كَذَا، أَي: مَالَ إِلَيهِ، وَالمُلتَحَدُ: المُلجَأ وَالمَوئِلُ[3].

---

(١) الفرقان: ٥٨.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٦٢.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (لحد) ٢/ ٥٥٠.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨)

يُقَالُ: صَبَرَ نَفسَهُ؛ أَي: أَحبَسَهَا وَأَثبَتَهَا [١].

يُقَالُ: غَفَلَ فُلَانٌ إِبِلَهُ؛ إِذا تَركَهَا بِغَيرِ وَسمٍ، وَلَم يَسِمُهَا بِسِمَةٍ تُعرَفُ [٢].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا**﴾ أَي: وَلَا تُطِع يَا مُحَمَّدُ ﷺ مَن جَعَلنَا قَلبَهُ غَافِلاً عَن ذِكرِنَا بِتَعرِيضِه لِلغَفلَةِ، أَو جَعَلنَاهُ غَافِلاً عَن ذِكرِنَا، أَو لَم نَسِمَهُ بِالذِّكرِ، وَلَم نَجعَلهُ مِنَ الَّذِينَ كَتَبنَا فِي قُلُوبِهِم الإِيمَانَ، وَإِتَّبَعَ هَوَاهُ فِي شَهَوَاتِهِ وَأَفعَالِهِ [٣].

﴿**وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾ أَي: إِفرَاطَاً وَتجَاوُزَاً لِلحَدِّ، وَنبَذَ الحَقَّ وَرَآءَ ظَهرِهِ، مِن قَولِهِم: فَرسٌ فَرطٌ؛ أَي: مُتَقَدِّمٌ لِلخَيلِ [٤].

وَمِنهُ: فِي زِيَارَةِ أَهلِ القُبُورِ: أَنتُم فَرطٌ؛ أَي: مُتَقَدِّمُونَ سَابِقُونَ بِهَذَا، وَنَحنُ إِن شَاءَ اللهُ بِكُم لَاحِقُونَ.

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٣.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤١٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٣٨.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٤.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ ﴿٢٩﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ**﴾ أَي: هَيأنا وَأعددنَا لِلكَافِرينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم بِعِبَادَةِ اللَّـهِ تعَالَى [1].

﴿**ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها**﴾أَي: أَحَاطَت بِهِم مِن جَمِيعِ جَوَانِبِهُم النَّارُ، فَشَبَّهَ سُبحَانَهُ مَا يُحِيطُ بِهِم مِنَ النَّارِ مِن جَوَانِبِهُم بِالسُّرَادِق، وَقِيلَ: السُّرَادِقُ: حَائطٌ مِنَ النَّارِ يُحِيطُ بِهِم، وَقِيلَ: دُخَانُ النَّارِ وَلَهَبُهَا يَصِلُ إِلَيهِم قَبلَ وُصُولِهُم إِلَيهَا [2].

﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا**﴾ أَي: مِن شِدَّةِ العَطَشِ وَحَرِّ النَّارِ [3].

﴿**يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ**﴾ وَهوَ كُلُّ شَيءٍ أُذِيبَ؛ كَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالصُّفر، وَقِيلَ: هُوَ كَعكَرِ الزَّيت؛ وَهوَ: دُردِيُّ الزَّيتِ، إِذَا قُرِّبَ إِلَيهِ سَقطَت فَروَةُ رَأَسِهِ، وَقِيلَ: هُوَ القَيحُ وَالدَّمُ [4].

﴿**يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾ أَي: إِذَا قُدِّمَ لِيُشرَب، مِن فَرطِ حَرَارَتِهِ، وَهوَ صِفَةٌ ثَانِيَةٌ لِمَاء، أَو حَالٌ مِنَ المُهمَلِ [5].

﴿**بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ أَي: بِئسَ الشَّرَابُ ذَلِكَ المُهل، وَسَاءتِ النَّار

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤١٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٣٨.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٤٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٣٨.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٤.

مُتكَاءاً لَهُم، وَأَصلُ الإرتِفَاقِ: نَصبُ المِرفَقِ تَحتَ الخَدِّ [(١)] وَقِيلَ: مَعنَاهُ: سَاءت مُجتَمَعاً، مَأخُوذٌ مِنَ المُرَافَقَةِ؛ وَهي الإجتِمَاعُ [(٢)].

و قيل: منزلاً و مستقراً [(٣)].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِنَ الخَيرَاتِ وَالطَّاعَاتِ: **﴿إِنَّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾** أَي: لَا نَترُكَ أَعمَالَهُم تَذهَبُ ضَيَاعاً، بَل نُجَازِيهُم وَنُوفِيهُم أُجُورَهُم مِن غَيرِ بَخسٍ [(٤)].

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ﴾ لأَنَّهُم عَلَى غُرَفٍ في الجَنَّةِ، كَمَا قَال: **﴿هُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾** [(٥)] وَقِيلَ: إِنَّ أَنهَارَ الجَنَّةِ تَجرِي في أَخَادِيدٍ مِنَ الأَرضِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾** [(٦)].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٣٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٣٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٠.
(٥) سبأ: ٣٧.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٠.

﴿**يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ وَهوَ جَمعُ أَسورَةٌ، أَو أَسوَارٌ [١] أَي: يُجعَلُ لَهُم فِيهَا حُلِيٌّ مِن أَسَاوِر، وَقِيلَ: إِنَّهُ يُحَلَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِثَلَاثَةِ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ، وَسِوَارٌ مِن ذَهَبٍ، وَسِوَارٌ مِن لُؤلُؤٍ وَيَاقُوت [٢].

﴿**وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾ أَي: مِنَ الدِّيبَاجِ الرَّقِيقِ وَالغَلِيظِ[٣].

﴿**مُتَّكِئِينَ فيها عَلَى الْأَرائِكِ**﴾ أَي: مُتَنَعِمِينَ فِي تِلكَ الجَنَّاتِ عَلى السُّرُرِ فِي الحِجَالِ؛ لأَنَّ الإِتكَاءَ هَيئَةُ أَهلِ التَّنَعُّمِ مِنَ المُلُوكِ وَغَيرَهُم [٤].

﴿**نِعْمَ الثَّوابُ**﴾ أَي: طَابَ ثَوَابُهم وَعَظُمَ [٥].

﴿**وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ أَي: حَسُنَت الأَرَائك مَوضِعُ إِرتِفَاقٍ [٦].

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً﴾ ﴿٣٢﴾

﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ**﴾ أَي: حَالَي رَجُلَين.

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: إِبنَي مَلِكٍ كَانَ فِي بَنِي إِسرَائيل، تُوفِّي وَتَرَكَ إِبنَين، وَتَرَكَ مَالاً جَزِيلاً، فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا حَقَّهُ مِنهُ، وَهوَ المُؤمِنُ مِنهُمَا، فَتَقَرَّبَ بِهِ إِلى اللّهِ تعَالَى، وَأَخذَ الآخَرُ حَقَّهُ، فَتَمَلَّكَ بِهِ ضِيَاعاً، مِنهَا هَاتَانَ الجَنَّتَانِ [٧].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٩٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٠.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٤٨٠.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤١٤.
(٥) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ٣٠٠.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤١.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٢.

وَفي تَفسِيرِ عَليّ بن إبرَاهِيم [١]: أَنَّهُ يُرِيدُ رَجُلاً كَانَ لَهُ بُستَانَانِ كَبِيرَانِ، كَثِيرَا الثِّمَارِ ـ كَمَا حَكَى سُبحَانَهُ ـ وَكَانَ لَهُ جَارٌ فَقِيرٌ، فَافتَخَرَ الغَنِيُّ علَى الفَقِيرِ، فَقَالَ لَهُ: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**﴾ وَهَذَا أَليَقُ بِالظَّاهِرِ [٢].

﴿**جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ**﴾ أَي: بُستَانَينِ أَجنَّتُهما لَهُ أَشجَارٌ مِن أَعنَابٍ ﴿**وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ**﴾ أَي: جَعَلنَا النَّخلَ مُطِيفاً بِهِمَا [٣].

﴿**وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً**﴾ أَي: وَجَعَلنَا بَينَ البُستَانَينِ زَرعاً؛ أَي: مَزرَعَةً، فَكَمُلَت لَهُ النِّعمَةَ بِالعِنَبِ وَالثَّمرِ وَالزَّرعِ [٤].

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً﴾ ﴿٣٣﴾

﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها**﴾ أَي: كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ البُستَانَينِ أَعطَت غِلَّتُهَا، وَأَخرَجَت ثَمَرَتُهَا، وَسَمَّاهُ: ﴿**أُكُلَها**﴾ لأَنَّهُ مَأكُولٌ [٥].

﴿**وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً**﴾ أَي: لَم تُنقِص مِنهُ شَيئاً، بَل أَدَّتهُ علَى التَّمامِ وَالكَمَالِ [٦].

﴿**وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً**﴾ أَي: شَقَقنَا وَسطَ الجَنَّتَينِ نَهَراً لِسَقيِهِمَا، لِيَدُومَ شُربُهُمَا مِن غَيرِ كَدٍّ وَتَعَبٍ، وَيَكُونُ ثَمَرهُمَا وَزَرعَهُمَا بِدَوَامِ المَاءِ فِيهِمَا أَوفى [٧] وَبَهاؤهُمَا أَزيَدُ وَأَتَمُّ.

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ٣٥ بتفاوت يسير.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤١.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤١.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٣، جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤١٥.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٣.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٣.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ﴿٣٤﴾

﴿**وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ**﴾ أَي: وَكَانَ لِلرَجُلِ ثَمَرٌ مِن أَنوَاعِ المَالِ سِوَى الجَنَّتَينِ، أَو ثَمرُ مَلَكَهُ مِن غَيرِ جَنَّتَيهِ، كَمَا يَملِكُ النَّاسَ ثِمَاراً لَا يَملِكُونَ أَصلُهَا، وَقِيلَ مَعنَاهُ: وَكَانَ لِلنَخلِ الَّذِي فِيهُمَا ثَمَرٌ [(١)].

﴿**فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ**﴾ أَي: فَقَالَ الكَافِرُ لِصَاحِبِهِ المُؤمِن، وَهوَ يُخَاطِبُهُ وَيُرَاجِعُهُ فِي الكَلَامِ، مِن حَارَ إِذَا رَجِعَ: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**﴾ يَعنِي: أَنصَارَاً وَحَشَمَاً، وَقِيلَ: عَشِيرَةً وَأَولَاداً ذُكُوراً؛ لأَنَّهُم يَنفِرُونَ مَعهُ فِي حَوَائِجَهُ [(٢)].

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ ﴿٣٥﴾

﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ**﴾ آخِذاً بِيَدِ صَاحِبِهِ المُسلِم، يَطُوفُ بِهِ، وَيُفَاخِرُهُ بِأَموَالِهِ، وَأَفرَدَ الجَنَّةَ؛ لأَنَّ المُرَاد مَا هِيَ جَنَّتُهُن وَهِي مَا مُتِّعَ بِهِ مِنَ الدُّنيَا، تَنبِيهاً عَلَى أَنَّهُ لَا جَنَّةَ لَهُ غَيرُهَا، وَلَا حَظَّ لَهُ فِي الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ، أَو لإِتِصَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِن جَنَّتَيهِ بِالأُخرَى، أَو لأَنَّ الدُّخُولَ يَكُونُ فِي وَاحِدَةٍ وَاحِدَة [(٣)].

﴿**وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ أَي: ضَالَّا لَهَا بِعُجبِهِ وَكُفرِهِ، وَكُفرَانِ نِعمَةَ رَبِّهِ[(٤)].

قَالَ: ﴿**ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً**﴾ أَي: تَفنَى هَذِهِ الجَنَّة، وَهَذِه الثِّمَارُ أَبَدَاً، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِطُولِ أَمِلِه، وَتَمَادِي غَفلَتِه، وَاغتِرَارُه بِمُهلَتِهِ فِي الدُّنيَا[(٥)].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٣.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٧.
(٤) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٢٢.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٨٤.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ (٣٦)

﴿**وما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً**﴾ أَي: وَمَا أَحسَبُ القِيامَةَ آتِيَةٌ كَائِنَةٌ عَلى مَا يَقُولُه المُوحِدُّونَ: ﴿**وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً**﴾ أَي: مَرجِعَا وَعَاقِبَةً.

وَالمَعنَى: لإِن كَانَت القِيَامَةُ وَالبَعثُ حَقّاً ـ كَمَا زَعَمتَ ـ لأَجِدَنَّ خَيراً مِن هَذهِ الجَنَّة مَرجِعاً وَعَاقِبَةً، وَهَذَا يَدُلُّ علَى أَنَّ صَاحِبَهُ المُؤمِن قَد أَعلَمَهُ أَنَّ السَّاعَةَ تَقُوم، وَأَنَّه يُبعَثُ، فَعِندَ ذَلِكَ أَقسَم علَى أَنَّه رَدَّ عَلَيه رَبَّهُ ـ علَى سَبِيلِ التَّقدِيرِ كَمَا يَزعُم صَاحِبَهُ ـ سَيُعطِيهُ فِي الآخِرَةِ خَيراً مِن جَنَّتِه فِي الدُّنيَا، لِكَرَامَتِه علَى اللّـهِ سُبحَانَهُ، وَإِستِحقَاقَهُ إِيَّاهُ لِذَاتِهِ.

وَقِيلَ: مَعنَاهُ لأَكتَسِبَنَّ فِي الآخِرَةِ خَيرَاً مِن هَذِه الَّتِي إِكتَسَبتُهَا فِي الدُّنيَا [١].

ثُمَّ بَيَّنَ سُبحَانَهُ جَوَابَ المُؤمِنِ لِلكَافِرِ.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (٣٧)

فَقَالَ: ﴿**قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ**﴾ أَي: يُخَاطِبَهُ وَيُجِيبَهُ مُكَفِّرَاً لَهُ بِمَا قَالَهُ:

﴿**أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ**﴾ أَي: أَصلُ الخِلقَةِ، يَعنِي: أَبَاك آدَمَ عليه السلام مِن تُرَابٍ.

لأَنَّ خَلقَ أَصلِه سَبَبٌ فِي خَلقِه، فَكَانَ خَلقُه خَلقٌ لَهُ، أَو خَلقَ أَصل مَا ذَلِك مِنَ تُرَابٍ [٢].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٥.

﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ فَإِنَّهَا مَادَّتُكَ القَرِيبَةُ: ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ ثُمَّ عَدَّلَكَ وَكَمَّلَكَ إِنسَانَاً ذَكَرَاً بَالِغَاً مَبلِغَ الرِّجَالِ، جَعَلَ كُفرَهُ بِالبَعثِ كُفرَاً بِاللَّـهِ تعَالَى؛ لأَنَّ مَنشَأَهُ الشَّكُّ فِي كَمَالِ قُدرَةِ اللَّـهِ تعَالَى [1].

﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٣٨﴾

﴿لكِنَّا هُوَ اللَّـهُ رَبِّي﴾ لَكِنَّا: أَصلُه لَكِن أَنَا، فَحُذِفَت الهَمزَةُ، وَأُلقِيَت حَرَكَتُها عَلَى نُونِ لَكِن، فَالتَقَت النُّونَانِ فَأُدغِمَ، وَقُرِنَ بِحَذفِ أَلِف أَنا فِي الوَصلِ، وَبِإِثبَاتِها فِي الوَقفِ وَالوَصلِ جَمِيعَاً، وَحَسُنَ ذَلِكَ لِتَعوِيضِهَا مِن حَذفِ الهَمزَةِ، و: ﴿هُوَ﴾ ضَمِيرُ الشَّأنِ، وَتَقدِيرُه: لَكِن أَنا أَقُولُ: هُوَ اللهُ رَبِّي وَخَالِقِي وَرَازِقِي، فَإِن إِفتَخَرت عَلَيَّ بِدُنيَاكَ، فَإِنَّ إِفتِخَارِي بِالتَّوحِيدِ، وَالإِستِدرَاكُ مِن قَولِه تعَالَى: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: أَنتَ كَافِرٌ بِاللَّـهِ لَكِنِّي مُؤمِنٌ بِه [2].

﴿وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾ أَي: لَا أُشرِكُ بِعبَادَتِي إِيَّاهُ أَحَدَاً سِوَاهُ، بَل أُوجِهُهَا إِلَيهِ وَحدَهُ خَالِصَاً، وَإِنَّمَا استَحَالَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ؛ لأَنَّهَا لَا تُستَحَقُّ إِلَّا بِأُصُولِ النِّعَمِ، وَبِالنِّعمَةِ الَّتِي لَا تُوَازِيهَا نِعمَةُ مُنعِمٍ، وَذَلِكَ لَا يَقدِرُ عَلَيهِ أَحَدٌ إِلَّا اللهَ [3].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤١٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٧.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٣٩﴾

ثُمَّ قَالَ: ﴿**وَلَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ**﴾ أَي: وَهَلَّا قُلتَ عِندَ دُخُولِهَا: ﴿**ما شاءَ اللهُ**﴾ أَي: الأَمرُ مَا شَاءَ اللهُ، أَو مَا شَاءَ اللهُ كَائنٌ، علَى أَنَّ مَا مَوصُولَةٌ، أَو: أَيُّ شَيءٍ شَاء اللهُ كَانَ، علَى أَنَّهَا شَرطِيَّةٌ، وَالجَوَابُ محَذُوفٌ، إِقرَارٌ بِأَنَّهَا حَصَلَت لَكَ بِمَشِيئتِه تعَالَى وَ فَضلِه، وَإِنَّ أَمرُهَا بِيَدِهِ، إِن شَاء اللهُ أَبقَاهَا وَإِن شَاءَ حَالَ بَينَكَ وَبينَهَا، وَنَزعَ بَرَكَتَهَا عَنكَ.

﴿**لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾ أَي: وَقُلتَ ذَلِك إِعتِرَافاً بِالعَجزِ علَى نَفسِكَ، وَالقُدرَةُ للَّـهِ، وَأَن تَيَسَّرَ لَكَ مِن عِمَارَتِهَا وَتَدبِيرِ أَمرِهَا فَبِمَعُونَتِه وَإِقدَارِه، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفسِه، فَقَالَ: ﴿**إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً**﴾أَي: إِن كُنتَ تَرَانِي اليَومَ فَقِيرَاً، أَقَلُّ مِنكَ مَالاً وَعَشِيرَةً وَأَولَاداً[1].

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ ﴿٤٠﴾

﴿**فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ**﴾ أَي: فَلَعَلَّ اللهُ أَن يُؤتِينِي بُستَانَاً خَيراً مِن بُستَانُكَ فِي الآخِرَةِ، أَو فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة[2].

﴿**وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ**﴾ وَيُرسِلُ علَى جَنَّتِكَ عَذَابَاً، أَو نَارَاً فِي السَّمَاءِ فَيُحرِقُهَا، وَقِيلَ: مَعنَاهُ، يُرسِلُ عَلَيهَا عَذَابَ الحُسبَانِ؛ وَهوَ: مَصدَرٌ بِمَعنَى الحِسَابَ؛ أَي مِقدَارَاً أَقدَرَهُ وَحَسَبَهُ، وَهوَ الحُكمُ بِجَزيهَا، وَقِيلَ: حُسبَانَاً: أَي مَرَامٍ مِن عَذَابِه؛

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٨.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٨.

حِجَارَةً أَو صَاعِقَةً، أَو غيرَهُمَا مِمَّا شَاءَ مِن أَنوَاعِ العَذَابِ [١].

وَأَصلُ الحُسبَانِ: السِّهَامُ الَّتي تُرمَى، وَأَصلُ البَابِ: الحِسَابُ، وَإِنَّما يُقَالُ لِمَا يُرمَى بِه: حُسبَانٌ؛ لأَنَّه يَكثُرُ لِكَثْرَةِ الحِسَابِ [٢].

﴿**فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً**﴾ أَي: أَرضَاً مُستَوِيَةً لَا نَبَاتَ عَلَيهَا، يَزلُقُ عَنهَا القَدَم، فَتَصِيرُ أَضَرَّ أَرضٍ، بَعدَ أَن كَانَت أَنفَعُ أَرضٍ [٣].

وَالصَّعِيدُ: الأَرضُ الَّتي لَا نَبَاتَ فِيهَا [٤].

وَالزَّلَقُ: الأَرضُ المَلسَاء [٥].

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾ (٤١)

﴿**أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً**﴾ بَاطِنُ الأَرضِ، فَيَكُونُ أَعدَمُ أَرضٍ لِلمَاءِ بَعدَ أَن كَانَت أَوجَدُ أَرضٍ لِلمَاءِ، وَغَوراً: مَصدَرٌ وُصِفَ بِهِ كَالزَّلَقِ [٦].

﴿**فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً**﴾ لِلمَاءِ الغَائِرِ، تَرَدُّدَاً في رَدِّهِ [٧].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ فَلَن تَستَطِيعَ طَلَبَ ذَلِكَ المَاءِ بَدَلاً عَنهُ، إِلى هَاهُنَا إِنتَهَى مُنَاظَرَةُ صَاحِبِه وَإِنذَارِهِ.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٨.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٨.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٢٠٧.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٤٧.
(٦) تفسير البيضاوي: ٥/ ٣٦٩.
(٧) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٨.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾

ثُمَّ قَالَ عَزَّ إِسمُه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أَي: أُهلِكَ وَأُحِاطَ العَذَابُ بِأَشجَارِهِ وَنَخلِهِ فَهَلَكَت علَى آخِرِهَا، وَأَصلُ الإِحَاطَةِ:إِدَارَةُ الحَائطِ علَى الشَّيءِ، وَفي الخَبَرِ: (أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ أَرسَلَ عَلَيهَا نَارًا، فَأَهلَكَهَا، وَغَارَ مَاؤهُم).

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أَي: فَأَصبَحَ هَذَا الكَافِرُ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ تَأَسُّفاً وَتَحَسُّراً، وَتَقلِيبُ الكَفَّينِ عَن النَّدَمِ وَالتَّحسُّرُ؛ لأَنَّ النَّادِمِ يَفعَلُ ذَلِك، وَكَأَنَّهُ قَالَ: فَأَصبَحَ يَندَمُ وَيَتَحَسَّرُ: ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ أَي: فِي عِمَارَتِهَا مِنَ المَالِ وَالأَوقَاتِ.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سَاقِطَةٌ علَى سُقُوفِهَا، يَعنِي: سَقَطَت عُرُوشُ كُرومِهَا علَى الأَرضِ، وَسَقَطَت فَوقَهَا الكُرُوم[1].

﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ كَأَنَّه تَذَكَّرَ مَوعِظَةَ أَخِيهِ، وَعَلِمَ أَنَّه أُتِيَ مِن قِبَل شِركِهِ، فَتَمَنَّى لَو لَم يَكُن مُشرِكاً، فَلَم يُهلِكَ اللهُ بُستَانَهُ.

فَعلَى هذَا نَدِمَ علَى الكُفرِ لِبقَاءِ مَالِهِ، لَا لِوُجُوبِ الإِيمَانِ، فَلَم يَنفَعُهُ، وَلَو نَدِمَ علَى الكُفرِ وَآمَنَ بِاللّهِ تَحقِيقاً لانتَفَعَ بِهِ.

وَيُحتَمَلُ: أَن يَكُونَ تَوبَةً مِنَ الشِّركِ، وَنَدَماً عَلَى مَا سَبقَ مِنهُ[2].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٨.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٩.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: لَمْ تَكُن لِهذَا الكَافِرُ جَمَاعَةٌ [١] او جُندٌ يَقدِرُونَ عَلَى نَصرِه بِدَفعِ عَذَابِ اللَّـهِ تعَالى مِن دُونِه سُبحَانَهُ، فَإِنَّهُ القَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَحدَهُ [٢].

﴿وما كانَ مُنْتَصِراً﴾ أَي: وَمَا كَانَ مُتَمَتِّعَاً بِقُوَّتِهِ عَن إِنتِقَامِ اللَّـهِ مِنهُ [٣].

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ [٤] وَهذَانِ الرَّجُلَانِ مِن اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا اللهُ تعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ عِندَ قَولِه: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [٥] في دَارِ الدُّنيَا؛ أَي: صَاحِبٌ يَختَصُّ بي [٦]

﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْـمُصَدِّقِينَ﴾ [٧] بِيَومِ الدِّينِ، يُرِيدُ: يُنجِينِي عَلَى التَّصدِيقِ بالبَعثِ وَالنُّشُورِ وَالحِسَابِ وَالجزَاءِ، وَالإستِفهَامُ مِنهُ عَلَى وَجهِ الإنكَارِ [٨].

﴿أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُون﴾ أَي: لَمجزِيُونَ مِنَ الدّينِ، بِمَعنَى الجَزَاءِ، مِن قَولِهُم: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَالمَعنَى: إِنَّ ذَلِكَ القَرِينُ كَانَ يَقُولُ لي في الدُّنيَا ـ عَلَى طَرِيقِ الإستِبعَادِ وَالإستنكَارِ: أَنُبعَثُ بَعدَ أَن صِرنَا تُرَاباً وَعِظَاماً بَالِيَةً وَنُجَازَى عَلَى أَعمَالِنَا؛ أَي: إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ أَبَداً، وَهذَا أَبلَغُ فِي النَّفي مِن أَن يَقُولَ: لَا نُبعَثُ وَلَا نُجَازَى.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٤٩.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٩.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٩٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٩.
(٥) الصافات: ٥١.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤٩٧.
(٧) الصافات: ٥٢.
(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٣٠٧.

﴿**قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ**﴾ [١] أي: قَالَ ذَلِكَ القَائلُ لإِخوَانِه في الجَنَّةِ: هَل أَنتُم مُطَّلِعُونَ علَى مَوضِعٍ مِنَ الجَنَّةِ يُرى مِنهُ أَهل النَّارِ لأُرِيكُم ذَلِكَ القَرِينُ، فَتَعلَمُوا أَنَّ مَنزلَكُم مِن مَنزِلَتِهم، وَفي الكَلَام حَذفٌ؛ أَي: فَيَقُولُونَ لَهُ: نَعَم، إِطَّلِع أَنتَ، فَأَنتَ أَعرَفُ بِصَاحِبَك، قَالَ الكَلبِيُّ: وَذَلِكَ لأَنَّ اللهَ جَعلَ لأَهلِ الجَنَّةِ كُوَّةً يَنظُرُونَ مِنهَا إِلَى أَهلِ النَّارِ [٢].

﴿**فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾[٣] أَي: فَاطَّلَع هَذَا القَائلُ مِن تِلكَ الكُوَّةِ، فَرَأَى قَرِينَهُ في وَسَطِ النَّارِ، يُقَالُ: طَلَعَ عَلَينَا وَأَطلَعَ وَإِطَّلَعَ بِمَعنَىً وَاحِدٍ، وَإِطَّلَعَ علَى كَذَا، إِذَا أَشرَفَ عَلَيهِ، إِنتَهَى قَولُ ابن عبَّاس[٤].

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (٤٤)

﴿**هُنالِكَ الْوَلايَةُ لله الْحَقِّ**﴾ أَخبَرَ سُبحَانَهُ: أَنَّ في ذَلِكَ المَقَام، وَفي تِلكَ الحَالِ، الوُلَايَةُ بِالنُّصرَةِ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهوَ الَّذي يَتَوَلَّى أَمرَ عِبَادِهِ المُؤمنينَ، وَيملِكُ النُّصرَةَ لِمَن أَرَاد.

وَقِيلَ: ﴿**هُنالِكَ**﴾ إِشَارَةٌ إِلى يومِ القِيَامَةِ، يُرِيدُ: يَومَئذٍ يَتَوَلَّونَ اللهَ وَيُؤمِنُونَ بِه، وَيَتَبَرؤونَ مِمَّا كَانُوا يَعبُدُون.

وَقِيلَ: مَعنَاهُ هُنَالِكَ يَنصُرُ المُؤمِنِينَ، وَيَخذِلُ الكَافِرِينَ، وَالوُلَايَةُ يومَئذٍ خَالِصَةٌ لهُ، لَا يَملِكُهَا أَحدٌ مِنَ العِبَادِ[٥].

---

(١) الصافات: ٥٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٣٠٧.

(٣) الصافات: ٥٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٣٠٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٩.

وَالوُلَايَةُ، بِفَتحِ الوَاوِ بِمَعنَى: النُّصرَة [١].

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَواباً﴾ أَي: أَفضَلُ ثَوَاباً مِمَّن يُرجَى ثَوَابُه، عَلَى تَقدِيرِ: لَو كَانَ يُثِيبُ غَيرُه لَكَانَ هُوَ خَيرٌ ثَوَاباً.

﴿وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ أَي: عَاقِبَةُ طَاعَتِهِ خَيرٌ مِن عَاقِبَةِ طَاعَةِ غَيرِه.

والعُقبُ وَالعُقبَى وَالعَاقِبَةُ بِمَعنَىً، قُرِأ عُقُباً، بِضَمِّ القَافِ وَسُكُونِه، وَالمَعنَى وَاحِدٌ[٢].

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾ (٤٥)

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أَي: تَكَاثَفَ بِسَبَبِهِ، حَتَّى خَالَطَ بَعضُهُ بَعضاً [٣].

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً﴾ أَي: مَهشُوماً مَكسُوراً [٤] وَالهَشمُ: مَا يُكَسَّرُ وَيُحَطَّمُ مِن يَبَسِ النَّبَاتِ [٥].

﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ أَي: تُفَرِّقُهُ وَتَنقُلُه مِن مَوضِعٍ إِلَى مَوضِعٍ، وَالذَّرُّ وَالتَّذرِيَةُ: تَطيِيرُ الرِّيحِ الأَشيَاءَ الخَفِيفَةَ فِي كُلِّ جِهَةٍ [٦] شَبَّهَ سُبحَانَهُ حَالَ الدُّنيَا فِي نُضرَتِهَا وَبُهجَتِهَا وَمَا

(١) الفروقات اللغوية، أبي هلال العسكري: ٥٧٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٩.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤١٩.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٠.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٠.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٠.

يَتعَقَّبُهَا مِنَ الهَلَاكِ بِحَالِ النَّبَاتِ؛ يَكُونُ أَخضَرَاً ثُمَّ يَهِيجُ فَتُطَيِّرُهُ الرِّيَاحُ [(١)].

﴿وَكَانَ الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الإِنشَاءِ وَالإِفنَاءِ: ﴿مُقْتَدِراً﴾ أَي: قَادِرَاً [(٢)].

وَهذَا المَثَلُ إِنَّمَا هُوَ لِلمُتكَبِّرِينَ الَّذِينَ اغتَرُّوا بِأَموَالِهِم وَاستَنكَفُوا عَن مُجَالَسَةِ فُقَرَاءِ المُؤمِنينَ [(٣)].

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ ﴿٤٦﴾

ثُمَّ قَالَ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ أَي: يُتَزَيَّنُ بِهِمَا، وَيُتَفَاخَرُ بِهِمَا فِي الدُّنيَا، وَلَا يُنتَفَعُ بِهِمَا فِي الآخِرَةِ، وَكِلَاهُمَا لَا يَبقَى لِلإِنسَانِ، وَيَفنَى عَنهُ عَن قَرِيبٍ [(٤)].

﴿وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ﴾ أَي: الطَّاعَاتُ للَّـهِ تعَالَى وَجَمِيعُ الحَسَنَاتِ؛ لأَنَّ ثَوَابُهَا يَبقَى أَبَدَاً [(٥)].

﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلا﴾ أَي: أَفضَلُ ثَوَابَاً، وَأَصدَقُ أَمَلاً مِنَ المَالِ وَالبَنِينِ، وَسَائِر زَهرَاتِ الدُّنيَا؛ فَإِنَّ مِنَ الآمَالِ كَوَاذِبٌ، وَهَذَا الأَمَلُ لَا يُكَذَّبُ؛ لأَنَّ مَن عَمِلَ الطَّاعَةَ وَجَدَ مَا يَأمَلُه عَلَيهَا مِنَ الثَّوَابِ [(٦)].

وَيَندَرِجُ فِيهَا: ـ وَفُسِّرَت بِهِ مِنَ ـ الصَّلَوَاتُ الخَمس، وَأَعمَالُ الحَجِّ، وَصِيَامُ رَمضَان، وَسُبحَانَ اللَّـهِ وَلَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكبَرُ، وَالقِيَامُ بِاللَّيلِ بِصَلَاةِ اللَّيلِ، وَالنِّيَّاتُ

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٨٦.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٠.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٥٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥١.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥١.

الصَّالِحَاتُ، وَالكَلَامُ الطَّيِّب.

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ لِلحُصَينِ بن عَبدِ الرَّحمَنِ: (يَا حُصَينُ، لَا تَستَصغِر مَوَدَّتَنَا؛ فَإِنَّهَا مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ) قَالَ: يَابنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا أَستَصغِرُهَا، وَلَكِن أَحمَدُ الله عَلَيهَا [1].

وَإِنَّمَا سُمِّيَت الطَّاعَاتُ صَالِحَاتٌ؛ لأَنَّهَا أَصلَحُ الأَعمَالِ لِلمُكَلَّفِ [2].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٧﴾

﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ**﴾ أَي: وَاذكُر يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم يوم نَقلَعُهَا، وَنُسَيُّرهَا في الجَوِّ، وَنَذهَبُ بِهَا، فَنَجعَلُهَا هَبَاءً مُنبَثّاً، وَيَجُوزُ عَطفُهُ علَى: ﴿**عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ أَي: البَاقِيَاتُ خَيرٌ عِندَ اللَّهِ يومَ القِيَامَةِ [3].

﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً**﴾ أَي: ظَاهِرَةٌ، لَيسَ عَلَيهَا شَيءٌ مِن جَبَلٍ أَو نَبَاتٍ، أَو شَجَرٍ يَستُرُهَا عَن عُيون النَّاظِرِين، وَقِيلَ: مَعنَاهُ وَتَرَى بَاطِنَ الأَرضِ ظَاهِراً، قَد بَرَزَ مَن كَانَ في بَاطِنِهَا فَصَارَ علَى ظَهرِهَا [4].

﴿**وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً**﴾ أَي: بَعَثنَاهُم مِن قُبُورِهِم، وَجَمَعَاهُم في المَوقِفِ، فَلَم نَترُك أَحداً، يُقَالُ: غَادَرَهُ؛ أَي: تَرَكَهُ، وَمِنهُ الغَدرُ لِتَركِ الوَفَاءِ، وَمِنهُ الغَدِيرُ: لِمَا غَادَرَهُ السَّيلُ [5].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٣٤٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥١.

(٣) تفسير الصافي: ٣/ ٥٠١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٢.

(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٢.

﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ ﴿٤٨﴾

﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا**﴾ يَعنِي: المَحشُورُونَ، يُعرَضُونَ علَى اللَّهِ يومَ القِيَامَةِ صَفًّاً صَفًّاً؛ أَي: مَصفُوفِينَ كُلَّ أُمَّةٍ وَزُمرَةٍ صَفًّاً، وَقِيلَ: يُعرَضُونَ صَفّاً بَعدَ صَفٍّ، كَالصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ، وَقِيلَ: يُعرَضُونَ صَفًّاً وَاحِدَاً، لَا يَحجُبُ بَعضُهُم بَعضَاً، وَيُقَالَ لَهُم [(١)]:

﴿**لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ عُرَاةً، لَا شَيء مَعَكُم مِنَ المَالِ وَالوَلَدِ [(٢)].

وَقِيلَ مَعنَاهُ: ﴿**لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ**﴾ فُقَرَاءَ ضُعَفَاءَ عَاجِزِينَ، فِي المَوضِعِ الَّذِي لَا يَملِكُ فِيهِ الحُكمَ غَيرَ اللهَ سُبحَانَهُ، كَمَا كُنتُم فِي إِبتِدَاءِ الخَلقِ لَا تَملِكُونَ شَيئاً [(٣)].

﴿**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً**﴾ أَي: وَيُقَالُ لَهُم: بَل زَعَمتُم فِي دَارِ الدُّنيَا: أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ لَم يَجعَل لَكُم مَوعِدَاً لِلبَعثِ وَالجَزَاءِ وَالحِسَابِ يَومَ القِيَامَةِ [(٤)].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٤.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٣.

﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ (٤٩)

﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ﴾ أي: وَوُضِع الكُتُب، فَإِنَّ الكِتَابَ إِسمُ جِنسٍ، وَالمَعنَى: وَوُضِعَت صَحَائفُ أَعمَالِ بَنِي آدَم في أَيدِيهِم، وَقِيلَ: هُوَ كِنَايَةٌ عَن وَضعِ الحِسَابِ؛ لأَنَّهُم يُحَاسَبُونَ عَن أَعمَالهُم المَكتُوبَة.

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أَي: خَائِفِينَ مِمَّا فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا﴾ هَذِه لَفظَةٌ يَقُولهُا الإِنسَانُ إِذَا وَقَعَ في شِدَّةٍ، فَيدعُو علَى نَفسِه بِالوَيلِ وَالثُّبُورِ [١] وَالمَعنَى: يُنَادُونَ هَلَكَتَهُم الخَاصَّة مِن بَينِ المُهلِكَاتِ [٢].

﴿ما لِهذَا الْكِتابِ﴾ تَعَجُّباً مِن شَأنِه [٣].

﴿لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها﴾ أَي: لَا يَترُكُ صَغِيرَةً مِن الذُّنُوبِ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا عَدَّهَا، وَأَثبتَهَا، وَأَحَاطَ بِهَا.

﴿وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً﴾ مَكتُوباً في الكِتَابِ مُثَبَّتاً، وَقِيلَ: وَجَدُوا جزَاءَ مَا عَمِلُوا حَاضِراً، فَجعَلَ وُجُودَ الجَزَاءِ كَوُجُودِ الأَعمَالِ تَوَسُّعاً [٤].

﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ فَيكتُبُ عَلَيهِ مَا لَم يَفعَل، أَو يُزِيدُ في عِقَابِه المُلَائمُ لَعَمَلِهِ [٥].

وَالمُرَادُ: لَا يُنقِصُ رَبُّكَ ثَوَابَ محُسِنٍ، وَلَا يُزِيدُ في عِقَابِ مُسِيءٍ [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٣.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٢٠.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٣.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٤.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٣.

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (٥١)

العَضُدُ: مَا بَينَ المِرفَق وَالكَتِف [١] وَكَثِيراً مَا يُستَعمَلُ بِمَعنَى العَونِ، يُقَالُ: عَضَدتُّ فُلَانَاً: أَعنتُه، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾ أَي: أَعوَاناً يَعضِدُونَنِي عَلَيهِ [٢].

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ (٥٢)

المَوبِقُ: المَهلَكُ، مِن وَبَقَ يَبِقُ إِذَا هَلَكَ [٣].

وَرُوِي عَن أَنس بِن مَالِك فِي قَولِه تعَالَى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا**﴾ أَنَّهُ قَالَ: المَوبِقُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ مِن قَيحٍ وَدَمٍ [٤].

وَمَعنَى الآيَةُ: جَعلنَا بَينَ الكُفَّارِ وآلِهَتِهُم مَهلِكاً لِيَشتَرِكُونَ فِيهِ وَهوَ النَّارُ، أَو: بَينَ الكَافِرِينَ وَالمُؤمِنِينَ مَوبِقَاً؛ وَهوَ إِسمُ وَادٍ عَمِيقٍ فَرَّقَ اللهُ بِه بَينَ أَهلِ الهُدَى وَأَهلُ الضَّلَالِ، وَقِيلَ بَينَ المَعبُودِينَ وَعَبَدَتِهُم مَوبِقَاً؛ أَي: حَاجِزاً، فَأَدخَلنَا مَن كَانُوا يَزعُمُونَ أَنَّهُم مَعبُودِيهِم، مِثلُ: المَلَائكَةِ، وَالمَسح، وَالجِنَّةن وَأَدخَلنَا الكُفَّارَ النَّار.

وَيُقَالُ: أَنَّ المُشرِكِينَ يَدعُونَ أُولَئِكَ الشُّرَكَاء، فَلَا يَستَجِيبُونَ لَهُم وَلَا يَنفَعُونَهُم شَيئاً، وَقِيلَ المَعنَى: جَعلنَا تَوَاصُلَهُم فِي الدُّنيَا مَهلِكَاً لَهُم فِي الآخِرَةِ [٥].

---

(١) المخصص، ابن سيدة، مادة (عضد) ١/ ١/ ١٦٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٥.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (وبق) ٤/ ١٥٦٢.

(٤) الدر المنثور، السيوطي: ٤/ ٢٢٨.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٦.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾

المَصرِفُ: المَعدِلُ [١] أَي: المَوضِعُ الَّذِي يَنصَرِفُ إِلَيهِ لِلخَلَاصِ مِن أَمرٍ.

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا**﴾ أَي: أَكثَرُ الأَشيَاءَ الَّتي يَتَأَتى مِنهُ الجَدَلُ، خُصُومَة بِالبَاطِلِ، وَانتَصَبَ جَدَلاً عَلَى التَّمييِّز، وَالمُرَادُ بِالإِنسَانِ هُنَا الكَافِر[٢].

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ ﴿٥٦﴾

يُقَالُ: أَدحَضَ قَدَمَهُ؛ إِذَا أَزَلَقَهَا، وَإِدحَاضُ القَدَمِ إِزلَاقُها، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى:

﴿**وَيُجادِلُ الَّذينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ أَي: لِيُزِيلُوا وَيُبطِلُوا الحَقَّ عَن قَرَارِه [٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٥.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٢٣.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ﴿٥٧﴾

الكِنَانُ: وَاحِدَةُ الأَكِنَّة [١].

الوَقرُ: وَاحِدُ الأَوقَارِ، مَعهَا لَا تُقَال [٢].

المَوئِلُ: المَلجَأ وَالمَنجَى، يُقَالُ: وَأَلَ إِلَيهِ؛ إِذَا لَجَأ، وَوَأَل؛ إِذَا لَجَأ [٣].

المَهلَكُ بِفَتحِ المِيمِ وَاللَّامِ: الهَلَاكُ، وَبِكَسرِ اللَّامِ عَلَى مَا شَذَّ مِن مَصَادِرِ يَفعِلُ كَالمَرجِعُ وَالمَحِيضُ [٤].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ**﴾ أي: لَا أَزَالُ أَسِيرُ، فَحَذَفَ الخَبَر لِدِلَالَةِ حَالِه، وَهوَ السَّفَرُ [٥] وَلَو كَانَ بِمَعنَى: لَا أَزُولُ، لَدَلَّ عَلَى الإِقَامَةِ، فَلَا بُدَّ أَن يَكُونَ المَعنَى: لَا أَبرَحُ السَّيرَ حَتَّى أَبلُغَ مُلتَقَى البَحرَينِ [٦] وَهوَ المَكَانُ الَّذِي وَعدَ مُوسَى عليه السلام لِقَاءَ الخِضرِ، وَهوَ مُلتَقَى بَحرَي فَارِس وَالرُّوم، وَبَحرُ الرُّومِ مِمَّا يَلِي المَغرِب نَحوَ الرُّومِ، وَبَحرُ فَارِس مِمَّا يَلِي المَشرِق نَحوَ فَارِس.

الحِقبُ: ثَمَانُونَ سَنَةٍ، أَو سَبعُونَ سَنَة [٧].

---

(١) وهي الأغطية، الصحاح، الجوهري، مادة (كنن) ٦/ ٢١٨٨.
(٢) وهو: الثقل في الأذن، المفردات في غريب القرآن، الراغب: ٥٢٩.
(٣) مختار الصحاح، الرازي: ٣٦١.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٧.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٠٧.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٩٠.
(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٢٤.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾ (٦١)

قَولُه تعَالَى: ﴿**نَسِيا حُوتَهُما**﴾ أَي: نَسِيَا تَفَقُدَ أَمرِهِ، فَإِنَّ يُوشَع نَسِي أَن يَحمِلَ الحُوتَ وَأَن يَذكُرَ مُوسَى عليه السلام وَنَسِي مُوسَى عليه السلام أَن يَأَمُرَهُ فِيهِ بِشَيءٍ، وَقِيلَ النَّاسِي لَهُ كَانَ أَحَدَهُمَا وَهوَ يُوشَعُ، فَأُضِيفَ النِّسيَانُ، كَمَا يُقَالُ: نَسِي القَومُ زَادَهُم؛ إِذَا نَسِيَهُ مُعتَمَدا أَمرَهُم[١].

السرب: المسلك [٢].

يُقَالُ: وَثَبَ الحُوتُ فِي المَاءِ؛ إِذَا مَشَى فِيهِ وَتَحَرَّك.

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ (٦٤)

يُقَالُ: قَصَّ أَثَرَهُ؛ أَي تَبِعَهُ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِما قَصَصاً**﴾ أَي: رَجِعَا وَعَادَا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاؤوا فِيهِ يَقُصَّانِ.

﴿**قَصَصاً**﴾ أَي: يَتَبِعَانِ إِتِّبَاعَاً، أَو مُقِصِّينَ، حَتَّى أَتَيَا الصَّخرَةَ [٣] إِنتَهَيَا إِلَى مَدخَلِ الحُوت [٤].

الغَدَاءُ: طَعَامُ الغَدَاةِ، وَالعِشَاءُ: طَعَامُ العَشِيِّ، وَالإِنسَانُ عَلَى الغَدَاءِ أَشَدُّ حَاجَةً مِنهُ إِلَى العِشَاءِ [٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٢٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٢٥.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥١١.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٣٦٤.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٦٣.

﴿فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً﴾ ﴿٦٢﴾

ومنه قوله تعالي ﴿آتِنا غَداءَنا﴾ يعني ما يتغذي به.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾ ﴿٦٨﴾

يُقَالُ: أَودَعَهُ وَوَدَّعَهُ بِمَعنىً.

﴿خُبْراً﴾ وَزَانُ قِفل: العِلمُ، وَفي التَّنزِيلِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾ أَي: كَيفَ تَصبِرُ علَى مَا ظَاهِرَهُ عِندَكَ نَكَرٌ، وَأَنتَ لَم تَعرِف بَاطِنَهُ، وَلَم تَعلَم حَقِيقَتَهُ[١].

وَقَولُه: ﴿خُبْراً﴾ تَمييزٌ؛ أَي: لَم يُحِط بِه خُبرُكَ[٢] وَإِنَّمَا قَالَ ذَالِكَ؛ لأَنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ يَأَخُذُ الأُمُورَ عَلى ظَاهِرِهَا، وَالخِضرُ كَانَ يَحكُمُ بِمَا أَعلَمَهُ اللهُ سُبحَانَهُ مِن حِكمَةِ بَوَاطِنِ الأُمُورِ[٣].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٦٨.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٩٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٧١.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧١)

يُقَالُ: خَرَقَ الثَّوبَ وَالسَّفِينَةَ؛ إِذَا شَقَّهُ [١].

الإِمرُ: الدَّاهِيَةُ العَظِيمَةُ، يُقَالُ أَمَرَ الإِمرُ؛ إِذَا عَظُمَ وَكَبُرَ [٢] وَقَولُه تعَالَى: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً**﴾ أَي: مُنكَراً عَظِيماً [٣].

النِّسيَانُ: ضِدَّ الذِّكرِ [٤] وَقَد يَكُونُ بِمَعنَى التَّركُ [٥] بِمَعنَى الغَفلَةِ وَالسَّهو [٦] وَقِيلَ: مِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً**﴾ أَي: بِمَا تَرَكتَ مِن وَصِيَّتُك وَعَهدُكَ [٧] يَاخِضرُ، وَالمَشهُورُ علَى أَنَّهُ بِمَعنَى الغَفلَةِ؛ أَي: غَفَلتَ مِنَ التَّسلِيمِ لَكَ، وَتَركُ الإِنكَارِ عَلَيكَ [٨].

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (٧٣)

يُقَالُ: أَرهَقَهُ عُسرَاً؛ إِذَا كَلَّفَهُ ذَالِكَ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً**﴾ أَي: لَا تُكَلِّفنِي مِن أَمرِي مَشَقَّةً، وَعَامِلنِي بِاليَسِيرِ، وَالمُرَادُ: لَا تُضَيِّق عليَّ الأَمرَ فِي صُحبَتِي إِيَّاكَ يَا خِضرُ [٩].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤٧٩.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (خرق) ٢/ ١٢٣.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٥٨٤.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ١٩٨.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٣٨٥.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٦٩.
(٧) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٩٣.
(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٦٩.
(٩) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٦٩.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ﴿٧٤﴾

يُقَالُ: صَرعَهُ، ثُمَّ نَزَعَ رَأْسَهُ مِن جَسَدِهِ.

قَولُه تعَالَى: ﴿**قالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً**﴾ أي: زَاكِيَةً طَاهِرَةً مِنَ الذُّنُوبِ، وَقَالَ أَبو عَمرو: الزَّاكِيَةُ الَّتي لَم تُذنِب، وَالزَّكِيَّةُ الَّتي أَذنبَت ثُمَّ تَابَت، وَقِيلَ: الزَّكِيَّةُ: أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِنَ الزَّاكِيَةِ، وَقِيلَ الزَّاكِيَةُ فِي البَدَنِ، وَالزَّكِيَّةُ فِي الدِّينِ[١].

النُّكرُ بِالضَّمِّ: الأَمرُ الفَظِيعُ المُنكَرُ الَّذِي لَا يُعرَفُ فِي شَرعٍ؛ وَهوَ أَشَدُّ مِنَ الإِمرِ، وَكَذَا إِذَا ضُمَّ الكَافُ، كَمَا قَرَأَ أَبُو بَكرٍ فِي قَولِه تعَالَى: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكُراً**﴾[٢].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾

التَّضيِيفُ وَالإِضَافَةُ، بِمَعنَى: الإِستِطعَامُ، وَطَلَبُ الطَّعَامِ، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما**﴾ أَي: لَم يُضَيفهُما أَحدٌ مِن أَهلِهَا[٣].

وَعَن النَّبِيِّ ﷺ: (كَانُوا أَهلَ قَريَةٍ لِئامَاً)[٤].

وَقِيلَ: شَرُّ القُرَى الَّتِي لَا يُضَافُ الضَّيفُ فِيهَا، وَلَا يُعرَفُ لِإبنِ السَّبِيلِ حَقّهُ[٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٧٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٧٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ضيف) ٩/ ٢٠٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ١١٩، صحيح مسلم: ٧/ ١٠٦.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٩٤.

وَمِنَ القُرَى قَرِيَةٌ عَلَى سَاحِلِ البَحرِ يُقَالُ لَهَا: نَـاصِرَة، وَبِهَا سُمِّيَت النَّصَارَى نَصَارَى، عَن الصَّادِقِ عليه السلام[1].

الإِنقَاضُ: إِنفِعَالٌ، مِن قَضَضتُه، أَو أَفعَلُ، مِنَ النَّقضِ، كَأَحمَر مِنَ الحُمرَةِ[2].

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨)

قَولُه تعَالَى: ﴿**هذا فِراقُ بَيْني وَبَيْنِكَ**﴾ كَرَّرَ بَينَ تَأَكِيداً، قِيلَ: مَعنَاهُ؛ هَذَا وَقتُ فِرَاقِ إِتصَالُنَا، وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ هَذَا الَّذِي قُلتَهُ سَبَبُ فِرَاقٍ بَينِي وَبَينُكَ[3].

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠)

الإِرهَاقُ: إِدرَاكُ الشَّيءِ بِمَا يَغشَاهُ، وَرَهَقَهُ الفَارِسُ؛ إِذَا غَشِيَهُ وَأَدرَكَـهُ، وَغُلَامٌ مُرَاهِقٌ؛ إِذَا قَارَبَ أَن يَغشَاهُ حَالُ البُلُوغ[4].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**فَخَشينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً**﴾ لِعِلمِهِمَا بعقُوقِة وَسُوءِ صَنِيعِه يَلحَقُ بِهِمَا بَلَاءٌ، وَهوَ مِن كَلَامِ الخِضرِ؛ لأَنَّ اللهَ تعَالَى لَا يَجُوزُ عَلَيهِ الخَشيَة، وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ فَكَرِهنَا أَن يُرهِقَ الغُلَامُ أَبَويهِ إِثمَاً وَظُلمَاً بِطُغيَانِه وَكُفرِه[5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٧٤.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٩٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٩.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٧٤.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٧.

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿٨١﴾

الزَّكَاةُ: الصَّلَاحُ، وَالزَّكِيُّ: الصَّالِحُ، وَمِنهُ: قَولُه تعَالَى: ﴿**فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً**﴾ أَي: وَلَدَاً خَيراً مِنهُ دِيِّنَاً، وَصَلَاحَاً، وَطَهَارَةً.

﴿**وَأَقْرَبَ رُحْماً**﴾ أَي: وَأَرحَمُ بِهمَا، وَالرُّحمُ: العَطفُ وَالرَّحمَةُ [1].

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨٢﴾

الكَنزُ: كُلُّ مَالٍ مَذخُورٍ مِن ذَهَبٍ أَو فِضَّةٍ وَغَيرُ ذَلِكَ [2].

قِيلَ: الكَنزُ الَّذِي خَرَّبَ عَلَيهِ الخِضرُ الجِدَارَ، هُوَ: لَوحٌ مِن ذَهَبٍ مَكتُوبٌ فِيهِ: عَجَبَاً لِمَن يُؤمِنُ بِالقَدَرِ كَيفَ يَحزَنُ، وَعَجَباً لِمَن أَيقَنَ بِالرِّزقِ كَيفَ يَتعَبُ، وَعَجَباً لِمَن أَيقَنَ بِالمَوتِ كَيفَ يَفرَحُ، وَعَجَباً لِمَن يُؤمِنُ بِالحِسَابِ كَيفَ يَغفَلُ، عَجَباً لِمَن رَأَى الدُّنيَا وَتَقَلُّبهَا بِأَهلِهَا كَيفَ يَطمَئِنُّ إِليهَا، لَا إِلهَ إِلَّا الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله [3].

تَنبِيهٌ: يَنبَغِي لِلمَرء أَن لَا يُبَادِرَ إِلَى كُلِّ مَا يُحَسِّنُهُ، وَأَن لَا يُعجِبُهُ، فَلَعَلَّ فِيهِ سِرَّاً لَا يَعرِفهُ، وَأَن يُدَاومَ علَى التَّعلِمِ، وَيَتَذَلَّلُ لِلمُعَلِّمِ، وَيُرَاعِي الأَدَبَ فِي المَقَالِ، وَمَا قَصَّ اللهُ تعَالَى علَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فِي سُورَةِ الكَهفِ مِن خَبَرِ مُصَاحَبَةِ مُوسَى عليه السلام وَالخِضر تَنبِيهٌ علَى أَن يَصِيرَ المُتَأَدِّبُ مِمَّن يُؤدِّبُهُ، أَو يُعَلِّمهُ شَيئاً، حَتَّى يَطَّلِع علَى خَفَاءِ سِرِّه، وَتَلِينُ نَفسُه بِمَا لَا يُلَائمُهَا فِي بِدوِ الأَمرِ.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٧٦.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٨٢.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٣٢.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣)

رُوِي عَن أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام: (أَنَّ ذَا القَرنَينِ، كَانَ عَبدَاً صَالِحَاً أَحبَّ اللهَ فَأَحَبَّهُ، وَنَاصَحَ للَّـهِ فَنصَحَهُ اللهُ، أَمَرَ قَومَهُ بِتَقوى اللَّـهِ تعَالَى فَضَرَبُوهُ علَى قَرنِه ضَربَةً بِالسَّيفِ، فَغَابَ عَنهُم مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ رَجعَ إِلَيهِم فَدَعَاهُم إِلَى اللَّـهِ تعَالَى فَضَرَبُوهُ علَى قَرنِه الآخَر، فَذَلِكَ قَرنَاهُ، وَفِيكُم مِثلُهُ) يَعنِي بِه نَفسَهُ النَّفِيسَة [1].

قَولُه تعَالَى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ أَي: عَن خَبَرِهِ وَقَضِيتِه لَا عَن شَخصِه، وَاختُلِفَ فِيهِ؛ فَقِيلَ: إِنَّهُ نَبِيٌّ مَبعُوثٌ، فَتَحَ اللهُ علَى يَدَيهِ الأَرضَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ مَلِكَاً عَادِلاً.

وَفي سَبَبِ تَسمِيَتِهِ بِذي القَرنَينِ أَقوَالٌ، مِنهَا: أَنَّه سُمِّي بِه؛ لأَنَّه كَانَ علَى رَأسِهِ شِبهُ القَرنَينِ، أَو كَانَ لِتَاجِهِ قَرنَانِ، وَمِنهَا: أَنَّه بَلَغَ قُطرَي الأَرض مِنَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ، فَسُمِّي بِذَالِكَ لِإستِيلَائهِ علَي قَرنِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِهَا، وَعلَى قَرنِهَا مِن مَشرِقِهَا، وَمِنهَا: أَنَّهُ عَاشَ عَيشَ القَرنَينِ، فَانقَرَضَ في وَقتِه قَرنَانِ مِنَ النَّاسِ، وَمِنهَا: أَنَّه كَرِيمُ الطَّرَفَينِ مِن قِبَلِ أُمِّهِ وَأَبِيهِ.

وَقَالَ مَعَاذ بن جَبَل: هُوَ مِن أَبنَاءِ الرُّومِ، وَاسمُهُ الإِسكَندَر، وَهوَ الَّذِي بَنَى الإِسكَندَرِيَّة [2].

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ٤١، تفسير العياشي: ٢/ ٣٣٩ح ٧١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٧٩.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ (٨٤)

وَرُوِي عَن أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام أَيضاً، أَنَّهُ قَالَ: (سَخَّرَ اللهُ لَهُ السَّحَابَ فَحَمَلَهُ عَلَيهَا، وَمَدَّ لَهُ فِي الأَسبَابِ، وَبَسطَ لَهُ النُّورَ، فَكَانَ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ عَلَيهِ سَوَاءٌ)[١].

وَلِهذَا قَالَ اللهُ تعَالَيك ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: بَسَطنَا يَدَهُ فِي الأَرضِ، وَمَلَّكنَاهُ حَتَّى استَولَي عَلَيهَا وَقَامَ بِمَصَالِحِهَا، فَهذَا مَعنَى تَمكِينِه فِي الأَرضِ، وَهوَ أَنَّهُ سَهَّلَ عَلَيهِ المَسِيرَ فِيهَا، وَذَلَّلَ لَهُ طَرِيقَهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغرِبَ الشَّمسِ: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ أَي: عِلماً يَتَسَبَّبُ بِهِ إِلى إِرَادَتِهِ، وَيَبلُغُ بِهِ إِلى حَاجَتِهِ: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ يُوصِلُهُ إِلَيهِ، وَبَلَغَ مَوضِعَ الغُرُوبِ فَوَجَدَهَا تَغرُبُ[٢].

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾ (٨٦)

﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أَي: وَجَدَهَا كَأَنَّهَا تَغرُبُ فِي عَينٍ حَمِيئَةٍ، وَإِن كَانَت تَغرُبُ وَرَائهَا، وَالعَينُ الحَمِيئَةُ؛ أَي: ذَاتُ الحَمَأ؛ وَهِي: الطِّينُ الأَسوَدُ المُنتِنُ، وَقرَأَ أَبُو بَكرٍ: عَين حَامِيَة؛ أَي: حَارَّةٌ، وَعَن كَعبِ الأَحبَارِ، قَالَ: أَجِدُهَا فِي التَّورَاةِ تَغرُبُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ[٣].

﴿وَوَجَدَ عِنْدَها قَوْماً﴾ أَي: وَجَدَ عِندَ العَينِ نَاسَاً، قِيلَ: كَانَ لِبَاسُهُم جُلُودُ الوَحشِ، وَطَعَامُهُم مَا لَفَظَهُ البَحرُ، وَكَانُوا كُفَّارَاً، فَخَيَّرَهُ اللهُ بَينَ أَن يُعَذِّبَهُم، أَو يَدعُوهُم إِلى الإِيمَانِ، كَمَا حَكَى بِقَولِهِ: ﴿قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ أَي: بِالقَتلِ عَلَى كُفرِهُم: ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾ بِالإِرشَادِ[٤].

---

(١) كمال الدين، الصدوق: ٣٩٣ح ٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٠.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٠.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ ﴿٨٧﴾

﴿قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أَي: أَشرَكَ: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أَي: نَقتُلُهُ مَا لَم يَرجِع عَن الشِّركِ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ﴾ بعدَ قَتلِي إِيَّاه: ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً﴾ أَي: في النَّارِ[1].

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ ﴿٨٨﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْـحُسْنى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً﴾ أَي: سَنَقُولُ لَه قولاً جَمِيلاً، وَنَأمُرُه بِمَا يَتيَسَّرُ عَلَيهِ، وَلَا نُؤاخِذهُ بِمَا مَضَى مِن كُفرِهِ[2].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿٨٩﴾

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾ أَي: طَرِيقاً آخَرَ مِنَ الأَرضِ، لِيُؤدِّيه إِلى مَطلِعَ الشَّمسِ وَيُوصِلُهُ إِلى المَشرِقِ[3].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ﴿٩٠﴾

﴿وحَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً﴾ مِنَ ا لبِنَاءِ؛ يَعنِي: لَم يَكُن بِهَا جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ وَلَا بِنَاءٌ؛ لأَنَّ أَرضَهُم لَا تُمسِكُ الأَبنِيَةَ، وَبِهَا أَسرَابٌ، فَإِذَا طَلَعَت الشَّمسُ دَخلُوهَا، وَإِذَا غَرُبَت تَصَرَّفُوا في أُمُورِهُم وَمَعَايِشَهُم[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٢.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٣٤.

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا﴾ ﴿٩١﴾

وَعَن البَاقِرِ عليه السلام: (أَنَّهُم لَم يَعلَمُوا صُنعَةَ البُيُوتِ) [١].

﴿**كَذلِكَ**﴾ أَي: أَمرَ ذِي القَرنَينِ كَمَا وَصفنَاهُ لَكَ لَا غير: ﴿**وَقَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ**﴾ مِنَ الجُنُودِ وَالآلَاتِ وَالعُدَدِ، وَأَسبَابِ المُلكِ: ﴿**خُبراً**﴾ أَي: عِلمَاً تَعَلَّقَ بِظَوَاهِرِه وَخَفَايَاه، وَالمُرَادُ: أَنَّ كَثرَةَ ذَلِكَ بَلَغَت مبلَغَاً لَا يُحِيطُ بِهِ إِلَّا عِلمُ اللَّطِيفِ الخَبِيرِ [٢].

وَفي قَولِه: ﴿**بِما لَدَيْهِ**﴾ إِشَارَةٌ إِلَى حَقِّ الثَّنَاءِ عَلَيهِ، وَالرِّضَا بِأَفعَالِه لِإمتثَالِه أَمرَ اللَّـهِ تعَالَى فِي كُلِّ أَحوَالِهِ [٣].

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿٩٢﴾

يَعنِي طَرِيقَاً ثَالِثَاً مِمَّا يبلُغه قُطرَاً مِن أَقطَارِ الأَرضِ، آخِذَاً مِنَ الجَنُوبِ إِلى الشَّمَالِ [٤].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ ﴿٩٣﴾

﴿**حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**﴾ يَعنِي: بَينَ الجَبَلَينِ المَبنِيِّ بَينَهُمَا سَدَّةٌ، وَقِيلَ: الجَبَلَانِ هُمَا جَبَلَا إِرمِينِيَّة وَآذربَايجَان، وَقِيلَ: جَبَلَانِ فِي آخِرِ الشَّمَالِ فِي مُنقَطَعِ أَرضِ التُّركِ مَنفَان، مِن وَرَائِهِمَا يَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ [٥].

وَقَرَأَ أَبو بَكرٍ: بَينَ السُّدَّينِ، بِضَمِّ السِّينِ، وَهُمَا لُغَتَانِ، وَالسَّدُّ: المَوضِعُ المَسدُودُ لَا المُنفَتِحُ: ﴿**وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**﴾ [٦].

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٣٥١ ح ٨٤.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٢.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٢.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٢.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٣.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ﴿٩٤﴾

قِيلَ: هُم التُّرك، لَا يَكَادُونَ يَفقَهُونَ قَولَاً؛ لِغَرَابَةِ قَولهُم، وَقِلَّة فَطَانَتَهُم، خُصُّوا بِلُغَةٍ كَادُوا لَا يَعرِفُونَ غَيرَهَا إِلَّا بِإِشَارَةٍ وَنَحوِهَا؛ وَلِذَلِكَ حَكَى سُبحَانَهُ عَنهُم، أَنَّهُم: ﴿**قَالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾ أَي: قَالَ مُتَرجِمُوهُم ذَالِكَ القَول، وَفَسَادَهُم أَنَّهُم كَانُوا يَخرُجُونَ فَيَقتُلونَهُم وَيأَكُلُونَ لُحومَهُم وَدَوَابَّهُم، وَقِيلَ: كَانُوا يَخرُجُونَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ، فَلَا يَترُكُونَ شَيئاً أَخضَرَاً إِلَّا أَكَلُوه، وَلَا يَابِسَاً إِلَّا احتَمَلُوه [1].

وَوَرَدَ فِي الخَبَرِ، عَن حُذَيفَةَ بِن اليَمَان، أَنَّهُ قَالَ: سَأَلتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَن يَأَجُوجَ وَمَأَجُوج؟ فَقَالَ:

(يَأَجُوجُ أُمَّةٌ، وَمَأَجُوج أُمَّةٌ، كُلُّ أُمَّةٍ أَربَعمَائة أُمَّة، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنهُم حَتَّى يَنظُرُ إِلَى أَلفِ ذَكَرٍ مِن صُلبِهِ، كُلٌّ قَد حَمَلَ السِّلَاحَ) قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفهُم لَنَا، قَالَ ﷺ:

(هُم ثَلَاثَةُ أَصنَافٍ؛ صِنفٌ مِنهُم أَمثَالُ الأَرزِ) قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الأَرزُ؟ قَالَ ﷺ:

(شَجَرٌ بِالشَّامِ طَوِيلٌ، وَصِنفٌ مِنهُم طُولُهُ وَعَرضُهُ سَوَاءٌ، وَهَؤلَاءِ الَّذِينَ لَا يَقُومُ لَهُم جَبَلٌ وَلَا حَدِيدٌ، وَصِنفٌ مِنهُم يَفتَرِشُ أَحَدَهُم أُذُنَهُ وَيَلتَحِفُ بِالأُخرَى، وَلَا يَمُرُّونَ بِفِيلٍ وَلَا وَحشٍ، وَلَا جَمَلٍ وَلَا خِنزِيرٍ، إِلَّا أَكَلُوهُ، مَن مَاتَ مِنهُم أَكَلُوهُ، مُقَدِمَتهُم

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٧.

بِالشَّامِ، وَسَاقَتُهُم بِخُرَاسَان، يَشرَبُونَ أَنهَارَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَبُحَيرَةُ طَبَرِيَّة)[١].

وَقِيلَ: إِنَّهُم مِن وُلدِ يَافِث بِن نُوح، أَب التُّرك، وَقِيل: يَأجُوجُ مِنَ التُّرك، وَمَأجُوجُ مِنَ الجَبَلِ وَالدَّيلَم [٢] وَهُمَا إِسمَانِ أَعجَمِيَانِ، بِدَلِيلِ مَنعِ الصَّرف [٣] وَقِيلَ: عَرَبِيَّانِ، مِن أَجَّ الظَّلِيمُ: إِذَا أَسرَعَ، وَأَصلُهُما الهَمزُ، وَمَنَعَ صَرفَهُما لِلتَّعرِيفِ وَالتَّأنِيثِ [٤].

وَقِيلَ: إِنَّ ذَا القَرنَينِ بَنَى السَّدَّ عَلَى إِحدَى وَعِشرِينَ قَبِيلَةً، وَبَقِيَت مِنهُم قَبِيلَةٌ دُونَ السَّدِّ، وَهُم التُّرك [٥].

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥﴾

الرَّدمُ: الحَاجِزُ الحَصِينُ؛ وَهوَ أَكبَرُ مِنَ السَّدِّ، وَقِيلَ: الرَّدمُ؛ السَّدُّ المُتَرَاكِمُ بَعضُهُ عَلَى بَعضٍ، مِن قَولِهُم: ثَوبٌ مُرَدَّمٌ؛ إِذَا كَانَ رِقَاعٌ فَوقَ رِقَاع [٦].

الزُّبُرُ: القِطعَةُ الكَبِيرَةُ [٧].

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني: ٤/ ١٥٥، الدر المنثور، السيوطي: ٤/ ٢٥٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٩٨.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (أجاج) ١/ ٥.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٢.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٧.

(٦) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٣.

(٧) الصحاح، الجوهري، مادة (زبر) ٢/ ٦٦٦.

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ﴿٩٥﴾

الصَّدَفُ: المَيلُ، يُقَالُ: صَدَفَ عَنهُ؛ إِذَا مَال وَانصَرَفَ [(١)] وَالصَدَفُ بِفَتحَتَينِ: جَانِبُ الجَبَلِ، وَالصَّدَفَانِ: جَانِبَا الجَبَلِ؛ لأَنَّهُمَا مُتَصَادِفَانِ؛ أَي: مُتَقَابِلَانِ [(٢)].

الكُورُ: وَاحِدُ الأَكْوَارِ، يُنفَخُ فِيهِ بِمَنَافِخِ الحَدَّادِينَ، فَتُوقَدُ فِيهِ النَّار، يُقَالُ: نُحَاسٌ ذَائِبٌ؛ أَي: مُذَابٌ [(٣)].

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ﴿٩٧﴾

الدَّكَّاءُ: الأَرْضُ المُستَوِيضةُ مَعَ الأَرضِ، وَكُلُّ مُنبَسِطٌ بَعدَ إِرتِفَاعٍ [(٤)].

يُقَالُ: ظَهَرتُ السَّطحَ؛ إِذَا عَلَوتُهُ [(٥)] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ**﴾ أَي: لَم يَستَطِع يَأَجُوجُ وَمَأَجُوجُ أَن يَعلُوا السَّدَّ وَيَصعَدُوهُ؛ لإِرتِفَاعِه وَإِنمِلَاسِهِ [(٦)].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**اسْطَاعُوا**﴾ بِحَذفِ التَّاءِ، حَذَراً مِن تَلَاقِي مُتَقَارِبَينِ [(٧)].

وَفي الحَدِيثِ: (إِنَ يَأَجُوجَ يُدَأَبُونَ في حَفرِهِ، حَتَّى إِذَا أَمسَوا وَكَادُوا لَا يُبصِرُونَ شُعَاعَ الشَّمسِ، قَالُوا: نَرجِعُ غَدَاً وَنَفتَحُهُ وَلَا يَستَثنُونَ، فَيَعُودُونَ مِنَ الغَدِ، وَقَد

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (صدف) ٤/ ١٣٨٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٨.
(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (دكك): ١٠/ ٤٢٥.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٩.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٤٩٩.
(٧) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٤.

استوَى كَما كَانَ، حَتَّى إِذَا جاءَ وَعدُ اللَّهِ، قَالُوا: غَدَاً نَخرُجُ وَنَفتَحُ إِن شَاءَ اللهُ، فَيَعُودُونَ إِلَيهِ، وَهوَ كَهَيئَتِهِ حِينَ تَركُوهُ بِالأَمسِ، فَيَخرِقُونَهُ أَو يَحرِفُونَهُ، فَيَخرُجُونَ علَى النَّاسِ، فَيَشرَبُونَ الميَاهَ، وَتَتَحَصَّنُ النَّاسُ في حُصُونِهِم مِنهُم...) الخَبَرُ [١].

وَفي تَفسِيرِ الكَلبِيِّ: أَنَّ الخِضرَ وَإِليَسعُ يَجتَمِعَانِ كُلَّ لَيلَةٍ على ذَالِكَ السَّدِّ يَحجِبَانِ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ عَنِ الخُرُوجِ [٢].

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ ﴿١٠١﴾

غِطَاءُ العَينِ: أَي سِترَةٌ تُغَطِّي عَلَيهَا، وَتَمنَعُه مِنَ الإِدرَاكِ بِهَا الأَشيَاء.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ ﴿١٠٥﴾

يَقُولَ العَرَبُ: مَا لِفُلَانٍ عِندَنَا أَيُّ قَدرٍ وَمَنزِلَةٍ [٣].

وَرُوِي في الصَّحِيحِ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: (إِنَّهُ لَيَأَتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يومَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ) [٤].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾ كَالقُرآنِ وَغَيرِه: ﴿**وَلِقَائِهِ**﴾ أَي: لِقَاءَ جَزَائِهِ في الآخِرَةِ: ﴿**فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً**﴾ أَي: لَا قِيمَةَ لَهُم عِندَنَا وَلَا كَرَامَةً، وَلَا نَجعَلُ لَهُم مِقدَاراً وَإِعتِبَاراً [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٨٩.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦/ ٢٩٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٩٢.
(٤) صحيح البخاري: ٥/ ٢٣٦، شعب الإيمان، البيهقي: ٧/ ٣٢٩ ح ١٠٤٧٨.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٧.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ (١٠٦)

﴿جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آياتي وَرُسُلي هُزُواً﴾ أي مهزوا بهم [١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧)

﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ أَي: فِيمَا سَبَقَ مِن حُكمِ اللَّهِ وَوَعدِه، وَالفِردَوسُ: أَعلَى دَرَجَاتِ الجَنَّةِ وَأَطيَبُهَا، وَأَفضَلُهَا وَأَرفَعُهَا، وَأَصلُه: البُستَانُ الَّذِي يَجتَمِعُ فِيهَ الأَعنَابُ وَالنَّخِيلُ [٢].

وَعَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (الجَنَّةُ مَائةُ دَرَجَةٍ، مَا بَينَ كُلِّ دَرَجَتَينِ كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ، وَالفِردَوسُ أَعلاهَا دَرَجَةً، مِنهَا تُفَجَّرُ أَنهَارُ الجَنَّةِ الأَربَعَةِ، فَإِذَا سَأَلتُم اللهَ سُبحَانَهُ فَاسأَلُوهُ الفِردَوسَ) [٣].

وَقَولُه: ﴿نُزُلاً﴾ يَعنِي: مَنزِلاً [٤].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (١٠٨)

وَ: ﴿خالِدينَ فيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾ أَي: لَا يَطلِبُونَ عَن تِلكَ الجَنَّةِ تَحَوُّلاً [٥] إِلَى مَوضِعٍ آخَرَ؛ إِذ لَا يَجِدُونَ أَطيَبَ مِنهَا، حَتَّى تُنَازِعَهُم إِلَيهِ أَنفُسُهُم [٦].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥٨.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٩٤، سنن الترمذي: ٤/ ٨٢ح ٢٦٥٠، مجمع الزوائد، الهيثمي: ١/ ٤٧.
(٤) تفسير القمي: ٢/ ٤٦.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٩٥.
(٦) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥٢٦.

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ (١٠٨)

المِدَادُ: إِسمُ مَا يُمَدُّ بِهِ الدَّوَاة [1].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (١١٠)

رُوِي عَن رَسُول اللَّـهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَغنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، فَمَن عَمِلَ عَمَلًا أَشرَكَ فِيهِ غَيرِي، فَأَنَا مِنهُ بَرِيءٌ، فَهُوَ لِلَّذِي أَشرَكَ) [2].

وَرُوِي: عن عُبَادَة بن الصَّامِت [3] وَشَدَّاد بن أَوس [4] قَالَا: سَمِعنَا رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: (مَن صَلَّى صَلَاةً يُرَائِي بِهَا فَقَد أَشرَكَ، وَمَن صَامَ صَوماً يُرَائِي بِهِ فَقَد أَشرَكَ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الآيَة) [5].

وَرُوِيَ: أَنَّ أَبَا الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام دَخَلَ يوماً عَلَى الْـمَأْمُونِ، فَرَآهُ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، وَالغُلَامُ يَصُبُّ عَلَى يَدِهِ الْـمَاءَ، فَقَالَ: (لَا تُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّكَ أَحَداً) فَصَرَفَ الْـمَأمُونُ

(١) تاج العروس، الزبيدي، مادة (مدد) ٥/ ٢٤٧.

(٢) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٤٠٥ح ٤٢٠٢، الترغيب والترهيب، المنذري: ١/ ٦٩ح ٥٢.

(٣) ابن قيس بن أصرم، صحابي أنصاري، أقام بالبصرة، كان شيعياً، وهو من السابقين الذين رجعوا الى أمير المؤمنين عليه السلام، ينظر: رجال الطوسي: ٧١، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٢٢٤، الثقات، ابن حبان: ١/ ١٩٧.

(٤) ابن ثابت الأنصاري، ابن أخي حسان بن ثابت الشاعر، صحابي فقيه، سكن بيت المقدس، وروى عنه أهل الشام، توفي سنة ٥٨ هـ، ينظر: طبقات ابن سعد: ٧/ ٤١١، المعارف، ابن قتيبة: ١٧٤.

(٥) زبدة البيان، الأردبيلي: ١٣٤، نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٣١٦ح ٢٧١.

الغُلَامَ، وَتَوَلَّى إِتمَامَ وُضُوئِهِ بِنَفسِهِ [١].

وَعَن أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام قَالَ: (مَا مِن عَبدٍ يَقرَأُ: ﴿**قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ...**﴾ إِلَّا كَانَ لَهُ نُوراً، مِن مَضجَعِهِ إِلَى بَيتِ اللَّـهِ الحَرَامِ، فَإِنَّ مَن كَانَ لَهُ نُورٌ في بَيتِ اللَّـهِ الحَرَامِ، كَانَ لَهُ نُورٌ إِلَى بَيتِ الْـمَقدِسِ) [٢].

وَقَالَ مُجَاهِد: جَاءَ إِلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله رَجُلٌ، وَقَالَ: إِنِّي أَتَصَدَّقُ، وَأَصِلُ الرَّحِمَ، وَلَا أَصنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لله، فَيُذكَرُ ذَلِكَ مِنِّي، وَأُحمَدُ عَلَيهِ، فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ، وَأُعجَبُ بِهِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله وَلَم يَقُل شَيئاً، فَنَزَلَتِ الآية [٣].

---

(١) الإرشاد، المفيد: ٢/ ٢٦٩، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢٣٢.

(٢) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٧، عنه نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٣١٤ح ٢٦١.

(٣) أسباب النزول، الواحدي: ٢٠٢.



الفصل التاسع عشر

سورة مريم



سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَن أَدمَنَ قِرَاءَةَ سُورَةِ مَريَمَ، لَم يَمُت حَتَّى يُصِيبَ مَا يُغنِيهِ فِي نَفسِهِ وَوُلدِهِ وَمَالِهِ، وَكَانَ فِي الآخِرَةِ مِن أَصحَابِ عِيسَى بنِ مَريَمَ عليه السلام وَأُعطِيَ فِي الآخِرَةِ مِثلَ مُلكِ سُلَيمَانَ بن دَاوُدَ فِي الدُّنيَا)[1].

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾

وَزَكَرِيَّا مِن أَولَادِ هَارُونَ أَخِي مُوسَى بِن عِمرَان[2].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿إِذْ نادى رَبَّهُ﴾ أَي: زَكَرِيَّا: ﴿نِداءً خَفِيًّا﴾ أَي: لَا يُرِيدُ بِهِ رِيَاءً[3].

وَفِي الحَدِيثِ: (خَيرُ الدُّعَاءِ الخَفِيِّ، وَخَيرُ الرِّزقِ مَا يَكفِي)[4].

---

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٨، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ٢٨٤ح ١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٠١.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٠٣.

(٤) المصنف، ابن أبي شيبة: ٨/ ١٣٦ح ٧٦، شعب الإيمان، البيهقي: ١/ ٤٠٧ح ٥٥٤، وفيها تقديم وتأخير، والذكر بدل الدعاء.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ (٤)

الوَهنُ: الضَّعفُ، وَمِنهُ: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ [١].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ شَبَّهَ الشَّيبَ بِشَوَاظِّ النَّارِ في بَيَاضِهِ وَإِنتِشَارِهِ فِي الشَّعرِ بِإِشتِعَالِ النَّارِ، وَأَسنَدَ الإِشتِعَال إِلَى مَكَانِ الشَّعرِ وَمَنبَتُه وَهوَ الرَّأسُ، وَجَعلَ الشَّيبَ مُمَيِّزاً، وَلَم يَقُل: رَأسِي إِكتِفَاءً بِعلمِ المُخَاطَب أَنَّه رَأسَهُ [٢] وَالمَعنَى: إِنَّ الشَّيبَ عَمَّ الرَأس، وَهوَ نَذِيرُ المَوتِ [٣].

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ أَي: بِدُعَائي إِيَّاكَ فِيمَا مَضَى مُخَيَّباً وَمَحرُوماً، بَل كُلَّمَا دَعَوتُكَ استَجَبتَ لِي [٤] هَكَذَا مِن حَقِّ الكَرِيمِ أَن لَا يُخِيبَ مَن أَطعَمَهُ.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ (٦)

إَعلَم: أَنَّهُ قَالَ أَصحَابُنَا: ان لفظة الميراث في اللغة والشريعة لايطلق الا علي ما ينتقل من الموروث الى الوارث من الاموال و لاتستعمل في غير المال الا علي طريق المجاز و التوسع و لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز بغير دلالة [٥].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٠٤.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٠٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٠١.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٠٤.
(٥) كنز الدقائق، المشهدي: ٨/ ١٩٥.

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ﴿٧﴾

قِيلَ: لَم يُسَمَّ أَحَدٌ بِيحيَى [١].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (وَكَذَلِكَ الحُسَينُ عليه السلام لَم يَكُن لَهُ سَمِيٌّ) وَقَاتِلَهُمَا وَلَدُ زِنَا [٢].

وَقَالَ السَّجَّادُ عليه السلام: (خَرَجنَا مَعَ الحُسَينِ عليه السلام فَمَا نَزَلَ مَنزِلًا وَلَا ارتَحَلَ عَنهُ إِلَّا وَذَكَرَ يَحيَى بنَ زَكَرِيَّا، وَقَالَ يَوماً: مِن هَوَانِ الدُّنيَا عَلَى اللَّـهِ أَنَّ رَأسَ يَحيَى أُهدِيَ إِلَى بَغِيٍّ مِن بَغَايَا بَنِي إِسرَائِيلَ) [٣].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ﴿٨﴾

العِتِيُّ: اليَبَسُ وَالقَسَاوَةُ فِي العِظَامِ وَالمَفَاصِلِ مِن أَجلِ الكِبَرِ، وَالأَصلُ: عُتُوٌّ كَقَعُودٍ، فَاستَثقَلُوا تَوَالِي الضَّمَّتَينِ وَالوَاوَينِ فَكَسَرُوا التَّاءَ، فَانقَلَبَت الوَاوُ الأُولَى يَاءً، ثُمَّ قُلِبَت الثَّانِيَة وَأُدغِمَت، وَقُرِأَ: عُتِيًّا، بِالضَّمِّ وَالكَسرِ، وَكَذَالِكَ صِلِيًّا وَجِثِيًّا وَبُكِيًّا [٤].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيا**﴾ أَي: بَلَغتُ مِن كِبَرِ السِّنِّ حَالَ اليَبَسِ وَالجَفَافِ، وَنُحُول العَظمِ [٥].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٦.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٤٤.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ٣/ ٢٣٧.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٦.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٠٥.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ ﴿٩﴾

يُقَالُ: فُتِقَت الرَّحِمُ بِالوَلَدِ؛ أَي: أُوسِعَت.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ ﴿١١﴾

وَتُسَمَّى الصَّلَاةُ: سَبحَةً وَتَسبِيحاً لِمَا فِيهَا مِنَ التَّسبِيحِ [١].

يُقَالُ: اعتَقَلَ لِسَانُهُ؛ إِذَا حَبَسَهُ مِن غَيرِ خَرَسٍ وَبُكمٍ [٢].

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ ﴿١٢﴾

رُوِي عَن أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: (إِنَّ الصِّبيَانَ قَالُوا لِيحيَى بِن زَكرِيَّا: إِذهَب بِنَا نَلعَبُ؟ فَقَالَ: مَا لِلَّعِبِ خُلِقتُ، فَأَنزَلَ اللهُ: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [٣].

وَالحُكمُ: النُّبُوَّةُ وَالحِكمَةُ، وَهوَ ابنُ ثَلَاثِ سِنِينٍ، وَقِيلَ: الحُكمُ هُنَا الفَهمُ [٤].

﴿وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً﴾ ﴿١٣﴾

الحَنَانُ: العَطفُ وَالرَّحمَةُ، وَالرِّقَّةُ وَالشَّفَقَةُ، وَمِنهُ: حَنِينُ النَّاقَةِ؛ وَهوَ: صَوتُهَا إِذَا اشتَاقَت إِلى وَلَدِهَا [٥].

وَمِنهُ: ﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا﴾ أَي: رَحمَةً مِنَّا عَلَيهِ [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٠٦.

(٢) معاني القرآن، النحاس: ٤/ ٣١٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٠٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩/ ١٦٢.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٠٨.

(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ١٦٦.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ﴿١٤﴾

قِيلَ: الجَبَّارُ؛ الَّذِي يَقتُلُ وَيَضرِبُ علَى الغَضَبِ [(١)].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿١٦﴾

النَّبذُ: أَصلُهُ الطَّرحُ، وَانتبَذَ فُلَانٌ نَاحِيَةً؛ أَي: تَنَحَّى نَاحِيَةً [(٢)].

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ﴿٢٠﴾

وَإِنَّمَا يُقَالُ لِلفَاجِرَةِ: بَغِيٌّ، بِمَعنَى: أَنَّهَا تَبغِي الزِّنَا؛ أَي: تَطلِبُ الزِّنَاءَ [(٣)] وَهي فَعُولٌ عِندَ المُبرّد، مِنَ البَغي، قُلِبَت وَاوُهُ يَاءً، وَأُدغِمَت، ثُمَّ كُسِرَت السِّين إتبَاعاً، وَلِذَالِكَ لَمْ تَلحَقْه التَّاءُ؛ لأَنَّهُ لِلمُبَالَغَةِ، وَقِيلَ: هُوَ فَعِيلٌ، وَلَو كَانَ فَعُولاً لَكَانَ يُقَالُ: بغوٌّ، كَمَا قِيلَ: فُلَانٌ نَهوٌّ عَن المُنكَرِ [(٤)].

وَقولُه تعَالَى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أَي: زَانِيَةً [(٥)].

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿٢٢﴾

القَصِيُّ: البَعِيدُ [(٦)].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٢٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤١٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤١١.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٤٧.
(٥) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ١٩٤.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١١٦.

﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً﴾ ﴿٢٣﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ الأَلِفُ وَاللَّامُ دَخَلَت لِلعَهدِ لَا لِلجِنسِ؛ أَي: النَّخلَةُ المَعرُوفَةُ، وَالجِذعُ: مَا بَينَ العِرقِ[١].

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ ﴿٢٥﴾

الهَزُّ: تَحرِيكٌ بِجَذبٍ وَدَفعٍ[٢] قَالَ الفَرَّاءُ: يَقُولُ العَرَبُ: هَزَّهُ وَهَزَّ بِهِ [٣] وَيُقَالُ لِلمَرأَةِ: هُزِّي الثَّمرَةَ بِهَزِّهِ[٤].

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ ﴿٢٦﴾

إِعلَم: إِنَّ دَمعَةَ السُّرُورِ بَارِدَةٌ، وَدَمعَةُ الحُزنِ حَارَّةٌ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: قُرَّةٌ لِلعَينِ لِلمَحبُوبِ، وَسُخنَتُهَا لِلمَكرُوهِ[٥].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾ أَي: طِيبِي نَفسَكِ، وَارفُضِي عَنهَا مَا أَحزَنَكِ[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤١٧.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢.
(٣) معاني القرآن، الفراء: ٢/ ١٦٥.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ١٧٣.
(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٢٧)

الإِفرَاءُ: الكَذِبُ، وَمِنهُ: الفَرِيُّ؛ أَي: القَبِيحُ، وَقَولُه تعَالَى: ﴿**لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا**﴾ أَي: أَمراً عَظِيماً بَدِيعاً [١].

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (٢٨)

إِعلَم: إِنَّهُ مَن كَانَ مِن وُلدِ قَومٍ، يُقَالُ: يَا وُلدَ فُلَان، وَمِنهُ قَولُهُم: يَا أَخَا تَمِيمٍ، أَي: يَا وَاحِدَاً مِنهُم، قِيلَ: وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**يا أُخْتَ هارُونَ**﴾ لأَنَّهَا أُختُ مُوسَى، وَكَانَت مِن وَلَدِهِ البَرَكَةُ وَنَمَاءُ الخَيرِ وَالمُبَارَكُ يَنمى الخَيرُ بِهِ [٢].

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤)

قَولُه تعَالَى: ﴿**ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ أَي: ذَالِكَ الَّذِي قَالَ: إِنِّي عَبدُ اللَّهِ عِيسى ابنُ مَريَمَ، رَدَّاً عَلَى النَّصَارَى مِن قَولِهِم: إِنَّهُ ابنُ اللَّهِ، وَإِنَّهُ الله [٣].

﴿**قَوْلَ الْحَقِّ**﴾ قُرأ بِالنَّصبِ وَالرَّفعِ، فَالرَّفعُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبتَدَاءٍ مَحذُوفٍ؛ أَي: هَذَا قَولُ الحَقِّ، أَو: عَلَى أَنَّه خَبَرٌ بَعدَ خَبَرٍ، أَو: بَدَلٌ، وَالنَّصبُ عَلَى المَدحِ إِن فُسِّرَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَعلَى أَنَّهُ مَصدَرٌ مُؤكِدٌ لِمَضمُونِ الجُملَةِ الثَّبَاتُ وَالصِّدقُ، كَقَولِكَ: هُوَ عَبدُ اللَّهِ الحَقَّ لَا البَاطِلِ، وَمَعنَاه: أَقُولُ قَولَ الحَقِّ.

وَإِنَّمَا قِيلَ لِعِيسَى عليه السلام: كَلِمَةُ اللَّهِ، وَقَولُ الحَقِّ؛ لأَنَّهُ لَم يُولَد إِلَّا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَحدُهَا، وَهِي قَولُه: كُن، مِن غَيرِ وَاسِطَةِ أَبٍ، مِن تَسمِيَةِ المُسَبِّبِ بِاسمِ السَّبَبِ، كَمَا سُمِّيَ الغَيثُ بِالسَّمَاءِ؛ أَي: أَمرُهُ حَقٌّ وَيَقِينٌ [٤].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٢٢، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤١٩.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٢٢، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤١٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٢١.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٥٢.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**﴾ قُرِأ أَنَّ اللهَ، بِفَتحِ الهَمزَةِ وَكَسرِهَا، فَالفَتحُ علَى مَعنَى: وَلِأَنَّه رَبِّي وَرَبُّكُم فَاعبُدُوهُ، أَو: بِأَنَّهُ؛ أَي: لِسَبَبِ ذَالِكَ فَاعبُدُوهُ، وَالكَسرُ علَى أَنَّ الكَلَامَ مُستَأَنَفٌ، أَو علَى العَطفِ علَى قَولِه تعَالَى: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**﴾ أَي: قَالَ: ﴿**إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**﴾ [1].

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

الحِزبُ: الجَمعُ المُنقَطِعُ في رَأيِهِ عَن غَيرِهِ، وَالجَمعُ: الأَحزَابُ، وَتَحَزَّبَ القَومُ؛ أَي: صَارُوا أَحزَاباً [2].

الوَيلُ: كَلِمَةُ وَعِيدٍ [3].

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾

يُقَالُ: يَا أَبَتِ، إِستِعظَامَاً لَهُ، وَالتَّاءُ في يَا أَبَت عِوَضٌ مِن يَاءِ الإِضَافَةِ؛ وَلِذَالِكَ لَا يُقَالُ: يَا أَبَتِي، وَيُقَالُ: يَا أَبَتَا اللهُ حَقٌّ [4].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٥٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٢٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٢٣.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٩٤.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ﴿٤٦﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**قالَ أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ**﴾ أَي: قَالَ آزَر: أَمُعرِضٌ أَنتَ عَن عِبَادَةِ آلِهَتِي [١] وَقَدَّمَ الخَبَرَ على المُبتَدأ، وَصَدَّرَ بالهَمزَةِ لإنكَارِ نَفسِ الرَّغبَةِ علَى ضَربٍ مِنَ التَّعَجُّبِ، كَأَنَّها مِمَّا لَا يَرغَبُ عَنها عَاقِلٌ [٢].

الرَّجمُ في الأَصلِ: الرَّميُ بِالرُّجَامِ؛ وَهي: الحِجَارَةُ [٣].

المَلِيُّ: الدَّهرُ وَالزَّمَانُ الطَّويلُ، مِنَ المُلَاوَمةِ [٤].

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ﴿٤٧﴾

الحَفِيُّ: البَلِيغُ مِنَ البِرِّ وَالإلطَاف [٥] يُقَالُ: تَحَفَّيتُ بِهِ؛ أَي: بَالَغتُ في إِكرَامِهِ [٦].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا**﴾ أَي: بَارّاً لَطِيفاً رَحِيماً [٧].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٥٥.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٣٤٥.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٥٥.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥١٢.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٢٥.

(٧) بحار الأنوار، المجلسي: ١٢/ ٢١.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٥٦)

يُقَالُ: إِنَّ إِدرِيسَ عليه السلام كَانَ هُوَ جَدُّ أَب نُوحٍ عليه السلام وَاسمُهُ فِي التَّورَاةِ: أَخنُوخ، وَهوَ أَوَّلُ مَن خَطَّ بِالقَلَمِ، وَكَانَ خَيَّاطَاً، وَأَوَّلُ مَن خَاطَ الثِّيَاب، وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ عَلَّمَهُ النُّجُومَ وَالحِسَابَ، وَعِلمُ الهَيئَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ مُعجِزَةٌ لَهُ [١].

وَقِيلَ: إِنَّهُ سُمِّي إِدرِيس؛ لِكَثرَةِ دِرَاسَةِ كِتَابِ اللَّـهِ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لأَنَّ الإِسمَ أَعجَمِيٌّ؛ وَلِذَالِك امتَنَعَ مِنَ الصَّرفِ، وَلَو كَانَ إِفعِيلاً مِنَ الدَّرسِ لَم يَكُن فِيهِ إِلَّا سَبَبٌ وَاحِدٌ وَهوَ العَلَمِيَّةُ، فَكَانَ يَجِبُ أَن يَنصَرِفَ [٢].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا﴾ (٥٨)

البُكِيُّ: جَمعُ بَاكٍ، كَالسُّجُودِ وَالقُعُودِ، جَمعُ: سَاجِدٍ وَقَاعِدٍ [٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٣٠.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٥٨.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥١٤.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾

يُقَالُ: خَلَّفَهُ، إِذَا عَقَّبَهُ، ثُمَّ يُقَالُ: فِي عَقِبِ الخَيرِ خَلَفٌ، بِفَتحِ اللَّامِ، وَفِي عَقِبِ السُّوءِ خَلْفٌ بِسُكُونِهَا[١].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أَي: فَعَقَّبَهُم عَقِبُ سُوءٍ؛ وَهُم: اليَهُودُ وَمَن تَبِعَهُم؛ لأَنَّهُم مِن وُلدِ إِسرَائِلَ، وَقِيلَ: هُم مِن هَذِهِ الأُمَّة، عِندَ قِيَامِ السَّاعَةِ[٢].

﴿أَضاعُوا الصَّلاةَ﴾ أَي: تَركُوهَا[٣].

إِعلَم: أَنَّ كُلَّ شَرٍّ عِندَ العَرَبِ غَيٌّ، وَكُلَّ خَيرٍ رَشَادٌ[٤] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أَي: شَرّاً وَخَيبَةً، وَقِيلَ: يُرِيدُ جَزَاءَ غَيٍّ، وَقِيلَ: الغَيُّ: وَادٍ فِي جَهنَّمَ[٥].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٣١.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ١١/ ١٨، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) تفسير الرازي: ٢١/ ٢٣٥.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥١٥.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (٦٢)

اللَّغوُ: القَولُ الَّذِي لَا مَعنَى لَهُ، وَقِيلَ: اللَّغوُ: الهَزَلُ، وَمَا لَا يَنبَغِي مِنَ الكَلَامِ، مِثل الفُحشِ وَالأَبَاطِيل [١].

وَفي التَّنزِيلِ: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْواً**﴾ أي: لَا يَسمَعُونَ في الجَنَّاتِ القَولَ الَّذِي لَا مَعنَى لَهُ، وَهوَ تَنبِيهٌ علَى وُجُوبِ تَجَنُّبِ اللَّغوِ، حَيثُ نَزَّهَ اللهُ سُبحَانَهُ عَنهُ الدَّارَ الَّتِي لَا تَكلِيفَ فِيهَا [٢].

﴿**إلاَّ سَلاماً**﴾ أي: إِلَّا تَسلِيمَ بَعضَهُم لِبَعضٍ، أَو: لِتَسلِيمِ المَلَائكَة عَلَيهُم [٣].

قَالَ الزَّجَّاجُ: السَّلَامُ؛ إِسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيرٍ؛ لأَنَّهُ بِه يَتَضَمَّنُ السَّلَامَةَ، أَي: يَسمَعُونَ مَا يُسلِّمَهُم.

قِيلَ: كَانَت العَرَب تَكرَهُ الوَجبَةَ؛ وَهي: الأَكلَةُ الوَاحِدَةُ في اليَومِ، فَأَخبَرَ اللهُ سُبحَانَهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ لَهُم في الجَنَّةِ رِزقَهُم بُكرَةً وَعَشِيّاً.

قَالَ المُفَسِّرُونَ: لَيسَ في الجَنَّةِ شَمسٌ وَلَا قَمَرٌ، فَتَكُونُ لَهُم بُكرَةً وَعَشِيّاً، لَكِن علَى التَّقدِير [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٣٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٦٠.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٦٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٣٤.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً﴾ {٦٣}

الوِرَاثَةُ: أَقوَى لَفظٍ يُستَعمَلُ في مَعنَى التَّمليك وَالإِستِحقَاقُ؛ مِن حَيثُ أَنَّها لَا تُعقَّبُ بِفَسخٍ وَلَا إِستِرجَاعٍ، وَلَا تَبطُلُ بِرَدٍ وَلَا إِسقَاطٍ [١].

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً﴾ {٦٦}

يُقَالُ: بَنُو فُلَانٍ قَتَلُوا فُلَاناً، وَالقَاتِلُ وَاحِدٌ مِنهُم [٢].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ {٦٨}

الجِثِيُّ: جَمعُ جَاثِي؛ وَهوَ: الَّذِي بَرَكَ عَلَى رُكبَتَيهِ [٣].

وَقِيلَ: قولُه تعَالَى: **﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾** مَعنَاهُ: قِيَاماً عَلَى الرُّكَبِ؛ وَذَالِكَ لِضِيقِ المَكَانِ بِهِم لَا يُمكِنَهُم أَن يَجلُسُوا [٤].

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ {٦٩}

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شيعَةٍ﴾ أَي: لَنَستَخرِجَنَّ مِن كُلِّ طَائفَةٍ: **﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾** [٥].

وَالمَعنَى: نُخرِجُ مِن كُلِّ طَائفَةٍ مِن طَوَائفِ الغَيِّ وَالضَّلَالِ أَعتَاهُم وَأَعصَاهُم، فَإِذَا اجتَمَعُوا طَرَحنَاهُم في النَّارِ عَلَى التَرتِيبِ؛ نُقَدِّمُ أَولَاهُم بِالعَذَابِ فَأَولَاهُم،

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٤.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥١٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٤١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٦٨.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٣٨.

وَيَجُوزُ أَن يُرَادَ بِأَشَدِّ عِتِيًّاً: رُؤسَاءَ الشِّيَعِ وَالجَمَاعَات، فَإِنَّ عَذَابَهُم مُضَاعَفٌ لِضَلَالِهُ وَإِضلَالِهِم[1].

وَالعِتِيُّ هَهُنا: مَصدَرٌ كَالعُتُوِّ؛ وَهوَ: التَمَرُّدُ في العِصيَانِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ نَبدَأ بِالأَكبَرِ جُرُمَا فَالأَكبَر[2].

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ (٧٠)

الصِّليُّ: بِتَشدِيدِ اليَاءِ، مَصدَرٌ، وَهوَ: الإِحرَاقُ بِالنَّارِ[3] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا**﴾ أَي: لَنَحنُ أَعلَمُ بِالَّذِينَ هُم أَولَى بِالصَّلي، أَو: صَليُهُم أَولَى بِالنَّارِ، وَهُم: المُنتَزَعُونَ[4].

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١)

يُقَالُ: وَرَدتُّ بَلَدَ كَذَا، أَو مَاءَ كَذَا، بِمَعنَى: أَشرَفتُ عَلَيهِ، دَخَلتَهُ أَو لَم تَدخُل[5].

قِيلَ: وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها**﴾ وَالمَعنَى: مَا مِنكُم أَحَدٌ إِلَّا وَارِدُهَا[6].

وَقِيلَ: وُرُودُهَا هُوَ الصَّوَابُ، وَالحجَّةُ القَاطِعَةُ في ذَلِكَ قَولُه سُبحَانَهُ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ**

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٦٣.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٤٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١٠/ ٣٣٦.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٨.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٤١.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٣٨٦.

سَبقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْـحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسيسَها﴾ [١] فَهَذَا يَدُلُّ علَى أَنَّ أَهلَ الحُسنَى لَا يَدخُلُونَ النَّار [٢].

وَقِيلَ: إِنَّ وُرُودُهَا دُخُولُهَا، بِدِلَالَةِ قَولِه تعَالَى: **﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ﴾** [٣] أَي: نَترُكُ الظَالِمينَ فِيهَا جِثِيَّاً؛ لأَنَّ مَعنَى نَذَرُ: نَترُكُ الشَّيء الَّذِي قَد حَصَلَ فِي مَكَانِه، فعَلَى هذَا قَالَ بَعضَهُم: إِنَّ الخِطَابَ لِلمُشرِكِينَ خَاصَّةً، وَيَعضِدَهُ قِرَاءةُ ابن عبَّاس: وَأَن مِنهُم.

وَقَالَ الأَكثَرُونَ: إِنَّهُ خِطَابٌ لِكُلٍّ مِنَ الُمكَلَّفِينَ، فَلَا يَبقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا وَيَدخُلَهَا، تَكُونُ بَرداً علَى الُمؤمِنينَ، وَعَذَاباً لَازِماً لِلكَافِرِين [٤].

وَعَن ابن مَسعُودٍ، عَن رَسُول اللَّـهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُم يَصدُرُونَ بِأَعمَالِهِم، فَأَوَّلُهُم كَلَمعِ البَرقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُالِ، ثُمَّ كَمَشيِهِ) [٥].

وَرَوَى أَبو صَالِح غَالِب بِن سُلَيمَان [٦] عن كَثِير بِن زِيَاد [٧] عَن أَبِي سَمِينَة [٨] قال:

---

(١) الأنبياء: ١٠٢.

(٢) تفسير الرازي: ٢٢/ ٢٢٧.

(٣) مريم: ٧٢.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٤٩.

(٥) المستدرك على الصحيحين، الحاكم: ٢/ ٣٧٥، نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٣٥٣ح ١٣١.

(٦) أبو صالح العتكي، أصله من البصرة، ينظر: التاريخ الكبير، البخاري: ٧/ ١٠١، تقريب التهذيب، ابن حجر: ٢/ ٣.

(٧) أبو سهل البرساني، من أهل البصرة، أزدي، نزل بلخ وسمرقند وحدث أهلها، ينظر: الثقات، ابن حبان: ٧/ ٣٥٣، تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٨/ ٣٧٠.

(٨) كنية اشترك فيها كثير من الرواة، وفي بعض المصادر أبي سمية.

اختَلَفنَا فِي الوُرُودِ، فَقَالَ قَومٌ: لَا يَدخُلُهَا مُؤمِنٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: يَدخُلُونَهَا جَمِيعاً ثُمَّ يُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوا، فَلَقِيتُ جَابِرَ بنَ عَبْدِ اللَّـهِ، فَسَأَلتُهُ؟ فَأَومَأَ بِإِصبَعِهِ إِلَى أُذُنَيهِ، فَقَالَ، صُمَّتَا إِن لَمَ أَكُن سَمِعتُ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ:

(الوُرُودُ: الدُّخُولُ، لَا يَبقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا يَدخُلُهَا، تَكُونُ عَلَى الْـمُؤمِنِينَ بَرداً وَسَلَاماً، كَمَا كَانَت عَلَى إِبرَاهِيمَ، حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ - أَو قَالَ: لِجَهَنَّمَ - ضَجِيجاً مِن بَردِهَا، ثُمَّ يُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوا) [٩].

قِيلَ: إِنَّ الفَائِدَةَ فِي ذَلِكَ، مَا رُوِيَ فِي بَعضِ الأَخبَارِ: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُدخِلُ أَحَداً الجَنَّةَ حَتَّى يُطلِعَهُ علَى النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ العَذَابِ؛ لِيَعلَمَ تَمَامَ فَضلِ اللَّـهِ عَلَيهِ، وَكَمَال لُطفِهِ وَإِحسَانِهِ إِلَيهِ، فَيَزدَادَ لِذَلِكَ فَرَحاً وَسُرُوراً بِالجَنَّةِ وَنَعِيمُهَا، وَلَا يُدخِلُ أَحداً النَّارَ حَتَّى يُطلِعَهُ علَى الجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِن أَنوَاعِ النَّعِيمِ وَالثَّوَابِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ زِيَادَةَ عُقُوبَةً لَهُ، وَحَسرَةً علَى مَا فَاتَهُ مِنَ الجَنَّةِ وَنَعِيمُهَا) [١٠].

وَقَالَ مُجَاهِد: الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤمِنٍ مِنَ النَّارِ، فَعَلَى هَذَا مَن حُمَّ مِنَ المُؤمِنِينَ فَقَد وَرَدَهَا، وَفِي الخَبَرِ: (إِنَّ الحُمَّى مِن فَيحِ جَهَنَّم) [١١].

وَرُوِي: أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله عَادَ مَرِيضاً، فَقَالَ لَهُ: (أَبشِر، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: الحُمَّى هِي نَارِي، أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبدِيَ الْـمُؤمِنِ فِي الدُّنيَا، لِيَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ،كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتماً مَقضِيًّا) [١٢].

لَا سِيَّمَا الظَّالِمُ وَالعَاصِي، فَيُحرَقُونَ فِيهَا بِحَسَبِ عِصيَانِهِم الَّتِي عَمِلُوا فِي الدُّنيَا.

---

(٩) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٤٣، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٧/ ٥٥.
(١٠) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٤٣.
(١١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٤٣.
(١٢) نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٣٥٤.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ (٧٣)

وَقولُه تعالَى: ﴿**خَيْرٌ مَقاماً**﴾ أَي: خَيرٌ مَرجِعاً وعَاقِبَةً، وخَيرٌ مَنفَعَةً[(١)].

النَّدى: المَجلِسُ حَيثُ يَندَى القَومُ، وقولُهُ تعالَى: ﴿**أَحْسَنُ نَدِيًّا**﴾ أَي: مَجلِساً وَمُجتَمَعاً[(٢)].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾ (٧٤)

الرِّئيُّ: مِنَ المَنظَرِ، فِعلٌ مِنَ الرُّؤيَةِ لِمَا يُرى[(٣)] يُقَالُ: هَذَا الشَّيء أَرَدُّ عَلَيك؛ أَي: أَنفَعُ وَأَعوَدُ عَلَيكَ؛ لأَنَّ العَمَلَ الصَّالِحُ ذَاهِبٌ عَنهُ بِفَقدِهِ لَهُ، فَيَرُدُّهُ اللهُ سُبحَانَهُ عَلَيهِ بِرَدِّ ثَوَابِهِ عَلَيهِ، حَتَّى يَجِدُهُ في نَفسِهِ[(٤)].

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢)

الضِّدُّ: العَونُ؛ لأَنَّهُ يُضَادُّهُ بِإِعَانَتِهِ[(٥)].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (٨٣)

الأَزُّ: الإِزعَاجُ[(٦)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٦٦.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٠.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٤٧.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٦٨.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٤٩.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ (٨٦)

الوِردُ: العُطَاشُ، وَسُمِّي العُطَاش ورداً؛ لَأَنهم يَرِدُونَ لِطَلَبِ المَاءِ[١].

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ (٨٧)

وَفي تَفسِيرِ عَليّ بن إِبرَاهِيم بن هَاشِم[٢] بِإِسنَادِهِ عَن الصَّادِق عليه السلام عَن آبَائِه عليهم السلام أَنَّه قَالَ: (قَالَ رَسُو لُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله:

مَن لَمْ يُحسِنُ الوَصِيَّةَ عِندَ المَوتِ، كَانَ ذَلِكَ نَقصاً فِي مُرُوءَتِهِ.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، وَكَيفَ هِيَ الوَصِيَّةُ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله:

إِذَا حَضَرَتهُ الوَفَاةُ، وَاجتَمَعَ النَّاسُ إِلَيهِ، قَالَ: اللَّـهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، عَالِمُ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ، إِنِّي أَعهَدُ إِلَيكَ فِي دَارِ الدُّنيَا، أَنِّي أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، وَحدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبدُكَ وَرَسُولُكَ.

وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ الحِسَابَ حَقٌّ، وَالمِيزَانَ حَقٌّ، وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا وَصَفتَ، وَالإِسلَامَ كَمَا شَرَّعتَ، وَالقَولَ كَمَا حَدَّثتَ، وَالقُرآنَ كَمَا أَنْزَلتَ، وَأَنَّكَ أَنتَ اللهُ الحَقُّ الْـمُبِينُ، جَزَى اللهُ عَنَّا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله خَيرَ الجَزَاءَ، وَحَيَّا اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالسَّلَامِ.

اللَّـهُمَّ، يَاعُدَّتِي عِندَ كُربَتِي، وَيَا صَاحِبِي عِندَ شِدَّتِي، وَيَا وَلِيَّ نِعمَتِي، إِلهِي وَإِلَهَ آبَائِي، لَا تَكِلنِي إِلَى نَفسِي طُرفَةَ عَينٍ أَبداً، فَإِنَّكَ إِن تَكِلنِي إِلَى نَفسِي طُرفَةَ عَينٍ أَقرُبُ إِلَى الشَّرِّ، وَأَبعُدُ مِنَ الخَيرِ، فَآنِس فِي القَبرِ وَحشَتِي، وَاجعَل لِي عَهداً يَومَ أَلقَاكَ مَنشُوراً، ثُمَّ يُوصِي بِحَاجَتِهِ.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٥٢.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ٥٤، عنه البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٣/ ٧٣٥ح ٦٩٣٨.

وَتَصدِيقُ هذِهِ الوَصِيَّةِ فِي القُرآنِ فِي سُورَةِ مَريَمَ، فِي قَولِهِ تعَالَى: ﴿**لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ**﴾).

أَي: لَا يَقدِرُونَ علَى الشَّفَاعَةِ، وَلَا يُشَفَّعُونَ، وَلَا يُشفَعُ لَهُم حِينَ يُشَفَّعُ أَهلُ الإِيمَانِ؛ أَي: إِنَّ هَؤلَاءِ الكُفَّارُ المَسُوقِينَ إِلَى جهَنَّم وِرداً لَا تُقبَلُ شَفَاعَةُ غَيرَهُم فِيهِم، وَلَا شَفَاعَةَ لَهُم لِغَيرَهُم [1].

ثُمَّ قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿**إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً**﴾ وَالعَهدُ؛ هُوَ: الإِيمَانُ، وَالإِقرَارُ بِوحدَانِيَّةِ اللَّهِ تعَالَى، وَتَصدِيقُ أَنبِيَائِهِ، فَهَذَا عَهدُ المَيِّتِ.

وَالوَصِيَّةُ حَقٌّ علَى كُلِّ مُسلِمٍ، وَحَقٌّ عَلَيهِ أَن يَحفَظَ هَذِهِ الوَصِيَّةَ، وَيُعَلِمُهَا، قَالَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عليه السلام: (عَلَّمنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَقَالَ: عَلَّمنِيهَا جبرَئِيلُ) انتهي [2].

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا﴾ (٨٩)

الادّ: بالفتح و الكسر العظيم المنكر و منه قوله تعالي ﴿**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا**﴾ [3].

﴿تَكَادُ السَّماوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا﴾ (٩٠)

الهَدُّ: الهَدمُ بِشِدَّةِ صَوتٍ [4].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا**﴾ أَي: كَادَت الجِبَالُ تَسقُطُ كَسرَاً شَدِيدَاً [5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٥٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٥٢.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٢٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٥١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٥٣.

﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً﴾ ﴿٩١﴾

﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً﴾ أَي: بِسَبَبِ دَعوَتِهِم، أَو تَسمِيَتِهِم لَهُ وَلَدَاً [١].

﴿وَكُلُّهُمْ آتيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً﴾ ﴿٩٥﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً﴾ أَي: مُنفَرِداً وَحِيداً [٢].

﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا﴾ قِيلَ: إِنَّهَا خَاصَّةٌ في أَمِيرِ الْمُؤمِنينَ عليه السلام فَمَا مِن مُؤمِنٍ إِلَّا وَفِي قَلبِهِ مَحَبَّةٌ لِعَلِيِّ ابن أَبِي طَالِب عليه السلام [٣].

وَرُوِي عَن البَاقِرِ عليه السلام: (إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ لِعَلِيٍّ عليه السلام: قُل اللَّهُمُ إجعَل لِي عِندَكَ عَهدَاً، وَاجعَل لي في قُلُوبِ الْمُؤمِنِينَ وُدَّاً) فَقَالَهُمَا، فَنَزَلَت الآيَةُ [٤].

وَقِيلَ: إِنَّهَا عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْمُؤمِنينَ، يَجعَلُ اللهُ لَهُم المَحَبَّةَ وَالأُلفَةَ في قُلُوبِ الصَّالِحِينَ [٥].

قَالَ هَرِم بِن حَيَان [٦]: مَا أَقبَلَ عَبدٌ بِقَلبِهِ إِلى اللَّهِ، إِلَّا أَقبَلَ اللهُ بِقُلُوبِ الْمُؤمِنينَ إِلَيهِ، حَتَّى يَرزُقَهُم مَوَدَّتَهُم وَرَحمَتَهُم [٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٥٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٥٤.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٣٥/ ٣٥٨.

(٤) المناقب، ابن شهرآشوب: ٢/ ٢٨٩، الكشف والبيان، الثعلبي: ٦/ ٢٣٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٥٥.

(٦) من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وهو من الزهاد الثمانية، ينظر: نقد الرجال، التفريشي: ٥/ ٤٦، طرائف المقال، البروجردي: ٢/ ١١٣.

(٧) جامع البيان، الطبري: ١٦/ ١٦٦.

يُؤيِّدُ القولَ الأوَّل، مَا صَحَّ عَن أَمِيرِ المُؤمنينَ عليه السلام أنَّهُ قَالَ: (لَو ضَرَبتُ خَيشُومَ المُؤمِنِ بِسَيفِي هَذَا عَلَى أَن يَبغَضُنِي مَا أَبغَضَنِي، وَلَو صَبَبتُ الدُّنيا بِجُملَتِهَا عَلَى المُنَافِقِ عَلَى أَن يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَذَلِكَ قَضَاءُ مَا انقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: لَا يَبغَضُكَ مُؤمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ)[١].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ ﴿٩٧﴾

اللُّدُّ: جَمعُ الأَلَدِّ؛ وَهوَ: الشَّدِيدُ الخُصُومَةِ فِي البَاطِلِ، الآخِذُ فِي كُلِّ لَدِيدٍ، أَي: جَانِب الجِدَال، وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا**﴾ أَي: شِدَاداً فِي الخُصُومَةِ، يُرِيدُ أَهلَ مَكَّةَ[٢].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ﴿٩٨﴾

يُقَالُ: أَحَسَّهُ؛ إِذَا شَعَرَ بِهِ، وَمِنهُ الحَاسَّةُ[٣].

الرِّكزُ: الصَّوتُ الخَفِيُّ[٤].

---

(١) نهج البلاغة: ٤/ ١٣خ ٤٥، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢٩٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٧١.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٢٧.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٣٦٤.



الفصل العشرون

سورة طه

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۞﴾

قِيلَ: إِنَّ مَعنَى قَولُه تعَالَى: ﴿طه * ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾ طَه بِمَعنَى: يَا رَجُل بِلِسَانِ الحَبَشِيَّةِ، أَو النَّبَطِيِّة، أَو بِلُغَةِ عَك؛ قَبيلَةٌ مِن اليَمَنِ[1].

قَالَ الحَسَنُ: هُوَ جَوابٌ لِلمُشرِكِينَ حِينَ قَالُوا: أَنَّهُ شَقِيٌّ، فَقَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: يَا رَجُل: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ وَلَكِن لِتَستَعِدَّ بِهِ، وَتَنَالَ الكَرَامَةَ بِهِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة[2].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ مَا أَنزَلنَا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَتعَبَ بِكَثرَةِ الرِّيَاضَةِ، وَكَثرَة القِيَام عَلَى السَّاقِ[3].

وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي اللَّيلَ كُلَّهُ، وَيُعَلِّقُ صَدرَهُ بِحَبلٍ؛ حَتَّى لَا يَغلِبَهُ النَّوم، فَأَمَرَهُ اللهُ سُبحَانَهُ أَن يُخَفِّفَ عَن نَفسِه، وَذَكَرَ أَنَّه مَا أَنزَلَ عَلَيهِ الوَحيَ لِيَتعَبَ هَذا التَّعَب[4].

وَالشَّقَاءُ شَائعُ، بِمَعنَى: التَّعَب[5].

---

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٦/ ٢٣٦.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٥٨.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧.
(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (شقو) ٣/ ٢٠٢.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾﴾

التَّذكِرَةُ: مَصدَرٌ كَالتَّذكِيرِ [١].

﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾﴾

العُلَى: جَمعُ العَليَا، تَأنِيثُ الأَعلَى [٢].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾﴾

الثَّرَى: التُّرَابُ النَّدِي [٣].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾

رُوِي عَن النَّبِيِّ ﷺ: (أَنَّ للَّهِ سُبحَانَهُ تِسعَةً وَتِسعِينَ إِسماً، مَن أَحصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة) [٤] وَلِهذَا قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ أَي: لَا مَعبُودَ يَستَحِقُّ العِبَادَةَ غَيرُه: ﴿**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٥٨٣.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (ثرا) ٦/ ٢٢٩١.

(٤) صحيح مسلم: ٨/ ٦٣، التوحيد، الصدوق: ١٩٤.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤١٢.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾﴾

قَولُهُ: ﴿**وَهَلْ أَتاكَ حَديثُ مُوسى**﴾ يَعنِي: هَل سَمِعتَ بِخَبَرِ مُوسَى [١].

﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾

وَقِيلَ: إنَّه إستِفهَامٌ تَقرِيري، بِمَعنَى الخَبَر، يَعنِي: قَد: ﴿**أَتاكَ حَديثُ مُوسى إِذْ رَأى ناراً**﴾ أَي: مِن بَعِيد [٢].

كَانَت عِندَ اللَّهِ نُوراً، وَعِندَ مُوسَى عليه السلام نَاراً، بِأَنَّهُ لَـمَّا استَأذَنَ شُعَيباً عليه السلام في الخُرُوج إلى أُمِّهِ، وَفارَقَ مَدينَ، وَخَرَجَ بِأَهلِهِ، وَوُلِدَ لَهُ في الطَّرِيقِ إبنٌ في لَيلَةٍ مُظلِمَةٍ، وَقَد ضَلَّ الطَّرِيقَ، وَتَفَرَّقَت مَاشِيَتُه، فَرَآى نَاراً مِن بَعِيد بِهذَا الوَصفِ.

﴿**فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا**﴾ أَي: عِندَ ذَلِكَ قَالَ: إلزَمُوا مَكَانَكُم، وَكَانَت لَيلَةِ الجُمُعَةِ في الشِّتَاءِ، وَالفَرقُ بَينَ المَكثِ وَالإِقَامَةِ: أَنَّ الإقَامَةَ تَدُومُ، وَالمَكثُ لَا يَدُومُ.

﴿**إِنِّي آنَسْتُ ناراً**﴾ أَي: أَبصَرتُ، وَالإِينَاسُ: الإِبصَارُ البَيِّنُ الَّذِي لَا شُبهَةَ فِيهِ، وَقِيلَ: هُوَ إِبصَارُ مَا يُؤنَسُ بِه [٣].

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾﴾

النِّدَاءُ: الدُّعَاءُ عَلَى طَرِيقَةِ: يَا فُلَان [٤].

---

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٧٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/ ٢٥٦.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤٢، بتقديم وتأخير لبعض فقراته.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٦٣.

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ﴿١٢﴾

الْمُقَدَّسُ: الْمُبَارَكُ أَو الْمُطَهَّرُ، وَسُمِّي الوَادِي الأَيمَن طُوَى؛ لأَنَّهُ طُوِي بِالبَرَكَةِ مَرَّتَينِ [١].

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ ﴿١٥﴾

وَمِنهُ: قَولُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ أَي: جَائِيَةٌ قَائِمَةٌ لَا مَحَالَةَ.

﴿أَكَادُ أُخْفِيها﴾ أَي: أُرِيدُ أَن أُخفِيهَا عَن عِبَادِي، لَئلَّا تَأَتِيهِم إِلَّا بَغتَةً، وَفَائدَةُ الإِخفَاءِ التَّهويلُ وَالتَّخويفُ، فَإِنَّ النَّاسَ مَتَى لَم يَعلَمُوا مَجِيئهَا كَانُوا علَى حَذَرٍ مِنهَا كُلَّ وَقتٍ.

وَالتَّقدِيرُ: إِذَا كِدتُ أُخفِيهَا مِن نَفسِي، فَكَيفَ أُظهِرُهَا للغَيرِ، وَهَذَا علَى عَادَةِ العَرَبِ - كَمَا مَرَّ - في كِتمَانِ الشَّيء إِذَا أَرَادُوا أَن يُبَالِغُوا فِيهِ [٢].

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ ﴿١٦﴾

التَّرَدِّي: الهَلَاكُ، وَبِمعنَاهُ تَردَّى مِن رَدَى [٣].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٦٦.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (١٧)

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿**وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى**﴾ قولُهُ: ﴿**بِيَمِينِكَ**﴾ في مَوضِعِ الحَالِ، وَالعَامِلُ فِيهِ مَعنَى الإِشَارَة، وَإِنَّما سَأَلَهُ عَمَّا في يَدِه لِيُرِيَهُ عِظَمَ مَا يَفعَلُهُ بِهَا، وَيُنَبِّهَهُ على بَاهِرِ قُدرَتِه سُبحَانَهُ[١].

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (١٨)

﴿**قَالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها**﴾ التَوَكُؤ: التَّحَامُلُ علَى العَصَا في المَشي[٢].

﴿**وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِ**﴾ أَي: وَأَخبِطُ الوَرَقَ بِهَا علَى رُؤوسِ غَنَمِي، وَالهَشُّ: ضَربُ وَرَقِ الشَّجَرِ لِيَتَسَاقَط[٣].

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (٢١)

السِّيرَةُ: مِن السَّيرِ، كَالرُّكبَةُ مِنَ الرُّكُوبِ، ثُمَّ نُقِلَت إِلى مَعنَى الطَّرِيقَةِ وَالمَذهَبِ حَملاً عَلَى السَّماعِ[٤].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**قالَ خُذْها**﴾ أَي: بِيَمِنكَ: ﴿**وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى**﴾ أَي: سَنُعِيدُهَا في طَرِيقَتِهَا الأُولَى؛ يَعنِي: في حَالِ مَا كَانَت عَصاً وَذَلِكَ أَنَّهُ قَد عَادَ المِحجَنُ فِيهِ شَعرٌ مِثل الرُّمحِ القَصِيرِ، فَلَمَّا عَايَنَ ذَلِكَ مُوسَى عليه السلام وَلَّى مُدبِراً، ثُمَّ ذَكَرَ رَبَّهُ، فَوَقَفَ إِستِحيَاءً مِنهُ، ثُمَّ نُودِي: أَن يَا مُوسَى إِرجِع إِلَى حَيثُ كُنتَ، فَرجعَ وَهوَ

---

(١) تفسير الرازي: ٢٢/ ٢٥.

(٢) العين، الفراهيدي، مادة (وكأ) ٥/ ٤٢٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٣٤.

شَدِيدُ الخَوفِ: ﴿**قالَ خُذْها...**﴾[(١)].

وَقولُه: ﴿**سيرَتَهَا**﴾ إنتصَابُهَا علَى الظَّرفِ، أَو علَى نَزعِ الخَافِضِ؛ أَي: سَنُعِيدُهَا في طَرِيقَتِهَا الأُولَى؛ أَي: الصُّورَةُ الأُولَى، وَيجُوزُ أَن يَكُونَ مَفعُولاً ثَانِيَاً لأَعَادَ، أَو يَنتَصِب بِفِعلٍ مُضمَرٍ[(٢)].

وَالمَعنَى: سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأَولَى، وَحَيثُ كُنتَ تَتوكَأ عَلَيهَا، وَلَكَ فِيهَا مَآرِبُ أُخرَى، قِيلَ: لـمَّا أَمرَهُ سُبحَانَهُ بَأَخذِهَا اطمَأَنَت نَفسُه حَتَّى أَدخَلَ يَدَهُ في فَمِهَا، وَأَخذَ بِلَحيَيهَا[(٣)].

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ (٢٢)

الجَنَاحُ: الجَيبُ تَحتَ العَضُد، مُستَعَارٌ مِن جَنَاحِ الطَّائِرِ، ومنه: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ**﴾[(٤)].

السَّوءُ: كِنَايَةٌ عَن البَرصِ، وَكَنَّى بِالسُّوءِ عَن البَرصِ، كَما كَنَّى بِالسُّوءِ عَن العَورَةِ؛ لأَنَّ الطِّبَاعَ تَنفُرُ عَنهُ[(٥)].

الوَزِيرُ: مِنَ الوِزرِ؛ لأَنَّهُ يَحتَمِلُ عَن المَلِكِ أَوزَارَهُ، أَو مِنَ الوِزَر؛ لأَنَّ المَلِكَ يَعتَصِمُ بِرَأيِه، مِنَ المُؤازَرَةِ، وَهي المُعَاوَنَةُ[(٦)].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٨٠.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٨٠.
(٥) تفسير الآلوسي: ١٦/ ١٨٠.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٨١.

﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾

وَقولُهَ تعالَى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي﴾ أَي: إجعَل لِي وَزِيراً يُؤازرني علَى المُضِيِّ إلى فِرعَون، وَيُعَاضِدُنِي عَلَيهِ، أَو يُعَاونُنِي بِرَأيهِ وَمُشَاوَرَتِهِ[١].

وَقَالَ: ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ لأَنَّهُ إِذَا كَانَ الوَزِيرُ مِن أَهلِه كَانَ أَولَى بِبَذلِ النُّصح لَهُ، ثُمَّ بَيَّنَ الوَزِير وَفَسَّرهُ، فَقَالَ: ﴿هارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ وَالأَزرُ: القُوَّةُ؛ أَي: قَوِّ بِهِ ظَهرِي، وَأَعِنِّي به[٢].

رُوِي: أَنَّ هَارُونَ كَانَ أَكبَرَ مِن مُوسَى عليه السلام بِثَلَاثِ سِنِين، وَأَتَمَّ طُولاً، وَأَبيَضَ جِسماً، وَأَكثَرُ لَحماً، وَأَكثَرُ لِسَاناً، وَمَاتَ قَبلَ مُوسَى بِثَلَاثِ سِنِين[٣].

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾

وَقولُهُ تعالَى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ ما يُوحى * أَنِ اقْذِفيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أَي: حِينَ أَوحَينَا إِلَى أُمِّك يَا مُوسَى بِإِلهَامٍ أَو مَنَامٍ: ﴿ما يُوحى﴾ أَي: أَلهَمنَاهَا مَا يُلهَم، وَهوَ كَانَ سَبَبَ نَجَاتِكَ مِنَ القَتلِ، أَو بَعَثنَا إِلَيهَا مَلَكاً، كَمَا بَعَثنَا إِلَى مَريَم:

﴿أَنِ اقْذِفيهِ﴾ الآية، أَي: ضَعِيهِ فِي التَّابُوتِ، وَالقِيهِ فِي اليَمِّ، يُرِيدُ بِه: النِّيل، وَلَفظَةُ: ﴿أَنِ اقْذِفيهِ﴾ مُفَسِّرَةٌ؛ لأَنَّ الوَحيَ بِمَعنَى القَول، وَالضَّمَائرُ كُلُّهَا تَرجِعُ إِلَى مُوسَى[٤].

الشَّطُّ وَالسَّاحِلُ بِمَعنًى.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٧٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٧٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢١.

وَقولُه تعَالَى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ أَي: جَعلتُكَ بَحيث يُحِبُّكَ مَن يراكَ يَا مُوسَى، حَتَّى أَحَبَّك فِرعَونُ وَامرَأتهُ آسيَا بِنت مُزَاحِم، فَرَبَتكَ فِي حِجرِهَا.

وَقِيلَ: مَعناهُ حَببْتُكَ إلى عِبَادِي، فَلاَ يلقَاكَ أَحَدٌ - مُؤمِنٌ وَلاَ كَافِرٌ - إلَّا أَحبَّكَ، وَهذَا كَما يُقَالُ: أَلبَسَهُ اللهُ جَمالاً، أَو أَلقَى عَليهِ جَمالاً، وَقِيلَ: مَلاحَةً كَانَت فِي عَينِ مُوسَى عليه السلام فَما رَآه أَحَدٌ إلّاعَشِقَهُ[1].

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أَي: وَلتُرَبَّى وَتُغَذَّى، وَيُحسَنُ إِلَيكَ، وَأَنَا أُرَاعِيكَ، كَمَا يُرَاعِي الرَّجُلُ الشَّيء بِعَينِه إذَا إعتَنَى بِه، وَكَمَا يَقُولُ لِلصَّانِعِ وَاصنَع هَذَا عَلَى عَينِي، أَنظُرُ إِلَيكَ لِيَكُونَ صَنِيعُكَ عَلَى حَسبِ مَا أُرِيدُه مِنكَ[2].

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ ﴿٤٠﴾

الظَّرفُ يَتَعَلَّقُ بِتُصنَعُ، وَالمَعنَى: وَلتُصنَعُ عَلَى عَينِي قَدَّرنَا مَشيَ أُختِكَ وَقولَهَا:

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ لأَنَّ هَذَا كَانَ مِن أَسبَابِ تَربِيَةِ مُوسَى عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ سُبحَانَهُ.

وَقولُه تعَالَى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ أَي: حِينَ قَالَت لَهَا أُمُّ مُوسَى: ﴿قُصِّيهِ﴾[3] فَاتبَعَت مُوسَى عَلَى إِثرِ المَاءِ، وَذَلِكَ: أَنَّ أُمَّ مُوسَى إتَخَذَت تَابُوتَاً، وَجَعلَت فِيهِ قُطنَاً، وَوَضَعَتهُ فِيهِ، وَأَلقَتهُ فِي النِّيلِ، وَكَانَ يَشرُعُ مِنَ النِّيلِ نَهرٌ كَبِيرٌ بُستَانُ فِرعَون، فَبينَا هُوَ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢١.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٢٣٨.

(٣) القصص: ١١.

جَالِسٌ علَى رَأسِ البِركَةِ مَعَ آسيَا، إِذَا التَّابُوتُ يَجِيء علَى رَأسِ المَاءِ.

فَأَمرَ فِرعَونُ بِإِخرَاجِهِ، فَلَمَّا فَتحَ رَأسَ التَّابُوتِ، إِذا صَبِيٌّ مِن أَحسَنِ النَّاسِ وَجهَاً، فَأَحَبَّهُ فِرعَونُ، بِحَيثُ لَا يَتَمالَك.

وَجعلَ مُوسَى يَبكِي، وَطَلَبَ اللَّبن، فَأَمرَ فِرعَونُ حَتَّى أَتتهُ النِّسَاءُ اللَّوَاتِي كُنَّ حَولَ دَارِه، فَلَم يَأْخُذ مُوسَى مِن لَبَنِ وَاحِدَةٍ مِنهُنَّ.

وَكَانَت أُختُ مُوسَى وَاقِفَةٌ هُنَاكَ، إِذ أَمَرَتهَا أُمُهَا أَن تَتَّبعَ التَّابُوتَ، فَقَالَت لِفرعَون: أَنَا آتي بِإِمرأَةٍ تُرضِعهُ، وَذَلِكَ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ**﴾ أَي: هَل أَدُلَّكُم علَى إِمرأَةٍ تُربِيهِ وَتُرضِعهُ، وَهي نَاصِحَةٌ لَهُ؟ فَقَالُوا: نَعَم، فَجَاءت بِالأُمِّ، فَقَبِلَ ثَديُهَا، وَذَلِك قَولُه تعَالَى: ﴿**فَرَجَعْنَاكَ إِلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها**﴾ أَي: بِرُؤيَتُك.

﴿**وَلا تَحْزَنَ**﴾ مِن خَوفِ قَتلِهِ، قَد جَعَلَ فِرعَونُ لَهَا أُجرَةً علَى الرَّضَاعِ، وَكَانَت أُمُّهُ خَافَت علَى قَتلِهِ أَو غَرَقِه، فَعِندَ ذَلِكَ حَمَلَتهُ إِلى بَيتِهَا آمِنَةً مُطمَئنَّةً [١].

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٤١)

الإِصطِنَاعُ: إِفتِعَالٌ، مِنَ الصَّنِيعَةِ [٢] وَهوَ: إِتِخَاذُ الخَيرِ لِصَاحِبِهِ [٣] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾ أَي: إِصطَفَيتُكَ لِوَحيِي وَرِسَالَتِي؛ يَعنِي: إِختَرتُكَ وَاتخَذتُكَ صَنِيعَتِي وَخَالِصَتِي، وَاختَصَصتُكَ بِكَرَامَتِي وَمحَبَّتِي؛ لأَنَّ المَحبَّةَ أَخصُّ شَيءٍ بِالنَّفسِ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٣/ ٥٦.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٣.

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٢﴾

يُقَالُ: وَنَى فُلَانٌ فِي الأَمرِ، يَنِي وَيناً وَوَنِيَاً، إِذَا فَتَرَ وَرَخى [١]

وَقَالَ اللهُ تعَالَى ﴿**وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي**﴾ أَي: لَا تَضعَفَا فِي رِسَالَتِي، وَقِيلَ: لَا تَفتُرَا، وَلَا تُقَصِّرَا فِي أَمرِي [٢] يَعنِي: لَا يَحمِلكُمَا خَوفُ فِرعَونَ عَلى أَن تُقَصِّرَا فِي أَمرِي.

قِيلَ: إِنَّ مُوسَى عليه السلام أَتَى فِرعَونَ، فَقَالَ لَهُ: تُسلِمُ وَتُؤمِنُ بِرَبِّ العَالَمِينَ، عَلَى أَنَّ لَكَ شَبَابُكَ فَلَا تَهرَم، وَتَكُونَ مَلِكَاً لَا يُنزَعُ المُلكِ مِنكَ حَتَّى تَمُوتَ، وَلَا تُنزَعُ مِنكَ لَذَّةُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالجُمَاعِ حَتَّى تَمُوتَ، فَإِذَا مِتَّ دَخَلتَ الجَنَّةَ، فَأَعجَبَهُ ذَلكَ، وَكَانَ لَا يَقطَعُ أَمرَاً دُونَ هَامَانِ.

وَكَانَ غَائبَاً، فَلَمَّا قَدِمَ هَامَانُ، أَخبَرَهُ بِالَّذِي دَعَاهُ إِلَيهِ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَن يَقبَلَ مِنهُ، فَقَالَ هَامَانُ: قَد كُنتُ أَرَى أَنَّ لَكَ عَقلَاً وَرَأَيَاً بَيِّنَاً، أَنتَ رَبٌّ وَتُرِيدُ أَن تَكُونَ مَربُوبَاً، وَبَينَا أَنتَ مَالِكَاً تُرِيدُ أَن تَكُونَ مَملُوكَاً، فَقَلَبَهُ عَن رَأيِهِ.

وَكَانَ يحيى بن مَعَاذ[٣] يَقُولُ: هَذَا رِفقُكَ بِمَن يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ، فَكَيفَ رِفقُكَ بِمَن يَدَّعِي العُبُودِيَّةَ [٤].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٧٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٨٤.

(٣) الرازي، الواعظ، من الزهاد المجتهدين، له مواعظ مشهورة وكتب، توفي سنة ست وثمانين، ينظر: الفهرست، ابن النديم: ٢٣٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٣/ ١٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٤.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾

وَفي قَولِه تعَالَى: ﴿**اذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنا**﴾ دَلَالَةٌ على وُجُوبِ الرِّفقِ في الدُّعَاءِ إِلَى اللَّـهِ، وَفي الأَمرِ بِالمَعرُوفِ، وَالنَّهي عَن المُنكَرِ؛ لِيَكُونَ أَسرَعَ إِلى القُلُوبِ، وَأَبعَدُ مِنَ النُّفُورِ، فَأَتَمَرَا وَذَهَبَا إِلَيهِ [١].

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾ ﴿٤٥﴾

الفَرطُ: التَّقَدُّمُ [٢] يُقَالُ: فَرطٌ، وَمِنهُ فِعلُ يَفرُطُ؛ إِذَا سَبَقَ، وَفَرَسٌ فَرطٌ؛ أَي: يَسبِقُ الخَيلَ [٣] وَمِنهُ قَولُه تعالَى: ﴿**قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا**﴾ أَي: نَخشَى أَن يَتَقَدَّمَ فِينَا بِعَذَابٍ، وَيُعَجِّلُ عَلَينَا [٤].

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾

﴿**قالَ لا تَخافا إِنَّني مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى**﴾ مَا يَجرِي عَلَيكُم، فَأُلهِمَكُمَا جَوَابَ مَا يَسأَلُه عَنكُمَا، وَأَضَعُ عَنكُمَا جَوَابَ مَا يَقصِدَكُمَا بِهِ [٥].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٢٤٢.
(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (فرط) ٣/ ١١٤٨.
(٣) ترتيب اصلاح المنطق، ابن السكيت، مادة (فرط) ٢٨٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦.

﴿فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى﴾ (٤٧)

﴿فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ أَي: أَطلِقهُم وَأَعتِقهُم عَن الإِستِعبَادِ[١].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى﴾ (٥٣)

وَالمَهدُ: مَصدَرٌ، سُمِّي بِهِ وَجه الأَرضِ كِنَايَةً عَن الفُرشِ، كَالمَهدِ الَّذِي مُهِّدَ لِلصَّبِي[٢].

الشَّتِيتُ: وَاحِدُ شَتَّى، كَمَرِيض وَمَرَض؛ أَي: المُتفَرِّقَة في الصُّورَة وَالغَرَضِ وَالمَنفَعَةِ[٣].

وَقَولُهُ: **﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى﴾** أَي: أَخرَجنَا بِالمَطَرِ أَصنَافَاً مِن نَبَاتٍ مُختَلِفَةِ الأَلوَانِ؛ أَحمَرٌ وَأَصفَرٌ وَأَخضَرٌ، وَكُلُّ لَونٍ مِنهَا زَوجٌ، وَقِيلَ: مُختَلِفَةِ الأَلوَانِ وَالطُّعُومِ وَالمَنَافِعِ، فَمِنهَا مَا يَصلُحُ لِلطَّعَامِ، وَمِنهَا لِلتفَكُّهِ، وَمِنهَا مَا هُوَ لِغَيرِ الإِنسَانِ مِن أَصنَافِ الحَيَوَانِ[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦.
(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤١.
(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (شتت) ١/ ٢٥٤.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ (٥٤)

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنعامَكُمْ﴾ أَي: مِمَّا أَخرَجنَا لَكُم بِالمَطَرِ مِنَ النَّبَاتَات وَالشَّجَرِ، وَاللَّفظُ لِلأَمرِ، وَالمُرَادُ بِه الإِبَاحَة (١).

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى﴾ جَمعُ نُهيَةٍ؛ وَهي: العَقلُ، أَي: لِذَوي العُقُولِ النَّاهِيَةِ عَن إِتِّبَاعِ البَاطِلِ، وَإِرتِكَابِ القَبَائحِ (٢).

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (٥٩)

وَيُقَالُ فِي الجَاهِلِيَّةِ لِيَومِ العِيدِ: يَومُ الزِّينَةِ؛ لَتَزَيُّنِهِم فِيهِ مُشتَهِرٌ لِإِجتِمَاعِ النَّاسِ فِيهِ سَمُّوهُ به (٣).

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ (٦١)

وَيُقَالُ: وَيلَكَ وَوَيلَكُم؛ وَهي: كَلِمَةُ وَعِيدٍ وَتَهدِيدٍ؛ أَي: أَلزَمَكُم اللهُ الوَيلَ وَالعَذَابَ، فَلَا تُخَالِفُوه (٤).

السُّحتُ: مِنَ الإِسحَاتِ؛ وَهوَ: الإِستِئصَالُ (٥) وَمِنهُ قَولُه: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ﴾ أَي: يُهلِكَكُم وَيَستَأصِلَكُم بِمَا قُلتُم (٦).

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٩٥.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٥٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٥.
(٥) الصحاح، الجوهري، مادة (سحت) ١/ ٢٥٢.
(٦) مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٢٠٥.

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ ﴿٦٣﴾

الْمُثلَى: تَأَنِيثُ الأَمثَلِ؛ وَهوَ: الأَفضَلُ وَالأَشبَهُ بِالحَقِّ [١].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى**﴾ أَي: يُرِيدُ مُوسَى وَهَارُونَ أَن يَصرِفَا وُجُوهِ النَّاس [٢].

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿٦٧﴾

﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خيفَةً مُوسى**﴾ مَعنَاهُ: فَأَحَسَّ مُوسَى، وَوَجَدَ فِي نَفسِهِ مَا يَجِدُه الخَائِفُ [٣].

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ﴿٦٨﴾

﴿**قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى**﴾ وَالعُلوّ: الغَلَبَةُ الظَّاهِرَة [٤].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٧٦٠.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٨٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٤٤.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ ﴿٦٩﴾

وَقِيلَ: الطَّرِيقَةُ إِسمٌ لِوُجُوهِ النَّاسِ وَأَشرَافِهِم الَّذِينَ هُم قُدوَةٌ لِغَيرِهِم، وَيُقَالُ أَيضَاً لِلوَاحِدِ: هُوَ طَرِيقَةُ قومِه، وَقِيلَ: إِنَّ طَرِيقَتَهُم المُثلَى بَنُو إِسرَائلَ؛ كَانُوا أَكثَرَ القومِ عَدَدَاً وَمَالَاً، لِقَولِ مُوسَى: ﴿**فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [١] [٢].

يُقَالُ: لَقَفتُ الشَّيءَ وَتَلَقَفتُهُ وَالتَقَفتُهُ؛ إِذَا أَخذتُهُ بِسُرعَةٍ [٣] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا**﴾ أَي: مِنَ الحِبَالِ المُتَحَرِّكَةِ؛ لأَنَّهُم جَعَلُوا دَاخِلَهَا الزِّئبق، فَلَـمَّا حَمِيَت الشَّمسُ طَلَبَ الزِّئبَقُ السَّعيَ، فَحَرَّكَت الشَّمسُ ذَلِكَ، فَظُنَّ أَنَّهَا تَسعَى [٤].

فَلَـمَّا رَآى مُوسَى عليه السلام حِبَالَهُم وَعِصِيَهُم.

﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا**﴾.

رُوِي: أَنَّهُ لَـمَّا أَلقَى عَصَاهُ صَارَت حَيَّةً، وَطَافَ حَولَ الصُّفُوفِ حَتَّى رَآهَا النَّاسُ كُلُّهُم، وَكَانُوا يُوهِمُونَ أَنَّهَم فَعَلُوا مِثلَ مَا فَعَلَ، وَيَظُنُّونَ المُسَاوَاةَ فَيَمسِكُونَ لَا يَبتَلِعونَهُ، فَجَعلُوا يَنظُرُونَ وَيَتَحَيَرُونَ؛ فَهِي إِبتَلَعَت صَنِيعَهُم كُلَّاً مِنَ الحِبَالِ وَالعِصِي، ثُمَّ أَخذَهَا عليه السلام فَعَادَت عَصَاً كَمَا كَانَت [٥].

---

(١) طه: ٤٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٨٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦.

(٥) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٩٦ بتفاوت.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٠)

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ لـمَّا رَأَو ذَالِكَ، وَرُوِي: أَنَّهُم لـمَّا سَجَدُوا، أَرَاهُم اللهُ سُبحَانَهُ في سُجُودَهُم مَنَازِلَهُم الَّتي يَصِيرُونَ إِلَيهَا في الجَنَّةِ [١].

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾ (٧١)

قَولُه تعَالَى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ شَبَّهَ تَمَكُّن المَصلُوبِ في الجُذُوعِ بِتَمَكُّنِ الشَّيء في وِعَائِهِ، وَهَذَا مَعنَى: في، أَو عَلَى جُذُوعِ النَّخلِ [٢].

﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢)

قَولُه تعَالَى: ﴿فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ﴾ أَي: قَالَ السَّحَرَةُ: فَاصنَع مَا أَنتَ صَانِعُهُ، فَإِنَّا لَا نَرجعُ عَن الإِيمَانِ بِمُوسَى، وَلَن نُؤثِرُكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ البَيِّنَاتِ، وَالُمعجِزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدقِهِ، وَالمَعنَى: فَاحكُم مَا أَنتَ حَاكِمَهُ [٣].

﴿إِنَّمَا تَقْضي هذِهِ الْـحَياةَ الدُّنْيا﴾ أَي: تَذهَبُ هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنيَا دُونَ الآخِرَةِ، فَإِنَّ لَكَ جَهَنَّمَ، لَا تَمُوتَ فِيهَا فَتَستَرِيحَ مِنَ العَذَابِ، وَلَا تَحيَا حَيَاةً فِيهَا رَاحَة [٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٤٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٩٢.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٩٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٦.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشى ﴿٧٧﴾﴾

يُقَالُ: ضَرَبَ لَهُ مِن مَالٍ سَهماً؛ أَي: جَعَلَ، وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾ أَي: إِجعَل لَهُم طَرِيقاً في البَحرِ يَابِساً، بِضَربِكَ العَصَا لِيَنفَلِقَ البَحرُ[1].

أَو المَعنَى: فَاتخَذَ مِن ضَربِ اللَّبن إِذَا عَمِلَهُ[2].

الدَّرَكُ: إِسمٌ مِنَ الإِدرَاكِ[3].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿لا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشى﴾ أَي: لَا تَخَافَ أَن يُدرِكُكَ فِرعَونُ مِن خَلفِكَ، وَلَا تَخشَى مِنَ البَحرِ غَرقاً[4].

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبي فَقَدْ هَوى ﴿٨١﴾﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾ صُورَتُهُ الأَمرَ وَالمُرَادُ بِهِ الإِبَاحَة[5].

﴿وَلا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ أَي: فَلَا تَتَعَدَّوا حُدُودَ اللَّهِ، فَتَأكُلُوهُ عَلَى وَجهِ المُحَرَّمِ عَلَيكُم[6].

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبي﴾ أَي: فَيَجِبُ عَلَيكُم عُقُوبَتِي، مِن حَلِّ الدَّينِ، إِذَا وَجَبَ أَدَاؤهُ[7].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٢٥٩.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٩٤.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (درك) ١٠/ ٤١٩.
(٤) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٢٦.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٩٥.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٤.
(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٩٤.

﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبي فَقَدْ هَوى﴾ أَي: هَلَكَ، لأَنَّ مَن هَوَى مِن عُلُوٍّ إِلَى أَسفَل فَقَد أَهلَكَ نَفسَهُ، وَقِيلَ: فَقَد صَارَ إِلى النَّارِ [١].

وَ قِيلَ: فَقَد صَارَ إِلَى الهَاوِيَةِ؛ وَهي الَّتِي لَم تَزَل مَهوِيَّةً [٢].

﴿وَإِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾ (٨٢)

﴿وَإِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ﴾ أَي: أَخلَصَ نِيَّتَهُ بِالإِيمَانِ.

﴿وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾ أَي: استَقَامَ وَاستَمرَ عَلَيهِ حَتَّى يَمُوت [٣].

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (ثُمَّ اهتَدَى إِلَى وُلَايَتِنَا أَهلَ البَيتِ، وَاللَّـهِ، لَو أَنَّ رَجُلَاً سَجَدَ للَّـهِ عُمرُه مَا بَينَ الرُّكنِ وَالمَقَامِ، ثُمَّ مَاتَ، وَلَم يَجِيء بِولَايَتِنَا لَأَكَبَّهُ اللهُ في النَّارِ علَى وَجهِهِ)[٤].

﴿قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا وَلكِنّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَكَذلِكَ أَلْقَى السّامِرِيُّ﴾ (٨٧)

العَهدُ: الزَّمَانُ، يُقَالُ: طَالَ عَهدِي بِكَ؛ أَي: طَالَ زَمَانِي بِسَبَبِ مُفَارَقَتِكَ [٥].

الوِزرُ: أَصلُهُ الثِّقلُ، وَمِنهُ الوِزرُ؛ وَهوَ: الذَّنبُ، لأَنَّ صَاحِبَهُ قَد حَمَلَ بِهِ ثِقلاً، وَالوِزرُ: الحِملُ، وَالأَوزَرُ: الأَحمَالُ [٦].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَلكِنّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أَي: أَحمَالاً مِن حُلِيِّ القِبطِ الَّتي

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٩٥.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٤.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٩٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٥، تفسير الآلوسي: ١٦/ ٢٤١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٥، تفسير الآلوسي: ١٦/ ٢٤١.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٧.

استَعَارُوهَا حِينَ هَمُّوا بالخُرُوجِ مِن مِصرَ بِإِسمِ العُرس، وَلَعَلَّهُم سَمَّوهَا: أَوزَاراً؛ لأَنَّهَا آثَامٌ، لأَنَّهُم كَانُوا مُستَأمَنِينَ، وَلَيسَ لِلمُستَأمِن أَن يَأخُذَ مَالَ الحَربِيِّ، وَقَرَأ أَبُو بِكرٍ: حَمَلنَا بِالفَتحِ وَالتَّخفِيفِ [١].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ ﴿٩٥﴾

يُقَالُ: خَطَبَ الأَمرَ؛ إِذا طَلَبَهُ، وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ﴾ أَي: قَالَ مُوسَى ﷺ مَا شَأنُكَ، وَمَا دَعَاكَ إِلَى مَا صَنَعتَ؟ وَهوَ مَصدَرٌ [٢].

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ ﴿٩١﴾

قَولُه تَعَالَيك ﴿قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ﴾ أَي: لَا نَزَالُ علَى عِبَادَةِ العِجلِ مُقِيمِينَ [٣].

﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى﴾ أَي: مِنَ الطُّورِ.

يَعنِي: قَالُوا لِهَارُونَ ذَلِكَ، فَلَـمَّا رَجعَ مُوسَى غَضبَاناً أَسِفاً مِنهُ، وَمِن عِبَادَتِهِم العِجلَ، وَسَمِعَ الصَّيَاحَ، إِذ كَانُوا يَرقُصُونَ حَولَ العِجلِ، وَيَضرِبُونَ الدُّفُوفَ وَالمَزَامِيرَ [٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٥٠، تفسير البيضاوي: ٤/ ٦٦.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٩٧.

(٣) تفسير الآلوسي: ١٦/ ٢٥٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٠.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ ﴿٩٦﴾

بَصرتُ: رَأَيتُ مَا لَم يَرو [١].

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ ﴿٩٧﴾

يُقَالُ: مَسَّهُ؛ إِذَا قَرَّبَهُ [٢].

النَّسفُ: التَّذرِيَةُ [٣] وَنَنسِفَهُ؛ أَي: نَذرِيهُ؛ أَي: نَجعَلُه ذَرَّةً ذَرَّةً.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿١٠٢﴾

قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ أَي: زُرقُ العُيُونِ، وَوُصِفُوا بِذَلِكَ؛ لأَنَّ الزُّرقَة أَسوَأ أَحوَالِ العَينِ، وَأَبغَضُهَا إِلَى العَرَبِ، وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي صِفَةِ العَدُوِّ: أَسوَدُ الكَبِدِ، وَأَصهَبُ السِّبَالِ، وَأَزرَقُ العَينِ [٤].

وَقِيلَ: زُرقاً عُمياً، فَإِنَّ حَدَقَةِ الأَعمَى تَزرَقُّ، وَالزُّرقَةُ: الخُضرَةُ فِي سَوَادِ العَينِ، كَعَينِ السِّنَّورِ، وَالمُرَادُ فِي هَذَا تَشويهُ الخَلقِ [٥].

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُحشَرُ المُجرِمُونَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا إِلَهاً زُرقُ العُيُونِ، سُودُ الوُجُوهِ [٦].

وَقِيلَ: عِطَاشَاً، يَظهَرُ فِي عُيُونِهُم كَالزُّرقَةِ [٧].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ٢/ ١٣.
(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (مسس) ٣/ ٩٧٨.
(٣) تفسير السمرقندي: ٢/ ٤١١.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٥٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٥.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٥.
(٧) التفسير الصافي، الكاشاني: ٣/ ٣١٩.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ﴿١٠٣﴾

الخَفتُ: خِفضُ الصَّوتِ، وَتَخَافَتَ القَومُ؛ أَي: خَافِضُوا أَصوَاتَهُم [١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ**﴾ أَي: يَخفِضُون؛ أَي: الكُفَّارُ أَصوَاتَهُم لِمَا يَملأ في صُدُورَهُم مِنَ الرُّعبِ وَالهَولِ، فَيَقُولُ بَعضُهُم لِبَعضٍ بِصَوتٍ خَافِضٍ [٢].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٠٥﴾

يُقَالُ: نَسَفَ فُلَانٌ الطَّعَامَ بِالمِنسَفِ؛ إِذَا ذَرَأَهُ لِتَطِيرَ عَنهُ قُشُورَهُ [٣].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً**﴾ أَي: يَسأَلُونَكَ عَن الجِبَالِ؟ فَقُل: نَجعَلُهَا بِمَنزِلَةِ الرَّملِ، ثُمَّ يُرسِلُ عَلَيهَا الرِّيَاحَ فَتذرُوهَا وَتُفَرِّقُهَا [٤].

قَيلَ: إِنَّ رَجُلاً مِن ثَقِيفٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: كَيفَ تَكُونُ الجِبَالَ يَومَ القِيَامَةِ، مَعَ عِظَمِهَا؟ فَقَالَ: (إِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ يَسُوقُهَا؛ بِأَن يَجعَلَهَا كَالرَّمَادِ، ثُمَّ يُرسِلُ عَلَيهَا الرِّيحَ فَتُفَرِّقُهَا [٥].

وَقِيلَ: يُصَيِرُهَا كَالهَبَاءِ [٦].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٧٠.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٧٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٠٥.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٠١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٦.

(٦) تفسير الواحدي: ٢/ ٧٠٥.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿فَيَذَرُها﴾ أَي: فَيَدَعُ أَمَاكِنَهَا مِنَ الأَرضِ إِذَا نَسفتُهَا [١].

﴿قاعاً صَفْصَفاً﴾ أَي: أَرضَاً مَلسَاءً مُستَوِيَةً، لَيسَ لِلجَبَلِ فِيهَا أَثَرٌ.

القَاعُ: الأَرضُ المَلسَاءُ، الصَّفصَفُ: المَوضِعُ المُستَوِي الَّذِي لَا نَبَاتَ بِهِ، كَأَنَّهُ على صَفٍّ وَاحِدٍ في إِستِوَائِهِ [٢].

وَقِيلَ: القَاعُ وَالصَّفصَفُ بِمَعنَىً وَاحِدٍ؛ وَهوَ: المُستَوي مِنَ الأَرضِ [٣].

﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿لا ترى فيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً﴾ أَي: إِعوجَاجاً وَلَا نُتوءاً يَسِيرَاً [٤] يَعنِي: لَيسَ فِيهَا مُرتَفَعٌ وَلَا مُنخَفَضٌ [٥].

قَالَ الحَسَنُ: العِوَجُ؛ مَا إِنخَفَضَ مِنَ الأَرضِ، وَالأَمتُ: مَا إِرتَفَعَ مِنَ الرَّوَابِي [٦].

---

(١) جامع البيان، الطبري: ١٦/ ٢٦٢.
(٢) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٣١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٦.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٧١.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ٧٤.
(٦) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٣١.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨)

الهَمسُ: خَفاءُ الكَلامِ، وَالصَّوتُ الخَفِيُّ، وَمِنهُ: الحُرُوف المَهمُوسَة [١].

وَقَولُه تعالَى: ﴿**فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً**﴾ يَعنِي: خَشِعَت بِالسُّكُوتِ لِعَظَمَةِ الرَّحمَنِ [٢].

﴿**فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً**﴾ أَي: أَنَّ الأَصواتَ العَالِيَةِ بِالأَمرِ وَالنَّهيِّ فِي الدُّنيَا يَنخَفِضُ وَيَذِلُّ أَصحَابُهَا، فَلَا تَسمَعُ مِنهُم إِلَّا الهَمسَ [٣].

وَقِيلَ: هُوَ مِن هَمسِ الإِبِلِ؛ وَهوَ: صَوتُ أَخفَافِهَا إِذَا مَشَت؛ أَي: لَا تَسمَعُ مِن صَوتِ أَقدَامِهِم إِلى المَحشَرِ [٤] إِلَّا صَوتاً خَفِيّاً كَالسَّمعِ مِن وَطيِ الإِبِلِ.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (١١١)

العَنْوّ: الخُضُوعُ وَالذُّلُّ، وَالعَانِي: الأَسِيرُ، وَأَخَذتُ الشَّيء عُنوَةً؛ أَي: غَلَبَةً بِذُلِّ المَأَخُوذِ مِنهُ [٥].

قَولُه تعالَى: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**﴾ أَي: وَخَضَعَت وَذَلَّت خُضُوعَ الأَسِيرِ فِي يَدِ مَن قَهَرَهُ إِذَا عُلِمَت أَهوَالُ القِيَامَةِ، وَأَسلَمُوا الحُكمَ لِلحَيِّ الَّذِي لَم يَمُت وَلَا يَمُوتُ، وَإِنَّمَا أَسنَدَ الفِعلَ إِلى الوُجُوه؛ لأَنَّ أَثَرَ الذُّلِّ يَظهَرُ عَلَيهَا.

وَقِيلَ: المُرَادُ بِالوُجُوهِ الرُّؤسَاءُ وَالمُلُوك؛ أَي: صَارُوا كَالعُنَاةِ، وَهُم لَهُ أُسَارَى [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٠٢.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ٧٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٨.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٥٤.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢١١.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٨.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ ﴿١١٢﴾

الهَضمُ: النَّقصُ، يُقَالُ: هَضَمَنِي حَقِّي؛ أَي: نَقَّصَنِي [١].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ أَي: فَهوَ لَا يَخَافُ أَن يُظلَمَ وَيُزَادُ عَلَيهِ في سَيئاتِهِ، وَلَا أَن يُهضَمَ؛ أَي: يُنقَصُ مِن حَسَنَاتِه.

وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ لَا يَخَافُ أَن يُؤخَذ بِذَنبٍ لَم يَعمَلُهُ، وَلَا أَن تُبطَلَ حَسَنَةً عَمِلَهَا [٢].

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ﴿١١٧﴾

وَعَن سَعِيد بِن جُبَير [٣]: أَنَّهُ أُهبِطَ إِلى آدَم ثَورٌ أَحمَرٌ، فَكَانَ يَحرِثُ عَلَيهِ، وَيَمسَحُ العَرَقَ مِن جَبِينِهِ [٤].

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾ ﴿١١٨﴾

قَولُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾ أَي: في الجَنَّةِ؛ لِسَعَةِ طَعَامِهَا وَثِيَابِهَا [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٩.

(٣) أبو محمد الوالبي، تابعي، أصله كوفي ونزل مكة، روى عن الامام الباقر عليه السلام أخباره معروفة، قتله الحجاج في قصة مشهورة، ينظر: رجال الطوسي: ١١٤، رجال ابن داود: ١٠٣.

(٤) تاريخ الطبري: ١/ ٨٧، الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٥٦.

(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ١١/ ١٥٩.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فيها وَلا تَضْحى﴾ أَي: لَا تَعطَشُ وَلَا يُصِيبُكَ حَرُّ الشَّمسِ(١).

وَيُسأَلُ هَاهُنَا، فَيُقَالُ: كَيفَ جَمَعَ بَينَ الجُوعِ وَالعُرِيِّ، وَبَينَ الظَّمَأ وَالضُّحَى، وَالجُوعُ مِن جِنسِ الظَّمَأ، وَالعُرِيُّ مِن جِنسِ الضُّحَى ؟.

وَأُجِيبَ عَن ذَلِكَ بِجَوَابَينِ:

أَحَدَهُمَا: أَنَّ الظَّمَأ أَكثَرُ مَا يَكُونُ مِن شِدَّةِ الحَرِّ، وَالحَرُّ إِنَّمَا يَكُونُ مِن الضُّحَى، وَهوَ: الإِنكِشَافُ لِلشَّمسِ، فَجَمَعَ بَينَهُمَا لإِجتِمَاعِهِمَا في المَعنَى.

وَكَذَلِكَ الجُوعُ وَالعُرِيُّ مُتَشَابِهَانِ، مِن حَيثُ إِنَّ الجُوعَ عُرِيٌّ في البَاطِنِ مِنَ الغِذَاءِ، وَالعُرِيُّ لِلجِسمِ في الظَّاهِرِ.

وَالثَّانِي: إِنَّ العَرَبَ تَلِفُّ الكَلَامَينِ بَعضَهُمَا بِبَعضٍ إِتِكَالاً عَلَى عِلمِ المُخَاطَبِ، وَأَنَّه يَردُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا إِلَى مَا يُشَاكِلَهُ، كَمَا قَالَ امرُؤ القَيسِ:

كَأَنِّي لَم أَركَبُ جَوَاداً لِلَذَّةٍ
وَلَم أَتَبَطَّنُ كَاعِبَاً ذَاتَ خَلخَالِ(٢)

قَالَ المُفَسِّرُونَ: لَيسَ في الجَنَّةِ شَمسٌ، وَإِنَّمَا فِيهَا ضِيَاءٌ وَنُورٌ، وَظِلٌّ مَمدُودٌ(٣).

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٢.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢١٦.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ﴿١٢١﴾

يُقَالُ: فُلَانٌ أَمرتُهُ بِكَذَا، وَالنَّهيَةُ وَاحِدَةُ النَّهيِّ، وَكَذَا: فَعَصَانِي وَخَالَفَنِي، وَالمَعصِيَةُ: مُخَالَفَةُ الأَمرِ، سَوَاءٌ كَانَ الأَمرُ وَاجِباً أَو نُدُباً [١].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾

قَالَ ابن عَبَّاس: ضَمِنَ اللهُ سُبحَانَهُ لِمَن قَرَأ القُرآنَ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَن لَا يَضِلَّ فِي الدُّنيَا، وَلَا يَشقَى فِي الآخِرَةِ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِه الآيَة: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾** أي: وَمَن أَعرَضَ عِن القُرآنِ، وَعَن الدَّلَائِلِ الَّتِي أَنزَلَهَا اللهُ تعَالَى لِعِبَادِه، وَصَدَفَ عَنهَا، وَلَم يَنظُر فِيهَا.

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ أَي: عَيشَاً ضَيِّقَاً، عَن: مُجَاهِد وَقَتَادَة وَالجَبَّائي؛ وَهوَ: أَن يُقَتِّرَ اللهُ عَلَيهِ الرِّزقَ، عُقُوبَةً لَهُ علَى إِعرَاضِه، فَإِن وَسَّعَ عَلَيهِ فَإِنَّهُ يُضَيِّقُ عَلَيهِ المَعِيشَةَ؛ بِأَن يُمسِكَهُ وَلَا يُنفِقَهُ علَى نَفسِه، وَإِن أَنفَقَهُ فَإِنَّ الحِرصَ علَى الجَمعِ، وَزِيَادَةُ الطَّلَبِ يُضَيِّقُ المَعِيشَةَ عَلَيهِ.

وَقِيلَ: هُوَ عَذَابُ القَبرِ، عَن ابن مَسعُودٍ وَأَبي سَعِيدٍ الخُدرِيُّ وَالسُدِّيُّ، وَرَوَاهُ أَبو هُرَيرَةَ مَرفُوعَاً.

وَقِيلَ: هُوَ طَعَامُ الضَّرِيعِ وَالزَّقُومِ فِي جَهَنَّمَ؛ لأَنَّ مَآلَهُ إِليهَا، وَإِن كَانَ فِي سَعَةٍ مِنَ الدُّنيَا، عَن الحَسَنِ وَابن زَيدٍ.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٠٥.

وَقِيلَ: مَعنَاهُ أَن يَكُونَ عَيشُهُ مُنَغَصَّاً؛ بِأَن يُنفِقَ إِنفَاقَ مَن لَا يُوقِنُ بِالخَلَفِ، عَن ابنِ عَبَّاس.

وَقِيلَ: هُوَ الحَرَامُ فِي الدُّنيَا، الَّذِي يُؤدِّي إِلَى النَّارِ، عَن عِكرَمَة وَالضَحَّاك.

وَقِيلَ: عَيشاً ضَيِّقَاً فِي الدُّنيَا لِقِصَرِهَا وَسَائِرَ مَا يَشُوبُهَا وَيُكَدِّرُهَا، وَإِنَّمَا العَيشُ الرَّغدُ فِي الجَنَّةِ، عَن أَبِي مُسلِم [(١)].

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ (١٢٥)

﴿**وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى**﴾ أَي: أَعمَى البَصَر، عَن ابنِ عَبَّاس [(٢)].

وَقِيلَ: أَعمَى عَن الحُجَّةِ، عَن مُجَاهِد، يَعنِي: أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُ يَهتَدِي إِلَيهَا.

وَالأَوَّلُ هُوَ الوَجهُ؛ لأَنَّهُ الظَّاهِرُ، وَلَا مَانِعَ مِنهُ، وَيَدِلُّ عَلَيهِ قَولُهُ: ﴿**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً**﴾ قَالَ الفَرَّاءُ: يُقَالُ: أَنَّه يُخرَجُ مِن قَبرِهِ بَصِيرَاً، فَيَعمَى فِي حَشرِهِ [(٣)].

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (١٢٦)

﴿**قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها**﴾ هَذَا جَوَابٌ مِنَ اللَّهِ تعَالَى لِمَن يَقُولُ ذَلِكَ، وَمَعنَاهُ: كَمَا حَشَرنَاكَ أَعمَى جَاءَكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وَالقُرآنُ وَالدَّلَائِلُ الوَاضِحَةُ، فَأَعرَضتَ عَنهَا، وَتَعَرَّضتَ لِنِسيَانِهَا، وَلَم تَنظُر إِلَيهَا؛ يَعنِي: الإِعتِبَارُ، وَتَرَكتَهَا وَعَمِيتَ عَنهَا [(٤)].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٤.

(٢) مرآة العقول، المجلسي: ١٧/ ١٥١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٥.

﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى﴾ أي: كَمَا نَسِيتَ آيَاتِي نَتْرُكُكَ على عَمَاكَ، وَلَا نُزِيلُ غِطَاءهُ عَن عَينَيكَ [١].

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ ﴿١٢٧﴾

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ وَهوَ: الحَشرُ علَى العَمَى.

وَقِيلَ: عَذَابُ النَّارِ، وَالنَّارُ بَعدَ ذَلِكَ: ﴿أَشَدُّ وَأَبْقى﴾ مِن ضَنكِ العَيشِ، أَو: مِنهُ وَمِنَ العَمَلِ في الآخِرَةِ [٢].

وَقِيلَ: أَشَدُّ مِن عَذَابِ الدُّنيَا وَعَذَابِ القَبرِ وَأَدوَمُ؛ لأَنَّهُ لَا يَزُولُ، وَعَذَابُ الدُّنيَا وَالقَبرُ يَزُول [٣].

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ ﴿١٣٠﴾

﴿وَأَطْرافَ النَّهارِ﴾ الظُّهرَ؛ وَإِنَّمَا سُمِّي وَقتُ صَلَاةِ الظُّهرِ أَطرَافُهُ؛ لأَنَّ وَقتَهُ عِندَ الزَّوَالِ، وَهوَ طَرَفُ النِّصفُ الأَوَّلِ، وَطَرَفُ النِّصفُ الثَّاني، و: ﴿آناءِ اللَّيْلِ﴾ سَاعَاتُهُ [٤].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أَي: صَلِّ لِرَبِّكَ بِالحَمدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيهِ.

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٠٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٧٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٥٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٦.

قبلَ طُلُوعِهَا، يَعنِي: صَلاةَ الفَجرِ: ﴿**وَقَبْلَ غُرُوبِها**﴾ يَعنِي: صَلاةَ العَصرِ: ﴿**وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ**﴾ أَي: سَاعَاتُهُ، قَالَ ابنُ عبَّاس: مِن صَفوَةِ اللَّيلِ كُلِّه [١].

﴿**فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهارِ**﴾ وَحَملُ بَعضَ التَّسبِيحِ علَى الظَّاهِرِ، أَرَادَ بِذَلِكَ المُدَاوَمَةُ علَى التَّسبِيحِ وَالتَّحمِيدِ، وَعُمُومِ الأَوقَاتِ.

﴿**لَعَلَّكَ تَرْضى**﴾ علَى قِرَاءَة أَبي بَكرٍ؛ أَي: يُرضِيكَ رَبُّكَ مَا وَعَدَكَ بِهِ مِنَ النَّصرِ، وَالإِعزَازُ لِلدِّينِ، وَالشَّفَاعَةُ وَالجَنَّة [٢].

﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى﴾ ﴿١٣١﴾

قَالَ أَبو رَافِع [٣]: نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَيفٌ، فَبَعَثَنِي إِلى يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: (قُل لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: بِعنِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الدَّقِيقِ، أَو أَسلِفنِي إِلى هِلَالِ رَجَب).

فَأَتَيتُهُ، فَقُلتُ لَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا أَبِيعَهُ وَلَا أُسلِفهُ إِلَّا بِرَهنٍ، فَأَتَيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخبَرتُهُ، فَقَالَ:

(وَاللَّهِ، لَو بَاعَنِي، أَو أَسلَفَنِي لَقَضَيتُهُ، وَإِنِّي لأَمِينٌ في السَّمَاءِ، وَأَمِينٌ في الأَرضِ، إِذهَب بِدِرعِي الحَدِيد) فَنَزَلَت قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ**﴾ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٦.
(٣) اسمه: أسلم، وقيل: اسمه إبراهيم، مولى رسول الله ﷺ كان للعباس فوهبه له ﷺ ولما أسلم العباس أعتقه الرسول ﷺ هاجر الى المدينة، وشهد جميع المشاهد مع الرسول ﷺ ولزم أمير المؤمنين عليه السلام بعده، وكان من خيار الشيعة، ينظر: رجال النجاشي: ٤، خلاصة الأقوال، العلامة: ٤٧.
(٤) أسباب النزول، الواحدي: ٢٠٥.

أَي: لَا تَمُدَّنَّ نَظَرَ عَينَيكَ إِلى مَا مَتَّعنَا بِهِ إِمتِحَاناً وَاستِحسَاناً لَهُ، وَتَمَنِّيناً أَن يَكُونَ لَكَ مِثلُهُ أَصنَافاً مِنَ الكَفَرةِ [١] وَمَدُّ النَّظَرِ: تَطويلَهُ [٢].

﴿**زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا**﴾ أَي: بَهجَتَهَا وَنَضَارَتَهَا، وَقِيلَ: زِينَتُهَا، لِنَفتِنَهُم فِيهِ بِشِدَّةِ التَّعَبُّدِ فِي العَمَلِ بِالحَقِّ فِي هَذِه الأُمُورِ، وَأَدَاءِ الحُقُوقِ عَنهُ [٣].

وَقِيلَ: ﴿**لِنَفْتِنَهُمْ**﴾ لِنُشَدِّدَ عَلَيهِم التَّعَبُّد؛ بِأَن نُكَلِّفَهُم مُتَابَعَتُكَ وَالطَّاعَةُ لَكَ، مَعَ كَثرَةِ أَموَالِهِم وِقِلَّةُ مَالِكَ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ لِنُعَذِّبَهُم بِهِ؛ لأَنَّ اللهَ تعَالَى قَد يُوَسِّعُ الرِّزقَ عَلى بَعضِ أَهلِ الدُّنيَا تَعذِيباً لَهُ [٤].

وَلِذَلِكَ قَالَ عليه السلام: (... وَلَو كَانَت الدُّنيَا تَزِنُ عِندَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سُقِي كَافِرَاً مِنهَا شُربَةَ مَاءٍ) [٥].

﴿**وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى**﴾ مِمَّا تَبِعنَا بِهِ هَؤلَاءِ فِي الدُّنيَا، فَإِنَّهُ لَا يَنقَطِعُ مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ.

قَالَ بَعضُ الزُّهَّادِ: يَجِبُ غَضُّ البَصرِ عَن أَبنِيَةِ الظَّلَمَةِ وَمَلَابِسَهُم المُحَرَّمَةِ؛ لأَنَّهُم إِتخَذُوا ذَلِكَ لِعُيونِ النَّظَّارَةِ، فَالنَّاظِرُ إِلَيهَا مُحَصِّلٌ لِغَرَضِهُم، فَكَأَنَّهُ يَحمِلَهُم عَلَى إِتِخَاذِهَا [٦].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٢٥٠.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ١٤٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٦٨.

(٥) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٧٧ح ٤١١٠، كنز العمال، المتقي الهندي: ٣/ ٢١١ح ٦٢٠٢.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٠٩.



الفصل الحادي والعشرون

سورة الأنبياء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَن قَرَأَ سُورَةَ الأَنبِيَاءِ حُبّاً لَهَا، كَانَ كَمَن رَافَقَ النَّبِيِّينَ أَجمَعِينَ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَكَانَ مَهِيباً في أَعيُنِ النَّاسِ حَيَاةَ الدُّنيَا)[1].

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (١)

وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ فَهوَ قَرِيبٌ، وَإِن طَالَ مُدَّةُ تَرَقُّبِهِ[2].

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: (بُعِثتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَينِ، وأَشَارَ إِلى سَبَابَتِهِ وَالوُسطَى)[3].

وَإِنَّمَا البَعِيدُ؛ هُوَ: الَّذِي وُجِدَ وَانقَرَضَ[4].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾ الإِقتِرَابُ: مِنَ القُربِ؛ أَي: إِقتَرَبَ لِلنَّاسِ وَقتُ حِسَابِهِم، يَعنِي: القِيَامَة، يَعنِي: دَنَا وَقتُ مُحَاسَبَةِ اللَّـهِ إِيَّاهُم، وَمُسَاءلَتَهُم عَن نِعَمِهِ؟ هَل قَابَلُوهَا بِالشُّكرِ، وَعَن أَوَامِرَهُ: هَل إِمتَثَلُوهَا، وَعَن نَوَاهِيَهُ: هَل إِجتَنَبُوهَا.

وَأَعلَم: أَنَّ الزَّمَانَ يُقَرَّبُ بِكَثرَةِ مَا مَضَى، وَقِلَّةُ مَا بَقَى، وَإِنَّمَا وَصَفَ الحَسَاب

---

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٨.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥١٢.

(٣) الأمالي، المفيد: ١٨٨ ح ١٤، الأمالي، الطوسي: ٣٣٧ح ٦٨٦.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٦١.

بِالقُربِ؛ لأَنَّهُ آتٍ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ؛ وَلأَنَّ بَعث رَسُولَ اللّـهِ ﷺ أَحَدُ أَشرَاطِ السَّاعَةِ، لِقَولُه ﷺ: (بُعِثتُ...) إلخ [١].

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ مِن ذِكرِهَا، وَعَن التَّفكُّرِ فِي وُقُوعِهَا، وَالتَّأَهُبِ لَهَا، وَقِيلَ: عَن الإِيمَانِ بِهَا.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٢﴾

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ أَي: مُحدَثُ التَّنزِيلِ، مُبتَدَأ التِّلاوَة، كَنزُولِهِ سُورَةً بَعدَ سُورَةٍ، وَآيَةً بَعدَ آيَةٍ، وَالذِّكرُ هُنَا: القُرآنُ، أَو: الأَئِمَّةُ ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [٢].

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٣﴾

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أَي: لَم يَستَمِعُوهُ إِستِمَاعَ نَظَرٍ وَتَدبُّرٍ، وَقَبُولٍ وَتَفكُّرٍ، وَإِنَّمَا إِستَمَعُوهُ إِستِمَاعَ لَهوٍ وَلَعِبٍ وَ استِهزَاءٍ؛ مَعنَاهُ: يَستَمِعُونَ القُرآنَ مُستَهزِئِينَ، غَافِلَةٌ قُلُوبَهُم عَمَّا يُرَادُ بِهِم [٣].

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ أَي: تَنَاجَوا فِيمَا بَينَهُم، يَعنِي: المُشرِكِينَ، ثُمَّ بَيَّنَ مَن هُم، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَي: أَشرَكُوا بِاللّـهِ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٢.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧﴾

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: (نَحنُ أَهلَ الذِّكرِ) وَيَشهَدُ لِذَلِكَ: أَنَّ اللهَ تعَالَى سَمَّى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله ذِكرَاً فِي قَولِه: ﴿**ذِكْراً * رَّسُولاً**﴾ [١] وَقَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾.

وَقِيلَ: أَهلُ الذِّكرِ؛ أَهلُ التَّورَاةِ وَالإِنجِيلِ [٢].

وَقِيلَ: هُم أَهلُ العِلمِ بِأَخبَارِ مَن مَضَى مِنَ الأُمَمِ [٣].

وَقِيلَ: هُم أَهلُ القُرآنِ، وَالذِّكرُ: القُرآنُ؛ وَهُم: العُلَمَاءُ [٤] جَعَلَنَا اللهُ مِنهُم بِالعَمَلِ بَعدَ العِلمِ بِهِ. والحق أنهم أهل البيت عليهم السلام لروايات كثيرة[٥].

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾ وَيَجُوزُ تعمِيمُ الخِطَابِ؛ أَي: فِيهِ شَرَفُكُم وَصِيتُكُم إِن تَمَسَّكتُم بِهِ، وَمَوعِظَةٌ لَكُم، وَمَكَارِمُ الأَخلَاقِ الَّتِي كُنتُم تَطلِبُونَ بِهَا الثَّنَاء، وَحُسنُ الذِّكرِ: كَالسَّخَاءِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَالوَفَاءُ بِالوَعدِ، وَحُسنُ الجِوَارِ، وَصِدقُ الحَدِيثِ، وَأَشبَاهُهَا مِن مَحَاسِنِ الأَفعَالِ [٦].

---

(١) الطلاق: ١٠-١١، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٣٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٥٩.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥١٤.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٠٢.

(٥) بصائر الدرجات: ج١ص٣٩ باب ٨٩ وفيه ٢٨ حديثا، الكافي: ١/ ص٢١١، باب أهل الذكر، وفيه تسعة أحاديث.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥١٥.

وَقِيلَ: مَا يَحتَاجُونَ إِلَيهِ مِن أَمرِ دِينكُم وَدُنيَاكُم [١].

﴿**أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ مَا فُضِلّتُم بِهِ علَى غَيرِكُم فتُؤمِنُونَ، أَفَلا تَتَدبَرُونَ فَتعلَمُونَ أَنَّ الأَمرَ علَى مَا قُلنَاهُ [٢].

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾

القَصمُ: الكَسرُ [٣].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ أَي: وَكَم أَهلَكنَا، أَو عَذَّبنَا مِن أَهلِ قَريَةٍ كَانَت كَافِرَةً [٤].

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ﴿١٢﴾

أَحَسَّهُ: أَدرَكَهُ بِحَوَاسِّهِ [٥].

الرِّكضُ: العَدوِ بِشِدَّةِ الوَطءِ [٦].

وَفِي التَّنزِيلِ: ﴿**إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ**﴾ إِذَا هُم مِنَ القَريَةِ، أَو مِنَ العُقُوبَةِ يَهرُبُونَ سِرَاعَاً، هَرَبَ المُنهَزِمِ مِن عَدُوِّهِ [٧].

---

(١) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٤٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قصم) ١٢/ ٤٨٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٥.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٣٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١١/ ٢٧٥.

(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٦.

﴿لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فيهِ وَمَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ ﴿١٣﴾ قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمينَ﴾ ﴿١٤﴾

الإِترَافُ: إِبطَارُ النِّعمَةِ وَالتَّلَذُّذِ [(١)].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فيهِ وَمَساكِنِكُمْ**﴾ أَي: وَارجِعُوا إِلَى مَا نُعِمتُم فِيهِ، وَإِلى مَسَاكِنكُم الَّتِي كَفرتُم وَظَلَمتُم فِيهَا [(٢)] يَعنِي: مَا خُولتُم وَنَعِمتُم فِيهِ.

الوَيلُ: كَلِمَةُ تَحَسُّسٍ وَتَفَجُّعٍ، وَالمُرَادُ بِهِ: الوُقُوعَ فِي الهَلَكَةِ [(٣)] وَفِي التَّنزِيلِ: ﴿**قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا**﴾ خَطَايَاي، أَن قَالُوا عَلَى سَبِيلِ التَّندُّمِ لَـمَّا رَأَوا العَذَابَ [(٤)].

﴿فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصيداً خامِدينَ﴾ ﴿١٥﴾

خَمَدَتِ النَّارُ: إِذَا طَفَأت، يُقَالُ: جَعَلتُه حُلوَاً حَامِضَا؛ أَي: جَامِعَاً لِلطَعمَينِ [(٥)].

وَمِنهُ قَولُه: ﴿**فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ**﴾ أَي: فَمَا زَالُوا يَقُولُونَ: يَا وَيلَنَا وَيَزدَرُون فَرُكِّبَ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ دَعوَى؛ لأَنَّ المُولوِلُ كَأَنَّهُ يَدعُوا إِلى الوَيلِ، وَيَقُولُ: تَعَالَ يَا وَيلُ، فَهَذَا وَقتُكَ [(٦)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥١٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٦.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٣٥.
(٤) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ١٤٢.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥١٦، إشارة لعلة الجمع بين كلمتي الحصيد والخمود.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٦٥.

﴿**حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصيداً خامِدينَ**﴾ أَي: مَحْصُوداً، سَاكِنِي الحَرَكَاتِ مَيِّتِينَ، كَمَا تَخْمَدُ النَّار إِذَا إِنطَفَأت، وَالمَعنَى: إِستَأصَلنَاهُم بِالهَلَاكِ وَالعَذَابِ، وَقِيلَ: بِالسَّيفِ [١].

وَهُم أَهلُ حَضُورَا؛ مِن قُرَى اليَمَنِ، بَعَثَ اللهُ إِلَيهِم نَبِيَّاً إِسمُه حَنظَلَة فَقَتَلُوهُ، فَسَلَّطَ عَلَيهِم بَخت نَصر، كَمَا سَلَّطَهُ عَلَى أَهلِ بَيتِ المَقدِس، فَقَاتَلَهُم بِالسَّيفِ حَتَّى خَرَجُوا مِن دِيَارِهُم مُنهَزِمِينَ، فَبَعَثَ اللهُ مَلَائِكَةً حَتَّى رَدُّوهُم إِلَى مَسَاكِنِهُم، فَقُتِلَ صِغَارَهُم وَكِبَارَهُم حَتَّى لَم يَبقَ لَهُم إِسمٌ وَلَا رَسمٌ [٢].

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (١٨)

دَفعُ الفَاسِدِ بِالأَفسَدِ.

القَذفُ: الرَّميُ البَعِيدُ المُستَلزِمُ لِصَلَابَةِ المَرمِيّ، الدَّمغُ: الَّذِي يَكسِرُ الدِّمَاغَ، بِحَيث يُشَقُّ غِشَاؤهُ المُؤَدِّي إِلَى زُهُوقِ الرُّوحِ، تَصوِيرَاً لِإبطَالِهِ، وَمُبَالَغَةً فِيهِ [٣].

الزَّاهِقُ: الهَالِكُ المُضمَحِلُّ، وَالزُّهوقُ: ذِهَابُ الرُّوحِ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٦.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٨٦.
(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (زهق) ٤/ ١٤٩٣.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩)

يُقَالُ: عِندَ الأَمِيرِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الجُندِ، وَإِن كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ في الأَمَاكِنِ، وَلَا يُرِيدُ بِذَلِكَ قُربُ المَسَافَةِ [١].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ أَي: مُلكَاً وَمِلكَاً وَخَلقَاً [٢] وَهوَ - وَعلَى مَن قَالَ: بِأَنَّهُ بِالشَّرِيكِ أَو الوَلَدِ - أَي: وَكَيفَ يَجُوزُ لَهُ إِتِّخَاذُ الوَلَدِ وَالشَّرِيك وَلَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ.

﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ**﴾ يَعنِي: المَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَهُم عِندَ اللَّـهِ سُبحَانَهُ المَنزِلَةُ: ﴿**لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ**﴾ [٣].

﴿**وَلا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾ والإِستِحسَارُ: الإِنقِطَاعُ مِنَ الإِعيَاءِ [٤] وَإِنَّمَا سُمِّي بِالإِستِحسَارِ الَّذِي هُوَ أَبلَغُ مِنَ الحُسُورِ؛ تَنبِيهاً علَى أَنَّ عِبَادَتَهُم بِثِقَلِهَا وَدَوَامُهَا حَقِيقَةً بِأَن يُستَحسَرَ مِنهَا: ﴿**وَلا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾ [٥].

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠)

﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ**﴾ دَائِماً: ﴿**لا يَفْتُرُونَ**﴾ أَي: لَا يَضعُفُونَ عَنهُ [٦].

قَالَ كَعب: جَعَلَ لَهُم التَّسبِيحَ، كَمَا جَعَلَ لَكُم النَّفَسَ في السُّهُولَةِ [٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٦٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٥.
(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ٨٧.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١١/ ٢٧٨.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٨.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ (٢١)

يُقَالُ: أَنشَرَ اللهُ المَوتَى وَنَشَرَهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ[١] وَيُقَالُ: فُلَانٌ مِنَ الكُوفَةِ، وَيُرِيدُ: أَنَّهُ كُوفِيٌّ أَصلُهُ.

قَولُه تعَالَى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ**﴾ أَم هَذِهِ مُنقَطِعَةٌ بِمَعنَى: بَل، وَالهَمزَةُ قَد دَلَّت عَلَى الإِضرَابِ عَمَّا قَبلُهَا، وَالإِنكَارُ لِمَا بَعدَهَا وَهوَ أَن: ﴿**اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ**﴾ المَوتَى، وَمِن أَعظَمِ المُنكَرَاتِ أَن يَنشُرَ المَوَات الأَموَات، وَإِذَا إِدَّعُوا لِهَا الإِلَهِيَّة لَزِمَهُم أَن يَدَّعُوا لَهَا الإِنشَار؛ لأَنَّهُ لَا يَستَحِقُّ هَذَا الإِسم إِلَّا القَادِرِ عَلَى كُلِّ مَقدُورٍ، وَفِيهِ إِيذَانٌ بِأَنَّهَا الأَصنَام الَّتِي تُعبَدُ فِي الأَرضِ، أَو يُرِيدُ آلِهَةً مِن جِنسِ الأَرضِ؛ لأَنَّهَا أَمَّا أَن تُنحَتَ مِن بَعضِ حِجَارَةِ الأَرضِ، أَو تُعمَلُ مِن بَعضِ جَوَاهِرِهَا[٢].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢)

﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا**﴾ أَي: لَو كَانَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ آلِهَةً سِوَى الله لَفَسَدَتَا وَمَا إِستَقَامَتَا، وَفَسَدَ مَن فِيهِمَا، وَلَم يَنتَظِم أَمرَهُم، وَهذَا هُوَ دَلِيلُ التَّمَانُع الَّذِي بَنَى عَلَيهِ المُتَكَلِّمُونَ مَسأَلَةَ التَّوحِيدِ، وَتَقرِيرُ ذَلِكَ:

أَنَّهُ لَو كَانَ مَعَ اللَّهِ سُبحَانَهُ إِلَهٌ آخَرَ لَكَانَا قَدِيمَينِ، وَالقِدَمُ مِن أَخَصِّ الصِّفَاتِ وَالإِشرَاكِ فِيهِ يُوجِبُ التَّمَاثُلَ، فَيَجِبُ أَن يَكُونَا قَادِرَينِ عَالِمَينِ حَيَّيَنِ، وَمِن حَقِّ كُلِّ قَادِرَينِ أَن يَصُحَّ كَونُ أَحدُهمَا مُرِيداً لِضِدِّ مَا يُرِيدُه الآخَر مِن إِمَاتَةٍ وَإِحيَاءٍ، أَو تَحرِيكٍ وَتَسكِينٍ وَنَحوِ ذَلِكِ.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٦٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥١٨.

فَإِذَا فَرضنَا ذَلِكَ، فَلَا يَخلُو إِمَّا أَن يَحصَلَ مُرَادُهمَا، وَذَلِكَ مُحَالٌ، وَإِمَّا أَن لَا يَحصَلَ مُرَادُهمَا فَيَنتَقِضُ كَونُهمَا قَادِرِينِ، وَإِمَّا أَن يَقَعَ مُرَادُ الآخَرِ فَيَنتَقِضُ كَونُ مَن لَم يَقَع مُرَادُه مِن غَيرِ وَجهِ مَنع مَعقُولٍ قَادِراً، فَإِذَن لَا يَجُوزُ أَن يَكُونَ الإِلَه إِلَّا وَاحِداً.

وَلَو قِيلَ: إِنَّهُمَا لَا يَتَمَانَعَانِ؛ لِأَنَّ مَا يُرِيدُه أَحدَهُمَا يَكُونُ حِكمَةً فَيُرِيدُه الآخَر، فَالجَوَابُ: إِنَّ كَلَامُنَا فِي صِحَّةِ التَّمَانُعِ لَا فِي وُقُوعِه، وَصِحَّةُ التَّمَانُعِ يَكفِي فِي الدِّلَالَةِ؛ لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلى أَنَّهُ لَا بُدَّ أَن يَكُونَ أَحدُهمَا مُتَنَاهِي القُدرَةِ فَلَا يَجُوزُ أَن يَكُونَ إِلَهاً:

﴿**فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[1].

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣)

﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ فِي كُلِّ شَيءٍ فَعَلُوهُ مِنَ الحَسَنِ وَالقَبِيحِ[2].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٤)

﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾ أَي: قُل لَهُم يَا مُحَمَّد ﷺ هَاتُوا حُجَّتَكُم عَلَى مَا فَعَلتُمُوه[3] مِن جِهَةِ العَقلِ، أَو مِن جِهَةِ الوَحي، فَإِنَّكُم لَا تَجِدُونَ كِتَاباً مِن كُتُبِ الأَوَّلِينَ إِلَّا وَفِيهِ الدُّعَاءُ إِلَى التَّوحِيدِ وَالنَّهي عَن الشِّركِ[4].

وَفِي هَذَا دِلَالَةٌ عَلَى فَسَادِ التَّقلِيدِ؛ لأَنَّهُ طَالَبَهُم بِالحُجَّةِ عَلى صِحَّةِ قَولِهُم، وَالبُرهَانُ:

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٧٩.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣١٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥١٩.

هُوَ الدَّلِيلُ المُؤَدِّي إِلى العِلمِ.

﴿**هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**﴾ وَقُل لَهُم يَا مُحَمَّد ﷺ: هَذَا القُرآنُ ذِكرٌ؛ أَي: عِظَةٌ، وَذِكرُ الَّذِينَ قَبلِي مِن أُمَمِ الأَنبيَاءِ مِمَّن نَجا بِالإِيمَانِ، وَهَلَكَ بِالكُفرِ [١].

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام: (يَعنِي بِذِكرِ مَن مَعِي: مَن مَعَهُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَبِذِكرِ مَن قَبلِي: مَا قَد كَانَ) [٢].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ إِنَّ فِي القُرآنِ خَيرُ مَن مَعِي عَلَى دِينِي مِمَّن يَتَّبِعنِي إِلَى يَوم القِيَامَةِ بِمَا لَهُم مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالعِقَابُ عَلَى المَعصِيَةِ، وَذِكرُ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الكُتُبِ قَبلِي، فَانظُرُوا: هَل فِي وَاحِدٍ مِنَ الكُتُبِ إِلَّا الأَمر بِالتَّوحِيدِ، وَالنَّهيُ عَن الإِشرَاكِ: ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ الحَقَّ: ﴿**فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [٣].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ (٢٨)

الإِشفَاقُ: الخَوفُ وَالوَجَلُ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٠.

(٢) نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٤٢١ ح ٣٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٠.

(٤) تاج العروس، الزبيدي، مادة (شفق) ١٣/ ٢٤٣.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ قِيلَ: معنَاهُ: وَخلَقنَا مِنَ النُّطفَةِ كُلَّ مَخلُوقٍ حَيٍّ، وَالأَصحُّ: أَنَّ المَعنَى: أَحيَينَا بِالمَاءِ الَّذِي نُنزِلَهُ مِنَ السَّمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ.

وَقِيلَ: وَجَعَلنَا مِنَ المَاءِ حَيَاةَ كُلِّ ذِي رُوحٍ وَنَمَاءٍ كُلُّ نَامٍ، فَيَدخُلُ فِيهِ الحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ وَالشَّجَرُ: ﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ أَفَلَا يُصَدِّقُونَ بِالقُرآنِ، وَبِمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنَ الدَّلِيلِ وَالبُرهَانِ [١].

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣١)

يُقَالُ: رَسَا الشَّيءُ؛ إِذَا ثَبَتَ [٢].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ﴾ أَي: جِبَالًا ثَوَابِت تَمنَعُ الأَرضَ مِنَ الحَرَكَةِ وَالإِضطِرَابِ: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أَي: تَتَحَرَّكُ وَتَمِيلُ وَتَضطَرِبُ بِهِم [٣].

أَو: لَئلَّا تَمِيدَ بِهِم، فَحذَفَ لَا وَاللَّام، وَإِنَّمَا حَذَفَ لَا لِعَدَمِ الإِلتِبَاسِ، كَمَا زِيدَ كَذَلِكَ فِي نَحوِ قَولِهِ: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ﴾ [٤].

وَالمَيدُ: الإِضطِرَابُ بِالذِّهَابِ فِي الجِهَاتِ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٢.
(٢) تفسير الصافي: ٣/ ٣١٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٤.
(٤) الحديد: ٢٩، تفسير الرازي: ٢٢/ ١٦٤.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرين، الطبرسي: ٧/ ٨٣.

الفَجُّ: الطَرِيقُ الوَاسِعُ بَينَ الجَبَلَينِ [١] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ**﴾ طُرُقَاً وَاسِعَةً بَينَهَا [٢].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ﴿٣٣﴾

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ أَي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ، وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ فِي فَلَكٍ يُسرِعُونَ عَلَى سَطحِ الفَلَكِ، إِسرَاعَ السَّابِحِ عَلَى سَطحِ المَاءِ [٣] وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿**يَسْبَحُونَ**﴾ بِالخَيرِ وَالشَّرِّ وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

رُوِي عَن أَبِي عَبدِ اللَّهِ عليه السلام: (أَنَّ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ عليه السلام مَرِضَ، فَعَادَهُ إِخوَانُهُ، فَقَالُوا: كَيفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؟ فَقَالَ: بِشَرٍّ، فَقَالُوا: مَا هَذَا كَلَامُ مِثلُكَ؟! قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ فَالخَيرُ: الصِّحَّةُ وَالغِنَى، وَالشَّرُّ: المَرَضُ وَالفَقرُ [٤].

وَمَعنَى الآيَةِ: أَي نُعَامِلَكُم بِهِمَا مُعَامَلَةَ المُختَبَرِ بِالفَقرِ وَالغِنَى، وَبِالبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ، وَالشِّدَةِ وَالرَّخَاءِ، وَقِيلَ: بِمَا تَكرَهُونَ وَبِمَا تُحِبُّونَ؛ لِيَظهَرَ صَبرَكُم عَلَى مَا تَكرَهُونَ، وَشُكرَكُم فِيمَا تُحِبُّونَ [٥].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (فجج) ١/ ٣٣٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٢١.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٩٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٥.

(٥) نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٤٢٩ح ٦٨.

وَقَالَ بَعضُ الزُّهَّادِ: الشَّرُّ غَلَبَةُ الهَوَى علَى النَّفسِ، وَالخَيرُ: العِصمَةُ عَن المَعَاصِي[١].

وَقَولُه: ﴿فِتْنَةً﴾ مَصدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِسُلُوكِكُم مِن غَيرِ لَفظِه؛ أَي: إِبتِلَاءً وَإِختِبَارَاً، أَو: شِدَّةُ تَعَبُّدٍ[٢].

﴿وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾ أَي: إِلى حُكمِنَا تُرَدُّونَ لِلجَزَاءِ بِالأَعمَالِ[٣].

إِعلَم: إِنَّ الذِّكرَ يَكُونُ بِالخَيرِ وَبِالشَّرِّ، فَإِذَا دَلَّت الحَالُ علَى أَحَدِهِمَا أُطلِق، تَقُولُ لِلرَّجُلِ: سَمِعتُ فُلَانَاً يَذكُرُكَ، فَإِن كَانَ الذَّاكِرِ صَدِيقَاً فَهوَ ثَنَاءٌ، وَإِلَّا فَهوَ ذَمٌّ[٤].

﴿وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿هذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أَي: يُعِيبُ آلِهَتَكُم بِأَنَّهَا جَمَادٌ لَا تَنفَعُ وَلَا تَضُرُّ[٥].

قَولُه تعَالَى: ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ﴾ أَي: الكُفَّارُ بِتَوحِيدِ الرَّبِّ، أَو: بِكِتَابِه المُنزَلِ، جَاحِدُونَ مُنكِرُونَ، فَيَنبَغِي أَن يُهزَأ بِهم مِن حَيثُ أَنَّهُم جَحَدُوا الحَيَّ المُنعِمُ القَادِرِ، العَالِمُ الخَالِقُ، الَّذِي بِيَدِهِ رِزقَهُم، وَاتَّخَذُوا مَا لَا يَنفَعُ وَلَا يَضُرُّ[٦] وَتَكرِيرُ الضَّمِّ لِلتَأكِيدِ وَالتَّخصِيصِ، وَلِحَيلُولَةِ الصِّلَةِ بَينَهُ وَبَينَ الخَبَرِ[٧].

---

(١) نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٤٢٩ح ٦٨.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٥.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٢٢.
(٥) مقتنيات الدرر، الحائري: ٩/ ٤٥.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٦.
(٧) تفسير البيضاوي: ٤/ ٩٣.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿٣٧﴾

وَقولُهُ تعالَى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنهُ لِفَرطِ إستِعجَالِه، وَقِلَّة ثَباتِه، كَقولِكَ: خُلِقَ زَيدٌ مِنَ الكَرَم، جَعَلَ سُبحَانَهُ مَا طُبِعَ عَلَيه بِمَنزِلَةِ المَطبُوع، وَهوَ مِنهُ مُبَالَغَةٌ في لُزُومِهِ لَهُ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ: إنَّهُ علَى القَلب، وَمِن عَجَلَتِه: مُبَادَرَتُهُ إِلَى خَارِجِ الشَّرعِ، بَل الكُفرِ، وَإِستِعجَالُ الوَعِيد، وَالظَّاهِرُ أَنَّ المُرَاد الجِنس [١].

وَقِيلَ: العَجَلُ: الطِّينُ، بِلُغَةِ حِمير [٢].

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذينَ كَفَرُوا حينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ أَي: لَو عَلِمُوا الوَقتَ الَّذِي لَا يَدفَعُونَ فِيهِ عَذَابَ النَّارِ عَن وُجُوهَهُم.

﴿وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يَعنِي: إِنَّ النَّارَ تُحِيطُ بِهِم مِن جَمِيعِ جَوَانِبَهُم، وَجَوَابُ لَو مَحذُوفٌ، تَقدِيرَهُ: لَعَلِمُوا صِدقَ مَا وُعِدُوا بِهِ لِمَا إستَعجَلُوه [٣].

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿٤٠﴾

البَهتُ: التَحَيُّر [٤].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٩٣.

(٢) غريب القرآن، الطريحي: ٤٧١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٧.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (بهت) ٢/ ١٣.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

الكَلَاءُ: الحِفظُ.

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ**﴾ أي: دُلَّ يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله المُستَهزِئينَ مَن يَحفَظَكُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ مِن بَأسِ الرَّحمَنِ وَعَذَابِه إن أَرَادَه بِكُم [١].

وَفي لَفظِ الرَّحمَنِ تَنبِيهٌ علَى أَنَّ لَا حَافِظَ غَيرُ رَحمَتِه العَامَّة، وَإِنَّ إِندِفَاعَهُ بِهَا مُهلَةٌ [٢] وَالكَالِئ: الحَافِظُ لَهُم آلِهَةٌ تَمنَعَهُم مِن دُونِنا [٣].

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿**أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا**﴾ مِن عَذَابِنَا وَعُقُوبَاتِنَا [٤].

وَالمُرَادُ: أَنَّهُ أَمرٌ بِسُؤالِهِم عَن الكَالِئ، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُم لَا يَصلُحُونَ لِذَلِكَ لِإعرَاضِهِم عَن ذِكرِ مَن يَكلَؤهُم، ثُمَّ أَضرَب عَن ذَلِكَ لِمَا في: ﴿**أَمْ**﴾ مِن مَعنَى بَل، وَقَالَ: ﴿**أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ**﴾ العَذَابِ [٥].

وَهَذِهِ الآلِهَة: ﴿**لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ**﴾ فَكَيفَ يَنصُرُونَ عَابِدَهُم.

وَقِيلَ: إِنَّ الكُفَّارَ لَا يَستَطِيعُونَ وَلَا يَقدِرُونَ علَى دَفعِ مَا يَنزِلُ بِهِم عَن نُفُوسَهُم.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٩.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٧/ ٣٤٠.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٩٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٨٩.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٢٤.

يَقُولُ العَرَبُ: صَحِبَكَ اللهُ؛ أَي: حَفِظَكَ اللهُ تعَالَى وَأَجَارَكَ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى:

﴿**وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**﴾ أَي: وَلَا الكُفَّارُ يُجَارُونَ مِن عَذَابِنَا، وَقِيلَ: لَا يُجِرهُم مِنَّا أَحَدٌ؛ لأَنَّ المُجِيرَ صَاحِبُ الجَارِ[١].

وَقِيلَ: يُصحَبُونَ، بِمَعنَى: يُنصَرُونَ وَيُحفَظُونَ، وَقشيلَ: لَا يُصحَبُونَ مِنَ اللَّهِ بِخَيرٍ[٢].

وَفِيهِ إِبطَالٌ عَلَى نَصرِ مَا اعتَقَدَوا الكُفَّارَ، فَإِنَّ مَن لَا يَقدِرُ عَلَى نَصرِ نَفسِهِ، وَلَا يَصحَبُهُ نَصرٌ مِنَ اللَّهِ، فَكَيفَ يَنصُرُ غَيرَه[٣].

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿**بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ**﴾ في الدُّنيَا بِبَغيَهُم، فَلَم نُعَاجِلهُم بِالعُقُوبَةِ: ﴿**حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ**﴾ فَغَرَّهُم طُولُ ذَلِك العُمرِ وَأَسبَابُ الدُّنيَا، حَتَّى أَتَوا مَا أَتَوُا[٤].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٩.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٩٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٨٩.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾

النَّفحُ في الأَصلِ: هُبُوبُ رَائحَةُ الشَّيء، وَالبِنَاءُ الدَّالُّ علَى المَرَّةِ، وَقولُهُ تعَالَى:

﴿**وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ**﴾ أَي: أَدنَى شَيء، قَلِيلٌ مِنَ النَّفحَةِ، وَفِيهِ مُبَالَغَاتُ ذِكرِ المَسِّ، وَمَا في النَّفحَةِ مِن مَعنَى القِلَّةِ، فَإِنَّ أَصلُهَا مَا يُرَى مَعنَاهَا [١].

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً**﴾ أَي: جَعَلَ إِبرَاهِيمَ أَصنَامَهُم قِطَعَاً [٢].

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾

يُقَالُ: سَمِعتُ اللهَ يَقُولُ، أَو سَمِعتُ الرَّسُولَ يَقُولُ؛ إِذَا بَلَغَك عَنهُ رِسَالَتَهُ علَى لِسَانِ ثِقَةٍ صَدُوقٍ.

رُوِي: أَنَّ عَلِيَّاًعليه السلام: (مَرَّ بِقَومِ يَلعَبُونَ الشِّطرَنجَ، فَقَالَ: مَا هَذِه التَّمَاثِيلَ الَّتي أَنتُم لَهَا عَاكِفُونَ، لَقَد عَصَيتُم اللهَ وَرَسُولَهُ) [٣] وَالمُرَادُ: أَنَّهُ بَالَغَ تَشبِيه إِيَّاه بِالصُّوَرِ المَعبُودَةِ.

الجَذُّ: القَطعُ، وَالجُذَاذُ القِطَعُ [٤].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ**﴾ أَي: قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِن إِبرَاهِيمَ قَولُه: تَاللَّـهِ لأَكِيدَنَّ أَصنَامَكُم، لِلقَومِ مَا سَمِعَهُ مِنهُ، فَقَالُوا: سَمِعنَا فَتىً يَذكُرَهُم بِسُوءٍ، علَى أَحَدِ المَعنَيَيِّن.

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٩٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٩٤.

(٣) نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٤٣٣ ح ٨٠.

(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (جذذ) ٢/ ٥٦١.

وَقِيلَ: إِنَّهُم: ﴿قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يَعِيبُ آلِهَتُنَا، وَيَقُولُ: إِنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنفَعُ، وَلَا تُبصِرُ وَلَا تَسمَعُ، فَهوَ الَّذِي كَسَرَهَا [١].

وَارتَفَعَ إِبرَاهِيمُ علَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبتَدَءٍ مَحذُوفٍ، وَالتَّقدِيرُ: يَقُولُه هُوَ إِبرَاهِيم، أَو: مُنَادَى؛ أَي يُقَالُ لَهُ: يَا إِبرَاهِيمَ، وَلَا وَجهَ أَن يَكُونَ فَاعِل يُقَال؛ لأَنَّ المُرَادَ الإِسمِ لَا المُسَمَّى [٢].

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾ هَذَا مِن مَعَارِيضِ الكَلَامِ، وَلَم يَكُن قَصداً مِن إِبرَاهِيمَ عليه السلام إِلى أَن يَنسِبَ الفِعلَ إِلى الصَّنَم، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَقرِيرَهُ لِنَفسِهِ علَى هَذَا الأُسلُوبِ تَبكِيتاً لَهُم، كَمَا لَو قَالَ لَكَ صَاحِبُكَ، وَقَد كَتَبتَ كِتَاباً بِخَطٍّ رَائِقٍ، وَأَنتَ مَشهُورٌ بِحُسنِ الخَطِّ: أَنتَ كَتَبتَ هَذَا؟ وَصَاحِبُكَ أُمِيٌّ، لَا يُحسِنُ الكِتَابَةَ، فَقُلتَ لَهُ: بَل كَتَبْتُهُ أَنتَ، وَقَصدُكَ بِهَذَا الجَوَابِ تَقرِيرُهُ لَكَ مَعَ الإِستِهزَاءِ بِهِ، لَا نَفيُهُ عَنكَ، وَإِثبَاتُهُ لِصَاحِبُكَ الأُمِّي.

وَقِيلَ: فَعَلَهُ كَبِيرَهُم إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَاسأَلُوهُم، فَعَلَّقَ الكَلَامَ بِشَرطٍ لَا يُوجَد [٣].

وَقِيلَ: إِنَّ التَّقدِيرَ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ مَن فَعَلَهُ، وَيَبتَدِء فَيَقرَأ: ﴿كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [٤].

نَكَستُ الشَّيء: قَلَبتُهُ، فَجَعَلتُ أَسفَلَهُ أَعلَاهُ، وَانتَكَسَ: إِنقَلَبَ [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٩٥.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٦٧.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٢٩.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٢٩.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٧٧.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

وَقولُه: ﴿**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ**﴾ أَي: انتكَسُوا عَن كَونَهُم مُجَادِلِينَ لإبرَاهِيمَ عليه السلام وَصَارُوا مُجَادِلِينَ عَنهُ حِينَ نَفَوا عَنهَا القُدرَةَ عَلَى النُّطقِ، أَو يُرِيدُ: وَقُلِبُوا: ﴿**عَلَى رُؤُسِهِمْ**﴾ لِفَرطِ إِطرَاقِهُم خَجلَاً مِمَّا بَهَتَهُم بِهِ إِبرَاهِيمُ؛ إِذ تَحَيَّرُوا وَعَلِمُوا أَنَّهَا لَا تَنطِقُ، ثُمَّ اعترَفُوا بِمَا هُوَ حُجَّةٌ عَلَيهِم [١].

فَقَالُوا: يَا إِبرَاهِيم، لَقَد عَلِمتَ مَا هُم يَنطِقُونَ، فَكَيفَ نَسأَلَهُم.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾

قِيلَ: إِنَّ رَجُلَاً أَشَارَ بِتَحرِيقِ إِبرَاهِيمَ عِندَ نَمرُود، وَهوَ مِن أَكرَادِ فَارِس، إِسمُهُ مِيتُون، فَخَسَفَ اللهُ بِه الأَرضَ، فَهوَ يَتَخلخَلُ فِيهَا إِلى يَومِ القِيَامَةِ [٢].

يُقَالُ: تَخَلَّخَلَ فُلَانٌ في الأَرضِ؛ إِذَا ذَهبَ اللهُ تعَالَى بِهِ غَائِرَاً فِيهَا كَقَارُون.

وَقِيلَ: هُوَ نَمرُود [٣].

وَعَن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ نَمرُود الجَبَّار لَـمَّا أَلقَى إِبرَاهِيمَ في النَّارِ، نَزَلَ إِلَيهِ جَبرَئِيلُ بِقَمِيصٍ مِنَ الجَنَّةِ وَطُنفُسَةٍ، فَأَلبَسَهُ القَمِيص، وَأَقعَدَهُ عَلَى الطُّنفُسَةِ، وَقَعَدَ مَعهُ يُحَدِّثُهُ) الخَبَر [٤].

وَرُوِي: أَن جَبرَئِيلَ قَالَ لَهُ: هَل لَكَ عِندِي حَاجَةً؟ فَقَالَ: أَمَّا إِلَيكَ فَلَا، قَالَ: فَاسأَل رَبُّك، قَالَ: حَسبِيَ مِن سُؤَالِي عِلمُهُ بِحَالي [٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٧٧، جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٩٨.
(٣) الدر المنثور، السيوطي: ١/ ٣٣١.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥٢.
(٥) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٥٠.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

وَقِيلَ: إِنَّ إِبرَاهِيمَ أُلقِيَ فِي النَّارِ وَهوَ إِبنُ سِتِّ عَشرَةَ سَنَةٍ [(١)].

وَلُوطُ إِبنُ أُختِه، أَو إِبنُ أَخِيهِ [(٢)].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَكُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ**﴾ أَي: إِبرَاهِيمَ وَابنَيهِ، وَهوَ غَايَةُ مَا يُوصَفُ بِهِ مِنَ الثَّنَاءِ بِالجَمِيلِ [(٣)].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَإِقَامَ الصَّلَاةِ**﴾ أَي: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَهوَ عَطفٌ علَى مَا قَبلِهِ مِن قَولِه: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ**﴾ عَطفُ الخَاصِّ علَى العَامِّ لِلتَفضِيلِ، وَحَذفَ تَاء الإِقَامَةِ المُعوضَةُ لأَنَّ الإِضَافَةَ عِوَضٌ مِنهَا، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي غَيرِ الإِضَافَةِ [(٤)].

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾

الكَربُ: الغَمُّ الشَّدِيدُ [(٥)].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**﴾ وَهوَ: نُوحاً، مِن الطُّوفَانِ، أَو أَذَى قَومَهُ [(٦)].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٤/ ١٦٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٧/ ٣١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٧/ ١٠٠.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٠١.
(٥) مفردات القرآن، الراغب: ٤٢٨.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٣١٣.

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ﴿٧٨﴾

الحَرثُ: الزَّرعُ، وَقِيلَ: كَرمٌ تَدَلَّت عَناقِيدَهُ [١].

النَّفشُ: بِفَتحِ الفَاءِ وَسُكُونِهَا: أَن تَنتَشِرَ الإِبلُ وَالغَنَمُ بِاللَّيلِ فَترَعى [٢].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَ: ﴿**إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ**﴾ أَي: فِي الوَقتِ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ غَنَمُ القَومِ، يَعنِي: تَفرَّقَت لَيلاً [٣].

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

اللَّبُوسُ فِي الأَصلِ: اللِّبَاسُ، وَقَد يُرَادُ بِهِ الدِّرعُ [٤].

البَأسُ فِي اللُّغَةِ؛ هُوَ: شِدَّةُ القِتَالِ [٥].

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ﴿٨١﴾

يَتَعَصَّفُ الرِّيحُ: إِذَا إِشتَدَّ هُبُوبُهَا، وَالرِّيحُ القَاصِفُ؛ أَي: شَدِيدَةُ الهُبُوبِ [٦].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٠٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٨١٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٠٣.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ١٨٩.

(٥) الصحاح، الجوهري، مادة (بأس) ٣/ ٩٠٦.

(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٧٠.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ ﴿٨٢﴾

الغَوصُ: النُّزُولُ إِلَى تَحتِ المَاءِ، وَبَابُهُ نَصَرَ [١].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾

الضُّرُّ: بِالضَمِّ، الضَّرَرُ في النَّفسِ مِن مَرَضٍ وَهُزَالٍ [٢] وَبِالفَتحِ: الضَّرَرُ في كُلِّ شَيءٍ[٣] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ**﴾.

وأَيُّوبُ قِيلَ: كَانَ رُومِيّاً مِن وُلدِ عِيص بن إِسحَاق، إِستَنبَأَهُ اللهُ، وَكَثَّرَ أَهلَهُ وَمَالَهُ، فَابتَلَاهُ اللهُ بِهَلَاكِ أَولَادِه بِهَدمِ بَيتٍ عَلَيهِم، وَذِهَابِ أَموَالِهِ، وَالمَرَضُ في بَدَنِهِ ثَمَانِي عَشرَةَ سَنَةٍ، أَو ثَلَاثُ عَشرَة سنَةٍ، أَو سَبعاً وَسَبعَةِ أَشهُرٍ وَسَبعِ سَاعَاتٍ.

رُوِي: أَنَّ إِمرَأَتَهُ مَاخِير بِنت مِيشَا بِن يُوسُف، أَو رَحمَة بِنت إِفرَاثيم بِن يُوسُف، قَالَت لَهُ يَوماً: لَو دَعَوتَ اللهَ، فَقَالَ: كَم كَانَت مُدَّة الرَّخَاءِ؟ فَقَالَت: ثَمَانِينَ سَنَةٍ، فَقَالَ: أَستَحِي مِنَ اللَّـهِ أَن أَدعُوهُ، وَمَا بَلَغَت مُدَّة بَلَائِي مُدَّة رَخَائي [٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (غوص) ٧/ ٦٢.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٧٢.

(٣) تفسير الرازي: ٢٢/ ٢٠٩.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٠٤.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾

بِالإِسنَادِ عَن عَبدِ العَظِيمِ بِن عَبدِ اللَّهِ الحَسَنِيُّ [(١)] قَالَ: كَتَبتُ إِلى أَبِي جَعفر عليه السلام أَسأَلُهُ عَن ذِي الكِفلِ، وَمَا إِسمُهُ، وَهَل كَانَ مِنَ المُرسَلِينَ؟ فَكَتَبَ:

(إِنَّ اللهَ تعَالَى بَعَثَ مَائةَ أَلفِ نَبِيٍّ، وَأَربَعَةً وَعُشرُونَ أَلفَ نَبِيٍّ، المُرسَلِينَ مِنهُم ثَلَاثَ مَائةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلاً، وَأَنَّ ذَا الكِفلِ مِنهُم، وَكَانَ بَعدَ سُلَيمان بِن دَاوود، وَكَانَ يَقضِي بَينِ النَّاسِ كَما يَقضِي دَاوود، وَلَم يَغضَب قَطٌّ إِلَّا للَّهِ تعَالَى، وَكَانَ إِسمُه عَدَويَا بِن أَدَارِين) انتهي [(٢)].

وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ رَجُلاً صَالِحاً، وَلَم يَكُن نَبِيّاً، وَلَكِنَّهُ تَكَفَّلَ لِنَبِيٍّ صَومَ النَّهَارِ وَقِيَامَ اللَّيلِ، وَأَن لَا يَغضَبَ، وَيَعمَلَ بِالحَقِ، فَوَفى بِذَلِكَ.

وَقِيلَ: هُوَ نَبِيٌّ إِسمُه ذَو الكِفلِ، وَقِيلَ: هُوَ إِليَاس، وَقِيلَ: إِليَسَع بن خَطُّوب الَّذِي كَانَ مَعَ إِليَاس، وَلَيسَ إِليَسَع الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي القُرآنِ، تَكَفَّلَ لَمِلِكٍ جَبَّارٍ إِن هُوَ تَابَ دَخَلَ الجَنَّة وَدَفَعَ إِلَيهِ كِتَاباً بِذَلِكَ، وَكَانَ إِسمُه كَنعَان، فَسُمِّي بِذَلِكَ ذَا الكفلِ، وَهوَ مِنَ الصَّالِحِينَ الدَّاخِلِينَ فِي رَحمَةِ اللَّهِ [(٣)].

---

(١) عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ورد الري هاربا من السلطان، وسكن في سرب لرجل من الشيعة، له كتاب خطب أمير المؤمنين، ينظر: رجال النجاشي: ٢٤٨، فهرست الطوسي: ١٩٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٠٧.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ٤٠٦.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

قِيلَ: وَمَعنَى مُغَاضَبَةِ ذُو النُّونِ؛ أَنَّه أَغضَبَهُم بِمُفَارَقتَهُم، لِخَوفِهُم حُلُولَ العِقَابِ عَلَيهِم عِندَ القَدَرِ، بِمَعنَى القَضَاءِ، وَمِنهُ قَولُهُ: **﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾** هَذَا عَلَى قَولِ بَعضِ المُفَسِّرِين [1].

وَقِيلَ: أَن لَن نُضَيِّقَ عَلَيهِ، وَهوَ الأَصَحُّ [2].

وَقِيلَ: سَأَلَ مُعَاوِيَة ابن عبَّاس: كَيفَ يَظُنُّ نَبيٌّ لله تعَالَى أَن لَا يُقدِر عَلَيهِ؟ فَقَالَ: هُوَ مِنَ القَدْرِ لَا مِنَ القُدرَةِ، يَعنِي أَن لَن يُضَيِّقَ عَلَيهِ، كَمَا فِي قَولِه: **﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّـه﴾** [3].

وَيُقَالُ: إِنَّ ذَا النُّونِ حِينَ ذَهَبَ مُغَاضِبَاً لِقَومِه؛ أَي: مُرَاغِمَاً لَهُم مِن حَيثُ أَنَّه دَعَاهُم إِلَى الإِيمَانِ مُدَّةً طَوِيلَةً فَلَم يُؤمِنُوا حَتَّى أَوعَدَهُم اللهُ تعَالَى بِالعَذَابِ، فَخَرجَ مِن بَينَهُم مُغَاضِبَاً لَهُم قَبلَ أَن يَأذَنَ رَبُّهُ لَه [4].

وَقَد كَانَ الأَولَى بِهِ أَن يُصَابِرَ وَيَنتَظِرَ الإِذنَ مِنهُ جَلَّ ذِكرُه مِن مُهَاجَرتِهُم، فَابتُلِي بِبَطنِ الحُوتِ، وَمَعنَى مُغَاضَبَتِهِ لَهُم أَنَّه أَغضَبَهُم بِمُفَارَقتِهِ لَهُم [5].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٨١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٦.

(٣) الطلاق: ٧، جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٣٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٠٨.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٨١.

وَصُدُورُ الظُّلمِ مِنهُ علَى مَعنَى الخُضُوعِ وَالخُشُوعِ؛ لأَنَّ جِنسَ البَشَرِ لَا يَمتَنِعُ مِنهُ وُقُوعُ الظُّلمِ [١].

قَالَ الجَبَّائي: لَم يَكُن يُونُس في بَطنِ الحُوتِ علَى جِهَةِ العُقُوبَةِ؛ لأَنَّ العُقُوبَةَ عَدَاوَةٌ لِلمُعَاقَبِ، لَكِن كَانَ ذَلِكَ علَى وَجهِ التَّأَدِيبِ، وَالتَّأَدِيبُ يَجُوزُ علَى المُكَلَّفِ وَغيرُ المُكَلَّفِ، كَتَأَدِيبِ الصَّبرِ وَغِيرُه، وَبَقَاؤه في بَطنِ الحُوتِ حَيَّاً مُعجِزَةٌ لَهُ [٢].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ أَي: مِن بَطنِهِ [٣].

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْني فَرْداً﴾ بِلَا وَلَدٍ يُعِينُنِي علَى دِينِي وَدُنيَاي، وَيَرِثُنِي [٤] وَلَم يُرد الأَمرَ إِلَى اللَّـهِ بقَولِه: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ﴾ أَي: إِن لَم يَرزُقنِي وَلَدَاً يَرِثُنِي فَلَا أُبَالِي، فَإِنَّكَ أَنت خَيرُ الوَارِثِين [٥].

(١) بحار النوار، المجلسي: ١٤/ ٣٨٩.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٧٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٠٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٠٩.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٦.

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾ (٩٠)

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ﴾ أي: جَعلنَاهَا صَالِحَةً لأَن تَلِد بَعدَ أَن كَانَت عَاقِرَاً، وَقِيلَ: جَعلنَاهَا حَسَنَةَ الخُلُقِ، وَكَانَت سَيئة الخُلقِ، وَقِيلَ: جَعلنَاهَا شَابَّةً وَهي كَانَت هَرِمَةً [١].

﴿إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ﴾ يُبَادِرُون: ﴿فِي الْخَيْراتِ﴾ وَالطَّاعَاتِ وَالعِبَادَاتِ، فَاستَحَقَّ الإِجَابَة، وَقِيلَ: لَهُمَا وَابنَهُمَا يَحيِي [٢].

﴿وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً﴾ أَي: لِلرَغبَةِ وَالرَّهبَةِ، رَغبَةً في الثَّوَابِ، وَرَهبَةً مِنَ العِقَابِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ رَاغِبِينَ وَرَاهِبِين [٣].

﴿وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾ أَي: مُتَوَاضِعِينَ، وَعَن مُجَاهِد: الخُشُوعُ الخَوفُ الدَّائمُ في القَلبِ [٤].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ إِنَّهُم قَالُوا حَالَ النِّعمَةِ: اللَّـهُمَّ لَا تَجعَلهَا إِستِدرَاجَاً، وَحَالَ السَّيئِةِ: اللَّـهُمَّ لَا تَجعَلهَا عُقُوبَةً بِذَنبٍ سَلَفَ مِنَّا [٥].

وفي قَولِه تعَالَى: ﴿يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ﴾ دِلَالَةٌ علَى أَنَّ المُسَارَعَةَ في الجَمِيعِ مُرَّغَبٌ فِيهَا، وَعلَى أَنَّ الصَّلَاةَ في أَوَّلِ الوَقتِ أَفضَل [٦].

(١) غريب القرآن، الطريحي: ١٧٠.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٧٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٠.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٠.
(٦) بحار الانوار، المجلسي: ٧٩/ ٣٢٦.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾

وَمِنهُ: ﴿إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ يَعنِي مِلَّةَ الإِسلَامِ مِلَّتَكُم الَّتي يَجِبُ أَن تَكُونُوا عَلَيهَا، لَا تَنحَرِفُونَ عَنهَا [١].

وَأَصلُ الأُمَّةِ: الجَمَاعَةُ الَّتي على مَقصَدٍ وَاحِدٍ، فَجُعِلَت المِلَّة أُمَّة لِاجتِمَاعِهِم بِهَا على مَقصَدٍ وَاحِدٍ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ في إِنَّها مَخلُوقَةٌ مَملُوكَةٌ للَّهِ تعَالَى؛ أَي: فَلَا يَكُونُوا إِلَّا على دِينٍ وَاحِدٍ: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [٢].

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣﴾

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: فَرَّقُوا دِينَهُم بينَهُم، يَلعَنُ بَعضُهُم بَعضَاً، وَيَتَبَرَأ بَعضُهُم مِن بَعضٍ [٣].

أَصلُه: وَتَقَطَّعتُم، إِلَّا أَنَّهُ صُرِفَ إِلَى الغَيبَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الإِلتِفَاتِ [٤].

وَالمَعنَى: جَعَلُوا أَمرَ دِينِهُم فِيمَا بَينَهُم قِطَعَاً، كَمَا يَتَقَسَّمُ الجَمَاعَةُ الشَّيء، فَيَصِيرُ لِهَذَا نَصِيبٌ وَلِذَلِكَ نَصِيبٌ، تَمثِيلَاً لِاختِلَافِهُم فِيهِ، وَصَيرُورَتِهُم فِرَقَاً وَأَحزَابَاً شَتَّى، يِتَبَرأ بَعضُهُم مِن بَعضٍ، ثُمَّ أَوعَدَهُم بِأَنَّ هَؤلَاءِ الفِرَقِ المُختَلِفَةِ إِلَيهِ يُرجَعُونَ فَيُجَازِيهُم بِمَا عَمِلُوا [٥].

فَمَن يَعمَلُ أَيَّ شَيئاً مِنَ الصَّالِحَاتِ؛ كَصِلَةِ الرَّحِم، وَمَعُونَةِ الضَّعِيفِ، وَنُصرَةُ اللَّهِيفِ، وَعِزُّهَا وَهوَ مُؤمِنٌ.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٨٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٧.
(٣) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٦٨.
(٤) تفسير الرازي: ٢٢/ ٢١٩.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٨.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ ﴿٩٤﴾

وَالكُفرَانُ: مَثَلٌ فِي حِرمَانِ الثَّوَابِ، كَمَا أَنَّ الشُّكرَ مَثَلٌ فِي الإِثَابَةِ إِذَا قِيلَ للَّـهِ مَشكُورٌ[١].

﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: سَعيَهُ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِه بِأَمرِنَا اللهُ كُلَّه[٢].

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ يَعنِي: مُمتَنِعٌ مِن قَريَةٍ قَدَّرنَا إِهلَاكُهَا، وَغَيرُ مُتَصَوَّرٌ رُجُوعَهُم مِنَ الكُفرِ إِلَى الإِسلَامِ، أَو إِلَى دَارِ الدُّنيَا، وَلَا مَزِيدَةٌ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: تَقدِيرَهُ حَرَامٌ عَلى قَريَةٍ أَهلَكنَاهَا أَن يَتَقَبَّلَ مِنهُم عَمَلٌ؛ لأَنَّهُم لَا يَرجِعُونَ إِلَى التَّوبَةِ.

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ: وَحَرَامٌ عَلَيهَا ذَلِك المَذكُورُ فِي الآيَةِ المُتَقَدِّمَةِ مِنَ السَّعيِ المَشكُورِ، لأَنَهُم لَا يَرجِعُونَ مِنَ الكُفرِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ لَا يَرجِعُونَ بَعدَ المَمَاتِ، بَل يَرجِعُونَ أَحيَاءً لِلمُجَازَاتِ، وَقَرَأَ أَبو بَكرٍ: حرَم؛أَي: بِغَيرِ أَلِفٍ، عَلَى أَنَّ حرَم وَحرَام لُغَتَانِ كَحلَالِ وَحِل[٣].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٨.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٣٨.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٨.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ (٩٦)

﴿**حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ**﴾ أَي: جِهَتَهُم، يَعنِي: إِنفَرَجَ سَدُّهُم بِسُقُوطٍ، أَو هَدمٍ، أَو كَسرٍ، وَذَلِكَ مِن أَشرَاطِ السَّاعَةِ [١].

تَعَلَّق قَولُه: حَتَّى بِحَرَامٍ؛ وَهي غَايَةٌ لَهُ، لأَنَّ إِمتِنَاعَ رُجُوعَهُم لَا يَزُولُ حَتَّى تَقُومُ القِيَامَة [٢].

وَهُم؛ أَي: يَأَجُوجُ وَمَأَجُوجُ: ﴿**مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾ أَي: كُلُّ نَشَزٍ مِنَ الأَرضِ يُسرِعُونَ، يَعنِي: إِنَّهُم يَتَفَرَّقُونَ فِي الأَرضِ، فَلَا تَرَى أَكَمَةً إِلَّا وَقَومٌ مِنهُم يَهبِطُونَ مِنهَا مُسرِعِين [٣].

وَالحَدبُ: النَّشَزُ فِي الأَرضِ [٤].

وَالنُّسُولُ: الخُرُوجُ بِإِسرَاعٍ، مِن نَسَلَانِ الذِّئبِ [٥].

---

(١) بحار الانوار، المجلسي: ٦/ ٢٩٩.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٥.

(٤) وهو: المرتفع، مفردات الفاظ القرآن، الراغب: ٢٢٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٧٩.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٩٧)

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ أَي: فَإِذَا القِصَّةُ: أَنَّ أَبصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا تَشخَصُ في ذَلِكَ اليَومِ؛ أَي: لَا تَكَادُ تَطرُفُ مِن شِدَّةِ ذَلِكَ اليَومِ وَهَولِه، يَنظُرُونَ إِلَى تِلكَ الأَهوَالِ [١].

وَإِذَا هِي ظَرفُ المُفَاجَأَةِ، وَتَسُدُّ في الجَزَاءِ مَسَدَّ الفَاءِ، فَإِذَا جَاءت الفَاءُ مَعهَا تَعَاوَنَتَا عَلَى وَصلِ الجَزَاءِ بِالشَّرطِ فَيتَأَكَّدُ، وَهي ضَمِيرٌ مُبهَمٌ يُفَسِّرُهُ الإِبصَارُ [٢].

وَشَخَصَ المُسَافِرُ شُخُوصَاً؛ إِذَا خَرَجَ مِن مَنزِلِه، وَشَخَصَ بَصرُه: إِذَا نَظَرَ إِلَيهِ كَأَنَّهُ خَرجَ إِلَيهِ [٣].

﴿يا وَيْلَنا﴾ تَعَلَّقَ بِمَحذُوفٍ؛ أَي: وَيَقُولُونَ، وَهوَ في مَوضِعِ الحَالِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا [٤].

﴿قَدْ كُنَّا في غَفْلَةٍ مِنْ هذا﴾ فَلَم نَعلَم أَنَّهُ حَقٌّ يَقعُ عَلَينَا: ﴿بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ﴾ بِأَنفُسِنَا [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٤.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣٩.

(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٠٨.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ﴿٩٨﴾

﴿**إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ مِنَ الأَوثَانِ حَصَبُ جَهَنَّم؛ أَي: وَقُودُهَا، وَأَصلُ الحَصَبِ: الرَّميُ، فَالمُرَادُ: أَنَّهُم يُرمَونَ فِيهَا كَما يُرمَى بالحَصبَاءِ[١].

وَيُسأَلُ عَن هَذِه، فَيُقَالُ: إِنَّ عِيسَى عليه السلام قَد عُبِدَ، وَالمَلَائكَةُ قَد عُبِدُوا؟ وَالجَوَابُ: إِنَّهُم لَا يَدخُلُونَ فِي الآيَةِ؛ لأَنَّ لَفظَةَ مَا لِمَا لَا يُعقَلُ، وَلأَنَّ الخِطَابَ لأَهلِ مَكَّةَ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعبُدُونَ الأَصنَامَ، فَإِن قِيلَ: وَأَيُّ فَائدَةٍ فِي إِدخَالِ الأَصنَامِ النَّار؟ قِيلَ: يُعَذَّبُ بِهَا المُشرِكُونَ الَّذِينَ عَبَدُوهَا، فَتَكُونُ زِيَادَةً فِي حَسرَتِهِم وَغَمِّهِم.

وَيَجُوزُ أَن يُرمَى بِهَا فِي النَّارِ تَوبِيخاً لِلكُفَّارِ حَيثُ عَبَدُوهَا، وَهِي جَمَادٌ لَا تَنفَعُ وَلَا تَضُرُّ.

وَقِيلَ: إِنَّ المُرَادَ بِقَولِه: ﴿**إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ الشَّيَاطِين الَّذِينَ دَعَوهُم إِلَى عِبَادَةِ غَيرِ اللَّهِ فَأَطَاعُوهُم، فَكَأَنَّهُم عَبَدُوهُم، كَمَا قَالَ: ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**﴾[٢].

﴿**أَنْتُمْ لَهَا وارِدُونَ**﴾ أَي: دَاخِلُون، وَقِيلَ: اللَّامُ بِمَعنَى إِلَى، كَمَا قِيلَ: ﴿**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾[٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٣.

(٢) مريم: ٤٤، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٥.

(٣) الزلزلة: ٥، مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٤٥٩.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾

الزَّفِيرُ: صَوتٌ كَصَوتِ الحِمَارِ [١].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**لَهُمْ فيها زَفيرٌ**﴾ أَي: أَنِينٌ وَتَنَفُّسٌ شَدِيدٌ في النَّارِ عِندَ إِحرَاقِهَا [٢].

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾

الحَسِيسُ: صَوتٌ يُحَسُّ بِهِ [٣] قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**لا يَسْمَعُونَ حَسيسَها**﴾ أَي: صَوتَهَا، وَالشَّهوَةُ: أَي: طَلَبُ النَّفسِ اللَّذَةِ [٤].

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾

رُوِي عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (ثَلَاثَةٌ علَى كُثبَانٍ مِن مِسكٍ، لَا يَحزُنهُم الفَزعُ الأَكبَر، وَلَا يَكتَرِثُونَ لِلحِسَابِ؛ رَجُلٌ قَرَأَ القُرآنَ مُحتَسِباً، ثُمَّ أَمَّ بِهِ قَوماً مُحتَسِباً، وَرَجُلٌ أَذَّنَ مُحتَسِباً، وَمَملُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَقّ مَوَالِيهِ) [٥].

وَالفَزَعُ الأَكبَرُ: الخَوفُ الأَعظَمُ؛ وَهوَ: عَذَابُ النَّارِ إِذَا أَطبَقَت علَى أَهلِهَا [٦].

وَفِي الجَنَّةِ جَمَاعَةٌ كَانُوا مُتَنَعِمِينَ فِيهَا بِقَولِه تعَالَى: ﴿**وَهُمْ في مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ**﴾ أَي: مِن نَعِيمِ الجَنَّةِ وَمَلَّاذِهَا: ﴿**خالِدُونَ**﴾ [٧] ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**﴾.

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٥١.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١١٠.
(٣) تفسير أبي السعود: ٦/ ٨٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٦.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٥٩.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٦.
(٧) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٥٢.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤)

الطَّيُّ مَعرُوفٌ.

السِّجِلُّ: الصَّحِيفَةُ[1].

وَقَولُهُ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ يَعنِي: يَومَ نَطوِيهَا كَمَا تُطوَى الصَّحِيفَة المَجعُولَةُ لِلكُتُبِ[2] وَالمُرَادُ بِذَلِكَ: المَكتُوبَاتُ الَّتي تُتَّخَذُ لِمَا يُكتَبُ مِنهَا مِنَ المَعَانِي الكَثِيرَة.

وَقِيلَ: السِّجِلُّ: مَلَكٌ يَطوِي كُتُب بَنِي آدَم إِذَا رُفِعَت إِلَيهِ.

وَقِيلَ: هُوَ إِسمٌ لِكَاتِبِ للنَّبِي صلى الله عليه وآله[3].

يُقَالُ: فُلَانٌ أَوَّلُ خَلقٍ، كَقَولِكَ: هُوَ أَوَّلُ رَجُلٍ جَاءنِي، تُرِيدُ: أَوَّلُ الرِّجَالِ، وَلَكِنَّكَ نَكَّرتَهُ وَحَدَّدتَهُ إِرَادَةَ تَفصِيلَهُم رَجُلاً رَجُلاً، وَكَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ أَي كَمَا بَدَأنَاهُم فِي بَطُونِ أُمَهَاتِهِم حُفَاةً عُرَاة، كَذَلِكَ يُعِيدَهُم[4].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ نُهلِكُ كُلَّ شَيءٍ، كَمَا بَدَأنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ[5].

وَقَولُه: ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ وَأَوَّلُ الخَلقِ، بِمَعنَى: أَوَّلُ الخَلَائِقِ؛ لأَنَّ الخَلقَ مَصدَرٌ لَا يُجمَعُ[6].

---

(١) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٧١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٩.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٤١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١١٩.

(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٥٨٥.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾

الزَّبُورُ: جِنسٌ لِكُلِّ مَزبُورٍ نَزَلَ علَى الأَنبِيَاءِ مِنَ الكُتُبِ، وَقِيلَ: الزَّبُورُ كِتَابُ دَاوود عليه السلام[١].

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾

البَلَاغُ: سَبَبُ الوُصُولِ إلى الحَقِّ[٢].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾

قَولُه تعَالَى: **﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُون﴾** أَي: مَا أَدرِي مَتَى أَجَل يَومَ القِيَامَةِ، فَإِنَّ اللهَ تعَالَى هُوَ العَالِمُ بِذَلِكَ[٣] وَلَكِنَّهُ كَائنٌ لَا محَالَة.

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٣٧٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٨٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ١٢١.



الفصل الثاني والعشرون

سورةُ الحجّ



سورةُ الحجّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَن قَرَأ سُورَةِ الحَجِّ في كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، لَم تَخرُج سَنَتُهُ حَتَّى يَخرُجُ إِلَى بَيتِ اللَّهِ الحَرَامِ، وَإِن مَاتَ في سَفَرِه دَخَلَ الجَنَّة)[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾

يُقَالُ: إِحذَر الأَسَد، وَالمُرَادُ: إِحذَر إِفتِرَاسَهُ، أَي تَجَنَّب مِن إِفتِرَاسِهِ، وَقَولُ اللَّهِ: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَي: يَا أَيُّهَا العُقَلَاء: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أَي: إِتَقُوا عَذَابَ رَبَّكُم[2].

الزَّلزَلَةُ وَالزَّلزَالُ: شِدَّةُ التَّخرِيبِ وَالإِزعَاجُ عَلَى الحَالِ الهَائلَةِ[3].

---

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٨.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٧.

(٣) الكشف والبيان، الثعلبي: ٧/ ٦.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢﴾

الذُّهُولُ: الذَّهَابُ عَنِ الأَمرِ بِدَهَشٍ.

المُرضِعَةُ: هِيَ الَّتِي أَلقَمَت ثَديَهَا الصَّبِيَّ، وَالمُرضِعُ بِغَيرِ هَاءٍ: الَّتِي مِن شَأنِهَا أَن تُرضِعَ [١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ تَصوِيرٌ لِهَولِ السَّاعَةِ، وَالضَّمِيرُ فِي المَفعُولِ لِلزَّلزَلَةِ أَو السَّاعَةِ [٢].

وَالمَعنَى: إِنَّ هَولَ تِلكَ السَّاعَةِ إِذَا فَاجَاءهَا، وَقَد أَلقَمَت الرَّضِيعُ ثَديَهَا نَزَعَتهُ عَن فَمِهِ، وَذَهَلَت عَنهُ لِمَا يَلحَقُهَا مِنَ الدَّهشَةِ [٣] وَالمُرَادُ بِذَلِكَ: تَهوِيلٌ لأَمرِ القِيَامَةِ [٤].

رُوِي أَن قَولَ اللَّهِ تعَالَى فِي سُورَةِ الحَجِّ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها﴾ قَالَ: الحَسَنُ: تَذهَلُ المُرضِعَةُ عَن وَلَدِهَا بِغَيرِ فِطَامٍ، وَتَضَعُ الحَامِلُ مَا فِي بَطنِهَا لِغَيرِ تَمَامٍ، وَذَلِكَ تَهوِيلٌ لِمَا يَكُونُ فِي القِيَامَةِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَإِن لَم يَكُن هُنَاكَ حَامِلٌ وَلَا مُرضِعٌ [٥].

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكارى﴾ مِن شِدَّةِ الخَوفِ: ﴿وَما هُمْ بِسُكارى﴾ كَأَنَّهُم سُكَارَى مِن ذُهُولِ عُقُولِهِم: ﴿وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيد﴾ فَمِن شِدَّتِهِ ذَهَلَ عُقُولَهُم، وَأَذهَبَ

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٤٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١١٣.

(٣) غريب القرآن، الطريحي: ٤٥٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٧.

تَمَيُّزُهُم، وَيَضطَرِبُونَ إِضطِرَابَ السَّكرَانِ[١].

نَزَلَتَا لَيلاً في غَزوَةِ بَنِي المُصطَلِقِ؛ وَهُم: حَيٌّ مِن خُزَاعَة، وَالنَّاسُ يَسِيرُونَ، فَنَادَى رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ فَاجتَمَعَ النَّاسُ حَولَهُ، فَقَرَأَهُمَا عَلَيهِم، فَلَم يُرَ بَاكِياً أَكثَرَ مِن تِلكَ اللَّيلَةِ، فَلَـمَّا أَصبَحُوا لَم يَحُطُّوا السُّرجَ، وَلَم يَضرِبُوا الخِيَامَ وَقتَ النُّزُولِ، وَلَم يَطبَخُوا القُدُورَ، وَالنَّاسُ بَينَ بَاكٍ وَجَالِسٍ حَزِينٍ مُتَفَكِّرٍ[٢].

فَقَالَ ﷺ: (أَتَدرُونَ أَيُّ يومٍ ذَلِكَ ؟) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ، قَالَ: (ذَلِكَ يَومَ يَقُولُ اللهُ لآدَمَ عليه السلام: قُم فَابعَث بَعثَ النَّارِ مِن وُلدِكَ، فَيَقُولُ آدَم: وَمَا بَعثُ النَّارِ؟ يَعنِي: مِن كَم كَم؟ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مِن كُلِّ أَلفٍ تِسعُمَائة وَتِسعَةً وَتِسعِينَ إِلى النَّارِ وَوَاحِدٌ إِلى الجَنَّةِ، فَعِندَ ذَلِكَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَملٍ حَملُهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى.

فَكَبُرَ ذَلِكَ علَى المُؤمِنينَ وَبَكُوا، وَقَالُوا: فَمَن يَنجُو يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ فَقَالَ ﷺ أَبشِرُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ مَعَكُم خَلقَتَينِ، مَا كَانَا في قَومٍ إِلَّا كَثَّرتَاهُ؛ يَأَجُوجُ وَمَأَجُوجُ.

ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لأَرجُو أَن تَكُونُوا رُبعَ أَهلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرُوا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لأَرجُو أَن تَكُونُوا نِصفَ أَهلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرُوا وَحَمِدُوا اللهَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لأَرجُو أَن تَكُونُوا ثُلثَي أَهلِ الجَنَّةِ.

إِنَّ أَهلِ الجَنَّةِ مَائةً وَعُشرُونَ صَفَّاً، ثَمانُونَ مِنهَا أُمَّتِي، وَمَا المُسلِمُونَ في الكُفَّارِ إِلَّا كَالشَّامَةِ في جَنبِ البَعِيرِ، أَو كَالشَّعرَةِ البَيضَاءِ في الثَّورِ الأَسوَدِ، ثُمَّ قَالَ: وَيَدخُلُ مِن أُمَّتِي سَبعُونَ أَلفَاً إِلى الجَنَّةِ بِغَيرِ حِسَابٍ.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٤٧.
(٢) الكشف والبيان، الثعلبي: ٧/ ٦.

فَقَالَ عُمر: سَبعُونَ أَلفَاً؟ قَالَ: نَعم، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبعُونَ أَلفَاً، فَقَامَ عُكَاشَة بِن محصِن، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُدعُ اللهَ أَن يَجعَلُنِي مِنهُم، فَقَالَ: أَنتَ مِنهُم، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ، فَقَالَ مِثلَ قَولِه، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَة) [١].

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: كَانَ الأَنصَارِيُّ مُنَافِقَاً [٢].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ (٣)

المَرِيدُ: المُتَجَرِّدُ لِلفَسَادِ، وَأَصلُهُ المَلَاسَةُ[٣] قَالَ اللهُ تعَالَى: **﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾** يُغوِيهُ عَن الهُدَى، وَيَدعُوهُ إِلى الضَّلَالِ[٤].

وَقِيلَ: إِنَّ المُرَادَ به النَّضرُ بن الحارِث؛ فَإِنَّهُ كَانَ كَثيرَ الجِدَالِ، وَكَانَ يَقُولُ: المَلَائكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَالقُرآنُ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، وَيُنكِرُ البَعثَ: **﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾** يُغوِيهِ عَن الهُدَى، وَيَدعُوهُ إِلى الضَّلَالِ، وَإِن كَانَ المُرَاد بِالآيَةِ النَّضرُ بن الحَارِث فَالمُرَادُ بِالشَّيطَانِ المَرِيد شَيطَانُ الإِنسِ؛ لأَنَّهُ كَانَ يَأَخُذُ مِنَ الأَعجَامِ وَاليَهُود مَا يَطعَنُ بِه علَى المُسلِمِينَ [٥].

(١) تفسير الرازي: ٢٣/ ٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٤٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٨.

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٥)

النُّطفَةُ: المَاءُ القَلِيلُ، وَكُلُّ مَاءٍ صَافٍ فَهوَ نُطفَةٌ، قَلَّ أَو كَثُرَ [(١)].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ**﴾ وَهي: القِطعَةُ مِنَ الدَّمِ الجَامِدِ [(٢)].

﴿**ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ**﴾ أَي: شَبِيهُ قِطعَةً مِنَ اللَّحمِ مَمضُوغَة، فَإِنَّ مَعنَى المُضغَةَ: مِقدَارُ مَا يُمضَغُ مِنَ اللَّحمِ [(٣)].

﴿**مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ**﴾ أَي: تَامَّةُ الخَلقِ وَغَيرُ تَامَّةِ الخَلقِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ مُصَوَّرَةٌ وَغَيرُ مُصَوَّرَةٌ، وَهوَ مَا كَانَ سَقطاً لَا تَخطِيطَ فِيهِ وَلَا تَصوِيرَ [(٤)].

﴿**وَنُقِرُّ**﴾ أَي: وَنُبقِي [(٥)].

﴿**فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ وَهوَ: وَقتُ تَمَامِه [(٦)].

﴿**ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ**﴾ أَي: مِنهَا طِفلاً؛ وَإِنَّمَا وَحَّدَ وَالمُرَادُ بِهِ الجَمعُ لأَنَّهُ بِمَعنَى المَصدَرُ،

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٨.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ١٧.
(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٢١١.
(٤) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٧٥.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٤٨.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٩٢.

كَقُولهُم: رَجُلٌ عَدلٌ، وَرِجَالٌ عَدلٌ، وَقِيلَ: أَرَادَ: ثُمَّ نُخرِجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنكُم طِفلاً [١].

﴿**ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ**﴾ وَهوَ حَالُ إِجتِمَاعُ العَقلِ وَالقُوَّةِ، وَتَمَامُ الخَلقِ، وَقِيلَ: هُوَ وَقتُ الإِحتِلَامِ وَالبُلُوغِ [٢].

﴿**وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**﴾ وَإِنَّمَا صَارَ الإِنسَانُ إِلَى أَرذَلِ العُمرِ لأَنَّهُ لَا يَرجُوا بَعدَهُ صِحَّةً وَلَا قُوَّة، وَإِنَّمَا يَتَرَقَّبُ المَوتَ وَالفَنَاء، بِخِلَافِ حَالِ الطُفُوليَّة وَالضَّعفِ الَّذِي يُرجَى لَهُ الكَمَالَ وَالتَّمَامَ بعدَهَا [٣] وَحَالُ الهَرَمِ أَخبَثُ عُمرُه وَأَحقَرُهُ وَأَهوَنَهُ؛ وَهي حَالُ الخَرَفِ [٤].

وَعَن عِكرَمَة، أَنَّهُ قَالَ: مَن قَرَأَ القُرآنَ لَم يَصِر بِهَذِه الحَالَة، وَاحتَجَّ بِقَولِهِ: ﴿**ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِين * إِلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ [٥].

يُقَالُ: هَمَدَت النَّارُ؛ إِذَا صَارَت رَمَاداً [٦] وَمِنهُ قَولُه تعالَى: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً**﴾ أَي: هَالِكَةً مَيِّتَةً يَابِسَةً دَارِسَةً مِن إِثرِ النَّبَاتِ [٧].

الإِهتِزَازُ: شِدَّةُ الحَرَكَةِ في الجِهَاتِ [٨] وَفي التَّنزِيلِ: ﴿**فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ أَي: تَحَرَّكَت بِالنَّبَاتِ [٩] وَالمَاءُ هُنَا: المَطَرُ البَهِيجُ الحَسَنُ الصُّورَةِ وَاللَّونِ [١٠].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٨.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٨.
(٤) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٢١٢.
(٥) التين: ٥-٦، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٩.
(٦) بحار الأنوار، المجلسي: ٥٦/ ٣٦٢.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٩.
(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٢٩.
(٩) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٢٩.
(١٠) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٦.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٩﴾

قَولُهُ تعالَى: **﴿ثانِيَ عِطْفِهِ﴾** أَي: مُتكَبِّرَاً في نَفسِهِ، وَثَنيُ العَطفِ كِنَايَةٌ عَن التكَبُّرِ، وَالعَرَبُ تَقُولُ: ثَنَى فُلَانٌ عِطفِهِ؛ إِذَا تَكَبَّرَ وَتجَبَّرَ، وَعِطفَا الرَّجُل: جَانِبَاهُ مِن غَيرِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، وَهوَ الوَضعُ الَّتي يَعطِفَهُ الإِنسَانُ؛ أَي: يَلويهُ وَيُمِيلُه عِندَ الإِعرَاضِ عَن الشَّيء، وَقِيلَ: مَعنَاهُ لَاوٍ عُنُقَهُ إِعرَاضاً وَتَكَبُّرَا عَن اللَّهِ وَرَسُولهُ[١].

﴿لِيُضِلَّ﴾ أَي: النَّاسُ: **﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** و هَذَا عِلَّةٌ لِلجِدَالِ: **﴿لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ﴾** أَي: هَوَانٌ وَذُلٌّ وَفَضِيحَةٌ[٢].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١١﴾

قَولُهُ تعالَى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ﴾** أَي: علَى طَرَفٍ مِنَ الَّذِينَ لَا ثَبَاتَ فِيهِ، كَالَّذِي يَكُونُ علَى طَرَفِ جَبَلٍ أَو نَحوَهُ، وَذَلِكَ مِن إِضطِرَابه في طَرِيقِ العِلم إِذَا لَم يَتَمَكَّن مِنَ الدَّلَائلِ المُؤدِّيةِ إِلَى الحَقِّ، فَيَنقَادُ لأَدنَى شُبهَةً لَا يُمكِنُه حَلُّهَا، وَهَذَا مَثَلٌ لِكَونِهِم عَلَى قَلَقٍ وَإِضطِرَابٍ في دِينَهُم، لَا علَى سُكُونٍ وَطَمَأنِينَة[٣].

وَالحَرفُ وَالطَّرفُ وَالجَانِبُ نَظَائِرٌ[٤].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ أَنَّهُ يَعبُدُ اللهَ بِلِسَانِهِ دُونَ قَلبِهِ؛ لأَنَّ الدِّينَ حَرفَانِ، أَحَدُهُمَا اللِّسَانُ،

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣٥.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٩٦.

وَالثَّاني القَلبُ، فَمَن اعتَرَفَ بِلِسَانِه وَلَم يُسَاعِدهُ قَلبَهُ فَهوَ علَى حَرفٍ [١].

﴿**فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ**﴾ أَي: إِن أَصَابَهُ رَخاءٌ، أَو عَافِيَةٌ وَخصبٌ كَثِيرٌ، إِطمَأَنَّ بِذَلِكَ الخَيرِ علَى عِبادَةِ اللَّـهِ [٢].

﴿**وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ**﴾ أَي: إِختِبَارٌ بِجَدبٍ، وَقِلَّةُ مَالٍ [٣].

﴿**انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ**﴾ أَي: رَجعَ عَن دِينِه الَّذِي كَانَ عَلَيهِ مِن رَبِّهِ إِلى الكُفرِ، وَالمَعنَى: إِنصَرَفَ إِلى وَجهِهِ الَّذِي تَوجَّهَ مِنهُ؛ وَهوَ الكُفرُ [٤].

رُوِي: أَنَّهَا نَزَلَت هَذِهِ الآيَة في جَمَاعَةٍ كَانُوا يَقدِمُونَ علَى رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله المَدِينَة، فَكَانَ أَحَدَهُم إِذَا صَحَّ جِسمَهُ، وَنَتَجَت فَرَسُهُ، وَوَلَدَت إِمرَأَتَهُ غُلاماً، وَكَثُرَت مَاشِيَتُهُ رَضِي بِهِ، وَاطمَأَنَّ إِلَيهِ، وَإِن أَصَابَهُ وَجَعٌ في المَدِينَةِ، وَوَلَدَت إِمرَأَتَهُ جَارِيَةً، قَالَ: مَا أَصبتُ في هَذَا الدِّينِ إِلَّا شَرَّاً [٥].

﴿**خَسِرَ الدُّنْيا**﴾ بِفِرَاقِهِ، وَخَسِرَ الآخِرَةَ بِنِفَاقِهِ [٦].

وَقِيلَ: حَضَرَ في الدُّنيَا العِزَّ وَالغَنِيمَة، وَفي الآخِرَةِ الثَّوَابَ وَالجَنَّة: ﴿**ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْـمُبِينُ**﴾ إِذ لَا خُسرَانَ مِثلَهُ [٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣٥.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٧٤.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٩/ ١٢٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣٥.
(٥) أسباب النزول، الواحدي: ٢٠٧.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣٥.
(٧) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٧٥.

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ ﴿١٢﴾

﴿**يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّـهِ ما لا يَضُرُّهُ وَما لا يَنْفَعُهُ**﴾ مِنَ الجَمَادِ وَمِن سَائرِ مَا سِوَى الله مِنَ المَالِ وَالدِّرهَم وَالدِّينَار، وَالأَزوَاجِ وَالأَولَادِ، وَجَعل كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّن أَعطَاهُ رَبُّهُ لَها لِنَفسِه، فَعَبَدَهُ بِإِطَاعَتِه، وَإِنقِيَادَه إِيَّاه، وَثَوَابَهُ عِندَ اللَّـهِ.

﴿**ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعيدُ**﴾ عَن الحَقِّ، وَهوَ مُستَعَارٌ مِن ضَلَالِ مَن أَبعَدَ فِي التَّيهِ ضَالَّاً، فَبَعُدَت مَسَافَةُ ضَلَالِه، وَسَفَّه اللهُ سُبحَانهُ عَقلَ هَذَا الشَّخص بِأَنَّه يَعبُدُ جَمَاداً، وَيَعبُدُ مَا لَا يَضُرُّه وَلَا يَنفَعُه وَهوَ يَعتَقِدُ أَنَّهُ يَنتَفِعُ بِهِ حِينَ يَستَشفِعُ بِه [1].

﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ ﴿١٣﴾

﴿**يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ**﴾ أَي: يَقُولُ هَذَا الكَافِر يومَ القِيَامَة بِدُعَاءٍ وَصُرَاخ حِينَ يَرى دُخُولَهُ لِلنَّارِ بِعبَادَتِه غَيرَ اللَّـهِ، وَيَرى إِثرَ الشَّفَاعَةِ الَّتي أَمَّلَهَا: ﴿**لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْـمَوْلى وَلَبِئْسَ الْعَشيرُ**﴾ [2].

وَالعَشِيرُ: الصَّاحِبُ المُعَاشِرُ لِلمَرءِ [3].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٥٠.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٥٠.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٩٨.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ**﴾ أَي: مَنبَعِه وَحِيلَته: ﴿**ما يغيظُ**﴾ مَا: بِمَعنَى المَصدَرِ؛ أَي: هَل يُذهِبَنَّ كَيدَهُ غَيظَهُ، وَلَهُ مَعَانٍ[١].

يُقَالُ: أَرضٌ مَنصُورَةٌ؛ أَي: مَمطُورَةٌ[٢].

قِيلَ: مَن ظَنَّ أَنَّ اللهَ تعَالَى لَا يَرزُقَهُ فَليَختَنِق نَفسَهُ؛ أَي: لَا يُمكِنَهُ تَكثِيرُ رِزقَهُ، كَمَا لَا يَقدِرُ أَن يَزِيدَ فِيمَا رَزَقَهُ اللهُ بِهذَا النَّوعِ مِنَ الكَيدِ، كَذَلِكَ لَا يَعِدُّ رِعَايَتَهُ بِسَائِرِ أَنوَاعِ الكَيدِ، وَهذَا الجَاهِلُ أَعطَاهُ اللهُ شَيئاً مِمَّا يُقَدَّرُ لَهُ، يَعنِي مَثَلُهُ مَثَلُ مَن يَفعَلُ بِنَفسِه هَذَا الفِعلُ التَّمييِّزُ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ[٣].

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (١٩)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نارٍ**﴾.

قَالَ ابن عبَّاس: حِينَ صَارُوا إِلى جَهَنَّمَ لَبِسُوا مُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ؛ وَهي: الثِّيَابُ القِصَار، وَقِيلَ: يُجعَلُ لَهُم ثِيَابُ نُحَاسٍ مِن نَارٍ، وَهي أَشَدُّ مَا تَكُون حَرّاً، عَن سَعِيد بن جُبَير، وَقِيلَ: إِنَّ النَّارَ تُحِيطُ بِهم كَإِحَاطَةِ الثِّيَابِ الَّتي يَلبَسُونَهَا بِهم.

﴿**يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ**﴾ أَي: المَاءُ المَغلِيُّ، فَيُذِيبُ مَا في بُطُونَهُم مِنَ الشُّحُومِ وَتَسَاقُطِ الجُلُودِ[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣٦.
(٢) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٧٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٣٦.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٠.

﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾ (٢٠)

﴿**يُصْهَرُ بِهِ ما في بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ**﴾ أَي: يُذَابُ وَيُنضَجُ بِذَلِكَ الحَمِيمِ مَا فِيهَا مِنَ الأَمعَاءِ، وَيُذَابُ بِه الجُلُود [١].

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾ (٢١)

﴿**وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَديد**﴾ أَي: سِيَاطٌ مِنهُ يُجلَدُونَ بِهَا؛ وَهي جَمعُ مَقمَعَة؛ وَهي: مَدَقَّةُ الرَّأسِ، مِن قَمِعَهُ يَقمَعُهُ قَمعاً، إِذَا رَدَعَهُ [٢].

رُوِي عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ فِي قَولِهِ تعَالَى: ﴿**وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَديدٍ**﴾: (لَو وُضِعَ مَقمَعٌ مِن حَدِيدٍ فِي الأَرضِ، ثُمَّ اجتَمَعَ عَلَيهِ الثَّقلَانِ مَا أَقَلُّوهُ مِنَ الأَرضِ) [٣].

وَقَالَ الحَسَنُ: إِنَّ النَّارَ تَرمِيهُم بِلَهَبِهَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي أَعلَاهَا ضُرِبُوا بِمَقَامِعَ، فَهَوَوا فِيهَا سَبعِينَ خَرِيفاً، فَإِذَا انتَهُوا إِلى أَسفَلِهَا ضَرَبَهُم زَفِيرُ لَهَبِهَا، فَلَا يَستَقِرُّونَ سَاعَةً، فَذَلِكَ قَولُه: ﴿**كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها**﴾ [٤].

يَعنِي: كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخرُجُوا مِنَ النَّارِ لِمَا يَلحَقَهُم مِنَ الغَمِّ وَالكَربِ فَخَرجُوا رُدُّوا إِليهَا بِالمَقَامِعِ [٥] لأَنَّ الإِعَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعدَ الخُرُوجِ [٦].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٥٢.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٠٣.

(٣) مسند احمد بن حنبل: ٣/ ٢٩، كنز العمال، المتقي الهندي: ٤/ ٤٧٤ح ٥٥٧٤.

(٤) زاد المسير، ابن الجوزي: ٥/ ٢٨٦.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٠.

(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢١.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٢٢﴾

وَيُقَالُ: ﴿**وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ أَي: عَذَابُ النَّارِ الغَلِيظ، مُبَالَغَةً في الإِحرَاقِ(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿**إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فيها**﴾ مِن حَلِيَت المَرأَةُ؛ إِذَا لَبِسَت الحُلِيَّ؛ أَي: يَلبَسُونَ فِيهَا الحُلِيّ (٢).

﴿**مِنْ أَساوِرَ**﴾ جَمعُ أَسوِرَة، مِن سِوَار (٣).

﴿**مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً**﴾ وَقَرَأَ أَبُو بَكرٍ: لولؤ، بِتَركِ الهَمزَةِ الأُولَى، وَالمَعنَى وَاحِدٌ:

﴿**وَلِباسُهُمْ فيها حَرِيرٌ**﴾ (٤).

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿**هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ**﴾ وَالحَمِيدُ، هُوَ: اللهُ تَعَالَى (٥).

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٥٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢١.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٠.

(٤) التفسير الصافي، الكاشاني: ٣/ ٣٦٩.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤١.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾

العَاكِفُ: المُقِيمُ المُلَازِمُ لِلمَكَانِ [1].

يُقَالُ: الشَّيء يَبدَأ؛ إِذَا ظَهَرَ، وَالبَدوِ: خِلَافُ الحَضَرِ، سُمِّي بِذَلِك لِظُهورِهِ، وَقِيلَ: البَادِي في قَولِه تعَالَى: ﴿**سَواءً الْعاكِفُ فيهِ وَالْبادِ**﴾ أَي: الطَّارِئ [2].

يَعنِي: مِن غَيرِ فَرقٍ بَينَ حَاضِرٍ وَبَادٍ، وَثَابِتٍ وَطَارِئ [3].

الإِلحَادُ: العُدُولُ عَن القَصدِ [4].

المَبَاءَةُ: المَرجِعُ [5].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٢.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٠.
(٤) تفسير الرازي: ٢٣/ ٢٥.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٤٩٦.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾ أَي: قُلنَا لإِبرَاهِيمَ: أَن نَادِي فِي النَّاسِ وَأَعلِمهُم بِوُجُوبِ الحَجِّ، واختُلِفَ فِي المُخَاطَبِ بِهِ؛ فَقِيلَ: إِنَّه إِبرَاهِيم، وَندَاؤهُ بِالحَجِّ أَن يَقُولَ: يا أَيُّهَا النَّاس حُجُّوا، وَعَلَيكُم بِالحَجِّ [١].

وَرُوِي: أَنَّهُ ﷺ قَامَ فِي المَقَامِ، أَو صَعَدَ أَبَا قُبَيسٍ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، حِجُّوا بَيتَ رَبِّكُم، فَأَسمَعَ اللهُ سُبحَانَهُ صَوتَهُ كُلَّ مَن سَبَقَ عِلمُهُ بِأَنَّه يَحُجُّ إِلَى يوم القِيَامَةِ، فَأَجَابُوهُ فِي أَصلَابِ الآبَاءِ وَلَبَّوهُ، فَقَالُوا: لَبَيكَ اللَّـهُمَّ لَبيك، وَأَوَّلُ مَن أَجَابَهُ أَهلُ اليَمَنِ) [٢].

وَقِيلَ: إِنَّ المُخَاطَبَ بِهِ نَبِيَّنَا ﷺ أُمِرَ أَن يُعلِمَ النَّاسَ بِوُجُوبِ الحَجِّ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: ﴿**يَأْتُوكَ رِجَالاً**﴾ أَي: مُشَاةً عَلَى أَرجُلَهُم، جَمعُ رَاجِلٍ، كَقَائِمٍ وَقِيَامٍ [٣].

﴿**وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ**﴾ أَي: وَرُكبَانَاً عَلَى كُلِّ بَعِيرٍ مَهزُولٍ، وَالضَامِرُ: المَهزُولِ، أَضمَرَهُ السَّيرُ، وأَتعَبَهُ بُعدُ السَّفَرِ فَهَزَلَهُ [٤].

قَالَ ابن عبَّاس: يُرِيدُ الإِبِلِ، وَلَا يَدخُلُ بَعِيرٌ وَلَا غَيرُه الحَرَم إِلَّا وَقَد هَزِلَ [٥].

رَوَى سَعِيد بن جُبَير، عَن ابن عبَّاس، أَنَّهُ قَالَ لِبَنِيه: يَا بَنِي، حُجُّوا مِن مَكَّةَ مُشَاةً، حَتَّى تَرجِعُوا إِلَيهَا مُشَاةً، فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللّـهِ ﷺ يَقُولُ: (لِلحَاجِّ الرَّاكِبِ بِكُلِّ خُطوَةٍ تَخطُوهَا رَاحِلَتُهُ سَبعُونَ حَسَنَةً، وَلِلحَاجِّ المَاشِي بِكُلِّ خُطوَةٍ يَخطُوهَا سَبعُمِائَةِ

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٥.
(٢) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٨٣.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٥٥.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٥.

حَسنَة مِن حَسَنَاتِ الحَرَمِ، قِيلَ: وَما حَسَنَاتُ الحَرَمِ؟ قَالَ: الحَسَنَةُ بِمائَةِ أَلفِ حَسَنَةٍ)[١].

﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أَي: طَرِيقٌ بَعِيدٌ[٢].

وَرُوِي مَرفُوعَاً عَن أَنس بِن مَالِك، قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الله تعَالَى يُبَاهِي بِأَهلِ عَرَفَات المَلَائكَةِ، يَقُولُ: يَا مَلَائكَتِي انظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعثَاً غُبرَاً، أَقبَلُوا يَضرِبُونَ إِلَيَّ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فَأُشهِدكُم أَنِّي قَد أَجَبتُ دُعَاءَهُم، وَشَفَعتُ رَغبَتَهُم، وَوَهَبتُ مُسِيئهُم لِمُحسِنَهُم، وَأَعطَيتُ مُحسِنَهُم جَمِيعَ مَا سَأَلُونِي غَيرَ التَّبِعَاتِ الَّتي بَينَهُم، فَإِذَا أَفَاضَ القَومُ إِلي جَمعٌ، وَوَقَفُوا وَعَادُوا فِي الرَّغبَةِ وَالطَّلَبِ إِلى اللَّـهِ، يَقُولُ: يَا مَلَائكَتِي، عِبَادِي وَقَفُوا وَعَادُوا مِنَ الرَّغبَةِ وَالطَّلَبِ، فَأُشهِدكُم أَنِّي قَد أَجَبتُ دُعَاءَهُم، وَشَفَّعتُ رَغبَتَهُم، وَوَهَبتُ مُسِيئهُم لِمُحسِنَهُم، وَأَعطَيتُ مُحسِنَهُم جَمِيعَ مَا سَأَلَنِي، وُكَفِلتُ عَنهُم بِالتَّبِعَاتِ الَّتي بَينَهُم)[٣].

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٢٢٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣١٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٥.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾(٢٨)

﴿لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ﴾ أي: لِيَحضَرُوا مَنَافِعَ تَنَالهُم في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ[١].

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ﴾ وَاختُلِفَ في الأَيَّامِ المَعدُودَاتِ، فَالمُرَادُ عَن البَاقِرِ عليه السلام: أَنَّها يَومُ النَّحرِ، وَالمَعلُومَاتُ: أَيَّامُ التَّشرِيقِ؛ وَالأَيَّامُ المَعدُودَاتِ: عَشر ذِي الحِجَّة، وَهوَ قَولُ ابنِ عبَّاس، وَاختَارَهُ الزَّجَّاجُ، قَالَ: لأَنَّ الذِّكرَ هُنَا يَدلُّ عَلَى التَّسمِيَةِ علَى مَا يُذبَحُ وَيُنحَرُ، لِقَولِهِ: ﴿عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ﴾ أَي: عَلَى ذَبحِ وَنَحرِ مَا رَزَقَهُم مِنَ الإِبلِ وَالبَقرِ وَالغَنَمِ، فَهَذِه الأَيَّام تَختَصُّ بِذَلِكَ[٢].

وَقِيلَ: إِنَّ الذِّكرَ فِيهَا، كِنَايَةٌ عَن الذَّبحِ؛ لأَنَّ صِحَّةِ الذَّبحِ لـمَّا كَانَ بِالتَّسمِيَةِ سُمِّي بِإِسمِه تَوَسُّعاً، وَقِيلَ: هُو التَّكبِيرُ.

قَالَ أَبو عَبدِ اللَّهِ عليه السلام: (التَّكبِيرُ بِمنَى عُقَيبَ خَمسِ عَشرَةَ صَلَاةٍ، أَوَّلُها صَلَاة الظُّهرِ مِن يَومِ النَّحرِ)[٣].

وَالبَهِيمَةُ: المُبهَمَةُ في كُلِّ ذَاتِ أَربَعٍ فَسُمِّيَت بِالأَنعَامِ؛ وَهي: الإِبِلُ وَالبَقرُ وَالضَّأنُ وَالمَعزُ، وَإِشتِقَاقُ الأَنعَامِ مِنَ النِّعمَةِ، وَهي اللِّينُ، سُمِّيَت بِذَلِكَ لِلِينِ خِفَافِهَا[٤].

﴿فَكُلُوا مِنْها﴾ أَي: مِن بَهِيمَةِ الأَنعَامِ، وَهَذَا أَمرُ إِبَاحَةٍ وَنُدبٍ، وَلَيسَ بِوَاجِبٍ[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٢/ ٤١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٦.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٨٨.
(٥) الكشف والبيان، الثعلبي: ٢/ ٧٨.

﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ فَالبَائِسُ: الَّذِي أَصَابَهُ بُؤسٌ؛ أَي: شِدَّةٌ مِنَ الجُوعِ وَالعُرِيِّ، وَالفَقِيرُ: المُحتَاجُ، وَقِيلَ: البَائِسُ: الَّذِي يَمُدُّ يَدَهُ بِالسُّؤالِ[1].

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢٩)

التَّفَثُ: الوَسَخُ، وَقَضَاءُ التَّفَثِ: قَصُّ الشَّارِبِ وَالأَظفَارِ، وَالغَسلُ، وَإِستِعمَالُ الطِّيبِ، وَالإِيفَاءُ: الإِتمَامُ[2].

البَيتُ العَتِيقُ: هُوَ الكَعبَةُ؛ وَإِنَّمَا سُمِّي عَتِيقَا، لأَنَّهُ أُعتِقَ مِن أَن يَملِكَهُ العَبِيدُ، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّي عَتِيقَاً؛ لأَنَّهُ أُعتِقَ مِن أَن تَصِلَ الجَبَابِرَةُ إِلى تَخرِيبِهِ، وَمَا قَصَدَهُ جَبَّارٌ قَبلَ نَبِيِّنَا ﷺ إِلَّا أَهلَكَهُ اللهُ تَعَالَى، وَإِنَّمَا لَم يَهلِكَ الحَجَّاجَ حِينَ نَقَضَهُ وَبَنَاهُ ثَانِياً بِبَرَكَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَقِيلَ: سُمِّي بِهِ؛ لأَنَّهُ أُعتِقَ مِنَ الطُّوفَانِ، فَغَرِقَت الأَرض كُلُّهَا إِلَّا مَوضِعَ البَيتِ، وَقِيلَ: سُمِّي بِهِ؛ لأَنَّهُ قَدِيمٌ، فَهوَ أَوَّلُ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، بَنَاهُ آدمُ عليه السلام ثُمَّ جَدَّدَهُ إِبرَاهِيمُ عليه السلام[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٦.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٧.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٣٠)

التَّعظِيمُ: العِلمُ بِأَنَّ الشَّيء وَاجِبُ الحِفظِ[١].

الزُّورُ: الإِنحِرَافُ، وَقَولُه تعَالَى: ﴿**اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾ وَهوَ: الكَذِبُ؛ لأَنَّهُ مُنحَرِفٌ، مَصرُوفٌ عَن الوَاقِعِ[٢].

وَرُوِي عَن أَصحَابِنَا رِضوَانُ اللَّهِ عَلَيهِم: يَدخُل فِيهِ الغِنَاءُ، وَسَائرُ الأَقوَالِ المُلهِيَةُ[٣].

وَرُوِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاس، عَدِلَت شَهَادَةُ الزُّورِ الشِّركُ بِاللّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾)[٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٢.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٩٠.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣١٢.

(٤) المبسوط، الطوسي: ٨/ ١٦٤، سنن ابن ماجة: ٢/ ٧٩٤ ح ٢٣٧٢.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٣١)

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ أَي: مُستَقِيمِي الطَّرِيقَةِ عَلَى أَوَامِرِ اللَّهِ، مَائِلِينَ عَن سَائِرِ الأَديَانِ، وَهوَ نَصبٌ عَلَى الحَالِ [١].

التَّخَطُّفُ: الأَخذُ بِسُرعَةٍ [٢].

السَّحِيقُ: البَعِيدُ [٣].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أَي: سَقَطَ مِنهَا [٤].

﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ أَي: تَأْخُذَهُ بِسُرعَةٍ، فَتَتفَرَّقُ أَجزَاءه في حَوَاصِلِهَا [٥].

﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ يَعنِي: عَصَفَت بِهِ الرِّيحُ، فَهَوَت إِلى الأَمَاكِنِ البَعِيدَة [٦].

أَعلَمَ اللهُ سُبحَانَهُ إِنَّ بُعدَ مَن أَشرَكَ بِهِ مِنَ الحَقِّ كَبُعدِ مَن خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَهَبَت بِهِ الطَّيرُ، أَو هَوَت بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ [٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٩.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٠٤.
(٣) العين، الفراهيدي، مادة (سحق) ٣/ ٣٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٩.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٢.
(٦) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٢٣٢.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٠.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٣٢﴾

الشَّعِيرَةُ: وَاحِدَةُ الشَّعَائِرِ؛ وَهي: البُدنُ إِذَا أُشعِرَت، أَي: أُعلِمَت عَلَيهَا؛ بِأَن يُشَقُّ سَنَامُهَا مِنَ الجَانِبِ الأَيمَنِ، لِيُعلَمَ أَنَّهَا هَدي [١].

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ﴿٣٣﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**لَكُمْ فيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ أَي: لَكُم في الشَّعَائِرِ مَنَافِعُ بِرُكُوبِ ظُهُورِهَا، وَشُربِ أَلبَانِهَا إِلَى أَن تُنحَر وَيُتصَدَّقُ بِلُحومِهَا [٢].

﴿**ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ يَعنِي: مَحَلُّ الهَدي وَالبُدنُ مُنتَهِيَةٌ إِلى الكَعبَةِ، وَقِيلَ: مَحَلُّهُ الحَرَمُ كُلُّه [٣].

وَقَالَ أَصحَابُنَا: إِن كَانَ الهَديُ لِلحَجِّ فَمَحَلُّهُ مِنَى، وَإِن كَانَ لَلعَمرَةِ الْمُفرَدَةِ فَمَحَلُّهُ مَكَّةَ قِبَالَةُ الكَعبَةِ بِالجَزُورَةِ، وَمَحِلُّهَا حَيثُ يُحَلُّ نَحرُهَا [٤].

وَثُمَّ لِلتَرَاخِي في الوَقتِ، وَاستُعِيرَت لِلتَرَاخِي في الأَحوَالِ، وَالْمُرَادُ: أَنَّ لَكُم في الهَدَايَا مَنَافِعَ كَثِيرَةً في دِينكُم وَدُنيَاكُم، وَأَعظَمُ هَذِهِ المَنَافِعَ: ﴿**مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾[٥].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٩١.

(٢) جامع البيان، الطبري: ١٧/ ٢٠٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥١.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٥٩.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤)

المَنسَكُ: بِفَتحِ السِّينِ مَصدَرٌ بِمَعنَى النُّسُكِ؛ وَهوَ: العِبَادَةُ، وَبِكَسرِهَا بِمَعنَى: المَوضِعُ[١].

الخَبتُ: المُطمَئِنُ مِنَ الأَرضِ[٢] وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ أَي: المُتَواضِعِينَ، المُطمَئِنِينَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ الإِخبَاتَ صِفَتَهُم[٣].

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣٦)

البُدنَةُ: وَاحِدَةُ البُدنِ؛ وَهي: الإِبلُ العِظَامُ، سُمِّيَت بِذَلِك لِعِظَمِ بَدَنِهَا، وَقِيلَ: النَّاقَةُ وَالبَقَرَةُ مِمَّا يَجُوزُ في الهَدي وَالأَضَاحِي[٤].

وَجعلُ البَقَرِ في حُكمِ الإِبلِ؛ لِقَولِهِ ﷺ: (البُدنَةُ عَن سَبعَةٍ، وَالبَقَرَةُ عَن سَبعَةٍ)[٥].

وِذِكرُ إِسمِ الله عَلَى القُربَان، هُوَ أَن يُقَال: بِسمِ اللَّهِ واللهُ أَكبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، واللهُ أَكبَرُ، اللَّـهُمَّ مِنكَ وَلَكَ[٦].

---

(١) تفسير الرازي: ٢٣/ ٣٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٦٠.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٤٥.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٦٠.
(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٩٥.

﴿صَوافَّ﴾ أَي: قِيَاماً مُقَيَّدَةً، علَى سُنَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وهوَ: أَن تُعقَلَ إِحدَى يدَيهَا، وَتَقُومُ علَى ثَلَاثٍ، تُنحَرُ كَذَلِكَ، وَيُسَوَّى بَينَ أَوظِفَتِهَا لئلَّا يَتَقَدَّم بَعضُهَا علَى بَعضٍ[1].

وَهوَ مِن صُفُونِ الفَرَسِ؛ وَهوَ: أَن يَقُومَ علَى ثَلَاثٍ، وَيَنصِبُ الرَّابِعَة علَى طَرَفِ سُنبكَتِهِ[2].

وَقِيلَ: هُوَ أَن تُنحَرَ وَهي صَافَّةٌ؛ أَي: قَائمَةٌ قَد رُبطَت يَدَاهَا مَا بَينَ الرِّسغِ وَالخُفِّ إِلَى الرُّكبَةِ، وَهَذَا في الإِبِلِ، فَأَمَّا في البَقَرِ، فَإِنَّهُ تُشَدُّ يَدَاهَا وَرِجلَاهَا، وَيُطلَقُ ذَنَبُهَا، وَالغَنَمُ تُشَدُّ ثَلَاثُ قَوَائمٍ مِنهَا، وَيُطلَقُ رِجلٌ مِنهَا، وَالوُجُوبُ: السُّقُوطُ[3].

يُقَالُ: وَجَبَ الحَائطُ: إِذَا سَقَطَت[4] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها﴾ أَي: سَقَطَت الأُضحِيَةُ عَلَى الأَرضِ، عَبَّرَ بِذَلِكَ عَن تَمَامِ خُرُوجِ الرُّوحِ مِنهَا[5] قِيلَ: إِنَّ الأَكلَ مِنهَا وَاجِبٌ إِذَا تَطَوَّعَ بِهَا[6].

وَالوُجُوبُ في الأَصلِ: السُّقُوطُ[7].

يُقَالُ: عَرَاهُ وَاعتَرَاهُ، وَعَرَّهُ وَاعتَرَّهُ، كُلٌّ بِمَعنَى: أَتَاهُ وَقَصَدَهُ[8].

وَفي الحَدِيثِ عَن الصَّادِقِ عليه السلام: (القَانِعُ: الَّذِي يَقنَعُ بِمَا أَعطَيتَهُ وَلَا يَسخَطُ، وَلَا

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٦١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ١٢١.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٦١.

(٦) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٢/ ٢٩٧.

(٧) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ١٢١.

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٣.

يَكلَحُ، وَلَا يَلوِي شِدقَهُ غَضَباً، وَالْـمُعتَرُّ: الْـمَادُّ يَدَهُ لِتُطعِمَه) [١].

وَالْمُعتَرُّ وَالْمُعتَرِي وَاحِدٌ [٢].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ وَالْـمُعْتَرَّ**﴾ اختُلِفَ في مَعنَاهَا؛ فِقِيلَ: إِنَّ القَانِع الَّذِي يَقنَعُ بِمَا أُعطِي، وَبِمَا عِندَهُ وَلَا يَسأَلُ، وَالْمُعتَرُّ: الَّذِي يَتَعَرَّضُ لَكَ أَن تُطعِمَهُ مِنَ اللَّحمِ، وَقِيلَ: القَانِعُ الَّذِي يَسأَلُ، وَالْمُعتَرُّ: الَّذِي يَتَعَرَّضُ وَلَا يَسأَلُ [٣].

﴿لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلى ما هَداكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧)

يُقَالُ: وَكَانُوا فِي الجَاهِلِيَّة إِذا ذَبَحُوا القَرَابِينَ استَقبَلُوا الكَعبَةَ بِإِهرَاقِ الدِّمَاءِ، وَلَطَّخُوهَا قُربَةً إِلى اللَّـهِ، فَهَمَّ بِهِم المُسلِمُون فَنَزَلَ قَولُه تعَالى: ﴿**لَنْ يَنالَ الله لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ**﴾ [٤].

وَالإِخلَاصُ: صِدقُ النِّيَّةِ [٥].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ لَن تَبلغُوا رِضَا اللَّهِ تعَالَى بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا تَبلُغُوا رِضَاهُ بِالتَّقوَى [٦] وَالتَّوَرُّعِ عَمَّا نَهَاهُم وَعَمَّا أَمرَهُم.

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٤/ ١٦٣ح ١٨٨٧٦.
(٢) أحكام القرآن، ابن العربي: ٣/ ٢٩٦.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣١٩.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢٨.
(٥) إحياء علوم الدين،الغزالي: ١٤/ ١٨٧.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٦.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨)

قِيلَ: مَن ذَكَرَ إِسمَ غَيرِ اللَّهِ تعَالَى، وَتَقَرَّبَ إِلى الأَصنَامِ بِذَبِيحَتِه فَهوَ: ﴿**خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾[١].

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤١)

والصَّلَوَاتُ: كَنَائسُ اليَهُودِ، سُمِّيَت بِهَا لأَنَّها يُصَلَّى فِيهَا، وَقِيلَ: إِنَّ أَصلُهَا صَلُوتا بِالعِبرَانِيَّةِ فَعُرِّبَت[٢].

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١)

التَّمكِينُ: إِعطَاءُ مَا يَصِحُّ مَعهُ الفِعلَ[٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٦.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٢٩.

(٣) فقه القرآن، الراوندي: ٢/ ٢٣.

﴿وَأَصْحابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٤٤﴾

يُقَالُ: أَملَى اللهُ لِفُلَانٍ في العُمرِ؛ إِذَا أَخَّرَ عَنهُ أَجَلَهُ [١].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ﴾ أَي: أَخَّرتُ عُقُوبَتَهُم وَأَمَّلتَهُم حَتَّى إِنقَضَت آجالَهُم المُقَدَّرَة [٢].

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بِالعَذَابِ: ﴿فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ أَي: إِنكَارِي عَلَيهِم بِتَغييرِ النِّعمَةِ مِحنَة، وَالحَيَاة هَلاَكَاً، وَالعِمَارَةُ خَرَاباً [٣] وَهَذا إِستِفهَامٌ يُرَادُ بِهِ التَّقرِير.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ ﴿٤٥﴾

يُقَالُ: خَوَى النَّجمُ؛ إِذَا سَقَطَ [٤].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها﴾ أَي: سَاقِطَةٌ، وَالمُرَادُ: أَنَّ القَريَةَ خَالِيَةٌ مِن أَهلِهَا، سَاقِطَةٌ عَلَى سُقُوفِهَا [٥] وَخَوَى المَنزِلُ؛ إِذَا خَلِي مِن أَهلِهِ [٦].

وَالعَرشُ: السَّقفُ، وَكُلُّ مُرتَفَعٍ مِن سَقفِ بَيتٍ، أَو مَظَلَّةٍ، أَو كَرمٍ فَهوَ عَرشٌ [٧].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٠٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٣٠.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٣٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٦٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤٨.

(٦) غريب القرآن، الطريحي: ٢٤.

(٧) غريب القرآن، الطريحي: ٢٤.

وَالمَشِيدُ: المُرتَفِعُ، وَقِيلَ: هُوَ المُجَصَّصُ [(١)].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾ عَطفٌ علَى قَولِه: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ أَي: وَكَم مِن بِئرٍ عَامِرَةٍ فِي البَوَادِي، فِيهَا المَاء، وَمعَهَا آلَاتُ الإِستِقَاءِ، إِلَّا أَنَّهَا عُطِّلَت وَتُركَت لَا يُستَقَى مِنهَا لِهَلَاكِ أَهلِهَا، وَكَم مِن قَصرٍ مَرفُوعٍ مُجَصَّصٍ أَخلَينَاهُ عَن سَاكِنِيهِ، فَلَم يَبقَ فِيهِ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٍ، فَحُذِفَ لِدِلَالَةِ مُعَطَّلَةٍ عَلَيهِ [(٢)].

وَفِي تَفسِيرِ أَهلِ البَيتِ ﷺ في قَولِه: ﴿**وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ**﴾ أَي: وَكَم مِن عَالِمٍ لَا يُرجَعُ إِلَيهِ، وَلَا يُنتَفَعُ بِعِلمِه [(٣)].

وَرُوِي: إِنَّ هَذِه البِئرَ كَانَت بَحَضرَموت، فِي بَلدَةٍ يُقَالُ لهَا: حَاضُورَا، نَزَلَ بِهَا أَربَعَةُ آلافٍ مِمَّن آمَن بِصَالِحِ ﷺ وَمَعَهُم صَالِحُ ﷺ فَلَمَّا حَضَرُوهُ مَاتَ صَالِحُ ﷺ فَسُمِّي المَكَانُ: حَضرَموت، ثُمَّ إِنَّهُم كَثُرُوا، فَكَفَرُوا وَعَبَدُوا الأَصنَامَ، فَبَعَثَ اللهُ نَبِيّاً يُقَالُ لَهُ حَنظَلَة، فَقَتَلُوهُ فِي السُّوقِ، فَأَهلَكَهُم اللهُ فَمَاتُوا عَن آخِرِهُم، وَعُطِّلَت بِئرَهُم، وَخُرِّبَ قَصرُ مَلِكَهُم [(٤)].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٢٤.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٣٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٥٩.

(٤) الكشف والبيان، الثعلبي: ٧/ ٢٧ بتفاوت.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦)

ثُمَّ حَثَّ اللهُ سُبحَانَهُ علَى الإعتِبَارِ بِحَالِ مَن مَضَى مِنَ القُرُونِ المُكَذِّبَةِ لِرُسُلِهُم بقَولِه: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ أَي: قَومُكَ في أَرضِ اليَمَنِ وَالشَّامِ[١].

﴿**فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها**﴾ التَّوحِيدَ، وَ: ﴿**آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها**﴾ مَا يَجِبُ عَلَيهِم سَمَاعُه.

﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصارُوَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ الهَاءُ في إِنَّهَا ضَمِيرُ القِصَّةِ[٢] وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ ضَمِيراً مُبهَماً يُفَسِّرُهُ الإِبصَارُ وَفي تَعمَى ضَمِيرٌ رَاجِعٌ إِلَيهِ[٣].

وَالمَعنَى: إِنَّ أَبصَارَهُم صَحِيحَةٌ لَا عَمَى بِهَا، وَإِنَّمَا العَمَى بِقُلوبِهُم.

وَقَولُه: ﴿**الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ تَوكِيدٌ، كَمَا في قَولِهِ: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾[٤] وَذَلكَ لِيَتقَرَّرُ أَنَّ مَكَانَ العَمَى إِنَّمَا هُوَ القَلبُ لَا البَصَرِ[٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٦٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٦٠.

(٣) تفسير الرازي: ٢٣/ ٤٥.

(٤) آل عمران: ١٦٧.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٧.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ اختُلِفَ في مَعناهُ علَى وُجُوهٍ:

أَحدُهَا: إِنَّ يوماً مِنَ الأَيَّام بِالآخِرَة يَكُونُ كَأَلفِ سَنَةٍ مِن أَيَّام الدُّنيا، وَيَدُلُّ عَلَيهِ مَا رَوِي: أَنَّ الفُقَرَاءَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ قَبلَ الأَغنِيَاء بِنصفِ يَوم خَمسَمِائَة عَامٍ، وَيَكُونُ المَعنَى: علَى هَذَا أَنَّ يوماً مِنَ أَيَّامِ عَذَابِ المُستَعجلِينَ في الآخِرَةِ كَأَلفِ سَنَةٍ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ المَعنَى؛ وَإِنَّ يوماً عِندَ رَبِّكَ وَأَلفُ سَنَةٍ في قُدرَةِ اللَّـهِ وَاحِدٌ، فَلا فَرقَ بَينَ وُقُوعِ مَا يَستَعجِلُونَ بِهِ مِنَ العَذَابِ، وَبَينَ تَأَخُّرِه في القُدرَةِ، لَكِنَّهُ سُبحَانَهُ تَفَضَّلَ بِالإِمهَالِ، إِذا لَا يَفُوتُهُ شَيء.

وَثَالِثُهَا: إِنَّ يوماً وَاحِداً كَأَلفِ سَنَةٍ في مِقدَارِ العَذَابِ لِشِدَّتِه وَعَظَمَتِه كَمِقدَارِ عَذَابِ أَلفِ سَنَةٍ مِن أَيَّام الدُّنيَا علَى الحَقِيقَةِ، ثُمَّ الكَافِرُ يَستَعجِلُ ذَلِكَ العَذَابَ لِجَهلِهِ، كَمَا يُقَالُ في المَثَلِ: أَيَّامُ السُّرُورِ قِصَارٌ، وَأَيَّامُ الهُمُومِ طِوَالٌ [١].

السَّعيُ في الأَصلِ: الإِسرَاعُ في المَشي [٢].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٦١.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٧٩.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٥١)

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَالَّذينَ سَعَوْا في آياتِنا**﴾ أَي: بِالرَّدِّ وَالإِبطَالِ، بَالَغُوا في ذَلِكَ مُعَاجِزِينَ، أَي: مُشَاقِّينَ [1].

وَقِيلَ: مُقَدِّرِينَ أَنَّهُم يَسبِقُونَنَا، وَالْمُعَاجَزَةُ: الْمُسَابَقَةُ، مِن عَاجَزَهُ فَأَعجَزَهُ وَعَجِزَه، إِذَا سَبَقَهُ فَسَبَقَهُ؛ لأَنَّ كُلَّاً مِن الْمُتَسَابِقَينِ بِطَلَبِ إِعجَازِ الآخَرِ عَن اللَّحُوقِ بِهِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ ظَانِّينَ أَن يُعجِزُوا اللهَ وَلَن يُعجِزُوهُ [2].

﴿**أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحيمِ**﴾ أَي: الْمُلَازِمُونَ لَهُ، وَهي: النَّارُ الْمُوقَدَةِ، وَقِيلَ: إِسمُ دَرَكَةٍ [3].

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٣٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٦٢.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٣٣.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢)

الرَّسُولُ: الَّذِي أَرسَلَهُ اللهُ تعالَى، وَلَا يُحمَلُ عِندَ الإِطلَاقِ على غَيرِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وَالنَّبِيُّ: الَّذِي لَهُ الرِّفعَةُ وَالدَّرَجَةُ العَظِيمَةُ بِالإِرسَالِ.

وَقِيلَ: بينَهُما فرقاً؛ فَالرَّسُولُ: الَّذِي تنزِلُ عَلَيهِ المَلَائكَةُ بِالوَحي، وَالنَّبِيُّ: الَّذِي يُوحَى إِلَيهِ فِي مَنَامِهِ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيسَ كُلُّ نَبيٍّ رَسُولاً.

وَقِيلَ: بَل الرَّسُولُ هُوَ المَبعُوثُ إِلى أُمَّةٍ، وَالنَّبِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يُبعَثُ إِلَى أُمَّةً.

وَقِيلَ: إِنَّ الرَّسُولَ هُوَ المُبتَدِئ بِوَضعِ الشَّرائعِ وَالأَحكَامِ، وَالنَّبِيُّ: الَّذِي يَحفَظُ شَرِيعَةَ غَيرِه.

وَالقَولُ هُوَ الأَوَّلُ؛ لأَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى خَاطَبَ نَبِيَّنَا ﷺ مَرَّةً بِالنَبِيِّ، وَتَارَةً بِالرَّسُولِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّبِيّ وَيَا أَيُّهَا الرَّسُول، وَالنَّبِيُّ وَالرَّسُولُ وَاحِدٌ، إِلَّا أَن الرَّسُولَ يَعُمُّ المَلَائكَةَ وَالبَشَر، وَالنَّبِيُّ يَختَصُّ بِالبَشَرِ؛ فَلِذَلِك جَمَعَ بَينَهُمَا فِي قَولِه: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ**﴾[١].

وَفِي قَولِه: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ**﴾ وَمِن هَهُنا مَزِيدَةٌ، وَإِنَّما ذَكَرَ اللَّفظَينِ لإِختِلَافِ فَائدَتَهما؛ فَالرَّسُولُ: الَّذِي أَرسَلَهُ اللهُ تعَالَى، وَلَا يُحمَلُ... كَما مَرَّ فِي أَوَّلِ الوَهلَةِ[٢].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٦٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٦٣.

الغُرنُوقُ: وَاحِدُ الغَرَانِيق؛ وَهوَ: الشَّابُّ الجَمِيلُ المُمتَلِئ رَيَّاً، وَقِيلَ: الغَرَانِيقُ: المَلَائكَةُ (١).

قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يُعِيبُ آلِهَتَهُم، فَقَالَ بَعضُ الحَاضِرِينَ مِنَ الكَافِرِينَ: تِلكَ الغَرَانِيقُ العُلَى، وَأَلقَى الشَّيطَانُ ذَلِكَ فِي تِلَاوَتِه، حَيثُ تَلَى قَولُهُ تعَالَى فِي سُورَةِ النَّجمِ، لـمَّا بَلَغَ: ﴿**وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**﴾ (٢) أَلقَى الشَّيطَانُ فِي تِلَاوَتِه: تِلكَ الغَرَانِيقُ العُلَي، تُوهِمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ القُرآنِ، فَأَضَافَهُ اللهُ تعَالَى إِلَى الشَّيطَانِ؛ لأَنَّهُ إِنَّما حَصَلَ بِأَعوَانِه وَوَسوَسَتِهِ، وَالمُرَادُ: أَنَّهُم شُفَعَاءه، العَلَى: الرَّفِيقَةُ الجَنبِ وَالإِطمِئنَان وَالتَّسكِين (٣).

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٦٧.

(٢) النجم: ٢٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٦٣.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾(٥٥)

يُقَالُ: إِنَّ يومَ القِيامَةِ سُمِّي عَقِيماً؛ لأَنَّهُ لا لَيلَ لَهُ، فكَأَنَّهُ لِذَلِكَ يُقَالُ لِلمرأةِ والرَّجُلِ: عَصِيمٌ؛ لأَنَّه لَا وُلدَ يُولَدُ لَهُمَا[1].

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾(٦٧)

قِيلَ: اللَّطِيفُ؛ المُحِيطُ بِلَطَائفِ دَقَائِق الأُمُورِ، الَّذِي لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيهِ شَيءٌ يَتَعَذَّرُ على غَيرِهِ[2].

المَنسَكُ: الشَّرِيعَةُ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: **﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ﴾** أَي: لِكُلِّ قَرنٍ مَضَى جَعَلنَا شَرِيعَةً هُم عَامِلُونَ بِهِ، وَقِيلَ: مَكَاناً يَألَفُونَهُ، وَمَوضِعاً يَعتَادُونَهُ لِعِبَادَةِ اللَّـهِ، وَمِنهُ: مَنَاسِكَ الحَجِّ؛ لأَنَّهَا مَوَاضِعَ العِبَادَاتِ فِيهِ، فَهِي مُتَعَبَّدَاتِ الحَجِّ[3].

---

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٥١٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٦٨.

(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٢٥٦.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٧٢)

قَولُه تعَالَى: ﴿**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ**﴾ أَي: الإِنكَارُ، وَهوَ مَصدَرٌ، يُرِيدُ أَثرَ الإِنكَارِ مِنَ الكَرَامَةِ[1].

وَالعَبُوسُ: كَالمُكَرَّمِ، بِمَعنَى الإِكرَامِ[2].

يُقَالُ: سَطَا عَلَيهِ، وَسَطَا بِهِ؛ إِذَا تنَاوَلَهُ بِالبَطشِ[3].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا**﴾ أَي يَثبُتُونَ وَيَبطِشُونَ مِن شِدَّةِ الغَيظِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٧٣)

الذُّبَابُ: وَاحِدَةُ الأَذِبَّة، وَالذُّبَانُ مِنَ الذَّبِّ، بِمَعنَى: الدَّفعِ[4].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ يَعنِي: الأَصنَام[5].

﴿**لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً**﴾ أَي: لَا يَقدِرُونَ عَلَى خَلقِه مَعَ صِغَرِه؛ لأَنَّ لَن بِمَا فِيهَا مِنَ تَأكِيدِ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٠.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٢.
(٣) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٩٨.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٤١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٤٧.

النَّفِي دَالَّةٌ عَلَى مُنَافَاةِ مَا بَينَ المَنفِيِّ وَالمَنفِي عَنهُ[١].

﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ بِجَوَابِه المُقَدَّر في مَوضِعِ الحَالِ جِيء بِهَا لِلمُبَالَغَةِ، أَي: لَا يَقدِرُونَ عَلَى خَلقِهِ مُجتَمِعِينَ لَهُ، مُتَعَاوِنِينَ عَليهِ، فَكَيفَ إِذَا كَانُوا مُنفَرِدِينَ غَيرَ مُعِينِين[٢].

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ يَعنِي: هَذِه الكُفَّارُ وَغَيرَهُم لَا يَقدِرُونَ عَلَى إِستِنقَاذِهِ مِنهُم، يُقَالُ: إِستَنقَذَهُ مِنهُ؛ أَي: نَجاة، قَالَ ابِن عبَّاس: كَانُوا يَطلُونَ أَصنَامَهُم بِالزُّعفُرَانِ، فَيَجِفُّ فَيأَتِي الذُّبَابُ وَيَأكُلُه[٣].

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الطَّالِبُ: الذُّبَابُ، وَالمَطلُوبُ: الصَّنَم؛ بِأَنَّ الذُّبَابُ يَطلِبُ مَا يُسلَبُ عَن الصَّنَمِ مِنَ الزَّعفُرَانِ، وَالصَّنَمُ يَطلِبُ الذُّبَابَ مِنهَ السَّلب[٤].

وَقِيلَ: بِالعَكسِ مِن هَذَا؛ وَهوَ: أَنَّ الطَالِبَ الصَّنَم، وَالمَطلُوبُ: الذُّبَابُ، فَعلَى هَذَا مَعنَاهُ: ضَعُفَ السَّالِبُ وَالمَسلُوبُ[٥].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ رَاجِعٌ إِلى العَابِدِ وَالمَعبُودِ؛ أَي: جَهلُ العَابِدِ وَالمَعبُودِ[٦].

وَفِيهِ دِلَالَةٌ عَلَى تَجهِيلِ قُرَيشٍ؛ بِأَن أَشرَكُوا إِلهَاً قَدِرَ عَلَى المَقدُورَاتِ كُلِّهَا، وَهي تَمَاثِيلٌ كَانَت مِن أَعجَزِ الأَشيَاءَ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ بِأَنَّهَا لَا تَقدرُ عَلى خَلقِ أَقَلِّ الأَحيَاءِ وَأَذَلِّهَا وَلَو إِجتَمَعُوا لَهُ، بَل لَا تَقوَى عَلَى مُقَاوَمَةِ هَذَا الأَقَلِّ الأَذَلِّ، وَتَعجَزُ عَن ذَبِّهِ عَن نَفسِهَا، وَإِستِنقَاذِ مَا يَخطِفَهُ مِن عِندِهَا[٧].

---

(١) كنز الدقائق، المشهدي: ٩/ ١٤٢.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤١٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧١.
(٤) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٢٩٨.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٧٢/ ٥٧٢.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧١.
(٧) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٤١.

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٧٤﴾

﴿**ما قَدَرُوا اللهَ**﴾ تعالَى هَذِه الجَمَاعَة: ﴿**حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ أَي: مَا عَرَفُوهُ تعالَى شَأْنَهُ حَقَّ مَعرِفتِهِ، وَمَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، حَيثُ جَعلُوا هَذِه الأَصنَام شُرَكَاءَ لَهُ تعالَى [1] إِنَّ اللهَ تَعالَى عَزِيزٌ لَا يَقدِرُ أَحَدٌ علَى مُغَالَبَتِه [2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾

قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا**﴾ أَي: صَلُّوا، وَعَبَّرَ عَن الصَّلَاةِ بِهِمَا؛ لأَنَّهُمَا أَعظَمُ أَركَانِهَا: ﴿**وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ**﴾ بِسَائِرِ مَا تَعَبَّدَكُم بِهِ مِنَ العِبَادَاتِ: ﴿**وَافْعَلُوا الْـخَيْرَ**﴾ علَى العُمُومِ [3].

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: إِنَّ الخَيرَ صِلَةُ الأَرحَامِ، وَمَكَارِمُ الأَخلَاقِ [4].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٧٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧١.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٤٢.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٣.

﴿وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨)

يُقَالُ: فُلَانٌ هُوَ حَقُّ عَالِمٍ؟ أَي: عَالِمٌ حَقّاً، فَعَكَس، وَمِثْلُه [١].

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ**﴾ وَدَخَلَ فِيهِ مُجَاهَدَةُ النَّفسِ أَيضاً؛ فَإِنَّهَا الجِهَادُ الأَكبَرَ، وَأُضِيفَ الحَقُّ إِلَى الجِهَادِ مُبَالَغَةً، وَكَانَ القِيَاسُ أَن يُقَالَ: حَقُّ الجِهَادِ فِيهِ، أَو حَقَّ جِهَادَكُم فِيهِ، إِلَّا أَنَّ الجِهَادَ لَـمَّا إِختَصَّ بِاللّهِ مِن حَيثُ أَنَّهُ يُفعَلُ لِوَجهِهِ وَمِن أَجلِه، جَازَت إِضَافَتُه إِلَيهِ؛ لأَنَّ الإِضَافَةَ قَد تَكُونُ بَأَدنَى إِختِصَاصٍ يَجُوزُ أَن يَتَسَّعَ فِي الظَّرفِ [٢].

﴿**هُوَ اجْتَباكُمْ**﴾ أَي: إِختَارَكُم لِدِينِه [٣].

﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ أَي: مِن ضِيقٍ لَا مَخرَجَ مِنهُ، وَلَا مَخلَصَ مِن عِقَابِه، بَل جَعَلَ التَّوبَةَ، وَالكَفَّارَات، وَرَدُّ المَظَالِمِ مَخلَصاً مِنَ الذُّنُوبِ، فَلَيسَ فِي الإِسلَامِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى الخَلَاصِ مِنَ العِقَابِ بِهِ، فَلَا عُذرَ لِأَحَد فِي تَركِ الإِستِعدَادِ لِلقِيَامَةِ [٤].

وَقِيلَ: لَمْ يُضَيِّق عَلَيكُم أَمرَ الدِّينِ، فَلَن يُكَلِّفَكُم مَا لَا تُطِيقُون، بَل كَلَّفَ دُونَ الوُسعِ، فَلَا عُذرَ لَكُم فِي تَركِه، وَقِيلَ: إِنَّهُ يَعنِي: الرُّخَصُ عِندَ الضَّرُورَاتِ؛ كَالقَصرِ،

(١) تفسير الرازي: ٢٣/ ٧٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٧٣.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٤٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٣.

وَالتَّيَمُمُ وَأَكلُ المِيتَةِ [١].

إِعلَم: إِنَّ اللهَ تعَالَى جَعَلَ إِبرَاهِيمَ عليه السلام أَبَاً لِلأُمَّةِ كُلِّهَا؛ لأَنَّ العَرَب مِن وُلِد إِسمَاعِيل، وَأَكثَرُ العَجَمِ مِن وُلِد إِسحَاق؛ وَلأَنَّه أَبُو رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله وَهوَ أَبٌ لأُمَّتِهِ، فَالأُمَّةُ في حُكمِ أَولَادِهِ [٢] كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [٣].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٣.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ١٥.

(٣) الأحزاب: ٦.



الفصل الثالث والعشرون

سورة المؤمنون



سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَن قَرَأَ سُورَةَ الْـمُؤمِنِينَ خَتَمَ اللهُ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَإِذَا كَانَ يُدمِنُ قِرَاءَتهَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، وَكَانَ مَنزِلُهُ فِي الفِردَوسِ الأَعلَى مَعَ النَّبِيِّينَ وَالْـمُرسَلِينَ)[1].

الفَلَاحُ: الظَّفَرُ بِالْمُرَادِ، وَقِيلَ: البَقَاءُ فِي الخَيرِ، وَأَفلَحَ فُلَانٌ: دَخَلَ فِي الفَلَاحِ، كَمَا يُقَالُ أَبشَر: دَخَلَ فِي البِشَارَةِ[2].

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾

وَقَولُه تعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْـمُؤْمِنُونَ﴾ يَجُوزُ أَن تَكُونَ قَد لِتَأكِيدِ فَلَاحِهُم، وَيَجُوزُ أَن تَكُونَ تَقرِيباً لِلمَاضِي مِنَ الحَالِ، أَلَا تَرَاهُم أَنَّهُم يَقُولُونَ: قَد قَامَت الصَّلَاة، قَبلَ حَالِ قِيَامِهَا، فَيَكُونُ المَعنَى فِي الآيَةِ: أَنَّ الفَلَاحَ قَد حَصَلَ لَهُم، وَأَنَّهُم عَلَيهِ فِي الحَالِ، وَهَذِه الجَمَاعَة: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ خَاضِعُونَ مُتَوَاضِعُون، لَا يَرفَعُونَ أَبصَارَهُم عَن مَوَاضِعِ سُجُودِهُم، وَلَا يَلتَفِتُونَ إِلَى جَانِبٍ سِوَى مَسجِدَهُم، وَالخُضُوعُ فِي الصَّلَاةِ: خَشيَةُ القَلبِ وَالتَّوَاضُعِ، وَإِضَافَةُ الصَّلَاةِ إِلَيهِم؛ لأَنَّهُم المُنتَفِعُون، وَهي خَيرٌ لَهُم[3].

---

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٩.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٧٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٦.

رُوِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله رَأَى رَجُلاً يَعبَثُ بِلِحيَتِه، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّهُ لَو خَشِعَ قَلبُهُ لَخَشِعَت جَوَارِحَهُ) وَفِي هَذَا دَلِيلٌ علَى أَنَّ الخُشُوعَ فِي الصَّلاَةِ يَكُونُ بِالقَلبِ وَالجَوَارِحِ؛ فَأَمَّا بِالقَلبِ: فَإِنَّهُ يَفرُغُ قَلبَهُ بِجَمعِ الهِمَّةِ، وَالإِعرَاضِ عَمَّا سِوَاهَا، فَلاَ يَكُونُ فِيهِ غَيرَ العِبَادَةِ وَالمَعبُودِ، وَأَمَّا بِالجَوَارِحِ: فَهوَ غَضُّ البَصرِ وَتَركُ الإِلتِفَاتِ وَالعَبَثِ [١].

وَرُوِي: (إِنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَرفَعُ بَصَرَهُ المُبَارَك إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَوَاتِه، فَلَمَّا نَزَلَت هَذِه الآيَة طَأطَأَ رَأسَهُ، وَرَمَى بِبَصَرِه إِلَى الأَرضِ) [٢].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٣)

اللَّغْو: هِوَ كُلُّ قَولٍ، أَو فِعلٌ لَا فَائدَةَ فِيهِ [٣] كَالهَزلِ وَاللَّعِب [٤] فَذَلِكَ قَبِيحٌ عِندَ المُؤمِنِ، يَجِبُ الإِعرَاضَ عَنهُ، قَالَ اللهُ تعَالَى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾**.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٥)

الفَرجُ: إِسمٌ لِجَمِيعِ سَوءاتِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٦.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٤٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٧.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٧٦.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٧.

﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾(١٠)

رُوِي عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنزِلَانِ؛ مَنزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنزِلٌ في النَّارِ، فَإِن مَاتَ وَدَخَلَ النَّار، وَرِث أَهلُ الجَنَّةِ مَنزِلَهُ)[١].

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١١)

قَالَ اللهُ تعَالَى: المُؤمِنُونَ: ﴿**الَّذين يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ**﴾ وَهوَ إِسمٌ مِن أَسمَاءِ الجَنَّةِ، وَلِذَلِكَ أَنَّثَ فَقَالَ: ﴿**هُمْ فيها خالِدُونَ**﴾ [٢].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾(١٢)

السُّلَالَةُ: إِسمٌ لِمَا يُسَلُّ مِنَ الشَّيء، وَتُسَمَّى النُّطفَةُ سُلَالَةٌ، وَالوَلَدُ سُلَالَةٌ [٣].

وَقولُه تعالَى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾ المُرَادُ بِالسُّلَالَةِ هُنَا المَاء يَسِيلُ مِنَ الظَّهرِ سَيلاً [٤].

وَقَولُهُ: ﴿**مِنْ طِينٍ**﴾ أَي: مِن طِينِ آدَم؛ لأَنَّهَا تَولَّدَت مِن طِينِ خَلقٍ، وَقِيلَ: مِن نُطفَةٍ، سُلَّت تِلكَ النُّطفَة مِن طِينٍ، وَالمُرَادُ بِالإِنسَانِ: وَلدُ آدَم، وَهوَ إِسمُ الجِنسِ، فَيَقَعُ عَلَى الجَمِيعِ [٥].

وَالمَعنَى: خَلَقنَا جَوهَرَ الإِنسَانِ، يَعنِي: ابنَ آدَم أَولاً مِن طِينٍ [٦].

---

(١) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٤٥٣ح ٤٣٤١.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٩١.
(٣) مجمع البيان، في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٧٩.
(٤) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٣٠٤.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٨٠.
(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٢٩.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾﴿١٧﴾

الطَّرِيقَةُ: وَاحِدَةُ الطَّرَائِقِ، وَقَد يُعَبَّرُ عنهَا بِالسَّمَاوَاتِ السَّبع كُلُّ سَمَاءٍ طَرِيقَة، سُمِّيَت بِذَلِكَ لِتطَارُقِهَا، وَهوَ: أَنَّ بَعضُهَا فَوق بَعضٍ، وَقِيلَ: لأَنَّهَا طَرَائِق المَلائكَةِ، وَقِيلَ: إِنَّ الطَرَائقَ الطِّبَاق، وَكُلُّ طَبَقَةٍ طَرِيقَةٍ[1].

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾﴿١٨﴾

عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنزَلَ مِنَ الجَنَّةِ خَمسَةَ أَنهَارٍ؛ سَيحُونَ، وَهُوَ نَهَرُ الهِندِ، وَجَيحُونَ وَهُوَ نَهَرُ بَلخَ، وَدِجلَةَ وَالفُرَاتَ وَهُمَا نَهرَا العِرَاقِ، وَالنِّيلَ وَهُوَ نَهَرُ مِصرَ، أَنزَلَهَا اللهُ تَعَالَى مِن عَينٍ وَاحِدَةٍ، وَأَجرَاهَا فِي الأَرضِ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ فِي أَصنَافِ مَعَايِشِهِم، وَذَلِكَ قَولُهُ: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ**﴾[2].

أَي: بِقَدرِ حَاجَتِكُم، لَا يَزِيدُ عَلَى قَدرِ الحَاجَةِ فَيَفسُدُ، وَلَا يَنقُص عَنهَا فَيَهلِكَ، بَل هُوَ عَلَى تَوجِيهِ الحِكمَةِ وَالمَصلَحَةِ[3].

﴿**فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ**﴾ أَي: جَعَلنَا لِذَلِكَ المَاءِ الأَرضَ مَسكَنَاً، وَجَمعنَاهُ لِيَنتَفِعَ النَّاسُ بِهِ فِي الصَّيفِ عِندَ إِنقِطَاعِ المَطَرِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ جَعَلنَا عُيُونَاً فِي الأَرضِ.

﴿**وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**﴾ فَهَلَكَ جَمِيعَ الحَيَوَانِ وَالإِنسَان، نَبَّهَ سُبحَانَهُ بِذَلِكَ عَلَى عِظَمِ نِعمَتِهِ عَلَى خَلقِهِ بِإِنزَالِ المَاءِ مِنَ السَّمَاءِ[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٨١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٣/ ١١٣، الدر المنثور، السيوطي: ٥/ ٨.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٣٧٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٨١.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾﴿٢٠﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ**﴾ يَعنِي: شَجَرَةُ الزَّيتُونِ، وَسِينَاءُ: إِسمُ المَكَانِ الَّذِي بِهِ هَذَا الجَبَل، مُرَكَّبٌ مِن مُضَافٍ إِلَيهِ كَامرِء القَيسِ فِي أَصَحِّ الأَقوَالِ، وَقِيلَ: هُوَ إِسمُ حِجَارَةٍ بِعَينِهَا، أُضِيفَ الجَبَلُ إِلَيهَا، وَقِيلَ: سِينَاءُ البَرَكَةِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: جَبَلُ البَرَكَةِ، وَقِيلَ: طُورُ سِينَاء؛ الجَبَلُ المُشَجَّر؛ أَي: كَثِيرُ الشَّجَرِ، وَقِيلَ: هُوَ الجَبَلُ الحَسَن، وَهوَ الجَبَلُ الَّذِي نُودِي مِنهُ مُوسَى عليه السلام وَهوَ مَا بَينَ مِصرَ وَإِيلَه [١].

وَقِيلَ: بِفَلسطِين، وَقَد يُقَالُ لَهُ: طُورُ سِينِين، عَلَى أَنَّهُ مُضَافاً إِلَى بُقعَةٍ إِسمُهَا سِينَاء أَو سِينُون [٢].

وَفَائِدَةُ هَذِه الشَّجَرَة أَنَّهَا: ﴿**تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ**﴾ أَي: تُنبِتُ ثَمَرَتُهَا بِالدُّهنِ؛ لأَنَّ زَيتَه يُعصَرُ مِنهُ، قِيلَ: جَعلَ اللهُ فِي هَذِهِ الشَّجَرَة أَدَمَاً وَدُهناً [٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾﴿٢٣﴾

قِيلَ: إِنَّمَا سُمِّى نُوحَاً عليه السلام لِكَثرَةِ نَوحِه عَلَى نَفسِه، وَقِيلَ فِي سَبَبِ نَوحِه: أَنَّهُ كَانَ يَدعُو عَلَى قَومِه بِالهَلَاكِ [٤].

﴿**فَقَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ**﴾ أَطِيعُوهُ وَوَحِدُوه: ﴿**ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ**﴾ وَإِنَّما بَدَأَ بِالتَّوحِيدِ لأَنَّهُ إِلَاهُهُم [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٨٤.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٧٨.
(٣) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٣٠٦.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٨٥.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٨٩.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٣١)

القَرنُ: أَهلُ العَصرِ؛ لِمُقَارَنَةِ بَعضَهُم لِبَعضٍ، وَالجَمعُ: قُرُونٌ [١].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤١)

الغُثَاءُ: مَا يَحمِلُهُ السَّيلُ علَى رَأسِ المَاءِ مِن قَصَبٍ وَعِيدَانُ شَجَرٍ قَد يَبِس [٢].

وَقولُه تعَالَى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً**﴾ شَبَّهَهُم في دَمَارِهِم بِغُثَاءِ السَّيلِ، وَالمَعنَى: جَعَلنَاهُم هَلكَى، قَد يَبِسُوا كَمَا يَبِسَ الغُثَاء [٣].

وَالآيَةُ في قَومِ نُوحٍ عليه السلام في سُورَة: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [٤].

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ (٤٣)

الأَجَلُ: هُوَ الوَقتُ المَضرُوب لِحُدُوثِ الأَمرِ، وَالأَجَلُ المَحتُومِ: هُوَ الَّذِي لَا يَتَأَخَر وَلَا يَتَقَدَّم، وَالأَجَلُ المَشرُوطِ بِحَسَبِ الشَّرطِ [٥].

---

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٢٨٢.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩١، تفسير البيضاوي: ٤/ ١٥٥.
(٤) المؤمنون: ١.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٧٠.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤)

قَولُه تعَالَى: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا**﴾ أَي: مُتَواتِرِينَ؛ وَاحِداً بَعدَ وَاحِدٍ، مِنَ الوِترِ، وَهوَ الفَردُ، وَالتَّاءُ بَدَلٌ مِنَ الوَاوِ كَتُولِج، وَالأَلِفُ لِلتَأْنِيثِ؛ لأَنَّ الرُّسُل جَمَاعَة [١].

الأُحدُوثَةُ: وَاحِدَةُ الأَحَادِيثِ؛ مَا يُتَحَدَّثُ بِهِ على طَرِيقِ المَثَلِ في الشَّرِّ، وَلَا يُقَالُ في الخَيرِ [٢].

قَالَ اللهُ: ﴿**وَجَعَلْناهُمْ أَحاديثَ**﴾ أَي: جَعلنَاهُم قِصَّةً لِأُمَمِ السَّالِفَةِ.

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (٤٧)

وَإِنَّمَا سُمِّي الإِنسَانُ بَشَراً لِإنكِشَافِ بَشَرَتِهِ [٣] وَالبَشَرُ يَكُونُ وَاحِدَاً وَجَمعاً [٤].

المِثلُ وَالغَيرُ يُوصَفُ بِهِمَا الإِثنَان وَالجَمع، وَالمُذَكَّرُ وَالمُؤَنَّثُ، كَقَولِه تعَالَى: ﴿**إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُم**﴾ [٥] وَ: ﴿**وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُن**﴾ [٦] وَيُقَالُ أَيضاً: هُمَا مِثلَاهُ وَأَمثَالَهُ، وَكَذَا قَولُه تعَالَى: ﴿**فَقالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا**﴾ أَي: الإِنسَانُ، يَعنِي: خَلقَهُمَا مِثلُ خَلقِنَا [٧].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٥٦.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٧١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٧٢.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٨٥.

(٥) النساء: ١٤٠.

(٦) الطلاق: ١٢.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٨٥.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠)

يُقَالُ: آوَى إِليهِ؛ أَي: جَعَلَهُ مَأْوىً لَهُ [١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ**﴾ أَي: جَعلنَا مَأْوَاهُما مَكَاناً مُرتَفِعاً، مُستَوِياً وَاسِعاً، وَالرَّبوَةُ الَّتي آوَى مُوسَى وَهَارُونَ عليهما السلام إِليهَا، هِيَ: الرَّملَةُ مِن فِلَسطِين، أَو بَيتَ المَقدِسِ، أَو دِمَشق، أَو مِصرَ، أَو حِيرَةُ الكُوفَةِ وَسَوادُها، أَو أَقرَبُ الأَرضِ إِلى السَّماءِ، علَى إِختِلَافِ الرِّوَايَاتِ [٢].

يُقَالُ: مَعَنَ المَاءُ؛ إِذَا جَرَى [٣] وَالمَاعُونُ: المَنفَعَةُ، وَعَانَهُ: إِذَا أَدرَكَهُ بِعَينِه لِظُهُورِه مُدرَكٌ بِالعُيونِ [٤] وَقَولُه تعَالَى: ﴿**ذاتِ قَرارٍ وَمَعِينٍ**﴾ أَي: ذَاتَ مَوضِع قَرَارٍ مِن أَرضٍ مُنبَسِطَةٍ، يَستَقِرُّ عَلَيهَا سَاكِنُوهَا، وَقِيلَ: ذَاتَ قَرَار: ثِمار وَزُرُوعٍ، فَإِنَّ سَاكِنِيهَا يَستَقِرُّونَ فِيهَا لأَجلِهَا [٥].

وَقِيلَ: القَرَارُ مَسجِدُ الكُوفَةِ، وَالمَعِينُ: الفُرَاتُ [٦].

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١)

رُوِي عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: (إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ، وَلَا يَقبَلُ إِلَّا طَيِّبَاً) [٧] قَالَ: ﴿**وَاعْمَلُوا صالِحاً**﴾.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٧٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩٢.
(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (معن) ٢/ ٥٧٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٨٦.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩٣.
(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٤٦، وهو المروي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.
(٧) صحيح مسلم: ٣/ ٨٥، المصنف، الصنعاني: ٥/ ١٩ح ٨٨٣٩، الترغيب والترهيب، المنذري: ٢/ ٥٤٥ح ٢٦٥٧.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾

الجُؤارُ: الإِستِغَاثَةُ، وَرَفعُ الصَّوتِ بِهَا [١].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ**﴾ أي: يَضِجُّونَ لِشِدَّةِ العَذَابِ وَيجزعون، وَقِيلَ: يَستَغِيثُونَ، وَقِيلَ: يَصرَخُونَ إِلى اللَّـهِ بِالتَّوبَةِ، فَلَا يَقبَلُ مِنهُم [٢].

قِيلَ: دَعَا رَسولُ اللّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: (اللَّـهُمَ اشدُدْ وَطأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجعَلهَا عَلَيهِم سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُف) فَابتَلَاهُمُ اللهُ بِالقَحطِ وَالجُوعِ، حَتَّى أَكَلُوا الجِيَفَ وَالكِلَابِ [٣].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذابِ**﴾ أَي: يَكُون الكُفر دَأَبَهُم، حَتَّى أَخَذنَا مُتَنَعِمِيهُم وَرُؤسَاءهُم بِعِذَابِ الآخِرَة، أَو عَذَابِ الدُّنيَا، وَهوَ عَذَابُ السَّيفِ في يَومِ بَدرٍ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩٨.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩٩.

(٣) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٤٢٠ح ٢٨٧، قرب الإسناد، الحميري: ٣٢٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩٩.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

النُّكُوصُ: رُجُوعُ القَهقَرى، وَهوَ: المَشيُ علَى الأَعقَابِ إِلى خَلفن وَهوَ أَقبَحُ مَشيٍ، مَثَّلَ بِهَا أَقبَحَ حَالٍ [١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**قَدْ كانَتْ آياتي تُتْلى عَلَيْكُمْ**﴾ أَي: يُقرَأ عَلَيكُم القُرآنُ [٢].

﴿**فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ**﴾ أَي: تُعرِضُونَ مُدبِرِينَ عَن سَمَاعِهَا وَتَصدِيقُهَا، وَالعَمَلُ بِهَا [٣].

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿**مُسْتَكْبِرينَ بِهِ سامِراً**﴾ أَي: تَسمَرونَ بِاللَّيلِ تَتَحَدَثُونَ بِمَعَائبِ النَّبِيِّ ﷺ [٤] أَو: تَسمَرُونَ بِذِكرِ القُرآنِ وَالطَّعنَ فِيهِ، وَهوَ مَصدَرٌ جَاءَ علَى لَفظِ الفَاعِلِ كَالعَاقِبَةِ [٥] تَهجُرونَ الحَقَّ بِالإِعرَاضِ عَنهُ [٦] وَالهَجرُ: بِفَتحِ الهَاءِ، بِمَعنَى: القَطِيعَةُ أَو الهَذَيَانُ [٧].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٨٠.
(٢) تفسير السمرقندي: ١/ ٢٥٨.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦١.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩٩.
(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦١.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٨١.
(٧) بحار الأنوار، المجلسي: ٩/ ١٢٨.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨)

﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**﴾ أَي: أَلَمْ يَتَدَبَّرُوا القُرآنَ لِيَعلَمُوا أَنَّهُ الحَقَّ مِن عِندِ رَبِّهم؛ بِإِعجَازِ لَفظِه، وَالدِّلَالَةِ على صِدقِ حَامِلِه[١].

﴿**أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾ مِن الرَّسُولِ وَالكِتَابِ، أَو مِنَ الأَمنِ مِن عَذَابِ اللَّـهِ، فَلَم يَخَافُوا كَمَا خَافَ آبَاؤهُم[٢].

وَقِيلَ: يُرِيدُ أَلَيسَ قَد أَرسَلنَا نُوحاً وَإِبرَاهِيمَ وَالنَّبِيِّينَ إِلى قَومِهم، وَكَذَلِكَ أَرسَلنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه[٣].

﴿**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ**﴾ بِالأَمَانَةِ وَالصِّدقِ، وَحُسنُ الخُلُقِ، وَكَمَالُ العِلمِ مَعَ عَدَمِ التَعَلُّمِ، إِلى غَيرِ ذَلِكَ مَا هُوَ صِفَةُ الأَنبِيَاءِ[٤].

﴿**فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**﴾ وَهَذَا تَوبِيخٌ لَهُم بِالإِعرَاضِ عَنهُ، بَعدَ مَا عَرِفُوا صِدقَهُ وَأَمَانَتَهُ، مَعَ شَرفِ نَسَبِهِ قَبلَ الدَّعوَةِ[٥].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٥٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩٩.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ١٩٩.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٧٢﴾

الخَرَجُ: الأَجرُ، يُقَالُ: سَألتُهُ خَرَجاً على عَمَلِي؛ أَي: أَجراً عَلَيهِ [١].

قَولُه: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَراجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أَي: فَرِزقُ رَبِّكَ في الدُّنيا، وَقِيلَ: أَجرُ رَبِّكَ وَالآخِرَة [٢].

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ ﴿٧٤﴾

النُّكُوبُ: العُدُولُ عَن الشَّيء، وَنَكَبَ عَنهُ: عَدِلَ [٣].

رُوِي: أَنَّ الكُفَّارَ لـمَّا أَسلَمَ ثُمامَة بِن أَثال الحَنَفِيُ، وَلَحِقَ بِاليَمامَةِ، وَمَنعَ المِيرَةَ عَن أَهلِ مَكَّةَ قَحِطُوا، حَتَّى أَكَلُوا العِلهَزَ؛ وَهوَ: دَمُ القَرَادِ مَعَ الصُّوفِ، فَجاءَ أَبو سُفيَانَ إِلى النَّبيِّ ﷺ وَقَالَ: أُنشِدُكَ اللهَ وَالرَّحِم، أَلَستَ تَزعُم أَنَّكَ بُعِثتَ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ؟ فَقَالَ: (بَلَى) فَقَالَ: قَد قَتَلتَ الآبَاءِ بِالسَّيفِ، وَالأَبنَاءَ بِالجُوعِ [٤].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٨٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠١.
(٣) مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ١٧٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٩٣، الدر المنثور، السيوطي: ٥/ ١٣.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٧٦)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ**﴾ يَعنِي: بِالقَتلِ يَومَ بَدرٍ: ﴿**فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَما يَتَضَرَّعُونَ**﴾ أَي: مَا انقَادُوا لِرَبِّهِم، وَمَا يَرغَبُونَ إِلَيهِ فِي الدُّعَاءِ [١].

قَالَ الصَّادِقُ ﷺ: (الإِستِكَانَةُ فِي الدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعُ: رَفعُ اليَدِ فِي الصَّلَاةِ) [٢].

وَاستَكَانَ: استَفعَلَ، مِنَ الكَونِ؛ لأَنَّ الْمُفتَقِر إِنتَقَلَ مِن كَونٍ إِلَى كَونٍ، أَو: افتَعَلَ، مِنَ السُّكُونِ، أُشبِعَت فَتحَتُهُ [٣].

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٧)

الإِبلَاسُ: اليَأسُ مِن كُلِّ بَابِ خَيرٍ، وَقِيلَ: هُوَ السُّكُوتُ مَع التَّحَيُّرِ [٤].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**إِذا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾ أَي: يَنحَرُونَ آيِسُونَ مِن كُلِّ خَيرٍ، حَتَّى جَاءَكَ أَعتَاهُم وَأَشَدُّهُم [٥] مِن العِنَادِ وَالإِستِكبَارِ، يَعنِي: أَبَا سُفيَان يَستَعطِفُكَ.

قِيلَ: مَحنَّاهُم بِكُلِّ مِحنَةٍ؛ مِنَ القَتلِ وَالجُوعِ، فَمَا رُؤي فِيهِم لِينٌ مَفَادُه وَهمٌ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا عُذِّبُوا بِنَارِ جَهَنَّمَ فَحِينَئِذٍ يُبلِسُون [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠٢.
(٢) البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٤/ ٣١ح ٧٥١٠.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦٤.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٤٨.
(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦٤.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٣٨.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

يُقَالُ: سُحِرَت أَعيُنِنَا فَلَم نُبصِر [١].

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٩٤﴾

عَن الحَسنِ: إِنَّ اللهَ أَخبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ لَهُ فِي أُمَّتِه نِقمَة، وَلَم يُخبِرْهُ أَفِي حَيَاتِه هِيَ، أَم بَعدَ وَفَاتِه، فَأُمِرَ أَن يَدعُو بِقَولِه: **﴿قُلْ رَبِ إِمَّا تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [٢].

يَعنِي: إِن كَانَ لَا بُدَّ مِن أَن: **﴿تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ﴾** مِنَ العَذَابِ، يَعنِي: القَتلَ يَومَ بَدرٍ؛ لأَنَّ مَا وَالنُّون لِلتَأكِيدِ [٣].

﴿فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: فَأَخرِجنِي مِن بَينِهِم عِندَمَا تُرِيدُ إِحلَالَ العَذَابِ بِهِم؛ لَئلَّا يُصِيبُنِي مَا يُصِيبُهُم [٤].

وَهوَ إِمَّا لِهَضمِ النَّفسِ؛ لأَنَّ لَمِنَ المَعلُومِ أَنَّه لَا يُعَذَّبُ الأَنبِيَاءُ مَعَ الْمُعَذَّبِينَ [٥] أَو: لأَنَّ شُؤمَ الظَلَمَةِ قَد يَحِيقُ بِمَن وَرَاءهُ، كَقَولِه [٦]: **﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾** [٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٩٦.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦٦.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠٧.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦٦.
(٧) الأنفال: ٢٥.

قَالَ ابن عبَّاس، وَجَابر بن عَبدِ اللَّهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ في حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَهوَ بِمِنَى: (أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَرجِعُوا بَعدِي كُفَّاراً، يَضرِبُ بَعضُكُم رِقَابَ بَعض... لَئن فَعَلتُمُوهَا، لَتَعرِفُنِّي في الكَتِيبَةِ الَّتي تُضَارِبَكُم فَغَمَزَ جَبرئيلُ مَنكِبَهُ الأَيسَر، فَالتَفَتَ، فَقَالَ: أَو عَليٌّ)[١] فَنَزَلَ قَولُه تعَالَى: ﴿**قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلا تَجْعَلْني فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾﴿٩٥﴾

﴿**وَإِنَّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ**﴾ أَي: لَقَادِرُونَ علَى إِستِنجَازِ مَا نَعِدَكُم، وَلَكِن نُمهِلَهُم وَنَنظُرَهُم لِمَصلَحَةٍ تُوجِبُ ذَلِكَ[٢].

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾﴿٩٧﴾

الهَمزُ: شِدَّةُ الدَّفعِ، وَهَمزَةُ الشَّيطَانِ، دَفعُه بِالإِغوَاءِ إِلى المَعَاصِي[٣] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ**﴾،

(١) الأمالي، الطوسي: ٥٠٣ح ١١٠٢، الطرائف، ابن طاووس: ١٤٣، تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٤٢/ ٤٥١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠٥.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾

يُقَالُ: إرجِعُوني إِلى مَكَانِي، وَجِيء بِالوَاوِ تعظِيماً لِلمُخَاطَبِ على عَادَةِ العَرَبِ.

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ**﴾ وَالمُرَادُ: إِنَّهُم استَغَاثُوا أَوَلاً بِاللَّـهِ، ثُمَّ رَجعُوا إِلى مُسَائلَةِ المَلَائكَةِ، فَقَالَ لَهُم: رَبِّ ارجِعُوني إِلى الدُّنيَا: ﴿**لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ**﴾ [1].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (إِنَّهُ في مَانِعِ الزَّكَاةِ، يَسأَلُ الرَّجعَةَ عِندَ المَوتِ) [2].

﴿**كَلاَّ**﴾ وَهذَا كَلِمَةُ رَدعٍ وَاستِبعَاد [3].

﴿**إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها**﴾ أَي: مَسأَلَة الرَّجعَةِ، كَلَامٌ يَقُولُه، وَلَا فَائدَة لَهُ فِيهِ، وَقِيلَ: هِي كَلِمَةٌ يَقُولُهَا بِلِسَانِهِ، وَلَيسَ لَهَا حَقِيقَةٌ [4].

﴿**وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ**﴾ أَي: مِن بَينِ أَيدِيهِم وَأَمَامَهُم: ﴿**إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ أَي: حَائلٌ وَحَاجِزٌ بَينَ الرَّجعَةِ إِلى يَومِ البَعثِ في القِيَامَةِ مِنَ القُبُورِ، وَكُلُّ فَصلٍ بَينَ شَيئينِ فَهوَ بَرزَخٌ [5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠٨.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٦٥.
(٣) غريب القرآن، الطريحي: ٥٨٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٠٨.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٩٤.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١)

قَالَ اللهُ: ﴿**فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ**﴾ أَي: لِقِيَامِ السَّاعَةِ: ﴿**فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ**﴾ أَي: لَا يَتَوَاصَلُونَ بِالأَنسَابِ، وَلَا يَتَعَاطَفُونَ بِهَا، مَعَ مَعرِفَةِ بَعضِهُم بَعضاً [١] لِفَرطِ الحِيرَةِ، وَاستِيلَاءِ الدَّهشَةِ، بِحَيث يَفِرُّ المَرءُ مِن أَخِيهِ [٢].

عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أَنَّه قَالَ: (كُلُّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ مُنقَطِعٌ يومَ القِيَامَةِ، إِلَّا حَسَبِيي وَنَسَبِي)[٣].

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (١٠٤)

اللَّفحُ كَالنَّفخِ، إِلَّا أَنَّهُ أَشَدُّ تَأثِيراً [٤].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾ أَي: تَحرِقُهَا [٥].

الكُلُوحُ: تَقَلُّصُ الشَّفَتَينِ عَن الأَسنَانِ، حَتَّى يَبدُوا اللِّسَانَ كَالرُّؤسِ المَشوِيَةِ [٦] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَهُمْ فيها كالِحُونَ**﴾ أَي: مِن شِدَّة الإِحرَاقِ.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٠٦)

الشِّقَاوَةُ: المُضِرَّةُ اللَّاحِقَةُ فِي العَاقِبَةِ، ضِدَّ السَّعَادَةِ، وَهي: المَنفَعَةُ اللَّاحِقَةُ فِي العَاقِبَةِ [٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢١١.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٦٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٩٩.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٩٧.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٦٧.
(٦) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٣٠٣.
(٧) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٩٨.

﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١٠٨)

يُقَالُ: إِخْسَأ في المَكَانِ، وَهَذِهِ اللَّفظَةُ زَجرَةٌ لِلكَلبِ [١] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿قالَ اخْسَؤُوا فيها﴾ أَي: اسكُتُوا في النَّارِ سُكُوتَ هَوَانٍ، وَذُلُّوا وَانزَجُروا إِنزِجَارَ الكِلَابِ[٢].

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (١١٠)

السَّخرُ: مَصدَرٌ زِيدَت عَلَيهِ يَاءُ النِّسبَةِ لِلمُبَالَغَةِ، وَهوَ الهُزء.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (١١٦)

المَلِكُ: هُوَ الَّذِي يَحِقُّ لَهُ المُلك؛ بِأَنَّهُ مَلِكٌ غَيرُ مَملُوكٍ، وَكُلُّ مَلِكٌ غَيرُه فَمُلكه مُستَعَارٌ؛ وَلأَنَّهُ يَملِكُ جَمِيعَ الأَشيَاءِ مِن جَمِيعِ الوُجُوهِ، وَكُلُّ مَلِكٍ سِوَاهُ يَملِكُ بَعضَ الأَشيَاءِ مِن بَعضِ الوُجُوهِ، وَالحَقُّ هُوَ الشَّيء الَّذِي مَن اعتَقَدَهُ كَانَ عَلَى مَا اعتَقَدَهُ، فَاللهُ هُوَ الحَقُّ؛ لأَنَّ مَن اعتَقَدَ أَنَّهُ لَا إِلَه إِلَّا هُوَ، فَقَد اعتَقَدَ الشَّيء عَلَى مَا هُوَ بِهِ.

﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ وَالكَرِيمُ في صِفَةِ الجَمَادِ، بِمَعنَى الحَسَن.

وَقِيلَ: الكَرِيمُ الكَثِيرُ الخَيرِ، وَوُصِفَ العَرشُ بِهِ لِكَثرَةِ مَا فِيهِ مِنَ الخَيرِ لِمَن حَولَهُ، وَلإِتيَانِ الخَيرِ مِن جِهَتِه، وَخُصَّ العَرشُ بِالذِّكرِ مَعَ كَونه سُبحَانَهُ رَبُّ كُلِّ شَيء تَشرِيفاً وَتَعظِيماً لَهُ [٣].

---

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٢٣.

(٢) تفسير الرازي: ٦/ ١٥٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢١٥.



الفصل الرابع والعشرون

سورة النور



سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي**﴾ أَي: الَّتي تَزنِي وَالَّذِي يَزنِي؛ يَعنِي: مَن زَنَا مِنَ النِّسَاءِ وَمَن زَنَا مِنَ الرِّجَالِ، فَيُفِيدُ العُمُوم في الجِنسِ [١].

﴿**فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾ يَعنِي: إِذَا كَانَا حُرَّينِ بَالِغَينِ بِكرَينِ، غَير مُحصَنَينِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَا مُحصَنَينِ، أَو أَحدَهُمَا مُحصَناً، كَانَ عَلَيهِ الرَّجم بِلَا خِلَاف، وَأَمَّا العَبدُ فَلَا يَكُونُ مُحصَناً، وَكَذَلِكَ الأَمَةُ؛ لَا تَكُونُ مُحصَنَة، وَإِنَّمَا عَلَيهَا نِصفُ الحَدِّ، خَمسُونَ جَلدَةً، لِقَولِه سُبحَانَهُ: ﴿**فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ**﴾ [٢].

وَقِيلَ: وَإِنَّمَا قَدَّم ذِكرُ الزَّانِيَة عَلَى الزَّانِي؛ لأَنَّ الزِّنَا مِنهَا أَشنَعُ، وَهوَ لأَجلِ الحَبَلِ أَضَرُّ؛ لأَنَّ الشَّهوَة فِيهِنَّ أَكثَرُ، وَعَلَيهِنَّ أَغلَب [٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢١٩.

(٢) النساء: ٢٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢١٩.

وَالجَلدُ: ضَربُ الجِلدِ، يُقَالُ: جِلدَهُ كَمَا ظَهرُه وَبَطنُه وَرأَسُه [(١)].

وَالخِطَابُ للأئمَّةِ، أَو مَن يَكُون مَنصُوباً بِالأَمرِ مِن جِهَتِهم؛ لأَنَّه لَيسَ لأَحَدٍ أَن يُقِيمَ الحُدُود إِلَّا الأَئمَّة ﷺ أَو وُلَاتَهم بِلَا خِلَافٍ [(٢)].

النِّكَاحِ فِي اللُّغَةِ: الوَطئ [(٣)] وَقَد يُكَنَّى بِه عَن الجُمَاعِ وَغَيرُ ذَلِكَ.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤)

الأَبَدُ: إِسمٌ لِزَمَانٍ طَويلٍ [(٤)].

﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٧)

قَولُه تعَالَى: **﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾** وَالشَّهَادَةُ الخَامِسَةُ فِيمَا رَمَاهَا مِنَ الزِّنَا.

وَالمعنَى: وَهوَ صِيغَةُ اللِّعَانِ: إِنَّ الرَّجُل يُوقَفُ بَينَ يَدي الحَاكِم، وَالمَرأَةُ عَن يَمِنهِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ أَربعُ مَرَّاتٍ، مَرَّةً بَعدَ أُخرَى.

أَشهَدُ بِاللَّـهِ، إِنِّي لَمِنَ الصَّادِقِين فِيمَا ذَكَرتُ عَن هَذِه المَرأَة مِنَ الفُجُور، ثُمَّ يَقُولُ فِي المَرَّةِ الخَامِسَةِ: لَعنَةُ اللَّـهِ عليَّ إِن كُنتُ مِنَ الكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَيتُهَا بِهِ مِنَ الفُجُورِ، وَيَدرَأ عَنهَا العَذَابَ؛ أَي: وَيَدفَعُ عَن المَرأَةِ العَذَابَ؛ وَهوَ حَدُّ الزِّنَا، وَتَقُولُ المَرأَة أَربعُ مَرَّاتٍ، مَرَّةً بَعدَ أُخرَى: أَشهَدُ بِاللَّـهِ أَنَّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ فِيمَا قَذَفَنِي بِه [(٥)].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢١٩.
(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (نكح) ٢/ ٦٢٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٠٦.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٢٦.

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿**وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا**﴾ أَي: تَقُولُ فِي المَرَّةِ الخَامِسَةِ: غَضَبُ اللَّهِ عَلَيَّ إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ

الإِفكُ: أَبلَغُ الكَذِب، وَأَصلُه مِنَ الإِفَكِ؛ وَهوَ القَلبُ، لأَنَّهُ قَولٌ مَأفُوكٌ عَن وَجهِهِ، وَالمُرَادُ: مَا أَفِكَ بِه.

العُصبَةُ: الجَمَاعَةُ مِنَ العَشرَةِ إِلى الأَربَعِين، وَكَذلِكَ العِصَابَةُ وَاعصَوصَبُوا: اجتَمَعُوا [1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾ أَي: جَاؤوا بِالكَذِبِ العَظِيمِ عِصبَةٌ مِنكُم أَيُّهَا المُسلِمُون [2].

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ**﴾ أَي: وَلَا يَحلِف، إِفتِعَالٌ مِن الأَلية، أَو: وَلَا يَقصُر، مِنَ الأَلو [3].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٠٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٣٠.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٧٩.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧)

وَقولُه تعالَى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا**﴾ فِيهِ؛ أَي: حَتَّى تَستَعلِمُوا وَتَستَكشِفُوا الحَال، هَل يُرادُ دُخولَكُم أَم لَا [١].

وَقَالَ ابن عبَّاس: أَخطَأَ الكَاتِبُ فِيهِ، وَكَانَ يُقرَأ: حَتَّى تَستَأذِنُوا [٢] فَهوَ كَقَوله: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾ [٣].

عَن أَبِي أَيُّوب الأَنصارِيِّ، قَالَ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الإِستِئناسُ؟ قَالَ: (يَتكَلَّمُ الرَّجُلُ بِالتَّسبِيحَةِ وَالتَّحمِيدَة وَالتَّكبِيرَة، وَيَتَنَحنَح، يُؤذِنُ أَهلَ البَيتِ) [٤].

﴿**وَتُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها**﴾ قِيلَ: فِيهِ تَقدِيماً وَتَأخِيراً، وَتَقدِيرَهُ: حَتَّى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهلِهَا وَتَستَأنِسُوا، أَو: تَستَأذِنُوا، فَإِن أُذِنَ لَكُم فَادخُلُوا [٥].

وَالتَّسلِيمُ: أَن يَقُولَ السَّلَامُ عَلَيكُم، أَأَدخُلُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِن أُذِنَ لَهُ وَإِلَّا رَجعَ[٦].

﴿**ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ مِن تَحِيَةِ الجَاهِلِيَةِ، حُيِّيتُم صَبَاحَاً أَو مَسَاءً [٧].

---

(١) تفسير الرازي: ٢٣/ ١٩٦.

(٢) الدر المنثور، السيوطي: ٧/ ٢٣٧.

(٣) الأحزاب: ٥٣.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦١٤.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٣٨.

(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٩٤.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦١٤.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠)

قَالَ اللهُ تعَالَى: **﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ﴾** أَي: عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُم النَّظرَ إِلَيهِ [(١)].

وَمِن لِلتَبعِيضِ، وَالمُرَادُ: غَضُّ البَصَرِ عَمَّا يَحرُم، وَالإِقتِصَارُ بِهِ علَى مَا يَحِلُّ وَيَجُوزُ أَن تَكُونَ مِن مَزِيدَة [(٢)].

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ حَتَّى لَا يَنظُرَ إِلَيهَا أَحَدٌ، وَلَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَن يَنظُرَ إِلَى فَرجِ أَخِيهِ، وَلَا لِلمَرأَةِ إِلى فَرجِ أُختِهَا [(٣)].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (حِفظُ الفُرُوجِ عِبَارَةٌ عَن التَّحَفُّظِ مِنَ الزِّنَا في جَمِيعِ القُرآنِ، إِلَّا هُنَا؛ لأَنَّ المُرَادَ بِهِ السِّتر) [(٤)].

﴿أَزْكى لهُم﴾ وَأَقربُ إِلى التَّقوَى: **﴿إِنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما يَصْنَعُون﴾** [(٥)].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٤١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٦٠.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٩٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦١٥.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٤١.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾

الخُمرُ: جَمعُ خِمار؛ وَهوَ: غِطَاءُ رَأسِ المَرأةِ المُنسَدِلُ علَى جَيبِهَا، قَالَ اللهُ تعَالَى:

﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...**﴾ (١).

وَعَن أُمِّ سَلمَةَ، قَالَت: كُنتُ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعِندَهُ مَيمُونَةُ، فَأَقبَلَ ابنُ أُمِّ مَكتُوم، وَذَلِكَ بَعدَ أَن أُمِرَ بِالحِجَابِ، فقَالَ: (احتَجِبَا) فَقُلنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيسَ أَعمَى لَا يُبصِرُنَا؟ قَالَ: (أَفَعَمياوَانِ أَنتُمَا، أَلَستُمَا تُبصِرَانِهِ) (٢).

أَمرَ النِّسَاءَ سُبحَانَهُ بِمِثلِ مَا أَمرَ الرِّجَال؛ مِن: غَضِّ البَصَرِ، وَحِفظِهُنَّ الفُرُوجَ، وَلَا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ لِغَيرِ مَحرَم، وَمَن هُوَ فِي حُكمِ المَحرَمِ، وَلَا يَجُوزُ إِظهَارُ مَا تَزَيَّنَت بِهِ المَرأة علَى مَحرَمٍ عَلَيهَا إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنهَا.

﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ**﴾ أُمِرنَ بِإِلقَاءِ المَقَانِعِ علَى صُدُورِهِنَّ تَغطِيَةً لِنُحُورِهِنَّ، فَقَد قِيلَ: إِنَّهُنَّ كُنَّ يُلقِينَ مَقَانِعهُنَّ علَى ظُهُورِهِنَّ وَأَعنَاقِهِنَّ (٣).

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٣٠.

(٢) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٢٣٣، سنن أبي داود: ٢/ ٢٧١ح ٤١١٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٤٢.

﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أَي: الزِّينَةُ البَاطِنَةُ الَّتي لَا يَجُوزُ كَشفُهَا في الصَّلَاةِ [١].

وَأَمَّا الزِّينَةُ الظَّاهِرَةُ فَسُومِحَ فِيهَا، لأَنَّها لا تَجِدُ بُدَّاً مِن ذَلِكَ خُصُوصاً في الشَّهَادَةِ[٢].

وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ: الكُحلِ، وَالخَاتَمِ، وِالخِضَابُ في الكَفَّينِ، وَالأَصَابع وَالأَنَامِلِ، وَالخَلخَال وَالسِّوَار، وَالقِلَادَة وَالقُرطِ، لَا يَجُوزُ أَبداً مِنهُنَّ [٣].

﴿إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أَي: لِأَزوَاجِهِنَّ، فَإِنَّهُم المَقصُودُونَ بِالزِّينَةِ، يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ لَهُم إِستِدعَاءً لَمِيلَهُم، وَتَحرِيكاً لِشَهوَتِهم [٤].

فَقِد رُوِي: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله لَعَنَ السَّلتَاءُ، وَالمَرهَاءُ، وَالمُسَوّفَةُ، وَالمُفَسِّلَةُ مِنَ النِّسَاءِ)[٥].

فَالسَّلتَاءُ: الَّتي لَا تَختَضِبُ [٦] وَالمَرهَاءُ: الَّتي لَا تَكتَحِلُ [٧] وَالمُسَوِّفَةُ: الَّتي إِذَا دَعَاهَا إِلى المُبَاشَرَةِ قَالَت: سَوفَ أَفعَلُ [٨] وَالمُفَسِّلَةُ: هي الَّتي إِذَا دَعَاهَا قَالَت: أَنَا حَائضٌ وَهي غَيرُ حَائضٍ [٩].

وَكَذَا لَا يَحِلُّ لِلمَرأَةِ أَن تُبدِي زِينَتُهَا إِلَى عَبدِها، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَيضَاً أَن يَنظُرَ إِلى شَعرِ مَولَاتِه [١٠].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٤٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦١٦.

(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ٩/ ٢٨٤.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٧/ ٢٤٢.

(٥) نور الثقلين، الحويزي: ٢/ ٥٩٣.

(٦) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (سلت) ٣/ ٩٣.

(٧) لسان العرب، ابن منظور، مادة (مره) ١٣/ ٥٤٠.

(٨) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٤٢.

(٩) تاج العروس، الزبيدي، مادة (فسل) ١٥/ ٥٧١.

(١٠) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٣٢٨.

وَيَجُوزُ لِمَن ذَكَرَهُ تعالَى بِقَولِه: ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ**﴾.

وَاختُلِفَ في مَعنى التَّابِعُ، فَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَتَّبِعُك لِينَالَ مِن طَعَامِكَ، وَلَا حَاجَةَ لَه في النِّسَاءِ، وَهوَ: الأَبلَهُ المُولَّى عَلَيهِ، وَقِيلَ: هُوَ العِنِّينُ الَّذِي لَا إِرَبَ لَهُ في النِّسَاءِ لَعَجزِه، وَقِيلَ: إِنَّهُ الخَصِيُّ المَجبُوبُ الَّذي لَا رَغبَةَ لَهُ في النِّسَاءِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ الشَّيخ الهَرِم لِذَهَابِ إِربَهُ، وَقِيلَ: هُوَ العَبدُ الصَّغِيرُ [1].

﴿**أَوِ الطِّفْلِ**﴾ أَي: الجَماعَةُ مِنَ الأَطفَالِ، وُضِعَ الوَاحِدُ مَوضِعُ الجَمعِ؛ لأَنَّهُ يُفِيدُ الجِنس [2].

﴿**الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ**﴾ يُرِيدُ بِهِ الصِّبيَان الَّذِينَ لَم يَعرِفُوا عَورَات النِّسَاءِ، وَلَم يَقوَوا عَلَيهَا لِعَدَمِ تَمييِّزهُم مِنَ الظُّهورِ [3] بِمعَنَى: الإِطِلَاع، أَو: لِعَدَمِ بُلُوغهُم حَدَّ الشَّهوَةِ، مِنَ الظُّهورِ، بِمَعنَى: الغَلَبَةُ، فَإِذَا بَلَغَ مَبلِغَ الشَّهوَةِ فَحُكمُه حُكم الرِّجَالِ [4].

وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ لِلمَرأَةِ أَن: ﴿**يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ**﴾ لِيَتَقَعقَعُ خِلخَالُهَا، فَيُعلَمُ أَنَّها ذَاتُ خِلخَالٍ، فَإِنَّ ذَلِك يُورِثُ مَيلاً لِلرِّجَالِ، وَهوَ أَبلَغُ مِنَ النَّهيِ عَن إِظهَارِ الزِّينَةِ، وَأَدَلُّ عَلَى المَنعِ مِن رَفعِ الصَّوتِ [5].

﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ**﴾ مِن هَذهِ المَكرُوهَاتِ وَالمُحرَّمَات: ﴿**جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٤٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦١٧.

(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ٩/ ٢٨٦.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٨٤.

(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٤٩٩.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

الأَيَامَى وَاليَتَامَى: أَصلُهما أَيَايِيم وَتَيَايِم فَقُلِبَا [١] والأَيمُ: العَزبُ، ذَكَراً كَانَ أَو أُنثَى، بِكرَاً كَانَ أَو ثَيِّباً [٢].

وَقَد صَحَّ عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَن أَحَبَّ فِطرَتِي فَليَستَنَّ بِسُنَّتِي، وَمِن سُنَّتِي النِّكَاحُ) [٣].

وَعَنهُ ﷺ: (مَن كَانَ لَهُ مَا يَتَزَوَّجُ بِهِ فَلَم يَتَزَوَّج فَلَيسَ مِنَّا) [٤].

وَعَنهُ ﷺ: (التَمِسُوا الرِّزقَ بِالنِّكَاحِ) [٥].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَن تَرَكَ التَّزوِيجَ مَخَافَةَ العَيلَةِ، فَقَد أَسَاءَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾) [٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦١٨.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٨٥.

(٣) الكافي، الكليني: ٥/ ٤٩٤ح ١، دعائم الأسلام، النعماني: ٢/ ١٩٨ح ٦٨٤.

(٤) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ١٩٦.

(٥) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ٢٠/ ١٤ح ٤٣، كنز العمال، المتقي الهندي: ١٦/ ٢٧٦ح ٤٤٤٣٦.

(٦) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٣/ ٣٨٥ح ٤٣٥٣، مكارم الأخلاق، الطبرسي: ١٩٦.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِي آتاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٣)

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَمَرَ سُبحَانَهُ لِمَن يَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى أَن لَا يَتَزَوَّجَ، بِأَن لَا يَجِدَ المَهرَ وَالنَّفَقَةَ، أَن يَتَعَفَّفَ، وَلَا يَدخُلُ فِي الفَاحِشَةِ، وَيَصبِرُ عَلَى نَفسِه حَتَّى يُوَسِّعُ اللهُ عَلَيهِ مِن رِزقِه [١].

المُكَاتَبَةُ وَالكِتَابُ: أَن يَقُولَ الرَّجُلُ لِمَملُوكِه: كَاتَبتُكَ عَلَى كَذَا، وَمَعنَاهُ: كَتَبتُ لَكَ عَلَى نَفسِي أَن تُعتَقَ مِنِّي إِذَا وَفَيتَ بِالمَالِ، وَكَتَبتَ لِي عَلَى نَفسِكَ أَن تَفِي بِذَلِكَ، أَو كَتَبتُ عَلَيكَ الوَفَاءَ بِالمَالِ، وَكَتَبتَ عَلَيَّ العِتقَ [٢].

وَهذَا أَمرُ نُدبٍ وَإِستِحبَابٌ وَتَرغِيبٌ عِندَ جَمِيعِ الفُقَهَاءِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَمرُ حَتمٍ وَإِيجَاب إِذَا طَلَبَهُ العَبدُ، وَعُلِمَ فِيهِ الخَيرِ [٣].

البِغَاءُ: مَصدَرُ البَغي [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٤٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦١٩.

(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٣٤٤.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٦٦.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣٥)

المَشكَاةُ: الكُوَّةُ في الحَائطِ، يُوضَعُ عَلَيهَا زُجَاجَةٌ، وَقِيلَ: عَمُودُ القِندِيلِ الَّذِي فِيهَا الفَتِيلَة؛ وَهي مِثلُ الكُوَّةِ، وَالمِصبَاحُ: السِّرَاجُ، وَقِيلَ: المَشكَاةُ: القِندِيلُ، وَالمِصبَاحُ: الفَتِيلَةُ [1].

وَقِيلَ: الفَتِيلَةُ الدرَّة الدَّفعُ، فَإِنَّهُ يُدفَعُ الظَّلَام بِضَوئِه، أَو بَعضُ ضَوئِهِ بَعضَاً مِن لمَعَانِه، وَقَرَأ أَبُو بَكرٍ قَولُه تعَالَى: ﴿**كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي**﴾ دُرِّيءٌ، مَضمُومَةُ الدَّالِ، مَهمُوزَةٌ مَمدُودَةٌ، مِنَ الدَّرءِ [2].

يُقَالُ: أَوَّلُ شَجرَةٍ نَبَتَت بَعدَ الطُّوفَانِ في الأَرضِ الزَّيتُونُ، وَهي: الشَّجَرَةُ الَّتي بَارَكَ اللهُ تعَالَى فِيهَا لِلعَالَمِينَ، وَقِيلَ: لأَنَّ سَبعِينَ نَبِيّاً بَارِكُوا فِيهَا، مِنهُم إِبرَاهِيمُ عليه السلام فَلِذَلِكَ سُمِّيَت بِالشَّجرَةِ المُبَارَكَةِ [3].

ذَهبَ أَكثَرُ المُفَسِّرِينَ إِلى أَنَّ قَولُه تعَالَى: ﴿**نُورٌ عَلَى نُورٍ**﴾ هَذَا النُّورُ نَبِيُّنَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فَالمَشكَاةُ: صَدرُه، وَالزُّجَاجَةُ: قَلبُه، وَالمِصبَاحُ فِيهِ النُّبُوَّة، شَبهَهُ بِالكَوكَبِ الدُّرِّيُّ [4].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٧/ ٢٥٠.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٨٨.
(٣) تفسير الرازي: ٢٣/ ٢٣٦.
(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٥٠٤.

﴿**يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ**﴾ يَعنِي: شَجَرَةُ النُّبوَّةِ، وَهي: إِبرَاهِيمُ النَّبيُّ عليه السلام لأَنَّ أَكثَرهُم مِن صُلبِه [١].

﴿**لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ**﴾ أَي: لَا يَهُودِيَّة وَلَا نَصرَانِيَّة؛ لأَنَّ النَّصَارَى تُصَلِّي إِلى الشَّرقِ، وَاليَهُودُ تُصَلِّي إِلَى المَغرِبِ، يَكَادُ نُورُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يُبيِّنُ لِلنَّاسِ وَلَو لَم يَتكَلَّمُ بِهِ، كَما أَنَّ ذَلِكَ الزَّيت يَكَادُ يُضِيء: ﴿**وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ**﴾ يَعنِي: تُصِيبَهُ النَّارُ [٢].

وَ: ﴿**نُورٌ عَلى نُورٍ**﴾ أَي: نَبِيٌّ مِن نَسلِ نَبِيٍّ [٣].

عَن أَبِي جَعفَر مُحَمَّد بن عليٍّ في قَولِ اللَّـهِ تَعَالَى: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباحٌ**﴾ قَالَ: (العِلمُ فِي صَدرِ رَسُولِ اللَّـهِ: ﴿**في زُجاجَةٍ**﴾ قَالَ: الزُّجَاجَةُ صَدرُ عَلِيّ بن أَبي طَالِبٍ عليه السلام: ﴿**كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ**﴾ قَالَ: نُورُ العِلمِ:

﴿**لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ**﴾ قَالَ: مِن إِبرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحمَنِ، إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله إِلَى عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

﴿**لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ**﴾ لَا يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصرَانِيَّةٍ: ﴿**يَكادُ زَيْتُها يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ**﴾ قَالَ: يَكَادُ العَالِمُ مِن آلِ صلى الله عليه وآله يَتكَلَّمُ بِالعِلمِ قَبلَ أَن يُسأَلَ عَنهُ) [٤].

﴿**نُورٌ عَلى نُورٍ**﴾ أَي: إِمَامٌ مُؤيَّدٌ بِنُورِ العِلمِ وَالحِكمَةِ مِن آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله في إِثرِ إِمَامٍ، وَكَذلِكَ مِن لَدُنِ آدَم إِلى وَقتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، هُم خُلَفَاءُ اللَّـهِ فِي أَرضِه، وَحُجَجهُ على خَلقِه، لَا يَخلُوا في كُلِّ عَصرٍ مِن وَاحِدٍ مِنهُم [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥١.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٥١٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٢.

وَهَذَا يَقتَضِي أَن تَكُونَ الشَّجَرَة المُبَارَكَةُ هِي هَذِه الشَّجَرَة الَّتي أَشرَقَت الأَرضُ بِنُورِ رِبِّهَا، مِن عَهدِ آدَم إِلى مُنقَرَضِ العَالَمِ [١] وَهي دَرَجَةُ التُّقَى وَالرِّضوَان، وَعِترَةُ الهُدَى وَالإِيمَان، شَجَرَةٌ أَصلُهَا النُّبوَّة، وَفرعُهَا الإِمَامَة، وَأَغصَانُها التَّنزِيلُ، وَأَورَاقُهَا التَّأَويل، وَخُدَّامُهَا جبرَئيل وَميكَائيل.

هَذَا مَثَلُ المُؤمِن: فَالمَشكَاةُ نَفسَهُ، وَالزُّجَاجَةُ صَدرُه، وَالمِصبَاحُ مَا جَعلَ اللهُ فِيهِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالقُرآنُ في قَلبِه: ﴿**يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ**﴾ وَهي الإِخلَاصُ للَّهِ وَحدَهُ، فَمَثَلُهُ كَمَثلِ الشَّجَرَةِ الَّتِي إِلتَفَّ بِهَا الشَّجَرُ، خَضرَاءُ نَاعِمَة لَا تُصِيبُها الشَّمسُ، لَا إِذَا طَلَعَت وَلَا إِذَا غَربَت.

فَكَذلكَ المُؤمِنُ، قَد احتَرَسَ مِن أَن يُصِيبَهُ شَيءٌ مِنَ الفِتَنِ، فَهوَ بَينَ أَربَع خِلَالٍ؛ إِن أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِن ابتُلِيَ صَبرَن وَإِن حَكَمَ عَدَلَ، وَإِن قَالَ صَدَقَ: ﴿**يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ**﴾ أَي: يَكَادُ قَلبُ المُؤمِنِ يَعرِفُ الحَقَّ قَبلَ أَن يَتَبَيَّنَ لَهُ لِموافَقَتِهِ إِيَّاهُ: ﴿**نُورٌ عَلى نُورٍ**﴾ قَالَ أُبِيٌّ: فَهوَ يَتَقَلَّبُ فِي خَمسَةِ أَنوَارٍ؛ قَولُه: نُورٌ، وَعَمَلُهُ نُورٌ، وَمَدخَلُه نُورٌ، وَمَخرَجُهُ نُورٌ، وَمَصِيرُهُ إِلى النُّورِ يَومَ القِيَامَةِ [٢].

وَقِيلَ: هَذَا مَثَلٌ لِلقُرآنِ فِي قَلبِ المُؤمِنِ، فَكَمَا أَنَّ هَذَا المِصبَاح يُستَضَاءُ بِهِ، وَهوَ كَمَا هُوَ لَا يَنقُص فَكَذَلِكَ القُرآنُ، يُهتَدَى بِهِ، وَيُؤخَذُ بِهِ، وَيُعمَلُ بِهِ، فَالمِصبَاحُ: هُوَ القُرآن، وَالزُّجَاجَةُ: قَلبُ المُؤمِن، وَالمَشكَاةُ: لِسَانُه وَفَمُه، وَالشَّجَرَةُ المُبَارَكَةُ: شَجَرَةُ الوَحي [٣].

﴿**يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ**﴾ يَكَادُ حُجَج القُرآن تَتضِح وَإِن لَم يُقرَأ [٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٢٣.

(٢) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٣٤٧.

(٣) الكشف والبيان، الثعلبي: ٧/ ١٠٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٢/ ٣٦٤.

وَقِيلَ: تَكَادُ حُجَجُ اللَّـهِ علَى خَلقِه تُضِيء لِمَن يُفكِّرُ فِيهَا وَتَدَبَّرَ وَلَو لَم يَنزِل القُرآنُ: ﴿**نُورٌ عَلى نُورٍ**﴾ يَعنِي: القُرآنُ؛ لأَنَّهُ نُورٌ مَعَ سَائرِ الأَدلَّةِ قَبلَهُ، فَازدَادُوا بِهِ نُوراً علَى نُورٍ [١].

﴿**يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ**﴾ بِأَن يَفعَل بِه يُطفَاً إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَصلُحُ بِهِ، وَيُوفِّقهُ لإِتِّبَاعِ دَلَائِله [٢].

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿٣٦﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ**﴾ أَي: يُصَلَّى للَّـهِ في المَسَاجِدِ بَالبُكَرِ وَالعَشَايَا [٣].

وَعَن ابن عبَّاس، أَنَّه قَالَ: كُلُّ تَسبِيحٍ فِي القُرآنِ فَهوَ صَلَاةٌ [٤].

وَقِيلَ: المُرَادُ بِالتَّسبِيحِ؛ تَنزِيهُ اللَّـهِ سُبحَانَهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيه، وَوَصَفَهُ بِالصِّفَاتِ الَّتي يَستَحِقُّهَا لِذَاتِه، وَأَفعَالُه الَّتي كُلُّهَا حِكمَةٌ وَصَوَابٌ [٥].

ثُمَّ بَيَّنَ المُسَبِّحُ سُبحَانَه، فَقَالَ عَزَّ شَأنُه:

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٥١٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٢٣.

(٣) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ١٢.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٤٠.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٣.

﴿رِجالٌ لا تُلْهيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ﴾(٣٧)

﴿رِجالٌ لا تُلْهيهِمْ﴾ أَي: تَشغَلهُم تِجارَة [١].

﴿وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقام الصَّلاةِ﴾ أَي: إِقَامَة الصَّلَاة، فَإِنَّ التَّاء في الإِقَامَة عِوَضٌ عَن العَينِ السَّاقِطَة، إِذا الأَصلُ أَقوَام [٢] تَركُوا التِّجَارَةَ وَانطَلَقُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُم أَعظَمُ أَجراً مِن أَن لَم يَتَجِرُوا [٣].

فَلَمَّا أَضَافَهُ صَارَ المُضَافُ إِلَيهِ عِوَضاً عَن الهَاءِ، وَرُوي عَن الصَّادِقَينِ عليهما السلام: (أَنَّهُم قَومٌ إِذَا حَضَرَت الصَّلَاة تَركُوا التِّجَارَة...) [٤].

أَقولُ: يَعنِي هُم الَّذِينَ عَامِلُونَ علَى مَصَالِح بَينَهُم، يَكُونُونَ كَمَا في الدُّنيَا وَأَبصَرُوا في أَمرِ الآخِرَةِ وَازدَادُوا بَصِيرَةً.

---

(١) كنز الدقائق، المشهدي: ٩/ ٣١٧.

(٢) غريب القرآن، الطريحي: ٥١٨.

(٣) التفسير الأصفى، الكاشاني: ٢/ ٨٤٩ وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام كما في من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٣/ ١٩٢ح ٣٧٢٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٤.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٣٩﴾

السَّرَابُ: مَا يُرَى فِي الفَلَاةِ مِن لَمَعَانِ الشَّمسِ عَليهَا وَقت الظَّهِيرَة، فَنَظُنُ أَنَّهُ مَاء يَسرُبُ؛ أَي: يَجرِي [١].

القِيعَةُ بِمعَنَى: القَاعُ؛ وَهوَ: الأَرضُ المُستَويَة [٢].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ**﴾ أَي: الَّتِي يَعمَلُونَهَا وَيَعتَقِدُونَ أَنَّهَا طَاعَات: ﴿**كَسَرَابٍ**﴾ [٣].

﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ**﴾ أَي: كَشُعَاعٍ بِأَرضٍ مُستَوِيَة: ﴿**يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً**﴾ أَي: يَظُنُّه العَطشَانُ مَاءً، وَتَخصِيصُه لِتَشبِيه الكَافِرِ بِه فِي شِدَّة الخَيبَةِ عِندَ حَسيسِ الحَاجَةِ [٤].

﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَهُ**﴾ هَذَا الشَّخصُ لَمْ يَجِدهُ شَيئاً، وَهوَ يَظُنُّه مَاءً مِمَّا حَسِبَ وَقَدَّرَ، فَكَذَلِكَ الكَافِرِ بِاللَّهِ؛ يَحسَبُ مَا قَدَّمَ بَينَ عَملِه نَافِعاً، وَأَنَّ لَهُ عَلَيهِ ثَوَاباً وَلَيسَ لَهُ ثَوَابٌ فَيُحَاسِبَهُم اللهُ سُبحَانَهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ [٥].

سُئلَ أَمِيرُ المُؤمِنينَ ﷺ: كَيفَ يُحَاسِبَهُم فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ: (كَمَا يَرزُقَهُم فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ) [٦].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٦٩.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٤٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٦.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٦.
(٦) نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٦١١ح ١٩٥.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿٤٠﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ**﴾ عَطفٌ علَى: ﴿**كَسَرابٍ**﴾ وَهوَ مَثَلٌ آخرٌ ضَرَبَهُ اللهُ لأَعمَالهِم، أَو لِلتحَيُّرِ؛ فَإِنَّ أَعمَالَهُم لِكَونِهَا لَاغِيَةً لَا مَنفَعَةَ لَهَا كَالسَّرَابِ، لِكَونِهَا خَالِيَةً عَن نُورِ الحَقِّ، أَو لِلتَنويعِ؛ فَإِنَّ أَعمَالَهُم إِن كَانَت حَسَنَة فكَالسَّرَابِ، وَإِن كَانَت قَبِيحَةً فكَالظُّلُمَاتِ، أَو لِلتَقسِيمِ بِاعتِبَارِ وَقتَينِ، فَإِنَّهَا كَالظُّلُمَاتِ في الدُّنيَا وَالسَّرَاب في الآخِرَةِ[1].

اللُّجُّ: هُوَ مُعظَمُ المَاءِ[2].

وَقِيلَ: هُوَ العَمِيقُ الَّذِي يَبعُدُ عُمقَهُ[3].

رُوِيَ عَن أُبَيٍّ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الكَافِرَ يَتَقَلَّبُ في خَمسِ ظُلُمَاتٍ؛ كَلَامُهُ ظُلمَةٌ، وَعَمَلُهُ ظُلمَةٌ، وَمَدخَلُهُ ظُلمَةٌ، وَمَخرَجُهُ ظُلمَةٌ، وَمَصِيرُهُ يَومَ القِيَامَةِ إِلى ظُلمَةٍ؛ وَهي النَّار[4].

وَلِذَا مَثَّلَ اللهُ تعَالَى أَحوَالَ الكَافِرِ بِقَولِه: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ**﴾ أَي: عَظِيمُ اللُّجَّةِ، لَا يُرَى سَاحِلُه: ﴿**يَغْشَاهُ مَوْجٌ**﴾ أَي: يَعلُو ذَلِكَ البَحر اللُّجِيّ: ﴿**مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ**﴾ أَي: فَوقَ ذَلِكَ المَوج مَوجٌ[5].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٣.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٩٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٦.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٦.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٦.

﴿**مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ**﴾ أَي: مِن فَوقِ المَوجِ الثَّانِي سَحَابٌ غَطَّى النُّجُوم، وَيَحجُبُ أَنوَارُهَا: ﴿**ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ**﴾ يَعنِي: ظُلمَة البَحرِ، وَظُلمَة المَوجِ، وَظُلمَة السَّحَابِ (١).

وَالمَعنَى: أَنَّ الكَافِر في حَيرَةٍ، لَا يَهتَدِي لِرُشدِه، فَهوَ مِن جَهلِه وَحَيرَتِهِ كَمَن هُوَ في هَذِه الظُّلمَات؛ لأَنَّه مِن عَمَلِه وَكَلَامِهِ وَاعتِقَادِه، مُتقَلِّبٌ في ظُلُماتٍ ثَلَاثٍ (٢).

﴿**إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ**﴾ وَهي أَقرَبُ مَا يُرَى إِلَيهِ: ﴿**لَمْ يَكَدْ يَراها**﴾ أَي: لَم يَقرُب أَن يَرَاهَا فَضلاً عَن يَرَاهَا (٣).

﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ وَمَن لَم يَجعَل اللهُ لَهُ نَجَاةً وَفَرَجاً في القِيَامَةِ فَمَا لَهُ مِن نَجَاةٍ (٤).

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٦.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٧.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: يُنَزِّهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِه أَهلُ السَّمَاوَات وَأَهلُ الأَرضِ بِأَلسِنَتِهِم، وَعنَى بِه العُقَلَاء وَغَيرَهُم، وَكُنِّي عَن المَجمُوعِ بِلَفظَةِ: مَن، تَغلِيباً لِلعُقَلَاءِ وَعلَى غَيرَهُم، وَالتَّسبِيحُ: التَّنزِيهُ لَهُ تعَالَى عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيهِ وَلَا يَلِيقُ بِهِ [1].

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ أَي: كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا ذَكَرَ مِنَ الطَّيرِ قَد عَلِمَ اللهُ تعَالَى دُعَاءَهُ وَتَنزِيهَهُ [2].

وَقِيلَ: إِنَّ الصَّلَاةَ لِلإِنسَانِ، وَالتَّسبِيح لِكُلِّ شَيءٍ [3] فَيَكُونُ الضَّمِير فِي عَلِمَ يَعُودُ إِلى اللَّـهِ.

وَقِيلَ: كُلُّ وَاحِدِ مِنهُم: ﴿قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَه﴾ أَي: صَلَاةَ نَفسِه، وَتَسبِيحَ نَفسِه، فَيُؤَدِّيهُ فِي وَقتِه، فَيَكُونُ الضَّمِير فِي عَلِمَ لِكُلٍّ، وَالأَوَّلُ أَجوَدُ؛ لأَنَّ الأَشيَاءَ كُلَّهَا لَا يُعلَم كِيفِيَة دِلَالَتهَا علَى اللَّـهِ، وَإِنَّمَا يَعلَم اللهُ ذَلِكَ [4].

وَكَذَا الضَّمِير فِي صَلَواتُه؛ لأَنَّه لَا يَبعُد أَن يُلهِمَ الطَّيرَ دُعَاءً وَتَسبِيحاً، كَمَا أَلهَمَهَا العُلُومَ الدَّقِيقَة الَّتِي لَا يَكَادُ يَهتَدِي إِلَيهَا العُقَلَاءُ [5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٩، عن مجاهد.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٩.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٥٢١.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ (٤٣)

الإِزجَاءُ وَالتَّزجِيَةُ: السَّوقُ [١] وَمِنهُ: البِضَاعَةُ المُزجَاة: الَّتي يُزجِيهَا كُلُّ أَحَدٍ لَا يَرضَاهَا [٢].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً﴾ أَي: يَسُوقُ سَوقَاً رَقِيقَاً إِلى حَيثُ يُرِيدُ [٣].

الرُّكَامُ: المُتَرَاكِبُ الَّذِي بَعضُهُ فَوقَ بَعضٍ [٤].

الوَدقُ: المَطَرُ [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٨.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٧٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٩.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١١٩.
(٥) غريب القرآن، الطريحي: ٤٢٩.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٥)

قَوله تعَالَى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ**﴾ أَي: كُلَّ حيوَانٍ يَدُبُّ علَى وَجهِ الأَرضِ مِن نُطفَةٍ، وَقِيلَ: مَعنَيٌّ بِه المَاء؛ لأَنَّه جُزءَ مَادَّتِه، أَو لِأَنَّ أَصلَ الخَلقِ مِن المَاءِ؛ لأَنَّهُ سُبحَانَهُ خَلقَ المَاءَ وَجعَلَ بَعضُهُ نَاراً فَخلَقَ الجِنَّ مِنهَا، وَبَعضُه رِيحاً فَخَلَقَ مِنهُ المَلَائكَة، وَبَعضُهُ طِيناً فَخلَقَ آدَم، فَأَصلُ الحَيوَانِ كُلُّه المَاء، وَيُؤيدُهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾.

﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ**﴾ كَالحَيَّة وَالحُوت وَالدُّودِ [1] وَإِنَّمَا سُمِّي الزَّحفُ مَشياً علَى طَرِيقِ الإِستِعَارَة أَو المُشَاكَلَةِ؛ لأَنَّهُ ذَكرَهَا مَعَ المَاشِين [2].

﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ**﴾ كَالإِنسِ وَالطَّيرِ: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَع**﴾ كَالأَنعَامِ وَالوُحُوشِ وَالسِّبَاع، وَيَندرِجُ مَا لَهُ أَكثَرُ مِن أَربعٍ كَالعَنَاكِبِ، فَإِنَّ اعتِمَادُهَا إِذَا مَشَت علَى أَربَعٍ [3].

وَقَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (وَمِنهُم مَن يَمشِي علَى أَكثَرِ مِن ذَلِكَ) [4].

وَتَذكِيرُ الضَّمِيرِ لِتَغلِيبِ العُقَلَاءِ، وَالتَّعبِيرُ عَن الأَصنَافِ لِيُوَافِقَ التَّفصِيل الجُملَة، وَالتَّرتِيب لِتَقدِيم مَا هُوَ أَعرَف فِي القُدرَةِ: ﴿**يَخْلُقُ اللهُ ما يَشاءُ**﴾ مِمَّا ذَكرَ وَمِمَّا لَم يَذكُر علَى إِختِلَافِ الصُّوَرِ وَالأَعضَاءِ، وَالهَيئَاتِ، وَالحَركَاتِ وَالقِوَى وَالأَفعَالِ، مَعَ إِتِحَادِ العُنصِرِ بِمُقتَضَى مَشِيئَتِهِ: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [5].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٢٦٠.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٢٧.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٠.
(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٥.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾﴿٤٩﴾

قَالَ اللهُ: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يَعنِي: وَإِن عَلِمُوا أَنَّ الحَقَّ يَقعُ لَهُم[١].

﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ أَي: يَأْتُوا إِلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله مُسرِعِينَ طَائعِينَ مُنقَادِينَ[٢].

حكَى البَلَخِيُّ: أَنَّهُ كَانَت بَينَ عَليٍّ وَعُثمَانَ مُنَازَعَةٌ في أَرضٍ اشتَرَاهَا مِن عَليٍّ عليه السلام فَخَرجَت فِيهَا أَحجَارٌ، وَأَرَادَ رَدَّهَا بِالعَيبِ، فَلَم يَأْخُذهَا، فَقَالَ: بَينِي وَبَينُكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ الحَكَمُ بن أَبِي العَاص: إِن حَاكَمتَهُ إِلى ابن عَمِّه يَحكُم لَهُ، فَلَا تُحَاكِمهُ إِليهِ، فَنَزَلَت الآيَاتُ[٣].

وَهوَ المَرويُّ عَن أَبي جَعفَرٍ عليه السلام أَو قَرِيبٌ مِنهُ[٤].

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾﴿٥٠﴾

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أَي: شَكٌّ فِي نُبُوَّتِكَ وَنِفَاق، وَهوَ إِستِفهَامٌ يُرَادُ بِهِ التَّقرِيرُ؛ لأَنَّهُ أَشَدُّ فِي الذَّمِّ وَالتَّوبِيخ، أَي: هَذَا أَمرٌ قَد ظَهرَ حَتَّى لَا يَحتَاجُ فِيهِ إِلى البَيِّنَة[٥].

﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ فِي عَدلٍ؛ بِأَن رَأَوا مِنكَ تُهمَةً، فَزَالَ ثِقَتَهُم وَيَقِينَهُم: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ فِي الحُكُومَةِ[٦].

وَالحَيَفُ: الجَورُ، بِنَقضِ الحَقِّ[٧].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٩/ ١٣٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٣.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٥٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٣.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٦.
(٧) مختار الصحاح، الرازي، مادة (حيف) ٩٣.

ثُمَّ أَخبَرَ سُبحَانَهُ: أَنَّه لَيسَ شَيءٌ مِن هَذِه الأَوجُه البَلَائيَّة، فَقَال: ﴿**بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ نُفُوسَهُم وَغيرَهُم، وَفي الآيَةِ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ خَوفَ الحَيفِ مِنَ اللَّهِ خِلَافُ الدِّينِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلك فَالقَطعُ عَلَيهِ أَولَى[1].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥٣)

يُقَالُ: جَهِدَ نَفسَهُ؛ إِذَا بَلَغَ أَقصَى وُسعِهَا[2].

وَعَن ابنِ عبَّاس: مَن قَالَ: بالله، فَقَد جَهِدَ يَمِينَهُ[3].

وَيُقَالُ: أَحلَفَ بِاللّهِ أَغلَظَ أَيمَانُه قَدرَ طَاقَتِه، وَجَهدَ يَمِينَهُ[4].

قَولُه تعَالَى: ﴿**قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ**﴾ أَي: لَا تَحلِفُوا عليَّ الكَذِب وَتَمَّ الكَلَامُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿**طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ**﴾ خَبَرُ مُبتَدَأ مَحذُوفٍ؛ أَي: أَمرُكُم وَالَّذِي يُطلَبُ مِنكُم طَاعَةٌ مَعرُوفَةٌ لَا يُشَكُّ فِيهَا، كَطَاعَةِ المُخلِصِينَ لَا أَيمَانٌ تُقسِمُونَ بِهَا بِأَفوَاهِكُم وَقُلُوبَكُم لَا تُطَابِقُهَا[5].

أَو: مُبتَدَأ مَحذُوفُ الخَبَرِ، تَقدِيرُهُ: طَاعَةٌ مَعرُوفَةٌ أَولَى بِكُم مِن هَذِهِ الأَيمَانِ الكَاذِبَةِ[6].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٣.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٧٣.
(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي: ٩٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٢٩.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري:٣/ ٧٣ بتفاوت يسير.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٥.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٥٤﴾

البَلَاغُ: التَّبلِيغُ، كَالأَدَاءِ بِمَعنَى: التَأدِية [1].

قَالَ اللهُ: ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْـمُبِينُ**﴾ يَعنِي: دِينُ الإِسلَامِ الَّذِي أَمَرَهُم أَن يَدِينُوا بِه، وَتَمكِينُهُ أَن يُظهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: (زُوِيَت لِي الأَرضُ، فَأُرِيتُ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا، وَسَيبلُغُ مُلكُ أُمَّتِي مَا زُوِي لِي مِنهَا) [2].

(١) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٤/ ٣٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٦.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥٥)

رُوِي عَنهُ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (لَا يبقَى عَلَى الأَرضِ بَيتُ مِدرٍ وَلَا وَبرٍ إِلَّا أَدخَلَهُ اللهُ تعَالَى كَلِمَةَ الإِسلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَو ذُلِّ ذَلِيلٍ؛ إِمَّا أَن يُعِزَّهُم اللهُ فَيَجعَلَهُم مِن أَهلِهَا، وَإِمَّا أَن يُذِلَّهُم فَيدِينُونَ لَهَا) [1].

رُوِي عَن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي قَولِه تعَالَى: ﴿**وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً**﴾ أَنَّه قَالَ حَاكِياً عَن اللَّهِ سُبحَانَهُ: (إِنِّي لَا أَجمَعُ علَى عَبدٍ وَاحِدٍ بَينَ خَوفَينِ، وَلَا بَينَ أَمنَينِ؛ إِن خَافَنِي فِي الدُّنيَا أَمَّنتَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِن أَمِنَنِي فِي الدُّنيَا خَوَّفتَهُ فِي الآخِرَةِ) [2].

وَمعنَى الآيَةُ: وَلَيُصَيِّرَنَّهُم بَعدَ أَن كَانُوا خَائِفِينَ [3] وَالتَّبدِيلُ وَالإِبدَالُ بِمَعنًى [4] أَي: لَيَنصُرَنَّهُم فِي الدُّنيَا علَى مَا أَرَادَ مِنهُم مِن إِطَاعَتِه مِنهُ، وَلَيُبَدِّلَنَّ مِن بَعدِ خَوفِهِم فِي الدُّنيَا أَمناً فِي الآخِرَةِ [5].

وَمِن صِفَاتِهِم: ﴿**يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾ وَلَا يرَاؤون.

الفِسقُ فِي كُلِّ شَيءٍ؛ هُوَ: الخُرُوجُ إِلَى أَكثَرِه [6].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٥٥، مسند أحمد بن حنبل: ٦/ ٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٦٦.

(٤) الفروق اللغوية، العسكري: ١١٣.

(٥) نور الثقلين، الحويزي: ٣/ ٦٢٠.

(٦) مقتنيات الدرر، الحائري: ٧/ ٣٧٢.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٨)

العَورَةُ في الأَصلِ: الخَلَلُ، وَمِنهَا الأَعوَرُ [١].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ**﴾ أَي: هَذِهِ الأَوقَاتُ ثَلَاثُ عَورَاتٍ لَكُم [٢] وَهي: أَي: هَذِه الأَوقَات؛ مِن قَبلِ صَلَاةِ الفَجرِ؛ لأَنَّه وَقتُ القِيَامِ مِنَ المَضَاجِعِ، وَطَرحُ ثِيَابِ النَّومِ وَلِبسُ ثِيَابِ اليَقظَةَ [٣].

وَالثَّاني: ﴿**حِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ**﴾ أَي: ثِيَابَكُم لِيَقظَةِ القَيلُولَةِ [٤].

﴿**وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ**﴾ لأَنَّهُ حِينَ يَأوِي الرَّجُلُ إِلى إمرَأتِهِ وَيَخلُو بِهَا [٥] وَيَتَجَرَّدُ عَن اللِّبَاسِ، وَيَلتَحِف بِاللِّحَافِ.

ثُمَّ أَجمَلَهَا بَعدَ التَّفصِيلِ، فَقَالَ: ﴿**ثَلاثُ عَوْراتٍ**﴾ أَي: هَذِه الأَوقَاتُ المَذكُورَة [٦].

وَسَمَّى سُبحَانَهُ هَذِه الأَوقَات عَورَات؛ لأَنَّ الإِنسَانَ يَضَعُ فِيهَا ثِيَابَهُ فَتَبدُو عَورَتُه [٧] أَو: يَختَلُّ تَحفُظَّهُ وَسِترَهُ فِيهَا، لأَنَّ أَصلُ العَورَةِ: الخَلَلُ، وَقَرَأَ أَبو بَكرٍ: ثَلَاثَ بِالنَّصبِ بَدَلاً مِن قَولِه ثَلَاثُ مَرَّاتٍ [٨].

﴿**مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ**﴾ قبلَهَا.

---

(١) مدارك التنزيل، النسفي: ٣/ ١٥٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٠.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٠.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٠.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٠.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٠.
(٧) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٣٥٥.
(٨) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٥٣٤.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦٠)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَالْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللاَّتي لا يَرْجُونَ نِكاحاً**﴾ أَي: وَالعَجَائزُ اللَّاتِي قَعَدنَ عَن الحَيضِ وَالحَملِ، لَا يَطمَعنَ فِي النِّكَاحِ وَالتَّزوِيجِ، يَعنِي: لَا يُطمَعُ فِي نِكَاحِهِنَّ لِكِبَرِهِنَّ [١].

وَقِيلَ: مِنَ الْمُسِنَّاتِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي قَعَدنَ عَن التَّزوِيجِ؛ لأَنَّه لَا يُرغَبُ فِي تَزوِيجِهُنَّ [٢].

﴿**فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ**﴾ أَي: الثِّيَابُ الظَّاهِرَةُ، يَعنِي: الجِلبَابُ فَوقَ الخِمَارِ، وَقِيلَ: يَعنِي الخِمَار وَالرِّدَاء، وَقِيلَ: مَا فَوقَ الخِمَار مِنَ المَقَانِعِ وَغَيرُهَا، أُبِيحَ لَهُنَّ القُعُودَ بَينَ يَدِي الأَجَانِبِ فِي ثِيَابِ أَبدَانِهُنَّ مَكشُوفَةَ الوَجهِ وَاليَدِ، فَالمُرَادُ بِالثِّيَابِ لَا كُلُّ الثِّيَابِ [٣].

﴿**غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ**﴾ أَي: غَيرُ مُظهِرَاتِ زِينَةٍ بِوَضعِ ثِيَابَهُنَّ، وَأَصلُ التَّبَرُّجِ: التَكَلُّف فِي إِظهَارِ مَا يَخفَى، وَاختَصَّ بِأَن تَنكَشِفَ المَرأَةُ لِلرِّجَالِ بِإِبدَاءِ زِينَتِهَا وَإِظهَارِ مَحَاسِنِهَا [٤].

﴿**وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ**﴾ أَي: الإِستِعفَاف بِلِبسِ الجَلَابِيبِ خَيرٌ لَهُنَّ مِنَ الوَضعِ؛ لأَنَّه أَبعَدُ مِنَ التُّهمَةِ [٥].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠١.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٦١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧١.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠١.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٣٣.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦١)

قَالَ اللهُ تعَالَى: لَيسَ عَلَيكُم حَرَجٌ: ﴿**أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ**﴾ لأَنَّ بَيتَ الوَلَدِ كَبَيتِه، وَعلَى العَكسِ[1] لِقَولِه صلى الله عليه وآله: (أَنتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ)[2] وقولُه صلى الله عليه وآله (إِنَّ أَطيَبَ مَا يَأكُلُ الرَّجُلُ مِن كَسبِهِ، وَإِنَّ وَلَدُهُ مِن كَسبِهِ)[3].

وَلِذَلِكَ لَم يَذكُر بُيوتَ الأَبنَاءِ في الآيَةِ[4].

﴿**أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خالاتِكُمْ**﴾ وَهَذِه الرُّخصَةُ في أَكلِ مَالِ القَرَابَاتِ لَا يَعلَمُونَ ذَلِك تَوسِعَةً مِنهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَرَغبَةً بِهِم علَى دَنَاءَةِ الأَخلَاقِ، وَضِيقُ النَّظرِ[5].

وَعَن الأَئمَّةِ عليهم السلام أَنَّهُم قَالُوا: (لَا بَأسَ بِالأَكلِ لِهَؤلَاءِ مِن بُيوتِ مَن ذَكَرَهُم اللهُ تعَالَى

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠١.

(٢) الكافي، الكليني: ٥/ ١٣٥ح ٣، الاستبصار، الطوسي: ٣/ ٤٨ ح ١٥٧.

(٣) المبسوط، الطوسي: ٦/ ٣٣، سنن ابن ماجة: ٢/ ٧٢٣ح ٢١٣٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٣.

(٥) تفسير الواحدي: ٢/ ٧٧١.

بِغَيرِ إِذنِهِم؛ قَدرَ حَاجَتَهُم، مِن غَيرِ إِسرَافٍ) [١].

وَقِيلَ: إِذَا مَلَكَ الرَّجُلُ المِفتَاحَ فَهوَ خَازِنٌ، فَلَا بَأسَ أَن يَطعَمَ الشَّيءِ اليَسيرِ، وَقِيلَ: هُوَ الرَّجُلُ، يُولِي طَعَامَهُ غَيرَهُ يَقُومُ عَلَيهِ، فَلَا بَأسَ أَن يَأكُل مِنهُ [٢].

الصَّدِيقُ: هُوَ الَّذِي صَدَقَكَ عَن مَوَدَّتِه، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يُوَافِقُ بَاطِنَهُ بَاطِنُكَ، كَمَا وَافَقَ ظَاهِرَهُ ظَاهِرُكَ، وَلَفظُ الصَّدِيقِ يَقَعُ عَلَى الوَاحِدِ وَالجَمعِ، وَعَن الحَسَنِ: يَجُوزُ دُخُولَ الرَّجُلُ بَيتَ صَدِيقِهِ [٣].

وَعَن الحَسَنِ: أَنَّهُ دَخَلَ دَارَهُ، فَإِذَا حَلَقَةً مِن أَصدِقَائِه، وَقَد استَلُّوا سِلَالاً مِن تَحتِ سَرِيرِهِ، فِيهَا الخَبِيصُ وَأَطَايِبِ الأَطعِمَةِ وَهُم يَأكُلُون، فَتَهَلَّلَ وَجهُهُ سُرُوراً، وَقَالَ: هَكَذَا وَجدنَاهُم – يُرِيدُ كُبَرَاءُ الصَحَّابَةِ – وَكَانَ الرَّجُل مِنهُم يَدخُلُ دَارَ صَدِيقَهُ وَهوَ غَائِبٌ، فَيَسأَلُ جَارِيَتَهُ كِيسَهُ فَيَأخُذُ مَا شَاءَ، فَإِذَا حَضَرَ مَولَاهَا فَأَخبَرَتهُ أَعتَقَهَا سُرُوراً بِذَلِكَ [٤].

وَعن الصَّادِقِ عليه السلام: (مَن عَظَّمَ حُرمَةَ الصَّدِيقِ أَن جَعَلَهُ الله مِن الأُنسِ وَالثِّقَةِ وَالإِنبِسَاطِ، وَطَرحِ الحُشمَةِ، بِمَنزِلَةِ النَّفسِ وَالأَبِ وَالأَخِ والإِبنِ) [٥].

﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً**﴾ أَي: مُجتَمِعِينَ أَو مُتَفَرِّقِين [٦].

وَذُكِرَ أَنَّ حَيّاً مِن كِنَانَة، كَانَ الرَّجُلُ مِنهُم لَا يَأكُلُ وَحدَهُ، فَإِن لَم يَجِد مَن يُؤاكِلَهُ لَم

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٦٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٤.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٣٤.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٧٧، البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٦/ ٤٣٥.

(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٢.

يَأَكُل شَيئاً، وَقِيلَ: إِنَّهُم كَانُوا إِذَا نَزَلَ بِهِم ضَيفٌ تَحَرَّجُوا أَن يَأكُلُوا إِلَّا مَعَهُ، فَأَبَاحَ اللهُ سُبحَانَهُ الأَكلَ عَلى الإِجتِمَاعِ وَعلَى الإِنفِرَادِ، وَالأَولَى أَن تُحمَلَ الآيَةُ عَلى العُمُومِ (١).

قَالَ إِبرَاهِيمُ (٢): إِذَا دَخَلتَ بَيتاً لَيسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَقُل: السَّلَامُ عَلَينَا وَعلَى عِبَادِ اللَّـهِ الصَّالِحِينَ (٣).

وَقَالَ أَبو عَبدِ اللَّـهِ عليه السلام: (هُوَ تَسَلِيمُ الرَّجُلِ عَلى أَهلِ البَيتِ، حِينَ يَدخُلُ، ثُمَّ يَرُدُّونَ عَلَيهِ، فَهوَ سَلَامُكُم عَلى أَنفُسِكُم) (٤).

﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ﴾ وَفي الحَدِيثِ: (سَلِّم عَلَى أَهلِ بَيتِكَ، يَكثُرُ خَيرَ بَيتِكَ) (٥).

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٤.

(٢) وهو إبراهيم بن أدهم.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٦٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٤.

(٥) مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ١١٤.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣)

قَولُه تعَالَى: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**﴾ أي: لَا تَجعَلُوا تَسمِيتَهُ وَنِدَاءَهُ: ﴿**بَيْنَكُمْ**﴾ كَمَا يُسَمِّي بَعضَكُم بَعضَاً، وَيُنَادِيهِ بِإِسمِهِ، فَلَا تَقُولُوا: يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وَ: يَابنَ عَبدِ اللَّـهِ، وَلَكِن قُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله وَ: يَا نَبِيَّ اللَّـهِ، مَعَ التَّوقِيرِ وَالتَّعظِيمِ، وَالتَّوَاضُعِ وَخِفضِ الصَّوتِ، أَو: لَا تَقِيسُوا دُعَاءَهُ إِيَّاكُم:

﴿**كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**﴾ وَرُجُوعَكُم عَن المَجمَعِ بِغَيرِ إِذنِ الدَّاعِي، فَإِنَّ فِي القُعُودِ عَن أَمرِهِ قُعُودَاً عَن أَمرِ اللَّـهِ تعَالَى، أَو: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ**﴾ لَكُم أَو عَلَيكُم مِثلَ دُعَائِكُم، فَإِنَّ دَعوَتَهُ مُستَجَابَةٌ مَسمُوعَةٌ[1].

التَّسَلُّلُ: الخُرُوجُ فِي خِفيَةٍ، يُقَالُ: تَسَلَّلَ فُلَانٌ بَينَ أَصحَابِهِ؛ إِذَا خَرَجَ بَينَ جُملَتِهِم[2].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً**﴾ أَي: يَخرُجُونَ فِي خِفيَةٍ، قَلِيلَاً قَلِيلَاً مِنَ الجَمَاعَةِ: ﴿**لِواذاً**﴾ مُلَاوَذَةً؛ بِأَن يَستَتِرَ بَعضُهُم بِبَعضٍ، حَتَّى يَخرُجَ، أَو: يَلُوذُ بِمَن يُؤذِنُ لَهُ، فَيَنطَلِقُ مَعهُ كَأَنَّهُ تَابِعه[3].

وَذَلِكَ: أَنَّ المُنَافِقِينَ كَانَ يَثقُلُ عَلَيهِم خُطبَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله يومَ الجُمعَةِ، فَيَلُوذُونَ بِبَعضِ أَصحَابِهِ، فَيَخرُجُونَ مِنَ المَسجِدِ فِي إِستِتَارٍ مِن غَيرِ إِستِئذَانٍ، وَفِيهِ مَعنَى التَّهدِيدِ بِالمُجَازَاةِ[4].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٣٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٧.
(٣) التفسير الأصفى، الكاشاني: ٢/ ٨٦٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٧.

وَاللِّوَاذُ: أَن يَستَتِرَ بِشيءٍ مَخَافَةَ مَن أَن يَرَاه غَيرَهُ [١] وَقِيلَ: اللِّوَاذُ الإِعتِصَامُ بِالشَّيء، بِأَن يَدُورَ مَعهُ حَيثُمَا دَارَ [٢] وَقِيلَ: مَعنَى الآيَة: كَانُوا يَتَسَلَّلُونَ فِي الجِهَادِ رُجُوعَاً عَنهُ [٣] وَقِيلَ: يَستَتِرونَ وَيَستَخفُونَ تَقِيَّةً وَالتِجَاءً [٤].

يُقَالُ: خَالَفَهُ عَن الأَمرِ؛ إِذَا صَدَّ عَنهُ دُونَهُ [٥]: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ﴾ أَمرَ اللَّـهِ وَعَن أَمرِ رَسُولُه [٦].

﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أَي: مِحنَةً فِي الدُّنيَا، تُظهِرُ نِفَاقَهُم، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (يُسَلِّطُ عَلَيهِم سُلطَانَاً جَائرَاً، أَو عَذَابَاً أَلِيمَاً فِي الآخِرَةِ) [٧].

قِيلَ: إِذَا دَخلَت قَد عَلَى المُضَارِعِ تَضَمَّنَ مَعنَى الإِعرَاضِ، نَحوَ: قَد يَعلَم اللهُ الَّذِينَ كَفرُوا إِذَا عُلِمَ أَن قَد إِذَا دَخَلَت عَلَى المُضَارِعِ كَانَت بِمَعنَى رُبَّمَا فَوَافَقَت رُبَّمَا فِي خُرُوجِهَا إِلَى مَعنَى التَّكثِيرِ [٨].

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (لوذ) ٨/ ١٩٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٥٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٢/ ٣٢٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٥.

(٦) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٦/ ٤٣٧.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٣٧.

(٨) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٧٩.



الفصل الخامس والعشرون

سورة الفرقان



سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١)

يُقَالُ: تَبَارَكَ تَفَاعَلَ مِنَ البَرَكَةِ، وَالبَرَكَةُ: الكَثْرَةُ مِنَ الخَيرِ، وَمِنهَا: ﴿تَبَارَكَ اللهُ﴾[1] أَي: عَظُمَت بَرَكَاتُهُ، وَكَثُرَت خَيرَاتُهُ[2].

وَقَولُهُ تعالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ قِيلَ: مَعنَاهُ تَزَايَدَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَتَعَالَى عَنهُ فِي صِفَاتِه وَأَفعَالَهُ، فَإِنَّ البَرَكَةَ تَتَضَمَّنُ مَعنَى الزِّيَادَة وَتَرَتُّبِهِ عَلَى إِنزَالِهِ: ﴿الْفُرْقَانَ﴾ لِمَا فِيهِ مِن كَثْرَةِ الخَيرِ، أَو: لِدِلَالَتِهِ عَلَى تَعَالِيهِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ دَامَ، مِن بُرُوكِ الطَّيرِ عَلَى المَاءِ، وَمِنهُ البَكَّةَ لِدَوَامِ المَاءِ فِيهَا، وَهوَ لَا يُستَعمَلُ إِلَّا للَّـهِ تعالَى، وَ: ﴿الْفُرْقَانَ﴾ مَصدَرٌ، فَرَّقَ بَينَ الشَّيئَينِ؛ إِذَا فَصَلَ بَينَهُمَا، وَسُمِّي بِهِ الفُرقَان لِفَصلِهِ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ بِتَقرِيرِه، أَو المَحقِ وَالمُبطِلِ بِإِعجَازِه، أَو: لِكَونِه مَفصُولاً بَعضُه عَن بَعضٍ فِي الإِنزَالِ[3].

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يَعنِي: رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٨٠.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٥٢٢.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ ﴿٢﴾

وَقَوله تعالَى: ﴿**فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**﴾ أَي: قَدَّرَ الأَشيَاءَ؛ بِأَن كَتَبهَا في الكِتَابِ الَّذِي كَتَبَتهُ المَلَائكَةُ لُطفَاً لَهُم [١] وَقِيلَ: خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ، فَقَدَّرَ طُولَهُ وَعَرضَهُ وَلَونَهُ، وَسَائر صِفَاتِه، وَمُدَّة بَقَائهِ [٢].

يُقَالُ: الجِنسُ إِلَى الجِنسِ أَميَلُ، وَبِهِ آنَسُ [٣].

إِعلَم: أَنَّ الشَّرطَ إِذَا وَقعَ مَاضِيَاً جَازَ في خَبرِ إِن الجَزمَ وَالرَّفع [٤] تَقُولُ: إِن شِئتَ أَجعَلُ لَكَ قَصرَاً بِالوَجهَينِ.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾ ﴿١١﴾

السَّعِيرُ: النَّارُ المُلتَهِبَةُ، مَأخُوذٌ مِن إِسعَارِ النَّارِ؛ وَهوَ شِدَّةُ إِيقَادِهَا [٥].

وَقِيلَ: هُوَ إِسمٌ لِجَهَنَّم، وَصَرفُهُ بِاعتِبَارِ المَكَانِ [٦].

وَعلَى أَيِّهمَا فَمُؤنَّثٌ؛ لأَنَّ النَّارَ وَجَهَنَّم مُؤنثَانِ.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٨٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٨٠.
(٣) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٤/ ٤٣٧.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٨٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٨٤.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٨.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣)

يُقَالُ: ضَاقَ مَكَانُهُ كَمَا يَضِيقُ الزَّجُّ في الرُّمحِ [١].

يُقَالُ: الثُّبُورُ الدُّعَاءُ بِالوَيلِ وَالهَلَا، يُقَالُ: يَا ثُبُورَاه فَهَذَا حِينُكَ [٢] وَيُقَالُ: وَا نَصرَاه في طَاعَةِ اللَّـهِ.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨)

البَورُ: الهَلَاكُ، وَهوَ جَمعُ بَائِرٍ، وَلِذَلكَ وُصِفَ بِه الوَاحِدُ وَالجَمعُ[٣].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾ أَي: هَالِكِينَ فَاسِدينَ [٤].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢٠)

قَولُه تعَالَى: **﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ﴾** يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وآله: **﴿مِنَ الْمُرْسَلينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ﴾** وَالإِحتِجَاجُ عَلَى الكُفَّارِ في قَولِهِم: **﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾** [٥] وَالجُملَةُ بَعدَ إِلَّا صِفَةٌ لِمَحذُوفٍ [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٤٤.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٩.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٤٤.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٥٥٦.

(٥) الفرقان: ٧.

(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٨٠.

وَالمَعنَى: وَمَا أَرسَلنَا قَبلَكَ أَحَداً مِنَ المُرسَلِينَ إِلَّا آكِلِينَ وَمَاشِينَ، فَكَيفَ يَكُونُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِدعاً مِنهُم، فَحَذَفَ المَوصُوف لِدلَالَةِ المُرسَلِينَ عَلَيهِ، وَأُقِيمَت الصِّفَة مَقَامهُ، وَنَحوهُ قَولُه سُبحَانَهُ: ﴿**وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ**﴾[١].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (٢١)

العُتوّ: تَجاوُز الحَدِّ في الطُّغيَانِ، وَقَد يُوصَفُ لِلمُبَالَغَةِ في إِفرَاطِهِ، يُقَالُ: عَتَا عُتوّاً كَبِيراً[٢].

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (٢٢)

قَالَ الخَلِيلُ: كَانَ الرَّجُل يَرى الرُّجُل الَّذِي يَخَافُ مِنهُ القَتلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ فِي الأَشهُرِ الحُرُم، فَيَقُولُ: ﴿**حِجْراً مَحْجُوراً**﴾ أَي: حَرَامٌ عَلَيكَ حُرمَتِي فِي هَذَا الشَّهرِ، فَلَا يَبدَأ بِشَرٍ[٣].

وَهَذِه كَلِمَةٌ كَانُوا يَقُولُونَهَا عِندَ لِقَاءِ عَدوٍ، أَو هُجُوم نَازِلَةٍ، يَضَعُونَهَا مَوضِعَ الإِستِعَاذَةِ، وَ: ﴿**مَحْجُوراً**﴾ صِفَةٌ لـ: ﴿**حِجْراً**﴾ جَاءَت لِتَأكِيدِ مَعنَاهُ، كَمَا قَالُوا: مُوتٌ مَائِتٌ، وَمَعنَى قَولُه تعَالَى: ﴿**وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً**﴾ أَي: إِنَّهُم يَطلِبُونَ المَلَائكَةَ، وَإِذَا رَأوهُم يومَ القِيَامَةِ كَرِهُوا لِقَاءهُم، وَقَالُوا عِندَ رُؤيَتِهِم مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ عِندَ لِقَاءِ العَدُوِّ المَوتُورِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ قَولُ المَلَائكَةِ لَهُم: حَرَاماً مُحَرَّماً عَلَيكُم الغُفرَان وَالجَنَّة، أَو:

---

(١) الصافات: ١٦٤، تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١٢.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٦٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩١.

البُشرَى، أَي: جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَرَاماً عَلَيكُم [(١)].

وَقِيلَ: معناهُ؛ يَقُولُ المُجرِمُونَ لِلمَلائكَةِ: ﴿حِجْراً مَحْجُوراً﴾ كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ في الدُّنيَا إِذَا لَقوا مَن يَخَافُونَ مِنهُ القتلَ: ﴿حِجْراً مَحْجُوراً﴾[(٢)].

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ ﴿٢٣﴾

المَنثُورُ: المُتَفَرِّقُ [(٣)].

الهَبَاءُ: غُبَارٌ يَدخُلُ الكُوَّةَ في شُعَاعِ الشَّمسِ [(٤)].

وَالهَبَاءُ المَنثُورُ في قَولِه تعَالَى: ﴿هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ مَثَلٌ لِبُطلَانِ أَعمَالِ الكُفَّارِ، وَعَدَمِ تَمتُّعِهم بِهَا مِن حَيثُ عَمِلُوهَا لِغَيرِ اللهَ تعَالَى [(٥)].

يُقَالُك قَدِمتُ إِلَى مَا عَمِلَ فُلَانٌ مِن عَمَلٍ؛ أَي: قَصَدتُ وَعَمَدتُ؛ لأَنَّهُ لَيسَ مِن قُدُومٍ وَلَكِن شُبِّه حَالُه وَعَملُه الَّتي عَمِلَهُ في شِدَّةِ الكَرَامَةِ، مِن صِلَةِ رَحمٍ، أَو إِعانَةُ مَلهُوفٍ وَغيرُ ذَلِكَ مِنَ المَكَارِمِ، بِحَالِ رَجُلٍ عَصَى مَلِكَهُ، فَقَدِمَ إِلَى أَسبَابِه وَأَملاكِهِ فَأَبطَلَهَا، وَلَم يَترُك لهَا أَثَراً، وَمَعنَاهُ في التَّقدِيرِ: قَصَدتُ إِلَيهِ قَصدَ القَادِمِ علَى مَا يَكرَهُه مِمَّا لَم يَكُن رَآهُ قَبلُ فَيُغَيِّرُهُ [(٦)].

قَولُه تعَالَى: ﴿وَقَدِمْنا إِلَى ما عَمِلُوا﴾ وَالمُرَادُ بِه: العَمَلُ الَّذِي عَمِلَهُ الكُفَّارُ في الدُّنيَا مِمَّا رَجَوا بِهِ النَّفعَ وَالأَجرَ، وَطَلَبُوا بِهِ الثَّوَابَ وَالبِرَّ [(٧)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٤٨.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩١.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٨٤.
(٥) بحار الانوار، المجلسي: ٧/ ١٥١.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩١.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩١.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ ﴿٢٤﴾

المَقِيلُ: المَكَانُ الَّذِي يَأوونَ إِلَيهِ للإستروَاحِ إِلَى أَزوَاجِهُم، وَالمَقِيلُ عِندَ العَرَبِ: الإِستِرَاحَةُ نِصفَ النَّهَارِ، إِذَ اشتَدَّ الحَرُّ، وَإِن لَمَ يَكُن مَعَ ذَلِكَ نَومٌ[١].

وَالمُستَقَرُّ: المَكَانُ الَّذِي يَستَقِرُّونَ فِيهِ مُتَحَادِثِينَ [٢].

وَالدَّلِيلُ عَلَيهِ: إِنَّ الجَنَّةَ لَا نَومَ فِيهَا [٣].

وَسَمَّى الجَنَّة مَقِيلاً عَلى طَرِيقَةِ التَّشبِيهِ، وَفي لَفظِ: ﴿أَحْسَنُ﴾ رَمزٌ إِلَى مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ مَقِيلَهُم مِن حُسنِ الوُجُوهِ وَالصُّوَرِ [٤]

يُقَالُ: رَكِبَ الأَمِيرُ بِسِلَاحِه، وَخَرَجَ بِثِيَابِه؛ أَي: وَعَليهِ سِلَاحَهُ وَثِيَابَهُ [٥].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً﴾ ﴿٢٨﴾

عَضُّ اليَدَينِ، وَأَكلُ البَنَانِ، وَقَرعُ الأَسنَانِ وَنَحوهَا، كِنَايَاتٌ عَن الغَيظِ وَالحَسرَةِ[٦].

يُقَالُ: إِنَّ عُقبَة بن أَبِي مُعَيطٍ، وَأُبَيُّ بن خَلف، وَكَانَا مُتَخَالَّينِ، وَذَلِكَ أَنَّ عُقبَةَ كَانَ لَا يَقدِمُ مِن سَفَرٍ إِلَّا صَنَعَ طَعَامَاً، فَدَعَا إِليهِ أَشرَافَ قَومِه، وَكَانَ يُكثِرُ مُجَالَسَةَ الرَّسُولِ ﷺ فَقَدِمَ مِن سَفَرِه ذَاتَ يَومٍ، فَصَنعَ طَعَامَاً، وَدَعَا النَّاسَ، فَدَعَا رَسُولَ

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٤٩.
(٣) غريب القرآن، الطريحي: ٤٧٧.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٤٩.
(٥) مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ١٩٣.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١٥.

اللَّـهِ ﷺ إلى طَعَامِهُ.

فَلـمَّا قَرَّبُوا الطَّعَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: (مَا أَنَا بِآكِلٍ مِن طَعَامِكَ حَتَّى تَشهَدَ أَن لَا إِلَه إِلَّا اللهَ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّـهِ) فَقَالَ عُقبَة: أَشهَدُ أَن لَا إِله إِلَّا اللهَ، وأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ.

وَبلغَ ذَلِكَ أُبيّ بن خَلَف، فَقَالَ: صَبأتَ يَا عُقبة؟ قَالَ: لَا وَاللَّـهِ مَا صَبأتُ، وَلَكِن دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ، فَأَبَى أَن يَطعَم مِن طَعَامِي إِلَّا أَن أَشهَد لَهُ، فَاستَحيَيتُ أَن يَخرُجَ مِن بَيتِي، وَلَم يَطعَم، فَشَهِدتُ لَهُ فَطَعِمَ.

فَقَالَ أُبيٌّ: مَا كُنتَ بِرَاضٍ عَنكَ أَبَداً حَتَّى تَأتِيهِ فَتبزُقَ فِي وَجهِهِ! فَفَعلَ ذَلِكَ عُقبَة وَارتَدَّ، وَأَخذَ رَحِمَ دَابَّةٍ فَأَلقَاهَا بَينَ كَتِفيهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا أَلقَاكَ خَارِجاً مِن مَكَّةَ، إِلَّا عَلوتُ رَأسَكَ بِالسَّيفِ، فَضَرَبَ عُنقَهُ يومَ بَدرٍ صَبراً).

وَأَمَّا أُبيّ بن خَلَف، فَقتلَهُ النَّبِيُّ ﷺ يومَ أُحدٍ بِيَدِهِ فِي المُبَارَزَة.

وَقَالَ الضحَّاكُ: لـمَّا بَزَقُ عُقبَةُ فِي وَجهِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ عَادَ بُزَاقُهُ فِي وَجهِهِ، فَأَحرَقَ خَدَّيهِ، وَكَانَ أَثَرُ ذَلِكَ فِيهِ حَتَّى مَاتَ.

وَقِيلَ: نَزَلَت فِي كُلِّ كَافِرٍ، أَو ظَالِمٍ، تَبعَ غَيرُه فِي الكُفرِ، أَو الظُّلمِ، وَتَركَ مُتَابَعَةَ أَمرِ اللَّـهِ تعَالَى (١).

﴿يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً﴾ أي الى الهدي **﴿يا وَيْلَتى لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَليلاً﴾**.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩٠، الكشف والبيان، الثعلبي: ٧/ ١٣٠.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢٩)

قِيلَ: أَرَادَ بِهِ أُبَيِّ بن خَلَف [١] أَو: كُلُّ مَن تَشَيطَنَ مِنَ جِنٍّ وَإِنسٍ فَهو شَيطَانٌ [٢].

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠)

يُقَالُ: هَجَرَ الرَّجُلُ؛ إِذَا هذَى [٣] قِيلَ: وَمِنهُ شِكَايَةُ الرَّسُول ﷺ: ﴿**يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ يَعنِي: زَعَمُوا أَنَّه هَذَيَانٌ وَبَاطِلٌ فَتَرَكُوهُ [٤] وَفِيهِ تَخوِيفٌ لِقَومِهِ؛ لأَنَّ الأَنبِيَاءَ إِذَا شَكَوا إِلى اللَّهِ قَومَهُم عَجَّلَ لَهُم العَذَابَ [٥].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣٢)

وَقَد يَكُونُ نَزَّلَ بِمَعنَى: أَنزَلَ، كَخَبَرَ بِمَعنَى: أَخبَرَ [٦].

وَمنه قَولُه تعَالَى: ﴿**وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً**﴾ أَي: مُنذُ أُنزِلَ عَلَيهِ القُرآن دُفعَةً فِي وَقتٍ وَاحِدٍ، كَمَا أَنزَلَ التَّورَاةَ وَالإِنجِيل وَغيرَهُمَا [٧].

أَصلُ التَّرتِيلِ فِي الأَسنَانِ؛ وَهوَ تَفلِيجُهَا [٨].

---

(١) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٣٦٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١٦.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٨١.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٥٠.

(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١٦.

(٦) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٦/ ٤٥٥.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٥١.

(٨) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٩١.

وَرُوِي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (يَا بنَ عَبَّاس، إِذَا قَرَأتَ القُرآنَ، فَرَتِّلهُ تَرتِيلَاً) قَالَ: وَمَا التَّرتِيلُ؟ قَالَ: (بَيِّنهُ تَبيِّيناً، وَلَا تَنثرهُ نَثرَ الدَّقلِ [١] وَلَا تَهُذُّهُ هَذَّ [٢] الشِّعرِ؛ قِفُوا عِندَ عَجَائبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ القُلُوبَ، وَلَا يَكُونَنَّ هَمُّ أَحَدِكُم آخِرُ السُّورَةِ) [٣].

﴿وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾ (٣٨)

﴿الرَّسِّ﴾ هُوَ: بِئرٌ رَسُّوا فِيهَا نَبِيَّهُم؛ أَي: أَلقَوهُ فِيهَا، عَن عِكرَمَة، وَقِيلَ: إِنَّهُم كَانُوا أَصحَابَ مَوَاشٍ، وَلَهُم بِئرٌ يَقعُدُونَ عَلَيهَا، وَكَانُوا يَعبُدُونَ الأَصنَامَ، فَبَعثَ اللهُ إِلَيهِم شُعَيباً فَكَذَّبُوهُ، فَانهَارَ البِئر، وَانخَسَفَت بِهِم الأَرض، فَهَلَكُوا، عَن وَهَب.

وَقِيلَ: الرَّسُّ؛ قَريَةٌ بِاليَمَامَةِ، يُقَالُ لَهَا: فَلَج، قَتَلُوا نَبِيَّهُم، فَأَهلَكَهُم اللهُ، عَن قَتَادَة، وَقِيلَ: كَانَ لَهُم نَبِيٌّ يُسَمَّى حَنظَلَة، فَقَتَلُوهُ فَأُهلِكُوا، عَن سَعِيدِ بن جُبَير وَالكَلبِيُّ.

وَقِيلَ: هُم أَصحَابُ رِسٍّ، وَالرِّسُّ: بِئرٌ بِأَنطَاكِيَّة، قَتلُوا فِيهَا حَبِيباً النَّجَار، فَنُسِبُوا إِليهَا، عَن كَعبٍ وَمُقَاتِل، وَقِيلَ: أَصحَابُ الرِّسِّ، كَانَ نِسَاؤهُم سَحَّاقَات، عَن أَبي عَبدِ اللَّـهِ عليه السلام [٤].

---

(١) الدقل: أردأ أنواع التمر، العين، الفراهيدي، مادة (دقل) ٥/ ١١٦.

(٢) الهذُّ: سرعة القراءة، المصباح المنير، الفيومي، مادة (هذذ) ٢/ ٥٧٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٧٥، وروي ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام كما في دعائم الاسلام، النعماني: ١/ ١٦١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩٦.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً﴾ (٣٩)

قِيلَ: كُلُّ شَيءٍ كَسَرتَهُ وَفَتَّتَهُ فقَد تبَرتُهُ [١] وَمِنهُ التِّبرُ لِفُتَاتِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ [٢] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَكُلًّا تَبَّرْنا تَتْبيراً**﴾ أَي: أَهلَكنَا [٣].

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ (٤٠)

الرَّجَاءُ: الخَوفُ [٤].

مِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً**﴾ أَي: لَا يَخَافُونَ البَعثَ [٥].

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (٤٢)

الإِضلَالُ: الأَخذُ بِالشَّيءِ إلى طَرِيقِ الهَلَاكِ [٦].

---

(١) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٣٦٩.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١٨.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٩١.
(٤) تفسير الرازي: ٢٥/ ٣١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٢٩٧.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٤٩٢.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾ ﴿٤٧﴾

أَصلُ السَّبتِ: القَطعُ [١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً﴾ أَي: شَبَّهَ ظَلَامَ اللَّيلِ بِاللِّبَاسِ فِي سَترِهِ: ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتاً﴾ أَي: رَاحَةُ الأَبدَانِ بِقَطعِ المَشَاغِلِ [٢] وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ أَن يَنقَطِعَ الحَرَكَة وَالرُّوح فِي بَدَنِهِ [٣].

﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾ مَأَخُوذٌ مِن نُشُورِ البَعثِ، وَقِيلَ: لأَنَّ النَّاسَ يُنشَرُونَ مِن مَضَاجِعِهُم فِي النَّهَارِ لِطَلَبِ حَوَائِجِهُم وَمَعَايِشِهُم، فَيَكُونُ النُّشُور هُنَا بِمَعنَى التَّفَرُّق لِطَلَبِ الرِّزق [٤].

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾ ﴿٤٩﴾

الأَنَاسِي: جَمعُ إِنسِي، أَو إِنسَان، علَى أَنَّ أَصلَه: أَنَاسِين، فَقُلِبَت النُّون يَاءً [٥].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾ أَي: نَاساً كَثِيرَاً [٦].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب: ٢٢٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٢١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٠١.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٥٥/ ١٣٢.

(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٢٣.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٦١.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ ﴿٥٣﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ**﴾ أَي: أَرسَلَهُمَا في مَجرَاهُمَا، وَخَلَّاهُمَا مُتَجَاوِرِينِ، بِحَيث لَا يَتَمَازَجَانِ[1] كَمَا تُخَلَّى الخَيل في المَرجِ[2].

البَرزَخُ: الحَائِلُ بَينَ الشَّيئينِ[3].

﴿قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبيلاً﴾ ﴿٥٧﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**﴾ علَى تَبلغِ الرِّسَالَة وَالقُرآنِ وَالوَحي: ﴿**مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ**﴾ أَي: إِلَّا فَعَل.

﴿**مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبيلاً**﴾ أَن يَتَقَرَّب إِلَيهِ، وَيَطلِبُ الزُّلفَى عِندَهُ بِالإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، فَصَوَّرَ ذَلِكَ بِصُورَة الأَجرِ، مِن حَيثُ إِنَّه مَقصُودٌ فِعلُهُ، وَاستَثنَاهُ مِنهُ قَلعَاً لِشُبهَةِ الطَّمَعِ، وَإِظهَاراً لِغَايَةِ الشَّفَقَةِ، حَيثُ اعتَدَّ بِإِنفَاعِكَ نَفسُك بِالتَّعَرُّضِ لِلثَّوَابِ، وَالتَّخَلُّصِ عَن العِقَابِ أَجرَاً وَافِياً، مَرضِيَّاً بِهِ مَقصُوراً عَلَيهِ، وَإِشعَاراً بِأَنَّ طَاعَتُهُم تَعُودُ عَلَيهِ بِالثَّوَابِ مِن حَيث إِنَّهَا بِدِلَالَتِهِ.

وَقِيلَ: الإِستِثنَاءُ مُنقَطِعٌ، مَعنَاهُ: لَكِن مَن شَاءَ أَن يَتَخِذَ إِلَى رَبِّه سَبِيلَاً فَليَفعَل[4].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٢٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٥٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (برزخ) ١/ ٣٣٣.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٢٥ بتفاوت يسير.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (٦٠)

قِيلَ: الرَّحمَنُ إِسمٌ مِن أَسمَاءِ اللَّهِ تعالَى، مَذكُورٌ في الكُتُبِ المُتَقَدِمَةِ وَلَم يَكُونُوا ـ أَي: الكُفَّارُ ـ يعرِفُونَهُ، فَقَالَ اللهُ تعَالَى: سَل بِهَذَا الإِسمِ مَن يُخبِرِكَ بِه مِن أَهلِ الكِتَابِ، وَلِذَلِك قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرا﴾ مِن أَهلِ الكِتَابِ وَعلَى رُهبَانِهِم [١].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥)

الغَرَامُ: الهَلَاكُ وَالخُسرَانُ، وَمِنهُ: الغَرِيمُ لِمُلَازَمَتِهِ [٢].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (٦٧)

الإِقتَارُ: هُوَ الإِمسَاكُ عَن حَقِّ اللَّهِ [٣].

رُوِي عَن مُعَاذ: إِنَّه قَالَ: سَأَلتُ رَسُول الله ﷺ عَن ذَلِك، قَولُه تعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾ فَقَالَ ﷺ في جَوَابِه: (مَن أَعطَى في غَيرِ حَقٍّ فَقد أَسرَفَ، وَمَن مَنَعَ عَن حَقٍّ فَقَد قَتَّرَ) [٤].

أَي: لَم يُجَاوِزُوا حَدَّ الكَرَمِ، وَلَم يُضَيِّقُوا تَضيِيقَ الشَّحِيحِ [٥].

وَقِيلَ: الإِسرَافُ هُوَ: الإِنفَاقُ فِي المَحَارِمِ وَالمَعَاصِي [٦] وَالإِقتَارُ: هُوَ الإِمسَاكُ عَن حَقِّ اللَّهِ [٧].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٩٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٣/ ٧٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١١.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١١.
(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٢٨.
(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٥٨٩.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١١.

القَدرُ وَالقَترُ: الضِّيقُ [١].

وَعَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (لَيسَ فِي الْـمَأكُولِ وَالمَشرُوبِ سَرَفٌ وَإِن كَثُر) [٢].

﴿**وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً**﴾ أَي: وَسَطاً وَعَدلاً، سُمِّي لِإستِقَامَةِ الطَّرَفَينِ، لأَنَّ إِنفَاقَهُم بَينَ الإِسرَافِ وَالإِقتَارِ، لَا إِسرَافاً يَدخُلُونَ بِهِ فِي حَدِّ التَّبذِيرِ [٣].

وَالقَوَامُ مِنَ العَيشِ: مَا أَقَامَكَ [٤].

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨)

يُقَالُ: أَعظَمُ الذُّنُوبِ بَعدَ الشِّركِ القَتلُ وَالزِّنَا [٥] وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تعَالَى فِي تَعرِيفِ المُؤمِنِينَ: ﴿**وَالَّذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ**﴾ الخِصَال: ﴿**يَلْقَ أَثاماً**﴾ أَي: عُقُوبَةً وَجَزَاءً لِمَا فَعَلَ [٦].

يُقَالُ: أَثمَهُ اللهُ يأثمَهُ إِثماً وَآثَاماً؛ أَي: جَازَاهُ جَزَاءَ الإِثمِ [٧] وَقِيلَ: إِنَّ آثَامَاً إِسمُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ [٨].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٩٥.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٥٠٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١١.
(٤) العين، الفراهيدي، مادة (قوم) ٥/ ٢٣٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١٢.
(٦) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٣١.
(٧) لسان العرب، ابن منظور، مادة (أثم): ١٢/ ٥.
(٨) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٥٠٨.

﴿يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فيهِ مُهاناً﴾ (٦٩)

﴿يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فيهِ مُهاناً﴾ أَي: عَلَى وَجهِ الإِستِخفَافِ وَالإِهَانَةِ[١].

﴿وَالَّذينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً﴾ (٧٢)

قِيلَ: الزُّورُ فِي اللُّغَةِ: الشِّركُ[٢] وَلَا كَذِبَ فَوقَ الشِّركِ بِاللَّـهِ[٣].

اللَّغوُ: كُلُّ مَا يَنبَغِي أَن يُلغَى وَيُطرَحُ[٤].

﴿أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فيها تَحِيَّةً وَسَلاماً﴾ (٧٥)

التَّحِيَّةُ: هِيَ كُلُّ قَولٍ يُسَرُّ بِهِ الإِنسَان[٥].

﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً﴾ (٧٧)

يُقَالُ: عبَأتُ الجَيشَ؛ إِذَا هَيأتُهُ[٦].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ أَي: مَا يُبَالِي بِكُم رَبِّي، أَو: مَا يَصنَعُ بِكُم رَبِّي، أَو: لَا يَعتَدُّ بِكُم، وَمَا لَا يُعبَؤ بِهِ فَوُجُودُهُ وَعَدَمِهِ سَوَاءٌ[٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١٢.
(٢) تاج العروس، الزبيدي، مادة (زور) ٦/ ٤٧٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١٥.
(٤) زبدة البيان، الأردبيلي: ٤١١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١٦.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٥٤٤.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١٦.

﴿**لَوْ لا دُعاؤُكُمْ**﴾ أَي: لَو لَا دُعَاؤهُ إِيَّاكُم إِلى الدِّينِ وَالإِسلَامِ، فَيَكُونُ المَصدَر مُضَافَاً إِلى مَفعُولِه.

وَالمَعنَى: قُل لِلمُشرِكِينَ: مَا يَفعَلُ بِكُم رَبِّي؛ أَي: أَيَّ نَفعٍ لَه فِيكُم، وَأَيَّ ضَرَرٍ يَعُودُ إِلَيهِ مِن عَدَمِكُم، وَأَيَّ قَدَرٍ لَكُم عِندَ اللَّـهِ سُبحَانَهُ حَتَّى يَدعُوكُم إِلى الإِيمَانِ، لَكِنَّ الوَاجِبَ في الحِكمَةِ دُعَاؤكُم إِلى الدِّينِ، وَإِرسَالُ الرَّسُولِ، وَقَد فَعَلَ.

وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ لَو لَا عِبَادَتُكُم لَهُ، وَإِيمَانُكُم بِهِ، وَتَوحِيدُكُم إِيَّاهُ، فَيَكُون الدُّعَاء بِمَعنَى العِبَادَة، وَفي هَذَا دِلَالَة علَى أَنَّ مَن لَا يَعبُدُ اللهَ وَلَا يُطِيعُهُ فَلَا وَزنَ لَهُ عِندَ اللَّـهِ[١].

فَإِنَّ شَرَف الإِنسَان وَكَرَامَتُهُ بِالمَعرِفَةِ وَالطَّاعَة، وَإِلَّا فَهوَ وَسَائِرُ الحَيوَانَاتِ سَوَاءٌ[٢].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣١٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٣٠.



الفصل السادس والعشرون

سورة الشعراء



سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَن قَرَأَ سُورَةَ الطَّوَاسِينَ الثَّلَاثَةِ فِي لَيلَةِ الجُمُعَةِ، كَانَ مِن أَولِيَاءِ اللَّهِ، وَفِي جِوَارِ اللَّهِ وَكَنَفِهِ، وَلَم يُصِبهُ فِي الدُّنيَا بُؤسٌ أَبَداً، وَ أُعطِيَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الجَنَّةِ حَتَّى يَرضَى، وَفَوقَ رِضَاهُ، وَزَوَّجَهُ اللهُ مَائَةَ زَوجَةٍ مِن الحُورِ العِينِ)[1].

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾﴿٣﴾

أَصلُ البَخعِ: أَن يَبلُغَ بِالذَّبحِ البِخَاعَ؛ وَهوَ: عِرقٌ مُستَبطِنُ الفِقَارِ، وَذَلِكَ حَدُّ الذَّبحِ[2].

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾﴿٤﴾

الأَعنَاقُ: الرُّؤسَاءُ مِنَ النَّاسِ[3].

يُقَالُ: جَاءَنِي عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ؛ أَي: جَمَاعَةٌ[4].

---

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٩، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ٢٨٦.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٠٤.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ٢/ ٨٨.

(٤) معاني القرآن، النحاس: ٥/ ٦٣.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (٧)

الكَرِيمُ: صِفَةٌ لِكُلِّ مَا يُرضَى وَيُحمَدُ في بَابِهِ.

يُقَالُ: وَجهٌ كَرِيمٌ مَرضِيٌّ في حُسنِه وَبهائِهِ، وَكِتَابٌ كَرِيمٌ: مَرضِيٌّ في مَعَانِيهِ، فَالنَّبَاتُ الكَرِيمُ؛ هُوَ: المَرضِيُّ في المَنَافِعِ لِتعَلُّقِهِ بِهِ [1].

وَقولُه تعَالَى: ﴿أَنْبَتْنَا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أَي: مِن كُلِّ صِنفٍ مَعَ قَرِينِه حَسَنٌ[2] أَو: مَحمُودٌ، كَثِيرُ المَنفَعَةِ [3].

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ (٣٠)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ﴾ أَي: قَالَ مُوسَى: يَا فِرعَونُ، أَتَسجُنَنِي وَلَو جِئتُكَ بِشَيءٍ بَيِّنٍ، وَأَمرٍ ظَاهِرٍ، تَعرِفُ بِهِ صِدقِي، وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ تَدلُّ عَلَى نُبُوتِي [4] يَعنِي: المُعجزَةُ، فَإِنَّهَا الجَامِعَةُ بَينَ الدِّلَالَة عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَحِكمَتهُ، وَالدِّلَالَةُ عَلى صِدقِ مُدَّعِي نُبُوتَهِ، فَالوَاو لِلحَالِ، دَخَلَت عَلَيهَا هَمزَةُ الإِستِفهَام [5].

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (٥٠)

الضَّيرُ: الضَّرَرُ [6].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٦٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٢١.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٣٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٢٦.
(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٣٦.
(٦) معاني القرآن، النحاس: ٥/ ٧٧.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

الشِّرذِمَةُ: هِي الطَّائفةُ القَلِيلَةُ، وَقَولُه تعَالَى: ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ أَي: عِصَابَةٌ قَلِيلَةٌ، وَيَجُوزُ فِيهِ أَن يُرِيدُ بالقلة الذلة لا قلة العدد [1].

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾

الحَذِرُ: المُتيَقِّظُ الحَاذِرُ المُستَعِدُّ [2].

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ ﴿٦٠﴾

يُقَالُ: أَدرَكَهُ مُشرِقَاً؛ أَي: وَقتَ شُرُوق الشَّمس، وُظُهور ضَوؤهَا، وَكَذَا إِتَّبَعَهُ [3].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ يَعنِي: قَوم فِرعَون، أَدرَكُوا مُوسَى وَأَصحَابَهُ وَقتَ شُرُوق الشَّمس، وَحِينَ ظُهورِ ضَوؤهَا [4].

---

(١) تفسير الرازي: ٢٤/ ١٣٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (حذر) ٤/ ١٧٦.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٢٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٣٣.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٦٣﴾

الفِرقُ: الإِسمُ لِمَا انفَرَقَ [١].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ أَي: مَكَانَ كُلِّ قِطعَة مِنَ البَحرِ كَالجَبَلِ المُنِيف، الثَّابِتُ في مَقَرِّه [٢].

رُوِي: أَنَّ قَومَ مُوسَى دَخَلُوا في شِعَابِه، كُلُّ سِبطٍ في شِعبٍ [٣].

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ ﴿٦٤﴾

الإِزلَافُ: الإِدنَاءُ وَالتَقرِيبُ، وَمِنهُ المُزدَلِفَةُ [٤].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ**﴾ أَي: قَرَّبنَا إِلى البَحرِ فِرعَونَ وَقَومَهُ حَتَّى دَخَلُوا علَى إِثرَهُم مَدَاخِلَهُم، وَأَنجَينَا مُوسَى وَمَن مَعَهُ أَجمَعِين [٥].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾

يُقَالُ لإِبرَاهِيمَ: شَجَرَةُ الأَنبِيَاء [٦].

---

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٤٨.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٢٦.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٤١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٣١.

(٥) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٤٩.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٣٥.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (٩٤)

وَالكَبكَبَةُ: تَكرِيرُ الكَبِّ لِتَكرُّرِ مَعناهُ، يُقَالُ: كُبكِبَ الرَّجُلُ فِي النَّارِ، كَأَنَّ مَن أُلقِي فِيهَا يَنكَبُّ مَرَّةً بَعدَ أُخرَى، حَتَّى يَستَقِرُّ فِي قَعرِهَا، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَكُبْكِبُوا فيها**﴾[1].

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٩٧)

قَولُه تعَالَى: ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ إِن هِي مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَة؛ أَي: تَاللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[2].

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٠١)

الحَمِيمُ: مِنَ الإِحتِمَامِ؛ وَهوَ الإِهتِمَامُ، وَهوَ الَّذِي يُهِمُّهُ مَا يُهِمُّكَ، أَو مِنَ الحَامَّة؛ بِمَعنَى: الخَاصَّة، وَهوَ الصَّدِيقُ الخَاصُّ[3].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾ أَي: مَا لَنَا شَفِيعٌ مِنَ الأَبَاعِدِ، وَلَا صَدِيقٌ مِنَ الأَقَارِبِ؛ أَي: ذِي قَرَابَةٍ يُهِمُّهُ أَمرُنَا.

وَالمَعنَى: مَا لَنَا مِن شَفِيعٍ مِنَ الأَبَاعِدِ، وَلَا صَدِيقٍ مِنَ الأَقَارِبِ، وَذَلِكَ حِينَ يُشفَّعُ المَلَائكَةُ وَالنَّبِيُّونَ[4].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٨٠.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٧.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١١٩.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٣٨.

وَإِنَّما جَمعَ الشُّفَعاَء، وَوَحَّدَ الصَّدِيق؛ لِكَثْرَةِ الشُّفَعَاءِ، وَقِلَّة الصَّدِيقِ الصَّادِق في الوِدَادِ (١).

وَعَن بَعضِ الحُكَماءِ، أَنَّهُ سُئلَ عَن الصَّدِيقِ؟ فَقَالَ: إِسمٌ لا مَعنَى لَهُ (٢).

في الخَبَرِ المَأْثُورِ: عَن جَابِر بن عَبدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: (إِنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ في الجَنَّةِ: مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلَان؟ وَصَدِيقُهُ في الجَحِيم، فَيَقُولُ اللهُ تعالَى: أَخرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَن بَقِي في النَّارِ: ﴿**فَما لَنا مِنْ شافِعينَ * وَ لا صَديقٍ حَميمٍ**﴾ (٣).

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (وَاللَّهِ، لَنَشفَعَنَّ لِشِيعَتِنَا، حَتَّى يَقُولُ النَّاس: ﴿**فَما لَنا مِنْ شافِعينَ * وَ لا صَديقٍ حَميمٍ**﴾) (٤).

وَعَن أَبَان بن تَغلِب (٥) قَالَ: سَمِعتُ أَبَا عَبدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: (إِنَّ المُؤمِن لَيَشفَعُ يَومَ القِيَامَةِ لِأَهلِ بَيتِه، فَيُشَفَّعُ فِيهِم، حَتَّى يَبقَى خَادِمَهُ، فَيَقُولُ وَيَرفَعُ سَبَّابَتَيهِ: يَا رَبُّ، خُوَيدِمِي، كَان يَقِينِي الحَرَّ وَالبَرد، فَيُشَفَّعُ فِيهِ) (٦).

وَعَن البَاقِرِ عليه السلام أَنَّه قَالَ: (... إِنَّ المُؤمِنَ لَيَشفَعُ لِجَارِه، وَمَا لَهُ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ، جَارِي كَانَ يَكُفُّ عَنِّي الأَذَى، فَيُشَفَّعُ فِيهِ، وَإِنَّ أَدنَى المُؤمِنِينَ شَفَاعَةً لَيَشفَعُ لِثَلاثِينَ إِنسَانَاً) (٧).

---

(١) تفسير الرازي: ٢٤/ ١٥٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٣/ ١١٧.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٨١.
(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٢/ ١٤.
(٥) ابن رباح، أبو سعيد، روى عن الإمام الباقر والسجاد والصادق عليهم السلام كانت له عندهم عليهم السلام منزلة كبيرة، عظيم المنزلة، كان يفتي الناس في المدينة، مقدم في كل فن، له كتب، مات سنة ١٤١ هـ، ينظر: رجال النجاشي: ١٠، رجال ابن داود: ٢٩.
(٦) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٦١ح ٨٦.
(٧) الكافي، الكليني: ٨/ ١٠١ح ٧٢، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٥٦ح ٧٠.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾﴿١٠٥﴾

القَومُ: مُؤنَّثَةٌ، وَلِذَلِك تُصَغَّرُ علَى قُوَيمَة [١] أَو: هِي مُؤنَّثٌ؛ لأَنَّ المُرَادَ بِهِ الجَمَاعَة، وَلِهَذَا أَتَى بِالفِعلِ المُسنَدِ إِلَيهِ فِي قَولِه تعَالَى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾ أَي: كَذَّبَت جَمَاعَةُ نُوحٍ؛ لأَنَّ مَن كَذَّبَ رَسُولاً وَاحِداً مِن رُسُلِ اللَّهِ فقَد كَذَّبَ الجَمَاعَة، لأَنَّ كُلَّ رَسُولٍ يَأْمُرُ تَصدِيقَ جَمِيعِ الرُّسُلِ [٢].

وَقَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (يَعنِي بِالمُرسَلِينَ: نُوحاً وَالأَنبِيَاءَ الَّذِينَ كَانُوا بَينَهُ وَبَينَ آدَم عليه السلام)[٣].

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾﴿١١٩﴾

يُقَالُ: شَحَنَهُ يَشحَنهُ شَحناً؛ إِذا مَلأَهُ بِمَا يَسُدُّ خَلَلَهُ [٤].

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾﴿١٢٨﴾

الرِّيعُ: بِالكَسرِ وَالفَتحِ؛ المَكَانُ المُرتَفِعُ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ**﴾ [٥].

يَعنِي: أَتَبنُونَ بِكُلِّ مَكَانٍ مُرتَفِعٍ [٦].

الآيَةُ: العِلمُ؛ أَي: بِنَاءً لَا تَحتَاجُونَ إِلَيهِ لِسُكنَاكُم، وَإِنَّمَا تُرِيدُونَ العَبَثَ بِذَلِكَ

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٤٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٤٠.
(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٣٨.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤٢.
(٥) الصحاح، الجوهري، مادة (ريع): ٣/ ١٢٢٣.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٤٧.

وَاللَّعِب وَاللَّـهو، كَأَنَّهُ جَعَل مَا يَستَغنُونَ عَنهُ عَبَثاً مِنهُ [١].

وَعَن النَّبِيِّ ﷺ: (كُلُّ بِناءٍ بُنِيَ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَومَ القِيَامَةِ، إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنهُ) [٢].

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (١٣٠)

البَطشُ: العَسفُ قَتلاً بِالسَّيفِ، وَضَرباً بِالسَّوطِ [٣].

وَالجَبَّارُ: العَالِي علَى غَيرِه بِعَظِيمِ سُلطَانِه، وَهوَ فِي صِفَةِ اللَّـهِ سُبحَانَهُ مَدحٌ، وَفِي صِفَةِ غَيرِهِ ذَمٌّ [٤].

وَقِيلَ: الجَبَّارُ الَّذِي يَقتُلُ وَيَضرِبُ علَى الغَضَبِ [٥].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ أَي: إِذَا: ﴿بَطَشْتُمْ﴾ بسوط او سيف: ﴿بَطَشْتُمْ﴾ ظَالِمِينَ عَالِين [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٤٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٨٤، سنن أبي داود: ٢/ ٥٢٧ح ٥٢٣٦.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤٥.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٢٢.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٨٤.

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾

الخُلُقُ: بِضمِّ الخَاءِ وَاللَّامِ: العَادَةُ، وَبِفَتحِ الخَاءِ: الكَذِب [١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**إِنْ هذا إلاّ خُلُقُ الْأَوَّلينَ**﴾ مَن قَرأ بِفَتحِ الخَاءِ، مَعنَاهَا: مَا هَذَا الَّذِي جِئتَنَا بِه إِلَّا كَذِبُ الأَوَّلِينَ الَّذِينَ إِدَّعَوا النُّبُوَّةَ، وَلَم يَكُونُوا أَنبِيَاءَ، وَأَنتَ مِثلُهُم.

وَمَن قَرَأ بِالضَّمِّ، فَيَقُولُ: فَإِنَّ الَّذِي جِئتَنَا بِهِ إِلَّا عَادَةُ الأَوَّلِينَ، كَانُوا يُلَفِقُونَ مِثلَهُ، وَفي إِنَّهُم كَانُوا يَحيَونَ وَيَمُوتُونَ، وَلَا بَعثَ وَلَا حِسَاب [٢].

﴿وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨﴾

الطَّلعُ: إِسمٌ مُشتَقٌ مِنَ الطُّلوعِ، وَهوَ الظُّهُورُ [٣].

الهَضِيمُ: اللَّطِيفُ في جِسمِهِ، وَمِنهُ هَضمُ الطَّعَامِ؛ إِذَا لَطُفَ وَاستَحَالَ إِلى شَاكِلَةِ البَدَنِ [٤].

وَقِيلَ: هُوَ الرَّطِبُ اللَّيِّنُ، علَى قَولِ مَن قَالَ: اللَّينُ: النَّضِيجُ [٥].

وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَيسَ فِيهِ نَوَىً [٦].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٤٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٣/ ١٢٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٤٥.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٤٥.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٤٦.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (١٤٩)

الفَرَاهَةُ: وَهي النَّشَاطُ، وِمِنهَا قَولُه تعَالَى: ﴿**مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهينَ**﴾ أَي: حَاذِقِينَ بِنَحتِهَا، مِنَ الفَرَاهَةِ، فَإِنَّ الحَاذِق يَعمَلُ بِنَشَاطٍ وِطِيبِ قَلبٍ [(١)].

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (١٥٥)

الشِّربُ: النَّصِيبُ مِنَ المَاءِ [(٢)].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾ وَهي النَّاقَةُ الَّتي أَخرَجَهَا إِلَيهِ مِنَ الصَّخرَةِ بِدُعَاءِ صَالِحعليه السلام كَمَا اقتَرَحُوهَا [(٣)].

وَالشِّربُ: النَّصِيبُ مِنَ المَاءِ؛ إِذا كَانَ يَومَ شُربِهَا شَرِبَت مَاءهُم كُلَّهُ، وَلَهُم شِربُ يَومٍ لَا تَشرَبُ فِيهِ المَاء [(٤)] يَعنِي: لِلنَاقَةِ نَصِيبٌ مِنَ المَاءِ، لَا تُزَاحِمُوهَا فِيهِ، وَلَكُم نَصِيبٌ لَا تُزَاحِمكُم فِيهِ [(٥)].

وَرُوِي عَن أَمِيرِ المُؤمِنينَعليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ أَوَّلُ عَينٍ نَبَعَت في الأَرضِ هِي الَّتي فَجَّرَهَا اللهُ لِصَالِح، فَقَالَ: ﴿**لَها شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾ [(٦)].

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٤٩.
(٢) المصباح المنير، الفيومي: ١/ ٣٠٨.
(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٤٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٦٨٦.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٤٧.
(٦) نور الثقلين، الحويزي: ٤/ ٦٣ح ٧٦.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ (١٦٨)

القَلَى: وزَانُ ضَربَ: البُغضُ الشَّدِيدُ [١] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ**﴾ أَي: مِنَ المُبغِضِينَ غَايَة البُغضِ، كَأَنَّ بُغضَهُ يَقلِي الفُؤادَ وَالكَبِدَ مِمَّا يعمَلُونَ مِن عُقُوبَةِ عَمَلَهُم [٢].

أَو: مَعنَاهُ؛ إِنِّي لِعَمَلِكُم قَالٍ، كَما يُقَالُ: فَلَانٌ مِنَ العُلَماءِ؛ أَي: مَعدُودَاً في جُملَتِهم، مَعرُوفَاً بِالعِلمِ فِيهِم [٣].

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦)

الأَيكَةُ: الغَيضَةُ ذَاتُ الشَّجرِ المُلتَفِّ، وَالجَمعُ: الأَيكُ [٤].

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٨٤)

الجِبِلَّةُ: الخَلِيقَةُ [٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٢٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٨٧.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٢٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٥٧.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٥٨.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧٩﴾

الظُّلَّةُ: السَّحَابَةُ الَّتي قَد أَظَلَّتهُم [1].

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٩٣﴾

قِيلَ: إِنَّ جَبرَئيل سُمِّي رُوحاً؛ لأَنَّهُ يُحِيي بِهِ الدِّين، وَقِيلَ: إِنَّهُ يُحِيي بِهِ الأَروَاحَ بِمَا يُنزِلُ مِنَ البَرَكَاتِ، وَقِيلَ: إِنَّه جِسمٌ رَوحَانيٌّ [2].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ ﴿١٩٨﴾

وَإِنَّمَا جَعَلَهُ عَرِبيَّاً؛ لأَنَّ الْمُنزَل عَلَيهِ عَرَبِيٌّ، وَالْمُخَاطَبُونَ بِهِ عَرَبٌ، وَلأَنَّهُ تَحدَّى بِفَصَاحَتِه فُصَحَاءُ العَرَبِ، وَقَد تَضَمَّنَت هِذِه الآيَة تَشرِيفُ هِذِه اللُّغَة؛ لأَنَّهُ سَمَّاهَا مُبِينَاً، وَلِذَلِكَ اختَارَهَا لأَهلِ الجِنِّ [3].

﴿الْأَعْجَمِينَ﴾ جَمعُ أَعجَمِي، علَى التَّخفِيفِ، وَلِذَلِكَ جُمِعَ جَمعُ السَّلَامَةِ [4].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٥٠.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٥٦/ ٢٤٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٥٣.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٥٣.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿٢٢٤﴾

وَعَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ لِكَعبِ بن مَالِك [1] حِينَما سَأَلَهُ عَن الشُّعَرَاءِ؟: (المُؤمِنُ يُجَاهِدُ بِسَيفِهِ وَلِسَانِهِ، اهجُهُم فَوَ الَّذي نَفسِي بِيَدِهِ، فَهوَ أَشَدُّ عَلَيهِم مِنَ النَّبلِ) [2].

الهَجوُ: وَاحِدُ الأَهَاجِي.

وَقَالَ لِحَسَّان: (قُل، وَرُوحُ القُدسِ مَعَكَ) [3].

(١) ابن عمرو بن القين بن كعب، أبو عبد الله، الخزرجي الأنصاري، صحابي شاعر، أحد شعراء النبي صلى الله عليه وآله شهد أحداً والمشاهد التي بعدها، توفي سنة (٥٠هـ) وقيل: سنة (٥٣هـ) ينظر: تقريب التهذيب، ابن حجر: ٢/ ٤٣، الوافي بالوفيات، الصفدي: ٢٤/ ٢٥٧.

(٢) تفسير الرازي: ٢٤/ ١٧٦.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٩٥، الدر المنثور، السيوطي: ٥/ ٩٩.



الفصل السابع والعشرون

سورة النمل



سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (١)

البَيَانُ: هُوَ الدِّلَالَةُ الَّتي تُبَيِّن بِهَا الأَشيَاء، وَالمُبِينُ: المُظهِرُ[1].

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٧)

يُقَالُ: آنَستُ الشَّيء؛ أَي: أَبصَرتُهُ وَرَأَيتُهُ، وَمِنهُ إِشتِقَاقُ الأُنسِ[2].

الشِّهَابُ: الشُّعلَةُ[3].

القَبَسُ: النَّارُ المَقبُوسَة[4].

الصَّلَاءُ: النَّارُ العَظِيمَة[5].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٧٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦٤.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٢٦٧.

(٤) غريب القرآن، الطريحي: ١٠٨.

(٥) تفسير البضاوي: ٤/ ٢٥٩.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أَن مُفَسِّرَة؛ لأَنَّ النِّدَاءَ فِيهَ مَعنَى القَولِ؛ أَي: قِيلَ لَهُ: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَهَا﴾ وَالمَعنَى: بُورِكَ مَن فِي مَكَانِ النَّارِ، وَمَن حَولَ مَكَانِهَا، وَمَكَانُهَا البُقعَةُ الَّتي حَصَلَت فِيهَا؛ وَهي البُقعَةُ المُبَارَكَة [(١)].

وَالَّذِي بُورِكَت لَهُ البُقعَةُ، وَبُورِكَ مَن فِيهَا وَحَوَالَيهَا، حُدُوثُ أَمرٍ دِينِيٍّ فِيهَا؛ وَهوَ تَكلِيمُ الله جَلَّ جَلَالُه مُوسَى عليه السلام واستِنبَاؤهُ لَهُ، وَإِظهَارُه المُعجِزَات عَلَيهِ [(٢)].

قِيلَ: لـمَّا رَأى مُوسَى النَّارَ وَقَفَ قَرِيباً مِنهَا، فَرَآهَا تَخرُجُ مِن فَرعِ شَجَرَةٍ خَضرَاء، شَدِيدَةُ الخُضرَةِ، لَا تَزدَادُ النَّار إِلَّا إِشتِعَالاً، وَلَا تَزدَادُ الشَّجَرَة إِلَّا خُضرَةً وَحُسناً، فَلَم تَكُن النَّار بِحَرَارَتِهَا تَحرِقُ الشَّجَرَة، وَلَا الشَّجَرَة بِرطُوبَتِهَا تُطفِيء النَّار، فَعَجِبَ مِنهَا، وَأَهوَى إِلَيهَا بِضِغثٍ فِي يَدِه لِيَقتَبِسَ مِنهَا، فَمَالَت إِلَيهِ فَخَافَهَا، فَتَأَخَّرَ عَنهَا، ثُمَّ لَم تَزَل تُطمِعَهُ وَيَطمَعُ فِيهَا، إِلى أَن نُودِيَ بِنِدَاءِ الوَحي [(٣)].

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾

الإِهتِزَازُ: التَّحَرُّك [(٤)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٠.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦٤، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٣/ ١٥٧.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٣/ ٢٠٦.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٤﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِها﴾ أَي: أَنكَرُوا آيَاتِ مُوسَى، وَلَم يُقِرُّوا أَنَّهَا مِن عِندِ اللَّهِ [١] وَقِيلَ: البَاءُ زَائِدَةٌ [٢].

وَمَعنَى: ﴿وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾ الوَاوَ في: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْها﴾ وَاوُ الحَالِ، وَقَد تَكُون مُضمَرَة، وَالعُلُوّ: الكِبرُ وَالتَّرَفُّع عَلَى الإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى، كَقَولِه: ﴿وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ﴾ [٣] وَالمَعنَى: جَحَدُوهَا بِأَلسِنَتِهِم، وَاستَيقَنُوهَا بِقُلوبِهِم، ظُلمًا عَلَى بَنِي إِسرَائيل، وَعلَى أَنفُسِهم، وَعُلوًّا عَن أَن يُؤمِنُوا، وَالإِستِيقَانُ أَبلَغُ مِنَ الإِيقَانِ [٤].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥﴾

وَفي قَولِه تعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ﴾ أَي: عِلمًا بِالقَضَاءِ بَينِ الخَلقِ، وَبِكَلَامِ الطَّيرِ وَالدَّوَابِّ [٥] أَو: المَعنَى آتَينَاهُمَا عِلمًا فَعَمِلَا بِهِ [٦].

﴿وَقالاَ الْحَمْدُ لله الَّذي فَضَّلَنا عَلى كَثيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنينَ﴾ أَي: اختَارَنَا مِن بَينِ خَلقِهِ؛ بِأَن جَعلَنَا أَنبِيَاءَ، وَبِالمُعجِزَةِ وَالمُلكِ، وَالعِلم الَّذِي آتَانَا، وَبِإِلَانَةِ الحَدِيدِ،

(١) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٤٠٨.
(٢) تفسير البيضاوي: ٥/ ٢٤٦.
(٣) المؤمنون: ٤٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦٨.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٣.

وَتَسخِيرِ الشَّيَاطِينِ وَالجِنِّ وَالإِنس [١].

وَفي هَذَا دِلَالَة على شَرفِ العِلمِ وَفَضلِه، وَتَقَدُّم أَهلِه، وَإِنَّ نِعمَة العِلمِ مِن أَجَلِّ النِّعَمِ، وَأَنَّ مَن أُوتِيَهُ فَقَد أُوتِيَ فَضلاً على كَثِيرٍ مِنَ الأُمَم [٢].

وَمَا سَمَّاهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَرَثَةُ الأَنبياءِ إِلَّا لِمُدَانَاتِهِم لَهُم في الشَّرَفِ[٣].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٦)

المَنطِقُ: هُوَ كُلُّ مَا يُصوّت بِه مِنَ المُفرَدِ وَالمُؤلَّف، وَالَّذي عُلِم مِن مَنطِقِ الطَّيرِ هُوَ مَا يُفهَم بَعضُهُ مِن بَعضٍ مِن مَعَانِيهِ وَأَغرَاضِه، كَمَا يُحكَى: أَنَّه مَرَّ على بُلبُلٍ في شَجَرَةٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: أَكَلتُ نِصفَ ثَمَرَةٍ، فَعلَى الدُّنيَا العَفَاء [٤].

وَصَاحَت فَاخِتَةٌ، فَقَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَا الخَلقِ لَم يُخلَقُوا [٥].

فَلَعَلَّهُ كَانَ البُلبُل عَن شَبَعٍ وَفَرَاغٍ، قَالَ: وَصِيَاحُ الفَاخِتَةِ عَن مُقَاسَاةِ شِدَّةٍ وَتَأَلُّمِ قَلبٍ [٦].

وَرُوِي عَن البَاقِرِ عليه السلام عَن أَبِيهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (أُعطِي سُلَيمَان بن دَاود مُلك مَشَارِقِ الأَرضِ وَمَغَارِبِهَا، فَمَلَكَ سَبعمَائة سَنَة، وَسِتَّة أَشهُر، مَلَكَ أَهلِ الدُّنيَا كُلَّهُم مِنَ الجِنِّ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٨٢،مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي:٧/ ٣٦٨.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٣.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٣٩.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٣.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٤٣.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٦٢.

وَالإِنسِ، وَالشَّيَاطِينِ وَالدَّوَابِّ، وَالطَّيرِ وَالسِّبَاعِ، وَأُعطِي عِلمَ كُلِّ شَيءٍ، وَمَنطِق كُلَّ شَيءٍ، وَفِي زَمَانِه صُنِعَت الصَّنَائِعُ المُعجِبَة الَّتِي سَمِعَ بِهَا النَّاس، وَذَلِكَ قَولُه: ﴿**عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾[1].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بن كَعبٍ[2]: إِنَّ سُلَيمَان كَانَ عَسكَرُهُ مَائة فَرسَخٍ، خَمسَةٌ وَعُشرُونَ مِنهَا لِلإِنسِ، وَخَمسَةٌ وَعُشرُونَ لِلجِنِّ، وَخَمسَةٌ وَعُشرُونَ لِلوَحشِ، وَخَمسَةٌ وَعُشرُون لِلطَّيرِ[3].

وَيُروَى: أَنَّهُ خَرجَ مِن بَيتِ المَقدِسِ مَعَ سُتُّمائَةَ أَلف كُرسِي عَن يَمِينِه وَيَسَارِه، وَأَمَرَ الطَّيرَ فَأَظَلَّتهُم، وَأَمَرَ الرِّيحَ فَحَمَلَتهُم حَتَّى وَرَدَت بِهِم المَدَائن، ثُمَّ رَجعَ فَبَاتَ في إِصطَخر.

فَقَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ مِن جُنُودِه: هَل رَأَيتُم مُلكَاً قَطُّ أَعظَمَ مِن هَذَا أَو سَمِعتُم؟ قَالُوا: لَا، فَنَادَى مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ: لَثَوَابُ تَسبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ فِي اللَّهِ أَعظَمُ مِمَّا رَأَيتُم[4].

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧)

الوَزعُ: المَنعُ وَالكَفُّ[5].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦٩.

(٢) القرظي، أبو حمزة، سكن الكوفة ثم المدينة، من سبي بني قريظة، تابعي، عدَّ في كبار المفسرين، توفي سنة (١٠٨هـ) ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥/ ٣٧٠، التاريخ الكبير، البخاري: ١/ ٢١٦.

(٣) الكشف والبيان، الثعلبي: ٧/ ١٩٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦٧.

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨)

قَولُهُ تعَالَى: **﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾** هُوَ: وَادٍ بِالطَّائِفِ، أَو: بِالشَّامِ، كَثِيرُ النَّملِ [١] وَإِنَّما عُدِّي: **﴿أَتَوْا﴾** بِعَلَى؛ لأَنَّ إِتيَانَهُم مِن فَوق، فَأَتَى بِحَرفِ الإِستِعلَاءِ، وَالثَّانِي: أَن يُرَادَ قَطعُ الوَادِي وَبُلُوغِ آخِرَهُ، مِن قَولِهِم: أَتَى عَلَى الشَّيءِ؛ إِذَا أَنقَذَهُ وَبَلَغَ آخِرَهُ، كَأَنَّهُم أَرَادُوا أَن يَنزِلُوا عِندَ مُنقَطَعِ الوَادِي [٢].

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٩)

قَولُهُ تَعَالَى: **﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا﴾** أَي: أَخَذَ فِي الضَّحِك، بِمَعنَى: أَنَّهُ تَجَاوَزَ حَدّ التَّبَسُّمِ إِلى الضَّحِك، وَكَذَلِك ضَحِكُ الأَنبِيَاءِ [٣].

الإِيزَاعُ: الإِلهَامُ، وَفُلَانٌ مُوزَعٌ؛ أَي: مُولَعٌ [٤].

---

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٧٥.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٤١.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٨٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦٨.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ﴾ (٢٠)

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ**﴾ أَي: وَتَعرَّفَ الطَّير، وَنَظرَ إِلى مَكَانِ الهُدهُدِ، فَلَم يَرَهُ: ﴿**فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ**﴾ أَم مُنقَطِعَةٌ، كَأَنَّهُ لـمَّا لَم يَرَهُ ظَنَّ أَنَّهُ حَاضِر وَلَا يَرَاهُ، لِسَاتِرٍ أَو غَيرِهُ، ثُمَّ لَاحَ لَهُ أَنَّهُ غَائب، فَأَضرَبَ عَن ذَلِكَ، وَأَخذَ يَقُولُ: هُوَ غَائبٌ، كَأَنَّهُ يَسأَلُ عَن صِحَّةِ مَا لَاحَ لَهُ [1] مِن غَيبَتِهِ، فَهوَ نَحوَ قَولِهُم: إِنَّها لَإِبل أَم شَاة [2].

قَالَ أَبو حَنِيفَة لأَبي عَبد اللَّـهِ عليه السلام: كَيفَ تَفَقَّد سُلَيمَانُ الهُدهُدَ مِن بَينِ الطَّيرِ؟ قَالَ:

(لأَنَّ الهُدهُدَ يَرى المَاءَ في بَطنِ الأَرضِ، كَمَا يَرى أَحَدَكُم الدُّهنَ في القَارُورَةِ).

فَنَظَرَ أَبُو حَنِيفَة إِلى أَصحَابِه، وَضَحِكَ، قَالَ أَبو عَبدِ اللَّـهِ عليه السلام: (مَا يُضحِكُكَ ؟) قَالَ: ظَفَرتُ بِكَ ـ جُعِلتُ فِدَاكَ ـ قَالَ: (وَكَيفَ ذَلِكَ) قَالَ: الَّذِي يَرَى المَاءَ في بَطنِ الأَرضِ لَا يَرَى الفَخَّ في التُّرَابِ حَتَّى يُؤخَذُ بِعُنقِهِ، قَالَ أَبو عَبدِ اللَّـهِ عليه السلام:

(يَا نُعمَانُ، أَمَا عَلِمتَ أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ القَدرُ أُغشِي البَصَر) [3].

وَقِيلَ: إِنَّ سُلَيمَان احتَاجَ إِلى الهُدهُد في السَّفَرِ لِيُدِلَّ علَى المَاءِ؛ لأَنَّهُ يَرَاهُ في بَطنِ الأَرضِ [4].

وَقِيلَ: كَانَت الطُّيُور تُظِلَّهُ مِنَ الشَّمسِ، فَلَمَّا أَخَلَّ الهُدهُدُ بِمَكَانِه بَانَ بِطُلوعِ الشَّمسِ عَلَيهِ، ثُمَّ أَوعَدَهُ علَى غَيبَتِه، فَقَالَ: ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً**﴾ [5].

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٦٣.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٦/ ١٤.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٥.
(٤) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٤١٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٨٨.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (٢٢)

سَبَأ: هُوَ سَبَأ بِن يَشجُب بِن يَعرُب بِن قَحطَان، فَجَعلَهُ إِسماً لِلقَبِيلَةِ، ثُمَّ سُمِّيَت بِه مَدِينَةٌ بِأَرضِ اليَمَنِ [١].

وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ تعالَى بَعَثَ إِلى سَبَأ اثني عَشَرَ نَبِيَّاً [٢].

وَعَن ابن عبَّاس، أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَن سَبَأ؟ فَقَالَ: (هُوَ رَجُلٌ وَلِدَ لَهُ عَشرَةٌ مِنَ العَرَبِ، تَيَامَنَ مِنهُم سِتَّةٌ، وَتَشَأَمَ أَربعَةٌ؛ فَالَّذِينَ تَشَأمُوا: لَخم وَجُذَام وَغَسَّان وَعَامِلَة، وَالَّذِينَ تَيَامَنُوا: كِندَة وَالأَشعَرونَ وَالأَزد وَمِذحَج وَحِمَير وَأَنمار، وَمِنَ الأَنمَارِ خَثعَم وَبَجِيلَة) [٣].

تَملِكُ سَبَأ: بَلقِيس بِنت شَرَاحِيل بن مَالِك بن الرَّيان، وَهي مَلِكَةُ سَبَأ [٤].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٦.
(٢) الدر المنثور، السيوطي: ٥/ ١٠٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٧٦.
(٤) الدر المنثور، السيوطي: ٥/ ١٠٥.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾(٢٥)

قَولُه تعَالَى: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لله﴾ أي: لَأَن لَا يَسجُدُوا، فَحذَف الجَارِ [١].

قَولُه تَعَالَى: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

الخِبءُ: المَخبُوءُ؛ أَي: المَستُور، سَمَّاهُ بِالمَصدَرِ، وَهوَ: النَّبَاتُ وَالمَطَرُ وَغَيرَهُمَا مِمَّا خَبأَهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن غُيُوبِه [٢].

وَالخِبءُ: الغَيبُ، وَهوَ كُلُّ مَا غَابَ عَنَ الإدرَاكِ [٣].

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾(٢٩)

يُقَالُ: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ﴾ إِذَا أُرسِلَ مِن عِندِ كَرِيمٍ، الفَتوَى وَالفُتيَا: حُكمُ الأَمرِ بِمَا فِيهِ صَوَاب [٤].

وَقَد كَانَت سَمِعَت بِخَبَرِ سُليمَان، فَسَمَّتهُ كَرِيمَاً؛ لأَنَّه مِن كَرِيمٍ رَفِيعُ المُلكِ، عَظِيمُ الجَاهِ.

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٠٧.
(٢) غريب القرآن، الطريحي: ٢٢.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٨٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٨٠.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾

مَعنَاهُ: إِنَّ الكِتَابَ مِن سُلَيمَان، وَأَنَّ المَكتُوب فِيهِ: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ [1] فَإِنَّ هَذَا القَدر جُملَةُ مَا في الكِتَابِ.

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي**﴾ أَي: أَشِيرُوا عَلَيَّ بِالصَّوَابِ: ﴿**مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ**﴾ أَي: مَا كُنتُ مُمضِيَة أَمرَاً حَتَّى تَحضَرُونِ، وَهَذَا مُلَاطَفَةٌ مِنهَا لِقَومِهَا.

قَالُوا لَهَا في الجَوَابِ:

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿**قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ**﴾ أَي: أَصحَاب قُوَّة وَقُدرَة، وَأَهلُ عَدَدٍ: ﴿**وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ أَي: وَأَصحَابُ شَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ: ﴿**وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ**﴾ أَي: إِنَّ الأَمرَ مُفَوَّضٌ إِلَيكِ في القِتَال وَتركِهِ: ﴿**فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾أَي: مَا الَّذِي تَأَمُرِينَنَا بِهِ لِنَمتَثِلَهُ، فَإِن أَمَرتِ بِالصُّلح صَالَحنَا، وَإِن أَمَرتِ بِالقِتَال قَاتَلنَا.

قَالَت مُجِيبَةٌ لَهُم عَن التَعرِيضِ بِالقِتَالِ:

---

(١) النمل: ٣٠ـ٣١.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤)

﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا**﴾ أَي: إِذَا دَخلُوها عُنوَةً عَن قِتَالٍ وَغَلَبَةٍ أَهلَكُوها وَخَرَّبُوهَا: ﴿**وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**﴾ أَي: أَهَانُوا أَشرَافهَا وَكُبرَاءهَا كَي يَستَقِيمَ لَهُم الأَمر، وَالمَعنَى: إِنَّمَا حَذَّرَتهُم مَسِيرَ سُلَيمَان إِلَيهم وَدُخُوله بِلَادَهُم، وَانتَهَى الخَبَرُ عَنهَا، وَصَدَّقَهَا اللهُ فِيمَا قَالَت، فَقَالَ: ﴿**وَكَذَلِكَ**﴾ أَي: وَكَمَا قَالَت هِيَ: ﴿**يَفْعَلُونَ**﴾.

وَقِيلَ: إِنَّ الكَلَامَ مُتَّصِلٌ بَعضُه بِبَعضٍ: ﴿**وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ مِن قَولِهَا:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥)

﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم**﴾ أَي: إِلَى سُلَيمَان عليه السلام وَقَومِهُ: ﴿**بِهَدِيَّةٍ**﴾ أُصَانِعهُ بِذَلِك عَن مُلكِي: ﴿**فَنَاظِرَةٌ**﴾ أَي: مُنتَظِرَةٌ: ﴿**بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾ بِقَبُولٍ أَم رَدٍّ.

وَإِنَّمَا فَعَلَت ذَلِكَ، لِأَنَّهَا عَرَفَت عَادَة المُلُوكِ فِي حُسنِ مَوقِعِ الهَدَايَا عِندَهُم، وَكَانَ غَرَضُهَا أَن يَتَبَيَّن لَهَا بِذَلِك أَنَّه مَلِكٌ أَو نَبِيّ، فَإِن قَبِلَ الهَدِيَّة تَبَيَّنَ أَنَّهُ مَلِك، وَعِندَهَا مَا يُرضِيه، وَإِن رَدَّهَا تَبَيَّنَ أَنَّه نَبِيّ.

وَاختُلِفَ فِي الهَدِيَّةِ؛ فَقِيلَ: أَهدَت إِلَيهِ وَصَفَاء وَوَصَائِف، أَلبَستهُم لِبَاسًا وَاحِدًا، حَتَّى لَا يُعرَف ذَكَر مِن أُنثَى، عَن ابن عبَّاس.

وَقِيلَ: أَهدَت مَائتَي غُلَامٍ، وَمَائتَي جَارِيَة، أَلبَسَت الغِلمَان لِبَاسَ الجَوَارِي، وَأَلبَسَت الجَوَارِي لِبَاسَ الغِلمَان، عَن مجاهد.

وَقِيلَ: أَهدَت لَهُ صَفَائحَ الذَّهَبِ فِي أَوعِيَةِ الدِّيبَاج.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِك سُلَيمَان عليه السلام أَمَر الجِنَّ فَمَوَّهُوا لَهُ الآجُر بِالذَّهبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُلقِيَ

فِي الطَّرِيقِ، فَلَـمَّا جَاؤوا رَأَوهُ مُلقَىً فِي الطَّرِيقِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَلَـمَّا رَأَوا ذَلِكَ، صَغُرَ فِي أَعيُنِهِم مَا جَاؤوا بِهِ، عَن ثَابِت البَنَانِي.

وَقِيلَ: إِنَّهَا عَمَدَت إِلي خَمسَمِائة غُلَام، وَخَمسَمِائة جَارِيَة، فَأَلبَسَت الجَوَارِي الأَقبِيَة وَالمَنَاطِق، وَأَلبَسَت الغِلمَان فِي سَوَاعِدَهُم أَسَاورَ مِن ذَهَبٍ، وَفِي أَعنَاقِهِم أَطوَاقَاً مِن ذَهَبٍ، وَفِي آذَانِهِم أَقرَاطَاً وَشُنُوفَاً[1] مُرَّصَعَات بِأَنوَاعِ الجَوَاهِرِ، وَحَمِلَت الجَوَارِي عَلَى خَمسَمِائةِ رَمكَة، وَالغِلمَان عَلَى خَمسَمِائةِ بِرذَون، عَلَى كُلِّ فَرَسٍ لِجَام مِن ذَهَبٍ مُرَصَّعِ بِالجَوَاهِرِ.

وَبَعَثَت إِلَيهِ خَمسَمِائة لَبِنَة مِن ذَهَبٍ، وَخَمسَمِائة لَبِنَة مِن فِضَّة، وَتَاجَاً مُكَلَّلاً بِالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ المُرتَفِعِ، وَعَمَدَت إِلى حُقَّةٍ، فَجَعَلَت فِيهَا دُرَّةً يَتِيمَةً غَيرُ مَثقُوبَةٍ، وَخِرزَةُ جَزَعِيَّة مَثقُوبَة معوَجَّةِ الثَّقبِ، وَدَعَت رَجُلاً مِن أَشرَافِ قَومِهَا إِسمُه المُنذِر بن عَمرو، وَضَمَّت إِلِيهِ رِجَالاً مِن قَومِهَا أَصحَابَ رَأيٍّ وَعَقلٍ، وَكَتَبَت إِلَيهِ كِتَابَاً بِنُسخَةِ الهَدِيَّةِ، قَالَت فِيهَا:

إِن كُنتَ نَبِيَّاً، فَمِيِّز بَينَ الوُصفَاءِ وَالوَصَائف، وَأَخبِر بِمَا فِي الحُقَّةِ قَبلَ أَن تَفتَحهَا، وَاثقُب الدُّرَّة ثُقباً مُستَوِيَاً، وَأَدخِل الخِرزَة خَيطَاً مِن غَيرِ عِلَاجِ إِنسٍ وَلَا جِنٍّ، وَقَالَت لِلرَسُولِ: أُنظُر إِلَيهِ إِذَا دَخَلتَ عَلَيهِ، فَإِن نَظَرَ إِلَيكَ نَظَرَ غَضَبٍ، فَاعلَم إِنَّه مَلِك، فَلَا يَهُولَنَّكَ أَمرُه، فَأَنَا أَعَزُّ مِنهُ، وَإِن نَظَرَ إِلَيكَ نَظَرَ لُطفٍ، فَاعلَم أَنَّه نَبِيٌّ مُرسَلٌ.

فَانطَلَقَ الرَّسُولُ بِالهَدَايَا، وَأَقبَلَ الهُدهُدُ مُسرِعَاً إِلى سُلَيمَان فَأَخبَرَهُ الخَبَرَ، فَأَمرَ سُلَيمَان الجِنَّ أَن يَضرِبُوا لَبِنَات الذَّهَبِ وَلَبِنَاتِ الفِضَّة فَفَعلُوا، ثُمَّ أَمَرهُم أَن يَبسِطُوا مِن مَوضِعِه الَّذِي هُوَ فِيهِ إِلَى بِضعِ فَرَاسِخَ مَيدَانَاً وَاحِدَاً بِلَبِنَاتِ الذَّهبِ وَالفِضَّة، وَأَن

(١) وهي الحلي التي تعلق في أعلى الأذان، الصحاح، الجوهري، مادة (شنف) ٤/ ١٣٨٣.

يجعَلُوا حَولَ المَيدَانِ حَائطَاً شُرفُهَا مِنَ الذَّهبِ والفِضَّةِ فَفعلُوا.

ثُمَّ قَالَ لِلجنِّ: عَليَّ بِأَولَادِكُم، فَاجتَمَعَ خَلقٌ كَثِيرٌ، فَأَقَامَهُم عَن يَمِينِ المَيدَانِ وَيَسَارِه، ثُمَّ قَعَدَ سُلَيمَان عليه السلام في مَجلِسِه عَلَى سَرِيرِه، وَوُضِعَ لَه أَربَعَة آلافِ كُرسِيٍّ عَن يَمِينِهِ، وَمِثلُهَا عَن يَسَارِه، وَأَمرَ الشَّيَاطِين أَن يَصطَفُّوا صُفُوفَاً فَرَاسِخَ، وَأَمرَ الإِنس فَاصطَفُّوا فَرَاسِخَ، وَأَمرَ الوَحشَ وَالسِّبَاعَ وَالهَوَامَّ وَالطَّير فَاصطَفُّوا فَرَاسِخَ عَن يَمِينهُ وَيَسَارِه.

فَلَمَّا دَنَا القَوم مِنَ المَيدَانِ، وَنَظَرُوا إِلى مُلكِ سُلَيمَان تَقَاصَرَت إِلَيهِم أَنفُسَهُم، وَرَمَوا بِمَا مَعَهُم مِنَ الهَدَايَا، فَلَمَّا وَقَفُوا بَينَ يَدَي سُلَيمَان عليه السلام نَظَرَ إِلَيهِم نَظرَاً حَسَنَاً، بِوَجهٍ طَلِقٍ، وَقَالَ: مَا وَرَاءكُم؟ فَأَخبَرَهُ رَئيسُ القَومِ بِمَا جَاؤوا بِه، وَأَعطَاهُ كِتَابَ المَلِكَة.

فَنَظَرَ فِيهِ، وَقَالَ: أَينَ الحُقَّة؟ فَأُتِي بِهَا فَحَرَّكَهَا، وَجَاءهُ جَبرَئِيلُ فَأَخبَرهُ بِمَا فِي الحُقَّةِ، وَقَالَ: إِنَّ فِيهَا دُرَّةً يَتِيمَة غَيرُ مَثقُوبَةٍ، وخِرزَةٌ مَثقُوبَةٌ مُعوَجَّةُ الثَّقبِ، فَقَالَ الرَّسُولُ: صَدَقتَ، فَاثقُب الدُّرَّةِ، وَأَدخِل الخَيطَ فِي الخِرزَةِ.

فَأَرسَلَ سُلَيمَان عليه السلام إِلى الأَرَضَةِ، فَجَاءت، فَأَخَذَت شَعرَةً فِي فِيهَا، فَدَخَلَت فِيهَا حَتَّى خَرَجَت مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ، ثُمَّ قَالَ: مَن لِهَذِه الخِرزَة يُسلِكهَا الخَيطَ؟ فَقَالَت دُودَةٌ بَيضَاء: أَنَا لَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَت الدُّودَةُ الخَيطَ فِي فِيهَا، وَدَخَلَت الثُّقبَ حَتَّى خَرَجَت مِنَ الجَانِبِ الآخَر.

ثُمَّ مَيَّزَ بَينَ الجَوَارِي وَالغِلمَانِ: بِأَن أَمَرَهُم أَن يَغسِلُوا وَجوهَهُم وَأَيدِيَهُم، فَكَانَت الجَارِيَةُ تَأخُذُ المَاءَ مِنَ الآنِيَةِ بِإِحدَى يَدَيهَا، ثُمَّ تَجعَلُهُ عَلَى اليَدِ الأُخرَى، ثُمَّ تَضرِبُ بِه الوَجهَ، وَالغُلَامُ يَأخُذ مِنَ الآنِيَةِ يَضرِبُ بِه وَجهِهِ، وَكَانَت الجَارِيَةُ تَصُبُّ عَلَى بَاطِنِ سَاعِدَهَا، وَالغُلَامُ عَلَى ظَهرِ السَّاعِدِ، وَكَانَت الجَارِيَةُ تَصُبُّ المَاءَ صَبَّاً، وَكَانَ الغُلَامُ يَحدِرُ المَاءَ عَلَى يَدِه حَدرَاً، فَمَيَّزَ بَينَهُم بِذَلِكَ، هَذَا كُلُّهُ مَروِيٌّ عَن وَهَب وَغَيرُه.

وَقِيلَ: إِنَّهَا أَيضاً أَنفَذَت مَعَ هَدَايَاهَا عَصاً كَانَت تَتَوَارَثُهَا مُلُوك حِميَر، وَقَالَت: أُرِيدُ أَن تُعَرِّفُنِي رَأسُهَا مِن أَسفَلِهَا، وَبِقَدحِ مَاءٍ، وَقَالَت: تَملَأَهُ مَاءً رَوَاءً، لَيسَ مِنَ الأَرضِ وَلَا مِنَ السَّمَاءِ.

فَأَرسَلَ سُلَيمَانُ العَصَا إِلَى الهَوَاءِ، وَقَالَ: أَيُّ الرَّأسَينِ سَبَقَ إِلى الأَرضِ فَهوَ أَصلُهَا، وَأَمرَ بِالخَيلِ، فَأُجرِيَت حَتَّى عَرقَت، وَمَلأَ القَدحَ مِن عَرَقِهَا، وَقَالَ: هَذَا لَيسَ مِن مَاءِ الأَرضِ وَلَا مِن مَاءِ السَّمَاءِ [1].

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣٧)

وَقَولُه تعَالَ: ﴿**لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا**﴾ أَي: طَاقَةٌ، يَعنِي: لَا مُقَابَلَة لَهُم بِهَا [2].

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٣٩)

العِفرِيتُ: مَارِدٌ قَوِيٌّ دَاهِيَة [3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٨٠.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧١٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٨٤.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (٤٠)

يُقَالُ: إِنَّ آصِف بن بَرخِيَا، كَانَ وَزِير سُلَيمان، وَابن أُختِه، وَكَانَ صِدِّيقاً، يَعرِفُ إِسمَ اللَّهِ الأَعظَم الَّذِي إِذَا دُعِي بِه أَجَاب، وَهوَ قَولُه: يَا إِلهَنَا وإِلَه كُلِّ شَيءٍ، إِلهاً وَاحِداً، لَا إِلهَ إِلَّا أَنتَ، وَقِيلَ: هُوَ: يَا حَيُّ يَا قَيُوم، وَبِالعِبرَانِيَة: آهيا شراهيا، وَقِيلَ: هُوَ: يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكرَامِ، وَقِيلَ: الَّذِي عِندَهُ عِلمُ الكِتَابِ مَلَكٌ أَيَّدَ اللهُ بِه سُلَيمان [١].

وَقِيلَ: هُوَ سُلَيمان نَفسُهُ؛ كَأَنَّهُ استَبطَأ العِفرِيتَ، فَقَالَ لَهُ: أَنَا أُرِيكَ مَا هُوَ أَسرَعُ مِمَّا تَقُولُ.

الطَّرفُ: تَحرِيكُ أَجفَانِكَ إِذَا نَظَرتَ، فَوُضِعَ مَوضِعُ النَّظَرِ، وَلَـمَّا كَانَ النَّاظِر مَوصُوفاً بِإِرسَالِ الطَّرفِ، وُصِفَ الطَّرف بِالإِرتِدَادِ وَعَلَيهِ [٢].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ معنَاهُ: إِنَّك تُرسِلُ طَرفُكَ إِلى شَيءٍ، فَقَبلَ أَن تَردَّه أَبصَرتَ العَرشِ بَينَ يَدَيك [٣].

وَاختُلِف فِي مَعنَاهُ، فَقِيلَ: يُرِيدُ قَبلَ أَن يَصِل إِلَيكَ مَن كَانَ مِنكَ عَلَى قَدرِ البَصَرِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ قَبلَ أَن يَبلُغَ طَرفُكَ مَدَاهُ وَغَايَتُه وَيَرجعُ إِلَيكَ [٤].

وَيُروَى: أَنَّ آصِف قَالَ لِسُلَيمانعليه السلام: مُدَّ عَينَيكَ حَتَّى يَنتَهِي طَرفُكَ، فَمَدَّ عَينَيه، فَنَظَرَ نَحوَ اليَمنِ، وَدَعَا آصِف، فَغَابَ العَرشُ فِي مَكَانِه بِمَأَرِب، ثُمَّ نَبَعَ عِندَ مَجلِسِ

---

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٥١٢.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٤٩.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧١٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٨٥.

سُلَيمان عليه السلام بِالشَّامِ بِقُدرَةِ اللَّـهِ، قَبلَ أَن يَردَّ طَرفُه [١] وَهَذا غايَةٌ في الإِسرَاعِ، وَمَثَلٌ فِيهِ[٢].

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (٤٢)

وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿**أَهَكَذَا عَرْشُكِ**﴾ أَربَعُ كَلِمَاتٍ: حَرفُ الإِستِفهَام، وَحَرفُ التَّنبِيهِ، وَكَافُ التَّشبِيهِ، وَاسمُ الإِشَارَةِ؛ أَي: أَمِثلُ هَذَا عَرشُكِ، وَإِنَّمَا لَم يَقُل سُلَيمانُ لَهَا: هَذَا عَرشُكِ؛ لَئلَّا يَكُونَ تَلقِيناً [٣].

الصُّرحُ: المَوضِعُ المُنبَسِطُ المُنكَشِفُ مِن غَيرِ سَقفٍ [٤].

---

(١) معالم التنزيل، البغوي: ٧/ ٧٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٦٩.

(٣) مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ١٤٢.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٩٩.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤)

وَمِنهُ قَولُه تعالَى: ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ**﴾ وَذُكِرَ: إِنَّ سُلَيمان لـمَّا أَقبَلَت صَاحِبَةُ سَبَأ، أَمَرَ الشَّيَاطِين بِبِنَاءِ الصُّرحِ، وَهوَ كَهَيئَةِ السَّطح المُنبَسِطِ مِن قَوَارِير، أَجرَى المَاءَ مِن تَحتِه، وَجَمعَ فِي المَاءِ الحِيتَان وَالضَّفَادِع، وَدَوَابُّ البَحرِ، ثُمَّ وُضِعَ لَهُ فِيهِ سَرِير، فَجَلَس عَلَيهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ قَصرٌ مِن زُجَاج، كَأَنَّهُ المَاء بَيَاضاً، وَإِنَّمَا أَمَرَ سُلَيمَان بِالصُّرحِ؛ لأَنَّهُ أَرَادَ أَن يَختَبِرَ عَقلَهَا، وَيَنظُر هَل تَستَدِلّ عَلَى مَعرِفَةِ اللَّهِ تعَالَى بِمَا تَرَى مِن هَذِه الآيَةِ العَظِيمَة، وَقِيلَ: إِنَّ أُمُّهَا كَانَت جِنيَّة [1].

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩)

المُقَاسَمَةُ: المُحَالَفَة [2].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ**﴾ أَي: قَالُوا فِيمَا بَينَهُم: احلِفُوا بِاللَّهِ؛ وَهُم قَومُ صَالِحٍ الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَة.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٨٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣٧١.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً**﴾ أَي: خَالِيَة، يُقَالُ: خَوَى البَطنُ إِذَا خَلَا، أَو بِمَعنَى: سَاقِطَةٌ مُنهَدِمَةٌ، مِن خَوَى النَّجمُ؛ إِذَا سَقَطَ، وَهي حَالٌ عُمِلَ فِيهَا مَعنَى الإِشَارَةِ [١]

يَعنِي: أَشَارَ إِلَى بُيوتِهِم، وَالمَعنَى: فَانظُر إِلَيهَا: ﴿**بِما ظَلَمُوا**﴾ رُوِيَ عَن ابن عَبَّاس، أَنَّهُ قَالَ: أَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّـهِ، أَنَّ الظُلمَ يُخَرِّبُ البُيوتَ، ثُمَّ تَلَى قَولُه تعَالَى: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [٢].

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ**﴾ أَي: وَأَنجَينَا صَالِحاً وَمَن مَعَهُ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ الكُفرَ وَالمَعَاصِي، وَهُم أَربَعَةُ الآفٍ،خَرَجَ بِهِم صَالِح إِلى حَضرَمَوت، وَسُمِّيَت حَضرَمَوت؛ لأَنَّ صَالِحًا لـمَّا دَخلَهَا مَات [٣].

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**آللّه خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ أَي: اللهُ خَيرٌ لِمَن عَبَدَهُ، أَم الأَصنَامَ لِعَابِدِيهَا[٤] وَأَم فِي قَولِه: ﴿**أَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ مُتَّصِلَةٌ، وَهَذَا إِلزَامٌ لَهُم وَتهَكُّمٌ بِهِم [٥].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٧١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩٤.

(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٧٣.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّماءِ ماءً فَأَنبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَها أَإِلٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠)

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ﴾ وَتَقدِيرُه: أَم مَا يُشرِكُونَ خَيرٌ، أَم مَن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ أَم في أَمَّن خَلقَ مُنقَطِعَةٌ، وَالمَعنَى: بَل مَن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ خَيرٌ، وَفِيهِ تَقرِيرٌ لَهُم [١].

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَإِلٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ﴾ وَالْمُضطَرّ: الَّذِي أَحوَجَهُ مَرَضٌ أَو فَقرٌ، أَو نَازِلَةٌ مِن نَوَازِلِ الأَيَّامِ إِلى التَضَرُّعِ إِلى اللَّهِ تعَالَى، مِنَ الاضطِرَارِ؛ وَهوَ افتِعَالٌ مِنَ الضَّرُورَةِ [٢].

وَإِجَابَةُ دُعَاءِ الْمُضطَرّ: فِعلُ مَا يَدعُو بِه، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِن قَادِرٍ عَلَى الإِجَابَةِ، مُختَارٌ لَهَا، وَرَأسُ الْمُضطَرِّينَ الْمُذنِبُ الَّذِي يَدعُوهُ وَيَسأَلُهُ المَغفِرَة، وَمِنهُم الخَائِفُ الَّذِي يَسأَلُه الأَمنَ، وَالمَحبُوسُ الَّذِي يَطلِبُ الخَلَاصَ، وَإِنَّمَا خُصَّ الْمُضطَر - وَإِن كَانَ قَد يُجِيبُ غَيرَ الْمُضطَرِّ - لأَنَّ رَغبَتَه أَقوَى، وَسُؤالُه أَخضَعُ: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ وَيَدفَعُ عَنِ الإِنسَانِ الشِدَّة وَكُلُّ مَا يَسُوء [٣].

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ﴾ فِيمَا يَتَوَارَثُونَ، وَالتصَرُّف فِيهَا خَلقاً بَعدَ سَلَف، وَقَرناً بَعدَ قَرنٍ.

---

(١) مدارك التنزيل، النسفي: ٣/ ٢١٨.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧١٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩٦.

وَأَرَادَ بِالخِلَافَةِ هُنَا: المُلكُ وَالتَّسَلُّط [١] وَقِيلَ: يجعلُكُم خُلَفَاءَ مِنَ الكُفَّارِ بِنُزُولِ بِلَادِهِم، وَتَورِيثِ أَموَالِهِم [٢].

﴿**أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَليلاً ما تَذَكَّرُونَ**﴾ أَي: تَتَّعِظُونَ، وَمَا مَزِيدَةٌ، يَعنِي: تَذكُرُونَ تَذَكُّراً قَلِيلاً، بِمَعنَى: نَفي التَذَكُّر، وَقَرَأَ أَبو بَكرٍ: تذكرون، بِإِثبَاتِ الذَّالِ عَلَى الأَصلِ مَعَ الإِدغَامِ، فَالمَعنَى: قَلِيلاً يَتَذَكَّرُونَ هَولَاءِ المُشرِكُون [٣].

﴿أَمَّنْ يَهْديكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣)

﴿**أَمَّنْ يَهْديكُمْ في ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ أَي: مَا تُشرِكُونَ خَيرٌ.

﴿**أَمَّنْ يَهْديكُمْ**﴾ وَيُرشِدُكُم بِالنُّجُومِ في السَّماءِ، وَالعَلَامَات في الأَرضِ إِذا جَنَّ عَلَيكُم اللَّيلُ وَأَنتُم مُسَافِرُونَ في البَرِّ وَالبَحرِ [٤].

﴿**في ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ أَي: ظُلُمَات اللَّيَالي، وَإِضَافَتُهَا إِلَى البَرِّ وَالبَحرِ لِلمُلَابَسَة، أَو مُشتَبِهَاتِ الطُّرُقِ، يُقَالُ: طَرِيقَةٌ ظَلمَاء وَعَميَاء لِلَّتي لَا مَنَارَ بِهَا وَمَن: ﴿**يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه**﴾ [٥].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧١٨.
(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ١٠٦.
(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ٩٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٧١٨.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ١١٦.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤)

﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بِأَن يَختَرِعُهُ وَيُوجِدُه وَيُنشِؤهُ على غَيرِ مِثَالٍ وَاحتِذَاءٍ، ثُمَّ يُمِيتُه وَيَفنِيهُ: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بَعدَ الإفنَاءِ، فَمَن قَدِرَ علَى الإِنشَاءِ هُوَ أَقدَرُ علَى الإِعَادَةِ، وَمَن يَرزُقُكُم مِن السَّمَاءِ؛ بِإِنزَالِ المَطَرِ، وَبإِخرَاجِ النَّبَاتِ وَالثِّمَارِ، أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ يَقدِرُ علَى ذَلِك [١].

﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ فَإِذَا لَم يَقدِرُوا على إِقَامَةِ البُرهَانِ، فَاعلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَه مَعِي وَلَا يَستَحِقُ العِبَادَةَ سِوَاي [٢].

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥)

﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِنَ المَلَائكَةِ وَالإِنسِ وَالجِنِّ: ﴿الْغَيْبَ﴾ وَهوَ: مَا غَابَ عِلمُهُ عَن الخَلقِ مِمَّا يَكُونُ في المُستَقبَلِ: ﴿إِلاَّ اللهَ﴾ أَو مَن أَعلَمَهُ اللهُ [٣].

وَيَحسُنُ أَن يَكُونَ تَأَويل قَولُه: ﴿إِلاَّ اللهَ﴾ علَى لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ في رَفعِ المُستَثنَى في قَولِهِم: مَا أَتَانِي عَمرو إِلّا زَيد، لِيؤُولَ المَعنَى إلى قَولِكَ: إِن كَانَ اللهُ مِمَّن في السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، فَفِيهِم مَن يَعلَمُ الغَيبَ [٤] يَعنِي: إِنَّ عِلمَهُم الغَيبَ في إِستِحَالَتِه كَإِستِحَالَةِ أَن يَكُونَ الله مِنهُم [٥] وَعلَى هَذَا التَّأويلِ الإِستِثنَاءُ مُنقَطِعٌ، أَو مُتَّصِلٌ علَى أَنَّ المُرَادَ مِمَّن

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩٦.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ١١٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩٧.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧١٨.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٥٦.

في السَّماوَاتِ وَالأَرضِ، فَمَن تَعَلَّقَ عِلمُهُ بِهَا وَاطَّلَعَ عَلَيهَا إِطِّلَاعَ الحَاضِرِ فِيهَا، فَإِنَّهُ يَعُمُّ اللهَ وَأُولِي العِلمِ مِن خَلقِهِ [1].

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

أَصلُ إِدَّارَك: تَدَارَكَ، فَأُدغِمَت التَّاءُ في الدَّالِ [2] وَزِيدَ عَلَيهِ الهَمزَةُ؛ لِإِستِحَالَةِ الإِبتِدَاءِ بِالسَّاكِنِ.

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ**﴾ أَي: تَتَابَعَ مِنهُم العِلمَ وَتَلَاحَقَ، حَتَّى كَمُلَ عِلمُهُم في الآخِرَةِ بِمَا أَخبَرُوا بِهِ في الدُّنيَا فَهوَ علَى لَفظِ المَاضِي، وَالمُرَادُ بِهِ الإِستِقبَالُ؛ أَي: يَتَدَارَك، وَمَعنَاهُ تَتَابَعَ وَاستَحكَمَ [3].

تَوضِيحٌ: المُرَادُ أَنَّ أَسبَابَ إِستِحكَامِ عِلمَهُم وَتَكَامُلَهُم بِأَنَّ القِيَامَة كَائنَةٌ لَا رَيبَ فِيهَا، قَد حَصَلَت لَهُم، وَمُكِّنُوا مِنهَا وَمِن مَعرِفَتِهَا، وَهُم شَاكُّونَ جَاهِلُونَ، وَذَلِكَ قَولُه: ﴿**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**﴾ أَي: عَمُونَ عَن مَعرِفَتِهَا، وَمَوضِعُ عَمِي يُرِيدُ المُشرِكِينَ مِمَّن في السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، لأَنَّهُم لـمَّا كَانُوا في جُملَتِهِم نَسَبَ فِعلَهُم إِلَى الجَمِيعِ، كَمَا يُقَالُ: بَنُوا فُلَانٍ فَعَلُوا كَذَا، وَإِنَّمَا فَعَلَهُ نَاسٌ مِنهُم [4].

مَعنَى الإِضرَاب ثَلَاث مَرَّات: أَنَّهُ وَصَفَهُم أَوَّلاً بِأَنَّهُم: لَا يَشعُرُونَ وَقتَ البَعثِ، ثُمَّ بِأَنَّهُم: لَا يَعلَمُونَ بِأَنَّ القِيَامَة كَائنَة، ثُمَّ بِأَنَّهُم: في شَكٍّ يَستَطِيعُونَ إِزَالَتِه وَلَا يُزِيلُونَهُ، ثُمَّ بِمَا هُوَ أَسوَأ حَالاً وَهوَ العَمَى، وَجَعَلَ الآخِرَة مَبدَأَ إِعمَائهُم، فَلِذَلِكَ عَدَّاهُ بـ: مَن

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٧٥.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٥٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩٩.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٩٩.

دُونَ: عَن، لأَنَّ الكُفرَ بِالعَاقِبَةِ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُم كَالبَهَائمِ لَا يَتَدَبَّرُونَ [١].

إِعلَم: إِنَّ الإِستِفهَام وَلَا لَمَ الإِبتِدَاء وَإِن كُلَّاً لَا يَعمَلُ مَا قَبلُهَا فِيهَا بَعدَهَا [٢].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)

الفَضلُ: هُوَ الزِّيَادَة مِنَ اللَّـهِ سُبحَانَهُ لِلعَبدِ علَى مَا يَستَحِقُّه بِشُكرِه، وَالعَدلُ حَقٌّ لِلعَبدِ، وَالفَضلُ فِيهِ دَافِعٌ مِنَ اللَّـهِ تعَالَى، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى مَا يَصِحُّ وَتَقتَضِيه الحِكمَة [٣] وَالفَضلُ وَالفَاضِلَة: الإِفضَالُ، وَجَمعُهَا: فُضُولٌ وَفَوَاضِل [٤].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ**﴾ أَي: بِضُرُوبِ النِّعَمِ الدِّينِيَّة وَالدُّنيَوِيَّةِ [٥].

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٥)

الخَافِيَةُ وَالغَائبَة: هُمَا مِنَ الصِّفَاتِ الغَالِبَةِ، وَالتَّاءُ فِيهِما لِلمُبَالَغَةِ كَالرِّوَايَة، أَو إِسمَانِ لِمَا يَغِيبُ وَيَخفَى [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٢٠.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ٢/ ٤٤٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠١.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٧٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠١.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٧٧.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حَصَلَ مَا وَعَدَ اللهُ مِن عَلَامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَظُهُورِ أَشرَاطِهَا [١].

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ تَخرُجُ بَينَ الصَّفَا وَالمَروَّة، فَتُخبِرُ المُؤمِنَ بِأَنَّهُ مُؤمِنٌ، وَالكَافِرَ بِأَنَّهُ كَافِرٌ، وَعِندَ ذَلِكَ يَرتَفِعُ التَّكلِيفَ، وَلَا تُقبَلُ التَّوبَةَ، وَهِي مِن أَعلَامِ السَّاعَةِ.

قِيلَ: لَا يَبقَى مُؤمِنٌ إِلَّا مَسَحَتهُ، وَلَا يَبقى مُنَافِقٌ إِلَّا خطَمَتهُ وَكَسَرَتهُ، تَخرُجُ لَيلَةَ الجُمُعَةِ، وَالنَّاسُ يَسِيرُونَ مَعَهَا إِلى مِنَى [٢].

وَرُوي عَن النَّبِيِّ ﷺ: (إِنَّ دَابَّة الأَرضِ، طُولُهَا سُتُّونَ ذِرَاعاً، لَا يُدرِكُهَا طَالِبٌ، وَلَا يَفُوتُهَا هَارِبٌ، فَتَسِمُ المُؤمِن بَينَ عَينَيه، وَتَكتُبُ بَينَ عَينَيهِ مُؤمِنٌ، وَتَسِمُ الكَافِرَ بَينَ عَينَيه، وَتَكتُبُ بَينَ عَينَيه كَافِرٌ، وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى، وَخَاتَمُ سُلَيمان، فَتَجلُو وَجهَ المُؤمِنِ بِالعَصَا، وَتَختِمُ أَنفَ الكَافِرِ بَالخَاتَمِ، حَتَّى يُقَالُ: يَا مُؤمِنٌ، وَيَا كَافِرُ) [٣].

وَسُئِلَ أَمِيرُ المُؤمِنينَ عليه السلام عَن الدَّابَةِ؟ فَقَالَ: (أَمَا وَاللَّهِ، مَا لَهَا ذَنَبٌ، وَإِنَّ لَهَا لِحيَة) [٤] يَعنِي: مِنَ الإِنسِ [٥].

وَقِيلَ: إِنَّ وَجهُهَا وَجهُ رَجُلٍ، وَسَائرُ خَلقِهَا كَخَلقِ الطَّيرِ [٦].

(١) مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ٤٥٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٧/ ٤٠٤، الكشف والبيان، الثعلبي: ٧/ ٢٢٤.
(٤) التفسير الصافي، الكاشاني: ٤/ ٧٥، تفسير الرازي: ٩/ ٢٩٢٤.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٤.
(٦) الكشف والبيان، الثعلبي: ٧/ ٢٢٥.

وَصِفَةُ القِيَامَةِ: أَنَّهُ يُحشَرُ فِيهَا الخَلَائقُ بِأَسرِهِم، كَما قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: **﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾** [(١)].

وَقَد تَظَافَرَت الأَخبَارُ عَن أَئمَّة الهُدَى عَلَيهِم التَّحِيَّةُ وَالثَّنَاءُ، بِأَنَّ اللهَ يُعِيدُ عِندَ قِيَامِ القَائمِ صَلَواتُ اللَّـهِ عَلَيهِ قَوماً مِمَّن تَقَدَّمَ مَوتُهُم مِن أَولِيَاءِ اللَّـهِ وَشِيعَتِه، لِيَفُوزُوا بِثَوَابِ نُصرَتِه وَمَعُونَتِهِ، وَيَبتَهِجُوا بِظُهُورِ دَولَتِه.

وَيُعِيدُ أَيضاً قَوماً مِن أَعدَائِهِ لِيَنتَقِمَ مِنهُم، وَيَنَالُوا بَعضَ مَا يَستَحَقُّونَهُ مِنَ العَذَابِ فِي القَتلِ عَلَى أَيدِي شِيعَتَهُ، وَلِيُبتَلُوا بِالذُّلِّ وَالخِزي لِمَا يُشَاهِدُونَ مِن عُلوِّ كَلَمَتِه، وَلَا يَشُكُّ عَاقِلٌ أَنَّ هَذَا مَقدُورُ اللَّـهِ غَيرُ مُستَحِيلٍ فِي نَفسِهِ، وَقَد فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ فِي الأَيَّامِ المَاضِيَةِ الخَالِيَة.

وَقَد نَطَقَ القُرآنُ بِفَصِيحِ البَيَانِ، بِوُقُوعِ أَمثَالِهِ فِي الأُمَمِ الخَالِيَةِ، كـ: **﴿الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾** [(٢)] وَالَّذِي أَمَاتَهُ اللهُ مَائةَ عَامٍ [(٣)] وَقَادِرُون [(٤)].

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كُلُّ مَا كَانَ فِي بَنِي إِسرَائيلَ، حَذوَ النَّعلِ بِالنَّعلِ، وِالقِذَّةُ بِالقِذَّةِ، حَتَّى لَو أَنَّ أَحَدَهُم دَخَلَ جُحرَ ضَبٍّ لَدَخَلتُمُوهُ) [(٥)].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مِنَ المَبعُوثِينَ أَئمَّة الهُدَى مَتبُوعَاً لِشِيعَتِهِم وَقَادَةً لَـهُم.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٢٤.

(٢) البقرة: ٢٤٣.

(٣) إشارة الى قوله تعالى: ﴿...فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...﴾ البقرة/ ٢٥٩.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٥.

(٥) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٢٠٣ح ٦٠٩، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٦.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨٨)

يُقَالُ: جَمَدَ فِي المَكَانِ؛ إِذَا لَمْ يَبرَحَ مِنهُ [١] أَي: يَقِفُ فِيهِ، وَمِنهُ قَولُه تعالَى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً**﴾ وَاقِفَةً لَا تَسِيرُ وَلَا تَتَحَرَّكُ فِي مَرأى العَينِ [٢].

﴿**وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ أَي: تَسِيرُ سَيراً حَثِيثاً مِثلَ سَيرِ السَّحَابِ [٣] فِي السُّرعَةِ، وَذَلِكَ لأَنَّ الأَجرَامَ العِظَامَ إِذَا تَحَرَّكَت فِي سَمتٍ وَاحِدٍ لَا تَكَادُ تَبِينُ حَرَكَتِهَا: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ**﴾ مَصدَرٌ مُؤكَّدٌ [٤] وَانتِصَابُهُ بِمَا دَلَّ عَلَيهِ مَا تَقَدَّمَهُ مِن قَولِهِ: ﴿**وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ أَي: صَنَعَ اللهُ ذَلِكَ صُنعَاً، وَذَكَرَ إِسمَ اللَّهِ لأَنَّهُ لَم يَأْتِ ذِكرُهُ فِيمَا قَبلُ، وَإِنَّمَا دَلَّ عَلَيهِ: ﴿**الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ أَي: خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ عَلَى وَجهِ الإِتقَانِ وَالإِحكَامِ وَالإِتِّسَاقِ [٥].

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (٨٩)

رُوِي: أَنَّ النَّارَ إِذَا طَبَقَت عَلَى أَهلِهَا فَزِعُوا فَزعَةً لَم يَفزَعُوا مِثلَهَا، وَأَهلُ الجَنَّةِ آمِنُونَ مِن ذَلِكَ الفَزَعِ [٦] وَلِهَذَا قَالَ اللهُ: ﴿**وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**﴾ وَهَذَا الفَزَعُ الشَّدِيدُ لَا يَبلُغُهُ الوَصفُ: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ وَيَصِلُ الخَيرَ وَالأَمَانَ مِنَ العِقَابِ.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٢٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٩.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٨٠.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٩.
(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ١٣٠.

﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾

﴿**وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ**﴾ أَي: بِالمَعصِيَةِ الكَبِيرَةِ [١].

﴿**فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**﴾ أَي: أُلقُوا في النَّارِ مَنكُوسِينَ [٢].

﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ علَى الإلتِفَاتِ، أَو بِإِضمَارِ القَولِ؛ أَي: قِيلَ لَـهُم ذَلِكَ [٣].

وَعَن أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (الحَسنَةُ مَحَبَّتُنَا أَهلَ البَيتِ، وَالسَّيِئةُ بُغضُنَا) [٤].

وَيُؤَيِّدَهُ مَا رَوَوهُ عَن جَابر، عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (يَا عَلِيُّ، لَو أَنَّ أُمَّتِي صَامُوا حَتَّى صَارُوا كَالأَوتَارِ، وَصَلُّوا حَتَّى صَارُوا كَالحَنَايَا، ثُمَّ أَبغَضُوكَ، لأَكَبَّهُم اللهُ عَلى مَنَاخِرَهُم في النَّارِ) [٥].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ١٥٣.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٨١.

(٤) المحاسن، البرقي: ١/ ١٥٠ح ٦٩، الأمالي، الطوسي: ٤٩٣ح ١٠٨٠.

(٥) شواهد التنزيل، الحسكاني: ١/ ٥٥٠ح ٥٨٣، جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٢٧.



الفصل الثامن والعشرون

سورة القصص



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥)

وَعَن سَيِّد العَابِدينَ عليه السلام أَنَّه قَالَ: (وَالَّذي بَعَثَ مُحَمَّدَاً بِالحَقِّ بَشِيرَاً وَنَذِيرَاً، إِنَّ الأَبرَارَ مِنَّا أَهلَ البَيتِ، وَشِيعَتَهُم بِمَنزِلَةِ مُوسَى وَشِيعَتِه، وَإِنَّ عَدُوَّنَا وَأَشيَاعَهُم بِمَنزِلَةِ فِرعَونَ وَأَشيَاعِه)[1].

رُوِي: أَنَّ فِرعَون عَاشَ أَربَعَمَائةِ سَنَةٍ، وَكَان قَيصَر دَمِيماً[2] وَهوَ أَوَّلُ مَن غَضِبَ بِالسَّوَادِ[3] وَعَاشَ مُوسَى مَائةً وَعِشرِينَ سَنَةً[4].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧)

الفَرقُ بَينَ الخَوفِ وَالحُزنِ: إِنَّ الخَوفَ غَمٌّ يَلحَقُ الإِنسَانَ لِمُتَوَقَّع، وَالحُزنُ غَمٌّ يَلحَقُ لِوَاقِع[5].

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٣١٤ح ٤٢١، مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٧٣ح ٤٤٤.
(٢) في: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ١٣٠، وسيمًا بدل دميمًا.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤١٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤١٥، وقيل: بل عاش مائة وستة وعشرين سنة، كما في: كمال الدين، الصدوق: ٥٢٤ح ٣، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ٣٧٠ ح١٧.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٦٥.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٩﴾

يُقَالُ: إِنَّ آسيه زَوجَةُ فِرعَون، هِي بِنتُ مُزَاحِم، أَلقَى اللهُ تَعَالَى فِي قَلبِهَا مَحَبَّةَ مُوسَى، وَكَانَت مِن بَنِي إِسرَائيلَ، إستَنكَحَهَا فِرعَون، وَهي مِن خِيَارِ النِّسَاءِ، وَمِن بَنَاتِ الأَنبِيَاءِ، وَكَانَت أُمَّاً لِلمُؤمِنينَ، تَرحَمُهُم وَتَتَصَدَّقُ عَلَيهِم، وَيَدخُلُونَ عَلَيهَا [١].

وَرُوِي عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي يَحلِفُ بِهِ، لَو أَقَرَّ فِرعَونُ بِأَن يَكُونَ لَه قُرَّة عَينٍ، كَمَا أَقَرَّت إِمرَأَتُه لَهَدَاهُ اللهُ بِه كَمَا هَدَاهَا، وَلَكِنَّهُ أَبَى لِلشَقَاءِ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَيهِ) [٢].

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾

الرَّبطُ عَلَى القَلبِ: إِلهَامُ الصَّبرِ وَتَقويَتُهُ [٣] كَمَا فِي قَولِه تعَالَى: ﴿**لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها**﴾ أَي: عَلَى فُؤَادِ أُمِّ مُوسَى بِالصَّبرِ وَاليَقِينِ، وَجَوَابُ لَو لَا مَحذُوفٌ، وَالتَّقدِيرُ: لَو لَا أَن رَبَطنَا عَلَى قَلبِهَا لَأَظهَرَتهُ: ﴿**لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أَي: فَعلَنَا ذَلِكَ لِتَكُونَ مِن جُملَةِ المُصَدِّقِينَ بِوَعدِنَا، الوَاثِقِينَ بِوَحيِنَا وَقَولِنَا: ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ**﴾ [٤].

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ١٤٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤١٨، جامع البيان، الطبري: ٢٠/ ٤٢ح ٢٠٦٩٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤١٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤١٨.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿**وَقَالَتْ**﴾ أُمُّ مُوسَى: ﴿**لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾ أَي: إِتَّبِعِي إِثرَهُ، وَتَعَرَّفِي خَبَرَهُ [١].

وَالقَصُّ: إِتِّبَاعُ الأَثَرِ، وَمِنهُ: القَصَصُ في الحَدِيثِ؛ لأَنَّهُ يَتبَعُ فِيهِ الثَّانِي الأَوَّل [٢].

﴿**فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ**﴾ أَي: أَخَاكُم مُوسَى عَن جَانِبِه؛ أَي: عَن بُعدٍ [٣].

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

المَرَاضِعُ: جَمعُ مُرضِعٍ؛ وَهِي: المَرأَةُ الَّتِي تُرضِعُ، أَو: جَمعُ مَرضَعٍ؛ وَهوَ: الرِّضَاعُ، أَو: مَوضِعُ الرِّضَاعِ؛ يَعنِي: الثَّدي [٤].

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَدَخَلَ الْـمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا**﴾ يَعنِي: مِصرَ، وَقِيلَ: هِي مِن تَوَابِعِ مِصرَ، عَلَى فَرسَخَينِ مِنهُ [٥].

وَ: ﴿**عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ**﴾ أَرَادَ بِهِ نِصفَ النَّهَارِ وَالنَّاسُ قَائلُونَ، وَقِيلَ: مَا بَينَ العِشَائينِ،

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٢٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤١٩.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ١٣٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٣٤.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٢١.

وَقِيلَ: كَانَ يَومُ عِيدٍ لَـهُم، وَقَد اشتَغَلُوا بِلَعِبَهُم [١].

وَقِيلَ: إِنَّ بَنِي إِسرَائيل كَانُوا يَختَلِفُونَ إِلى مُوسَى عليه السلام وَيَسمَعُونَ كَلَامَهُ، وَلـمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ؛ أَي: ثَلَاثَاً وَثَلَاثِينَ سَنَةً، خَالَفَ قَومَ فِرعَون، فَاشتَهَرَ ذَلِكَ مِنهُ، وَأَخَافُوهُ، وَكَانَ لَا يَدخُل مِصرَ إِلَّا خَائفَا، فَدَخَلهَا علَى حِينِ غَفلَةٍ [٢].

وَقِيلَ: إِنَّ مُوسَى عليه السلام حِينَ كَبُر كَانَ يَركَبُ في مَوَاكِبَ فِرعَون، فَقِيلَ لَـهُ ذَاتَ يَوم: إِنَّ فِرعَونَ قَد رَكِبَ، فَرَكِبَ في إِثرِهِ، فَلَـمَّا كَانَ وَقتُ القَائلَةِ، دَخَلَ المَدِينَةَ لِيَقِيلَ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَينِ يَقتَتِلَانِ؛ أَي: يَختَصِمَانِ في الدِّينِ؛ أَحَدَهُمَا مِن بَنِي إِسرَائيلَ، شَايَعَهُ عَلَى دِينِه، وَالآخَرُ مِن مُخَالِفِيهِ وَهُم القِبط، وَكَانَ القِبطِيُّ يَسخَرُ مِنَ الإِسرَائيلي لِيَحمِلَ حَطَبَاً إِلى مَطبَخِ فِرعَون [٣].

﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذي مِنْ شيعَتِهِ عَلَى الَّذي مِنْ عَـدُوِّهِ**﴾ أَي: استنصره ينصره عليه وسأله ان يغيثه بالاعانة و لذلك عدي يعلي [٤].

﴿**فَوَكَزَهُ مُوسى**﴾ أي دفع القبطي جمع كفه و الوكز وزان ضرب الدفع باطراف الاضابع و قيل: بجميع الكف [٥].

﴿**فَقَضى عَلَيْهِ**﴾ أي فقتله وفرغ من امره [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٢١.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ١٤٦.

(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ١/ ٤٦.

(٤) التفسير الأصفى، الكاشاني: ٢/ ٩٢٣.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٨٨٢، البحر المحيط، أبي حيان: ٧/ ٩٨.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٢٢.



الفصل التاسع والعشرون

سورة الروم



سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٥٣)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَما أَنْتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ**﴾ أي: في الدِّينِ، بِالآيَاتِ الدَّالَّةِ علَى الهُدَى إِذَا أَعرَضُوا عِنهَا، كَمَا لَا يُمكِنُكَ أَن تَهدِي الأَعمَى إِلى قَصدِ الطَّرِيقِ [١] مِن حَيثُ أَنَّ الهِدَايَة لَا تَحصَلُ إِلَّا بِالبَصَرِ [٢].

﴿**إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا**﴾ أَي: مَا تُسمِعُ إِلَّا مَن يَسمَعُ الحَقَّ بِالنَّظَرِ في آيَاتِنَا، فَهُم مُنقَادُون مُسَلِّمُونَ؛ أَي: مُستَسلِمُونَ مُنقَادُونَ[٣].

وَقِيلَ: مُسلِمُونَ مُوَحِدُّون مُخلِصُون، جَعَلَ سُبحَانَهُ إِستِمَاعَهُم وَقَبُولَهُم لِلحَقِّ سَمَاعَاً، وَتَركَهُم القَبُولِ تَركَاً لِلسَمَاعِ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٧٨.

(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ١١١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٤٠٣.



الفصل الثلاثون

سورة لقمان



سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢)

وَقَالَ أَبو عَبدِ اللَّهِ عليه السلام: (وَاللَّهِ، مَا أُوتِي لُقمَان الحِكمَةَ لِحَسَبٍ، وَلَا مَالٍ، وَلَا بَسطٍ فِي جِسمٍ، وَلَا جَمَالٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلاً قَوِيّاً فِي أَمرِ اللَّهِ، مُتَوَرِّعاً فِي اللَّهِ، سَاكِناً سَكِيناً، عَمِيقَ النَّظَرِ، طَوِيلَ التَّفَكُّرِ، حَدِيد البَصرِ.

لَم يَنَم نَهَاراً قَطَّ، وَلَم يَتَّكِىء فِي مَجلِسِ قَومٍ قَطّ، وَلَم يَتفُل فِي مَجلِسٍ قَطّ، وَلَم يَضحَك مِن شَيءٍ قَطَّ، وَلَم يَعبَث بِشَيءٍ قَطّ، وَلَم يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى بَولٍ وَلَا غَائطٍ، وَلَا عَلَى اغتِسَالٍ؛ لِشِدَّةِ تَستُّرِهِ وَتَحَفُّظِهِ فِي أَمرِه.

وَلَم يَغضَب قَطّ؛ مَخَافَةَ الإِثمِ فِي دِينِه، وَلَم يُمَازِح إِنسَانًا قَطّ، وَلَم يَفرَح بِشَيءٍ أُوتِيَهُ مِنَ الدُّنيَا، وَلَا حَزِنَ مِنهَا عَلَى شَيءٍ قَطّ.

وَقَد نَكَحَ مِنَ النِّسَاءِ، وَوُلِدَ لَهُ الأَولَادُ الكَثِيرَة، وَقَدَّمَ أَكثَرَهُم أَفرَاطًا، فَمَا بَكَى عَلَى مَوتِ أَحَدٍ مِنهُم.

وَلَم يَمرَّ بَينَ رَجُلَينِ يَقتَتِلَانِ أَو يَختَصِمَانِ إِلَّا أَصلَحَ بَينَهُمَا، وَلَم يَمضِ عَنهُمَا حَتَّى

تحَاجَزَا، وَلَم يَسمَع قَولاً استَحسَنَهُ مِن أَحَدٍ قطّ إِلَّا سَأَلَهُ عَن تَفسِيرِه، وَعَمَّن أَخَذَهُ.

وَكَانَ يُكثِرُ مُجَالَسَةِ الفُقَهَاءِ وَالعُلَمَاءِ، وَكَانَ يَغشَى القُضَاةِ وَالمُلُوكِ وَالسَّلاطِين، فَيَرثِي لِلقُضَاةِ بِمَا ابتُلُوا بِهِ، وَيَرحَمُ المُلُوكَ وَالسَّلاطِينَ؛ لِعِزَّتِهِم بِاللَّـهِ، وَطَمأنِينَتَهُم فِي ذَلِكَ.

وَيَتَعلَّمُ مَا يَغلِبُ بِهِ نَفسَهُ، وَيُجَاهِدُ هَوَاهُ، وَيَحتَرِزُ مِنَ السُّلطَانِ، وَكَانَ يُدَاوِي نَفسَهُ بِالتَّفكُّرِ وَالعِبَرِ، وَكَانَ لَا يَظعَنُ إِلَّا فِيمَا يَنفَعُهُ، وَلَا يَنظُرُ إِلَّا فِيمَا يُعنِيهِ.

فَلِذَلِكَ أُوتِيَ الحِكمَة، كَمَا قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ**﴾)[1].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾ (٢٠)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ**﴾ مِنَ الشَّمسِ وَالقَمَرِ وَالنُّجُومِ: ﴿**وَما فِي الْأَرْضِ**﴾ مِن الأَبدَانِ وَالنَّبَاتِ، وَالبِحَارِ وَالأَنهَارِ، وَغَيرُ ذَلِكَ مِمَّا تَنتَفِعُونَ بِهِ وَتَتَصَرَّفُونَ فِيهِ بِحَسَبِ مَا تُرِيدُونَهُ[2].

﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً**﴾ أَي: أَوسَعَ عَلَيكُم نِعَمَهُ محَسُوسَةً مَعقُولَةً؛ مَا تَعرِفُونَهُ وَمَا لَا تَعرِفُونَهُ[3].

وَقِيلَ: النِّعمَةُ الظَّاهِرَةُ: كُلُّ مَا يُعلَمُ بِالمُشَاهَدَةِ، وَالبَاطِنَةُ: مَا لَم يُعلَم إِلَّا بِدَلِيلٍ، أَو: غَابَ عَن العِبَادِ عِلمُهُ[4].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٢٩٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٨٨.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٤٩.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٩.

وَقِيلَ: الظَّاهِرَةُ: نِعَمُ الدُّنيا، وَالبَاطِنَةُ: نِعَمُ الآخِرَةِ [١].

وَقِيلَ: الظَّاهِرَةُ: القُرآنُ، وَالبَاطِنَةُ: تَأويلَهُ [٢].

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (النِّعمَةُ الظَّاهِرَةُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَمَا جَاءَ بِه النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله مِن مَعرِفَةِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوحِيدِهُ، وَأَمَّا النِّعمَةُ البَاطِنَةُ: وُلَايَتُنَا أَهلَ البَيتِ، وَعَقدُ مَوَدَّتِنَا) [٣].

وَلَا تَنَافي بَينَ هَذِهِ الأَقَاوِيلَ؛ لأَنَّ كُلُّهَا نِعَمُ اللَّهِ، وَيَجُوزُ حَمْلُ الآيَةِ عَلَى الجَمِيعِ، وَكُلِّ مَا شَابَهَهَا مِنَ النِّعَمِ [٤].

وَالنِّعمَةُ: كُلُّ نَفعٍ قُصِدَ بِهِ وَجهُ الإِحسَانِ [٥].

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: (الصَّبرُ نِصفُ الإِيمَانِ، وَالشُّكرُ نِصفُ الإِيمَانِ، وَاليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ) [٦].

وَفي الحَدِيثِ: (الإِيمَانُ نِصفَانِ؛ نِصفُ صَبرٌ، وَنِصفُ شُكرٌ) [٧].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ٢/ ١٣٩.

(٢) مجمع اليان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٨٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٣١٤، تفسير الآلوسي: ٢١/ ٩٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٨٩.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٣٤.

(٦) تفسير السمعاني: ٤/ ٢٣٦.

(٧) تحف العقول، ابن شعبة: ٤٨، كنز العمال، المتقي الهندي: ١/ ٣٦ح ٦١.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٣١﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور**﴾ فَإِنَّهُ قَد هَيَأَ أَسبَابَ الإِحسَانِ لِعِبَادِه، وَهذَا إِستِشهَادٌ عَلَى بَاهِرِ قُدرَتِه، وَكَمَالِ حِكمَتِه، وَشُمُولِ إِنعَامِه، وَهوَ الَّذِي تَعَالَى شَأَنُه يُجرِي السُّفُنَ بِالرِّيَاحِ؛ يُرسِلُهَا فِي الوُجُوهِ الَّتِي يُرِيدُونَ المَسِيرَ فِيهَا، وَلَو اجتَمَعَ جَمِيعُ الخَلقِ لِيُجرُوا الفُلكَ فِي بَعضِ الجِهَاتِ المُخَالِفَةِ لِجِهَةِ الرِّيَاحِ لَمَا قَدِرُوا عَلَيهِ، وَفِي ذَلِكَ أَعظَمُ دِلَالَةً عَلَى أَنَّ المُجرِي لَهَا بِالرِّيَاحِ هُوَ القَادِرُ الَّذِي لَا يُعجِزُهُ شَيء [1].

﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور**﴾ يَعنِي: فِي تَسخِيرِ الفُلكِ، وَإِجرَائِهَا عَلَى البَحرِ، لَدِلَالَةٌ: ﴿**لِكُلِّ صَبَّارٍ**﴾ عَلَى المَشَاقِّ مِنَ التَّكَالِيفِ: ﴿**شَكُور**﴾ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيهِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الصَّبرَ عَلَى بَلَائِهِ، وَالشُّكرَ لِنَعمَائِه، أَفضَلُ الطَّاعَاتِ:

﴿**شَكُور**﴾ [2] كَمَا دَلَّ عَلَيهِ الحَدِيثُ المَذكُورِ فَوق.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٢٨٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٩٤.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢)

﴿**وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ**﴾ يَعنِي: وَإِذَا غَشِي أَصحَابُ السُّفُنِ، الرَّاكِبِي البَحرِ: ﴿**مَّوْجٌ**﴾ وَهوَ: هَيَجَانُ البَحرِ: ﴿**كَالظُّلَلِ**﴾ فِي إِرتِفَاعِهِ وَتَغطِيَتِهِ مَا تَحتَهُ، كَمَا يُظِلُّ مِن جَبَلٍ أَو سَحَابٍ أَو غَيرِهِمَا [1].

﴿**دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ لِزَوَالِ مَا يُنَازِعُ الفِطرَةَ مِنَ الهَوَى وَالتَّقلِيدِ بِمَا دَهَاهُم مِنَ الخَوفِ الشَّدِيدِ [2] يَعنِي: أَخلَصُوا الدُّعَاءَ للَّـهِ.

﴿**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ**﴾ وَسَلَّمَهُم مِن هَولِ البَحرِ، وَخَوفِ الغَرَقِ [3] ﴿**فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ**﴾ أَي: مُقِيمٌ عَلَى طَرِيقِ القَصدِ؛ الَّذِي هُوَ التَّوحِيدُ [4].

رُوِي: أَنَّ هَذَا كَانَ سَبَبُ إِسلَامِ عِكرَمة بن أَبِي جَهلٍ؛ لـمَّا كَانَ يَومُ فَتحِ مَكَّةَ آمَّنَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَربَعَةَ نَفَرٍ، قَالَ: (اقتُلُوهُم وَإِن وَجَدتُمُوهُم مُتَعَلِّقِينَ بِأَستَارِ الكَعبَةِ: عِكرَمَة بِن أَبِي جَهل، وَعَبدَ الله بِن أَختَل، وَقَيس بِن صَبَابَة، وَعَبد اللَّـهِ بن أَبِي سُرح) [5].

فَأَمَّا عِكرَمة؛ فَرَكِبَ البَحرَ، فَأَصَابَتهُم رِيحٌ عَاصِفَةٌ، فَقَالَ أَهلُ السَّفِينَةِ: أَخلِصُوا، فَإِن آلِهَتَكُم لَا تُغنِي عَنكُم شَيئاً هَاهُنَا، فَقَالَ عِكرَمة: لَئِن لَم يُنجِنِي فِي البَحرِ إِلَّا الإِخلَاصُ، مَا يُنجِينِي فِي البَرِّ غَيرُهُ، اللَّـهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهدَاً، إِن أَنتَ عَافَيتَنِي مِمَّا

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٢٨٨.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٥٢.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٢٨٨.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٣٠٧.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٢/ ٤٩.

أَنَا فِيهِ، إِنِّي آتِي مُحَمَّدَاً حَتَّى أَضَعُ يَدِي فِي يَدِه، فَلأَجِدَنَّهُ عفُوَّاً كَرِيماً، فَجاءَ فَأَسلَمَ [(١)].

الخَتَّارُ: الغَدَّارُ، وَالخَترُ: أَسوَأ الغَدرِ وَأَقبَحُهُ [(٢)].

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ يَعنِي: يَومَ القِيامَةِ، لَا يُغنِي فِيهِ أَحَدٌ عَن أَحدٍ، وَلَا: ﴿والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً﴾ وَكُلُّ امرِىءٍ تُهِمُّهُ نَفسُه: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ تَعالَى: ﴿حَقٌّ﴾ بِالبَعثِ وَالجَزاءِ، وَالثَّوابِ وَالعِقَابِ، ثَابِتٌ لَا خُلفَ فِيهِ [(٣)] سَيَأَتِيكُم وَسَيُوَافِي بِه عَمَّا قَرِيب، إِلَّا أَنَّهُ يُخفِيهِ بِحَسَبِ المَصَالِحِ ز

﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ فَإِنَّكُم فِيهَا تُمهَلُونَ عَن الإِنتِقَامِ، فَلَا تَغتَرُّوا بِطُولِ السَّلَامَةِ، وَكَثرَةُ الأَموَالِ وَالأَولَادِ، وَالعَشَائِرِ وَالنِّعَم، وَعدَم نُزُولِ البَلَاءِ، فَإِنَّ المَالَ عَن قَرِيبٍ إِلَى زَوَالٍ وَانتِقَالٍ [(٤)].

﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ وَهوَ: الشَّيطَانُ، وَقِيلَ: هُوَ تَمَنِّيكَ المَغفِرَة فِي عَمَلِ المَعصِيَةِ، وَقِيلَ: كُلُّ شَيءٍ غَرَّك حَتَّى تَعصِي اللهَ [(٥)] وَتَترُكَ مَا أَمَرَكَ اللهُ، فَهوَ غُرُورٌ، الشَّيطَانِ كَانَ أَو غَيرُه.

---

(١) ورُوي غير هؤلاء.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٢٨٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٩٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٢٨٨.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٩٥.



الفصل الحادي والثلاثون

سورة السجدة



سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَن قَرَأ سُورَة السَّجدَةِ في كُلِّ لَيلَةِ جُمعَةٍ، أَعطَاهُ الله كِتَابَهُ بِيَمِينِه، وَلَم يُحَاسِبهُ بِمَا كَانَ مِنهُ، وَكَانَ مِن رُفَقَاءِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَأَهل بَيتِهِ عليهم السلام) [١].

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾

الرَّيبُ: أَقبَحُ الشَّكِّ [٢] وَقَولُه تعَالَى: ﴿لا رَيْبَ فيهِ﴾ لَفظُه الخَبَر، وَمَعنَاهُ النَّهيُ؛ أَي: لَا تَرتَابُوا في القُرآنِ المُنزَلِ [٣].

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١١٠، عنه وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٧/ ٤١١ح ٩٧٢٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٥٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٩٨.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**﴾ أَي: لَيسَ الأَمرُ علَى مَا يَقُولُونَ، وَهوَ إِضرَابٌ عَن الإِتيَانِ بِمِثلِ القُرآنِ؛ لأَنَّ أَم هَذِهِ مُنقَطِعَةٌ، إِنكَاراً لِقُلُوبِهِم، وَتَعَجُّباً مِنهُ لِظُهورِ الأَمرِ فِي عَجزِهِم عَن الإِتيَانِ بِسُورَةٍ مِنهُ، ثُمَّ أَضرَبَ عَن الإِنكَارِ بِقَولِه: ﴿**بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾ وَالحَقُّ: هُوَ كُلُّ شَيءٍ مِن إِعتِقَادٍ كَانَ مُعتَقِدُهُ علَى مَا هُوَ بِهِ وَتَصِفَه البَاطِل [1].

وَنَظمُ الكَلَامِ إِنَّهُ إِشَارَةٌ أَوَّلاً إِلَى إِعجَازِهِ، ثُمَّ رَتَّبَ عَلَيهِ: أَنَّ تَنزِيلَهُ مِن رَبِّ العَالَمِين، وَقَرَّرَ ذَلِكَ بِنَفيِ الرَّيبِ عَنهُ، ثُمَّ أَضرَبَ عَن ذَلِكَ إِلى مَا يَقُولُونَ فِيهِ علَى خِلَافِ ذَلِكَ إِنكَاراً لَهُ وَتَعَجُّباً مِنهُ [2] ثُمَّ أَضرَبَ عَنهُ علَى إِثبَاتِ أَنَّهُ الحَقّ المُنزَلِ مِنَ اللَّـهِ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿٨﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ**﴾ وَإِنَّمَا يُسَمَّى مَاءُ الرَّجُلِ سُلَالَة؛ لإِنسِلَالِهِ مِن صُلبِهِ [3] وَالنَّسلُ وَرَبُه الإِنسَان الَّذي هُوَ آدَم، سُمِّيَت بِهِ؛ لأَنَّهَا تَنسَلُّ مِنهُ؛ أَي: تَنفَصِلُ [4].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٤٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٥٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٢.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٩﴾

مِنهُ قولُه: ﴿قليلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ أَي: تَشكُرُونَ نِعَم اللّهِ قَلِيلاً مِن كَثِرٍ، وَمَا مَزِيدَة، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مَصدَرِيَّةً، فَيَكُونُ تَقدِيرُه: قَلِيلاً شُكرُكُم لِهذِه النِّعَم [١].

﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾

يُقَالُ: كُلُّ شَيءٍ غَلَبَ عَلَيهِ غَيرُهُ حَتَّى يَغِيبَ فِيهِ فَقَد ضَلَّ [٢] تَقُولُ العَرَبُ: مِنهُ ضَلَّ المَاءُ في اللَّبَنِ [٣].

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾

التَّوفِي: إِستِيفَاءُ النَّفسِ؛ وَهِي الرُّوحُ، وَهوَ: أَن يَقبِضَ كُلَّهَا لَا يَترُكُ مِنهَا شَيءٌ، مِن قَولِهِم: تَوَفَّيتُ حَقِّي مِن فُلَانٍ وَاستَوفَيتُهُ: إِذَا أَخَذتَهُ وَافِيَاً كَامِلاً مِن غَيرِ نُقصَانٍ [٤].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أَي: وُكِّلَ بِقَبضِ أَروَاحِكُم [٥].

عَن ابن عبَّاس، أَنَّهُ قَالَ: جُعِلَت الدُّنيَا بَينَ يَدِي مَلَكِ المَوتِ مِثلَ جَامٍ، يَأَخُذُ مِنهَا مَا شَاءَ إِذَا قَضَى عَلَيهِ المَوت مِن غَيرِ عَنَاءٍ، وَخُطوَتُه مَا بَينَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ.

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٢٩٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٢.
(٣) جامع البيان، الطبري: ٢١/ ١١٦.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٤٢.
(٥) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٤٩٩.

وَقِيلَ: إنَّ لَهُ أَعوَانَاً كَثِيرَةً مِن مَلَائكَةِ الرَّحمَةِ وَمَلَائكَةِ العَذَابِ، عَن قتَادَة وَالكَلبِي، فَعلَى هَذَا، المُرَادُ بِمَلَكِ المَوتِ: الجِنسُ، وَيَدُلُّ عَلَيهِ قَولُه: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا**﴾ وَقَولُه: ﴿**تَتَوَفَّاهُمُ الْـمَلائِكَةُ**﴾ وَأَمَّا إضَافَةِ التَّوفِّي إلى نَفسِه في قَولِه: ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها**﴾ [1] فَلأَنَّهُ سُبحَانَهُ خَلَقَ المَوتَ، وَلَا يَقدِرُ عَلَيهِ أَحَدٌ سِوَاهُ [2].

﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَلَوْ تَرى إِذِ الْـمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ**﴾ أَي: يَومَ القِيَامَةِ، حِينَ يَكُونُ المُجرِمُونَ مُطَأطِئِي رُؤوسَهُم وَمُطرِقِيهَا؛ حَيَاءً وَنَدَمَاً وَذُلَّاً [3] وَجَوَابُ لَو مَحذُوفٌ؛ أَي: لَرَأَيت أَمرَاً فَظِيعَاً وَحَالَاً سِيئَتَةً [4] مِنَ الحَيَاءِ وَالخِزي مِمَّا ارتَكَبُوهُ مِنَ المَعَاصِي: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ يَعنِي: يَومَ القِيَامَةِ الَّذِي يَتَوَلَّى اللهُ تعَالَى حِسَابَ خَلقِهِ يَقُولُونَ: ﴿**رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا**﴾ أَي: أَبصَرنَا الرُّشدَ وَسَمِعنَا الحَقَّ [5].

﴿**فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾ أَي: فَأَرجِعنَا إلى الدُّنيَا نَعمَلُ صَالِحَاً مِنَ الصَّالِحَاتِ، إنَّا مُوقِنُونَ اليَومَ، إذ لَم يَبقَ لَنَا شَكٌّ فِيهِ [6].

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٤.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٧.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٠٠.

(٦) التفسير الصافي، الكاشاني: ٤/ ١٥٥.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾

ثُمَّ قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿**وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها**﴾ بِأَن نَفعَل أَمرَاً مِن الأُمُورِ يُلجِئهُم إِلى الإِقرَارِ بالتَّوحِيدِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ يُبطِلُ الغَرَض بِالتَّكلِيفِ؛ لأَنَّ المَقصُودَ بِهِ إِستِحقَاقُ الثَّوَاب، وَالإِلجَاءُ لَا يَثبُت مَعَهُ إِستِحقَاقُ الثَّوَابِ.

قَالَ الجُبَّائي: وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ الْمُرَادُ بِه: وَلَو شِئنَا لأَجبنَاهُم إِلى مَا سَأَلُوا مِنَ الرَّدِّ إِلى دَارِ التَّكلِيفِ، لِيَعمَلُوا بِالطَّاعَاتِ، وَلَكِن حَقَّ القَولُ مِنِّي أَن أُجَازِيهُم بِالعِقَابِ، وَلَا أَرُدَّهُم.

وَقِيلَ: مَعنَاهُ: وَلَو شِئنَا لَهَدَينَاهُم إِلى الجَنَّةِ.

﴿**وَلكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي**﴾ أَي: الخَبَر وَالوَعِيد: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ أَي: مِن كِلَا الصِّنفَينِ بِكُفرِهِم بِاللَّـهِ سُبحَانَهُ، وَجُحدَهُم وُحدَانِيتَهُ، وَكُفرَانُهُم نِعمَتُه، وَالقَولُ مِنَ اللَّـهِ سُبحَانَهُ بِمَنزِلَةِ القَسَمِ، فَلِذَلِكَ أَتَى بِجَوَابِ القَسَمِ، وَهوَ قَولُه: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ**﴾[1].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٤.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤)

ثُمَّ حَكَى تعَالَى مَا يُقَالُ لِهَؤلَاءِ الَّذِينَ طَلَبُوا الرَّجعَةَ إِلى الدُّنيَا إِذَا جُعِلُوا فِي العَذَابِ بِقَولِه: ﴿فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ﴾ ذُوقُوا بِمَا فَعَلتُم فِعلَ مَن نَسِيَ جَزَاءَ هَذَا اليَومِ، فتَرَكتُم مَا أَمَرَكُم اللهَ[1].

وَالنِّسيَانُ هُنَا بِمَعنَى: التَّرك؛ لَا ضِدَّ الذِّكرِ، وَإِن قَالَ بِهِ بَعضُ المُفَسِّرِين[2].

﴿إِنَّا نَسِيناكُمْ﴾ أَي: تَركنَاكُم مِنَ الرَّحمَةِ، أَو فِي العَذَابِ، تَركَ المَنسِيِّ جَزَاءً عَلَى تَركِكُم طَاعَتِنَا: ﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١٦)

التَّجَافِي: تَعَاطِي الإِرتِفَاع عَن الشَّيء[4].

المَضجَعُ: مَوضِعُ الإِضطِجَاع[5].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ﴾ أَي: تَرتَفِعُ جُنُوبَهُم عَن مَوَاضِعِ إِضطِجَاعِهِم لِصَلاةِ اللَّيلِ؛ وَهُم: المُتَهَجِّدُونَ بِاللَّيلِ، الَّذِينَ يَقُومُونَ عَن فِرَاشِهِم لِلصَّلَاةِ[6].

---

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٢٦٤.

(٢) منهم: جامع البيان، الطبري: ١٠/ ٢٢٣، مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٢٦٤.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٥٧.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٠٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٧.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٧.

رَوَي الوَاحِدِيُّ [١] بِالإِسنَادِ عَن مَعَاذِ بن جَبَل [٢] قَالَ: بَينَما نَحنُ مَعَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ في غَزوَةِ تَبُوك، وَقَد أَصَابَنَا الحَرُّ، فَتَفَرَّقَ القَومُ، فَنظَرتُ فَإِذا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ أَقرَبَهُم مِنِّي، فَدَنَوتُ مِنهُ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، أَنبِئنِي بِعَمَلٍ يُدخِلنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ:

(لَقَد سَأَلتَ عَن عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِير عَلى مَن يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيهِ؛ تَعبُدِ اللهَ وَلَا تُشرِكَ بِهِ شَيئاً، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ المَكتُوبَة، وَتُؤدِّي الزَّكَاةَ المَفرُوضَة، وَتَصُومَ شَهرَ رَمَضَان، قَالَ: وَإِن شِئتَ أَنبَأتُكَ بِأَبوَابِ الخَيرِ ؟).

قَالَ: قُلتُ: أَجَل، يَا رَسُولَ اللَّـهِ، قَالَ:

(الصَّومُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ في جَوفِ اللَّيلِ يَبتَغِي وَجهَ اللَّـهِ تعَالَى، ثُمَّ قَرَأ هَذِه الآيَةك ﴿**تتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْـمَضاجِعِ**﴾).

بِالإِسنَادِ عَن بِلَال، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: (عَلَيكُم بِقِيَامِ اللَّيلِ؛ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبلَكُم، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيلِ قُربَةً إِلى اللَّـهِ، وَمَنهَاةٌ عَن الإِثمِ، وَتَكفِيرٌ لِلسَّيئاتِ، وَمَطرَدَةُ الدَّاءِ عَن الجَسَدِ) [٣].

وَقِيلَ: هُم الَّذِينَ لَا يَنَامُونَ حَتَّى يُصَلُّوا العِشَاءَ الآخِرَة [٤].

وَقِيلَ: هُم الَّذِينَ يُصَلُّون مَا بَينَ المَغرِبِ وَالعِشَاءِ الآخِرَة، وَهي صَلَاة اللأَوَّابِينَ[٥].

---

(١) أسباب النزول، الواحدي: ٢٣٥، عنه مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي:٨/ ١٠٧.

(٢) مضت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) الدعوات، الراوندي: ٧٦ح ١٨٣، عنه جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ٧/ ١٠٨ح ٦٢٣٣.

(٤) زبدة البيان، الأردبيلي: ٦٢.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٨.

وَقِيلَ: هُم الَّذِينَ يُصَلُّونَ العِشَاءَ وَالفَجرَ فِي جَمَاعَةٍ [١].

﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾ فِي رَحمَتِهِ، وَخوفاً مِن عَذَابِهِ: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾

فَإِنَّ مَن يَفعَل مَا أَمَرَهُ اللهُ تعَالَى تَقَرُّباً إِلَيهِ، فَلَهُ أَجرٌ لَا يَقدِرُ علَى وَصفِهِ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾.

قَالَ ابن عبَّاس: هَذَا مَا لَا تَفسِيرَ لَهُ، فَالأَمرُ أَعظَمُ وَأَجَلُّ مِمَّا يُعرَفُ تَفسِيرُه [٢].

وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَعـدَدتُّ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَينٌ رَأَت، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ، اقرَأُوا إِن شِئتُم: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾) رَوَاهُ البُخَارِي وَمُسلِم جَمِيعاً [٣].

﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ مِنَ الطَّاعَاتِ فِي دَارِ الدُّنيَا [٤] فَلَهُ عِندِي مِنَ دَرَجَاتِ الجِنَانِ، وَلَه جَنَّاتُ المَأْوى، يَأْوِي إِلَيهَا نُزُلاً بِمَا عَمِلَ، إِبتِغَاءً لِوَجهِي مِنَ الصَّالِحَاتِ.

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٨٤/ ١٢٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٨.

(٣) صحيح البخاري: ٤/ ٨٦، صحيح مسلم: ٨/ ١٤٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٠٩.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢٣)

وَقد وَرَدَ في الحَدِيثِ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ: (رَأَيتُ لَيلَةَ أُسرِي بِي مُوسَى بِن عِمرَانَ؛ رَجُلاً آدَم، طَوَّالاً جعداً، كَأَنَّهُ مِن رِجَالِ شَنوْءة، وَرَأَيتُ عِيسَى بِن مَريَمَ؛ رَجُلاً مَربُوعَ الخَلقِ، إِلى الحُمرَةِ وَالبَيَاضِ، سَبطُ الرَّأسِ)[1].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٧)

يُقَالُ: جَرَزَ النَّبَاتُ؛ أَي: قُطِعَ، إِمَّا لِعَدَمِ المَاءِ، وَإِمَّا لأَنَّهُ رُعِي وَأُزِيلَ، وَلَا يُقَالُ لِلأَرضِ الَّتِي لَا تُنبِتُ: جُرُز؛ لِقَولِه: ﴿**أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً**﴾[2].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ: نَسُوقُ بِالسِّيُولِ إِلَيهَا؛ لأَنَّهَا مَوَاضِعُ عَالِيَة، وَهي: قُرَى بَينَ الشَّامِ وَاليَمَنِ[3].

﴿**تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ**﴾أي: مِن ذَلِكَ الزَّرعِ:﴿**أَفَلا يُبْصِرُونَ**﴾[4].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١١١.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٤٧.
(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٣٢٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١١٣.



الفصل الثاني والثلاثون

سورة الأحزاب



سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله:(مَن قَرَأ سُورَةَ الأَحزَابِ، وَعَلَّمَهَا أَهلَهُ، وَمَا مَلَكَت يَمِينُهُ، أُعطِي الأَمَانَ مِن عَذَابِ القَبرِ)[1].

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام:(مَن كَانَ كَثِيرُ القِرَاءةِ لِسُورَةِ الأَحزَابِ، كَانَ يَومَ القِيَامَةِ فِي جِوَارِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَزوَاجِهِ)[2].

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (١)

يُروَى: أَنَّ أَبَا سُفيَانَ بِن حَربٍ، وَعِكرَمَة بِن أَبِي جَهلٍ، وَأَبِي الأَعوَرِ السَّلَمِي، قَدِمُوا الـمَدِينَةَ، وَنَزَلُوا علَى عَبد اللّـهِ بِن أُبِي بَعدَ غَزوَةِ أُحِدٍ بِأَمَانٍ مِن رَسُولِ اللّـهِ صلى الله عليه وآله لِيُكَلِّمُوهُ.

فَقَامُوا، وَقَامَ مَعَهُم عَبدُ اللّـهِ بِن أُبِي، وَعَبدُ اللّـهِ بِن سَعد بِن أَبِي سُرحٍ، وَطُعمَةَ بِن أُبَيرِق، فَدَخَلُوا علَى رَسُولِ اللّـهِ صلى الله عليه وآله فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد، إِرفِض ذِكرَ آلِهتَنَا اللَّاتَ وَالعُزَّى

---

(١) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٤٥، الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٧٨.

(٢) ثواب الأعمال، الصدوق: ١١٠، عنه وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٦/ ٣٥٣ح ٧٨٧٤.

وَمَنَاة، وَقُل: إِنَّ لَهَا شَفَاعَةً لِمَن عَبَدَهَا، وَنَدَعُكَ وَرَبُّكَ.

فَشَقَّ ذَلِكَ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ عُمَر بن الخَطَّاب: إِئذَن لَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ فِي قَتلَهُم؟.

فقَالَ صلى الله عليه وآله (إِنِّي أَعطيتَهُم الأَمَانَ) وَأَمَرَ صلى الله عليه وآله فَأُخرِجُوا مِنَ الـمَدِينَةِ، وَنَزَلَت الآيَة[1].

﴿**وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ**﴾ أَي: وَلَا تُسَاعِدهُم على شَيءٍ، وَلَا تَقبَلَ مِنهُم رَأياً وَمَشُورَةً[2] نَزَلَت فِيهِم.

﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللاَّئِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ﴿٤﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلى أَن لَا يَنفَصِلَ إِنسَانٌ مِن إِنسَانَينِ؛ لأَنَّهُ يَصِحُّ أَن يُرِيدَ بِأَحَدِ قَلبَيهِ مَا يَكرَهُهُ بِالقَلبِ الآخَرِ، فَيَصِيرُ كَشَخصَينِ[3].

وَقِيلَ: كَمَا لَا يَنتَظِمُ أَمرَ الرَّجُلِ الوَاحِدِ، لَا يَنتَظِمُ وَمَعَهُ قَلبَانِ، فَكَيفَ تَنتَظِمُ أُمُورَ العَالَمِ وَلَهُ إِلهَانِ مَعبُودَانِ[4].

قِيلَ: نَزَلَت فِي أَبِي مَعمَر، جَمِيل بن مَعمَر بن حَبِيبِ الفِهرِيُّ، وَكَانَ لَبِيباً، حَافِظَاً لِمَا يَسمَعُ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ فِي جَوفِي لَقَلبَينِ، أَعقِلُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا أَفضَلُ مِن عَقلِ مُحَمَّدٍ! فَكَانَت قُرَيشٍ تُسَمِّيهُ: ذَا القَلبَينِ.

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٢/ ٤٩، التفسير الصافي، الكاشاني: ٤/ ١٦١.

(٢) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٤٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١١٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١١٧.

فَلَمَّا كَانَ يَومَ بَدرٍ، وَهُزِمَ الْمُشرِكُونَ، وَفِيهُم أَبو مَعمَر، وَتَلَقَّاهُ أَبو سُفيَانَ ابن حَربٍ، وَهوَ آخِذٌ بِيَدِه إِحدَى نَعلَيهِ، وَالأُخرَى فِي رِجلِه، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مَعمَر، مَا حَالُ النَّاسِ؟ قَالَ: إِنهَزَمُوا.

قَالَ: فَمَا بَالُكَ إِحدَى نَعلَيكَ فِي يَدِكَ، وَالأُخرَى فِي رِجلِكَ؟ فَقَالَ أَبو مَعمَر: مَا شَعَرتُ إِلَّا أَنَّهُمَا فِي رِجلَيَ، فَعَرِفُوا يَومَئِذٍ أَنَّهُ لَم يَكُن لَهُ إِلَّا قَلبٌ وَاحِدٌ، لَمَّا نَسِيَ نَعلَهُ فِي يَدِه[١].

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ، كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ لِمحَمَّدٍﷺ قَلبَينِ، يَنسِبُونَهُ إِلَى الدَّهَاءِ، فَأَكذَبَهُم اللهُ بِذَلِكَ[٢].

وَقِيلَ: إِنَّ رَجُلاً يَقُولُ: إِنَّ لِي نَفسَينِ؛ نَفساً تَأمُرُنِي، وَنَفساً تَنهَانِي، فَنَزَلَت[٣].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:(مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِن قَلبَينِ فِي جَوفِهِ؛ يُحِبُّ بِهَذَا قَوماً، وَيُحِبُّ بِهَذَا أَعدَاءَهُم)[٤].

يُقَالُ: ظَاهَرَ مِن إِمرَأَتِه، وَتَظَاهَرَ، وَتَظَهَّرَ، وَهوَ: أَن يَقُولَ لَهَا: أَنتِ عَلَيَّ كَظَهرِ أُمِّي، وَكَانَت العَرَبُ تُطَلِّقُ نِسَاءَهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ بِهَذَا اللَّفظِ[٥].

وَمَعنَى قَولِهِم: أَنتِ عَلَيَّ كَظَهرِ أُمِّي، أَنَّهُم أَرَادُوا أَن يَقُولُوا: كَبَطنِ أُمِّي فِي التَّحرِيمِ، فَكَنُّوا عَن البَطنِ بِالظَّهرِ؛ لأَنَّ ذِكرَ البَطنِ يُقَارِبُ ذِكرَ الفَرجِ[٦].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ١/ ١١٠ ، نور الثقلين، الحويزي: ٤/ ٢٣٥ح ٩.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٣٣٤ عن ابن حباس.

(٣) تفسير العز بن عبد السلام: ٢/ ٥٥٨.

(٤) الأمالي، المفيد: ٢٣٣ح ٤ ، الأمالي، الطوسي: ١٤٩ح ٢٤٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١١٨.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٤٨.

وَإِنَّمَا جعَلُوا الكِنَايَةَ عَن البَطنِ بِالظَّهرِ؛ لأَنَّهُ عَمُودُ البَطنِ[١].

فَلَمَّا جَاءَ الإِسلَامُ نُهُوا عَنهُ، وَأَوجَبَ الكَفَّارَةَ عَلَى مَن ظَاهَرَ إِمرَأَتُهُ، وَمِنهُ قَولُه: وَ﴿**ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللاَّئي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ**﴾ يَعنِي: إِنَّ اللهَ تعَالَى، أَعلَمَنَا أَنَّ الزَّوجَةَ لَا تَصِيرُ أُمَّاً، فقَالَ: وَمَا جعَلَ نِسَاءَكُم الَّتي تَقُولُونَ لَهُنَّ: أَنتُنَّ عَلَينا كَظَهرِ أُمَّهَاتِنَا أُمَهَاتُكُم؛ لأَنَّ أُمَّهَاتَكُم عَلَى الحَقِيقَةِ هُنَّ اللَّائي وَلَدنَكُم وَأَرضَعنكُم[٢].

الدَّعِيُّ: وَاحِدُ الأَدعِيَاءِ، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ**﴾ بَيَّنَ تعَالَى أَنَّهُ لَيسَ بِإِبنٍ عَلَى الحَقِيقَةِ، وَيَعنِي: إِنَّ الزَّوجَةَ لَا تَصِيرُ بِالظِّهَارِ أُمَّاً، وَالدَّعِيُّ لَا يَصِيرُ بِالتَّبَنِي إِبناً[٣] وَالمُتبَنَى: مَن صَارَ بِمَنزِلَةِ الإِبنِ.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٥)

وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: (مَن انتَسَبَ إِلى غَيرِ أَبِيهِ، أَو انتَمَى إِلى غَيرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيهِ لَعنَةُ اللّهِ)[٤] غَلَّظَ الأَمرَ فِيهِ؛ لأَنَّهُ خَارِجُ النَّسَبِ.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٥٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١١٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١١٩.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٣٣٧، سنن ابن ماجة: ٢/ ٨٧٠ح ٢٦٠٩.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٦)

رُوِيَ عَن أُبي وَابنِ مَسعُودٍ وَابنِ عبَّاسٍ: أَنَّهُم كَانُوا يقرأُونَ: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ وَهوَ أَبٌ لَـهُم، وَرُوي ذَلِكَ عَن السَّيِدَينِ البَاقِرِ وَالصَّادِقِ عليهما السلام[1].

قَالَ مُجَاهِد: إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أَبٌ لِأُمَّتِهِ، وَلِذَلِكَ صَارَ الْمُؤمِنِينَ إِخوَةٌ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله أَبُوهُم في الدِّينِ[2].

﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ في تَحرِيمِ النِّكَاحِ، كَمَا قَالَ: ﴿**وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**﴾[3] وَلَيسَ بِأُمَّهَاتٍ لَـهُم علَى الحَقِيقَةِ، إِذ لَو كُنَّ كَذَلِكَ لَكَانَت بَنَاتُهُنَّ أَخَوَاتُ الْمُؤمِنِينَ علَى الحَقِيقَةِ، فَكَانَ لَا يَحِلُّ لِلمُؤمِنِينَ التَّزوِيجَ بِهُنَّ[4].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٧)

المِيثَاقُ الغَلِيظُ: اليَمِينُ بِاللّهِ عَلَى الوَفَاءِ[5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٢٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٢٢.
(٣) الأحزاب: ٥٣.
(٤) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٥٠.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٥٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ (٩)

في الحَدِيثِ: (نُصِرتُ بِالصَّبَا، وَأُهلِكَت عَادٌ بِالدَّبُورِ)[١].

وَهي أُرسِلَت إِلَيهِم حَتَّى أَكفَأَت قُدُورَهُم، وَنَزَعَت فَسَاطِيطَهُم، وَسَفَّت التُّرَابَ في وُجُوهِهُم[٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً**﴾ وَالْمُرَادُ بِهَا: الصَّبَا.

﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (١٠)

الحَنَاجِرُ: جَمعُ الحُنجُرَةِ؛ هِي: مُنتَهَى الحَلقُومِ[٣].

قَالُوا: إِذَا انتَفَخَت الرِّئَةُ مِن شِدَّةِ الفَزَعِ، أَو الغَضَبِ، أَو الغَمِّ، رَبَت وَارتَفَعَ القَلبُ بِارتِفَاعِهَا إِلى رَأسِ الحُنجُرَةِ[٤].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ ذَلِكَ مَثَلاً في إِضطِرَابِ القُلُوبِ وَوَجِيبُهَا، وَإِن لَم تَبلُغ الحَنَاجِرِ حِقِيقَةً[٥].

قَالَ أَبو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ: قُلنَا يومَ الخَندَقِ: يَا رَسُولَ اللّهِ، هَل مِن شَيءٍ نَقُولُه؟ فَقَد بَلَغَت القُلُوبُ الحَنَاجِرَ، فَقَالَ:

---

(١) النوادر، الراوندي: ١٠٣، مسند أحمد: ١/ ٣٢٤.

(٢) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٥١.

(٣) غريب القرآن، الطريحي: ٢٣٤.

(٤) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٧/ ٢١١.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٥٣.

(قُولُوا: اللَّـهُمَّ، استُرْ عَورَاتُنَا، وَآمِن رَوعَاتُنَا).

قَالَ: فَقُلنَاهَا، فَضَرَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وُجُوهَ أَعدَاءِ اللّـهِ بِالرِّيحِ فَهُزِمُوا[١].

قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا**﴾ الأَلِفُ في الظُّنُونَا وَأَمثَالُهُ مَزِيدَةٌ؛ سَبَبُهَا لِلفَوَاصِلِ بِالقَوَافي[٢].

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ (١١)

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَديداً**﴾ أَي: أُزعِجُوا أَشَدَّ إِزعَاجٍ مِن شِدَّةِ الفَزَعِ[٣].

رُوِي: أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام لَمَّا قَتَلَ عَمرُو بن عَبدِ وُدٍّ، حَمَلَ رَأسَهُ فَأَلقَاهُ بَينَ يَدِي رَسُولُ اللّـهِ صلى الله عليه وآله فَقَامَ أَبُو بَكرٍ وَعُمَر فَقَبَّلَا رَأسَ عَلِيٍّ عليه السلام[٤].

رُوِي عَن أَبِي بَكرِ بن عَيَّاش[٥] أَنَّهُ قَالَ: لَقَد ضَرَبَ عَلِيٌّ عليه السلام ضَربَةً مَا كَانَ في الإِسلَامِ ضَرَبَةً أَعَزَّ مِنهَا يومَ الخَندَقِ؛ يَعنِي: ضَربَةَ عَمرُو بن عَبدِ وُدٍّ، وَضُرِبَ عَلِيٍّ ضَربَةً مَا كَانَ في الإِسلَامِ ضَربَةً أَشأَمَ مِنهَا؛ يَعنِي: ضَربَةَ ابنِ مُلجِمٍ عَلَيهِ لَعَائنُ اللّـهِ[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٢٤، مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٥٣.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٥٣.

(٤) الإرشاد، المفيد: ١/ ١٠٤، بحار الأنوار، المجلسي: ٢٠/ ٢٠٦.

(٥) ابن سالم الأسدي، مختلف في اسمه ونسبه، كوفي حناط مقرئ، ولد سنة (٩٥ هـ) فقيه حافظ محدث، وكان من المعمرين، توفي سنة (١٩٣هـ) ينظر: رجال البرقي: ٤٣، الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦/ ٣٨٦، التاريخ الكبير للبخاري: ٨/ ١٤.

(٦) كشف الغمة، الأربلي: ١/ ٢٠٥.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣)

يَثرِب: إِسمٌ لِلمَدِينَةِ[١] وَقِيلَ: إِنَّ يَثرِب إِسمُ أَرضِ الـمَدِينَةِ، وَقَالَ أَبو عُبَيدَة: إِنَّ الـمَدِينَة الرَّسُول فِي نَاحِيَةٍ مِن يَثرِب[٢].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**﴾ فَارجِعُوا إِلى لَا مَوضِعَ إِقَامَة لَكُم هَهُنَا، فَارجِعُوا إِلى مَنَازِلكُم بِالـمَدِينَةِ، وَهُم الَّذِينَ أَرَادُوا الهَرَب مِن عَسكَرِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله[٣].

العَورَةُ فِي الأَصلِ: الخَلَلُ[٤] وَقَولُه تعَالَى: ﴿**إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ**﴾ أَي: غَيرُ حَصِينَةٍ[٥] وَذَلِكَ: إِنَّ بَعضَ المُجَاهِدِينَ اعتَذَرُوا: بِأَنَّ بُيُوتُنَا مَكشُوفَةٌ، لَيسَت بِحَصِينَةٍ، أَو خَالِيَةٌ مِنَ الرِّجَالِ، يُخشَى عَلَيهَا السُّرَّاق، فَكَذَّبَهُم اللهُ بِقَولِه: ﴿**وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ**﴾ بَل هِي حَصِينَةٌ، إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا، أَو هَرَبًا مِنَ القِتَالِ[٦].

(١) المصباح المنير، الفيومي: ٢/ ٦٧٩.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٢٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٤٠.
(٤) تفسير الصافي: ٤/ ٢٠٠.
(٥) تفسير أبي السعود: ٧/ ٩٤.
(٦) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٥٤.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ ﴿١٩﴾

يُقَالُ: دَخلتُ علَى فُلَانٍ بَيته، الشَّحِيحُ: وَاحِدُ الأَشِحَّة[1].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**﴾ أَي: آذُوكُم بِالكَلَامِ، وَخَاصَمُوكُم بِأَلسِنَةٍ سَلِيطَةٍ ذَرِبَةٍ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ: وَبَسَطُوا أَلسِنَتَهُم فِيكُم وَقت قِسمَةِ الغَنِيمَةِ، يَقُولُونَ: اعطُونَا اعطُونَا، فَلَستُم بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا[2].

وَالسَّلقُ: أَصلُه الضَّربُ، وَسَلَقَهُ بِالكَلَامِ؛ أَي أَسمَعَهُ المَكرُوهَ[3].

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً﴾ ﴿٢٠﴾

أَي: وَلَو كَانُوا مَعَكُم لَم يُقَاتِلُوا إِلَّا يَسِيرَاً لِيُوهِمُوا أَنَّهُم فِي جُملَتِكُم[4].

(١) وهو البخيل الحريص، غريب القرآن، الطريحي: ١٦٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٤٢.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٥٦.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٠/ ١٩٥.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (٢١)

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ مَعَاشِرَ الْمُكَلَّفِينَ: ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أَي: قُدوَةٌ صَالِحَةٌ، يُقَالُ: لِي فِي فُلَانٍ أُسوَةٌ؛ أَي: لِي بِهِ إِقتِدَاءٌ، وَالأُسوَةُ مِنَ الإِتِّسَاءِ، كَمَا أَنَّ القُدوَة مِنَ الإِقتِدَاءِ[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ (٢٨)

النُّزُول: قَالَ المُفَسِّرُونَ[2]: إِنَّ أَزوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلنَهُ شَيئاً مِن عَرَضِ الدُّنيَا، وَطَلَبنَ مِنهُ زِيَادَةً فِي النَّفَقَةِ وَآذَينَهُ؛ لِغِيرَةِ بَعضِهُنَّ عَلَى بَعضٍ، فَآلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنهُنَّ شَهراً، فَنَزَلَت آيَةُ التَّخيِيرِ، وَهوَ قَولُهُ: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ وَكُنَّ يَومَئِذٍ تِسعاً: عَائِشَة، وَحفصَة، وَأُمُّ حَبِيبَة بِنت أَبِي سُفيَان، وَسَودَة بِنت زُمعَة، وَأُمُّ سَلَمَة بِنت أَبِي أُمَيَّة، فَهَؤُلَاءِ مِن قُرَيشٍ، وَصَفِيَّة بِنت حُيَي الخَيبَرِيَّة، وَمَيمُونَة بِنت الحَارِث الهِلَالِيَّة، وَزَينَب بِنت جَحش الأَسَدِيَّة، وَجُوَيرِيَّة بِنت الحَارِث المُصطَلِقِيَّة[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٤٤.

(٢) تفسير السمعاني: ٤/ ٢٧٥، معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٥٢٥، زاد المسير، ابن الجوزي: ٦/ ١٩٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٥١.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (٣٠)

يُقَالُ: إِنَّ النِّعمَةَ إِذَا كَانَت عَلَى جَمَاعَةٍ أَعظَمُ وَأَوفَرُ، كَانَت الـمَعصِيَةُ مِنهُنَّ أَفحَشُ العُقُوبَةِ بِهَا أَعظَمُ وَأَكثَرُ، وَمَتَى إِزدَادَ الفِعلُ فُحشَاً، إِزدَادَ عِقَابُه شِدَّةً؛ وَلِذَلِكَ تَكُونُ الـمَعصِيَةُ مِنَ العَالِمِ أَقبَحُ، وَذَمُّ العُقَلَاءِ لَهُ أَكثَر، يُضَاعَفُ لَهُ العَذَابَ ضِعفَينِ مِن عِصيَانِه[١].

القُنُوتُ: الطَّاعَةُ، وَمِنهُ: القُنُوتُ فِي الصَّلَاةِ، وَهوَ: المُدَاوَمَةُ عَلَى الدُّعَاءِ[٢].

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ (٣١)

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلـهِ وَرَسُولِهِ**﴾ أَي: وَمَن يَدُومُ عَلَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِه، وَالخِطَابُ لِأَزوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿**وَتَعْمَلْ صالِحاً**﴾ فِيمَا بَينَهُمَا وَبَينَ رَبِّهَا، نُؤتِهَا أَجرُهَا مَرَّتَينِ؛ أَي: مِثلَي ثَوَابِ غَيرِهَا[٣].

وَعَن زَيدٍ بن عَلِيّ[٤] أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي لَأَرجُو لِلمُحسِنِ مِنَّا أَجرَينِ، وَأَخَافُ عَلَى المُسِيءِ مِنَّا يُضَاعَفُ لَهُ العَذَابَ ضِعفَينِ، كَمَا وَعَدَ أَزوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ[٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٦١، الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٦٠ بتفاوت واختيار.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٣٨، لسان العرب، ابن منظور، مادة (قنت) ٢/ ٧٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٥٣.

(٤) ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الشهيد، تابعي، روى عن أبيه والباقر والصادق عليهم السلام استشهد سنة (١٢١هـ) وله اثنان وأربعون سنة، وأخباره معروفة مشهورة، ينظر: رجال الطوسي: ١١٣، رجال ابن داود ١٠٠.

(٥) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٦٦ح ٢٣٤.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٢)

أَصلُ أَحَدٍ وَحَدَ؛ بِمَعنَى: الوَاحِدُ، ثُمَّ وُضِعَ في النَّفي العَامِّ، مُستَوِياً فِيهِ المُذَكَّر وَالمُؤَنَّثِ، وَالوَاحِدُ وَالكَثِيرِ، وَقولُه تَعَالَى: ﴿**لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء**﴾ أَي: لَستُنَّ كَجَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِن جَمَاعَاتِ النِّسَاءِ في الفَضلِ وَالسَّابِقَةِ [(١)].

قَالَ ابن عبَّاس: مَعنَاهُ: لَيسَ قَدرُكُنَّ عِندِي كَقَدرِ غَيرِكُنَّ مِن النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ، أَنتُنَّ أَكرَمُ عَلَيَّ، فَأَنَا بِكُنَّ أَرحَمُ، وَثَوَابُكُنَّ أَعظَمُ؛ لِمَكَانِكُنَّ مِن رَسُول اللَّـهِ ﷺ[(٢)].

﴿**إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**﴾ مُخَالَفَةِ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ؛ أَي: إِنْ كُنتُنَّ مُتَّقِيَاتٍ وَأَرَدتُنَّ التَّقوَى [(٣)].

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ أَمَرَهُنَّ بِالإِستِقرَارِ في بِيُوتِهِنَّ، مِن قَرَرتُ أُقِرُّ، وَالـمَعنَى: إِثبُتنَ في مَنَازِلِكُنَّ وَالزَمنهَا[(٤)].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٧٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٥٥.

(٣) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦١.

(٤) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٣٠٠.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٣٣)

التَّبَرُّجُ: الخُرُوجُ مِنَ المَنزِلِ[١].

وَالتَّبَرُّجُ: إِظْهَارُ المَرأَةِ محَاسِنُهَا[٢] مَأْخُوذٌ مِنَ البَرَجِ؛ وَهوَ: السَّعَةُ في العَينِ[٣] وَقِيلَ: التَّبَرُّجُ: التَّبَختُرُ وَالتَّكَبُّرُ في المَشْيِ، وَقِيلَ: هُوَ أَن تُلقِي الخِمَارَ عَلَى رَأسِهَا، فَلَا تَشُدَّهُ فَتُوَارِي قَلَائدَهَا وَقُرطَيهَا، فَيَبدُو ذَلِكَ مِنهَا[٤].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أَي: لَا تَخرُجنَ على عَادَةِ النِّسَاءِ اللَّاتِي كُنَّ في الجَاهِلِيَّةِ، وَلَا تُظهِرنَ زِينَتَكُنَّ كَمَا كُنَّ يُظهِرنَ ذَلِكَ[٥].

وَالمُرَادُ بِـ: ﴿الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ مَا كَانَ قَبلَ الإِسلَامِ، وَقِيلَ: مَا كَانَ بَينَ آدم وَنُوحٍ عليهما السلام ثَمَانمَائةِ سَنَة، وَقِيلَ: مَا بَينَ عِيسى وَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[٦].

وَقِيلَ: مَعنَى تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى: أَنَّهُم كَانُوا يُجوزُونَ أَن تَجمَعَ إِمرَأَةٌ وَاحِدَةٌ زَوجاً وَخِلّاً، فَتَجعَلُ لِزَوجِهَا نِصفَهَا الأَسفَل، وَلِخِلِّهَا نِصفُهَا الأَعلَى، يُقَبِّلُهَا وَيُعَانِقُهَا[٧].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نَصبٌ عَلَى النِّدَاءِ، أَو المَدحِ[٨].

---

(١) تفسير السمرقندي: ٣/ ٥٦.
(٢) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري: ١/ ٢٧.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٣٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٥٥.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٢/ ١٧٦.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٣٩.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٥٥.
(٨) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٧٤.

وَالرِّجسُ: مُستَعَارٌ لِلذُّنُوبِ، وَالطُّهرُ: لِلتَّقوَى؛ لأَنَّ عَرضَ المُقتَرِفِ لِلقَبِيحِ يَتَدَنَّسُ بِهِ، كَمَا يَتَلَوَّثُ جَسَدُهُ بِالأَرجَاسِ، وَاتَفَقَت الأُمَّةُ عَلَى: أَنَّ المُرَادَ أَهلُ بَيتِ نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِم أَجمَعِين[١].

ثُمَّ اختَلَفُوا؛ فَقِيلَ: أَرَادَ أَزوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ لأَنَّ أَوَّلُ الآيَةِ مُتَوَجِهَةٌ إِلَيهُنَّ، وَقَالَ أَبو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ، وَأَنَسُ بن مَالِكٍ، وَوَائلَة بِن الأَسقَعِ، وَعَائشَةُ، وَأُمُّ سَلَمَة: أَنَّ الآيَة مُختَصَّةٌ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ وَعَليّ وَفَاطِمَةَ وَابنَيهِمَا عليهم السلام[٢].

وَرَوَى أَبو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَزَلَت فِي خَمسٍ؛ فِيَّ، وَفِي عَلِيٍّ، وَالحَسَنِ، وَالحُسَينِ، وَفَاطِمَة عليهم السلام[٣].

وَعَن أُمِّ سَلَمَة، قَالَت: جَاءَت فَاطِمَةُ عليها السلام إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَحمِلُ حَرِيرَةً لَهَا، فَقَالَ لَهَا:(إِدعِي زَوجُكِ وَابنَيكِ) فَجَاءَت بِهِم فَطَعِمُوا، ثُمَّ أَلقَى عَلَيهِم كِسَاءً خَيبَرِيّاً، وَقَالَ:(هَؤلَاءِ أَهلَ بَيتِي وَعِترَتِي، فَأَذهِب عَنهُم الرِّجسَ، وَطَهِّرهُم تَطهِيرَاً) فَقُلتُ: يَا رَسُول اللّهِ ﷺ وَأَنا مَعَهُم؟ قَالَ: أَنتِ عَلَى خَيرٍ[٤].

وَالرِّوَايَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مِن طُرقِ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، لَو قَصَدنَا إِلَى إِيرَادِهَا لَطَالَ هَذَا المُختَصَرِ، وَفِيمَا أَورَدنَاهُ كِفَايَةٌ.

وَاستَدَلَّتِ الإِمَامِيَّةُ عَلَى إِختِصَاصِ الآيَةِ بِهَؤلَاءِ الخَمسَة؛ بَأَن قَالُوا: ﴿إِنَّمَا﴾ لَفظَةٌ مُحَقِّقَةٌ لِمَا أُثبِتَ بَعدَهَا نَافِيَة لِمَا لَم يَثبُت، فَإِنَّ قَولَ القَائلِ: إِنَّمَا لَكَ عِندِي دِرهَم يَقتَضِي أَنَّه لَيسَ عِندَهُ سِوَى الدِّرهَم، فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا، فَلَا تَخلُو الإِرَادَة فِي الآيَةِ أَن تَكُونَ هِي إِرَادَةٌ

---

(١) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٥٦.

(٣) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٥٦.

مَحضَةٌ، أَو: الإِرَادَةُ الَّتي يَتَّبعهَا التَّطهِيرُ وَإِذهَابُ الرِّجسِ، فَلَا يَجُوزُ الوَجهُ الأَوَّل؛ لأَنَّ اللهَ تعَالَى قَد أَرَادَ مِن كُلِّ مُكَلَّفٍ هَذِه الإِرَادَةُ المُطلَقَةُ، فَلَا إِختِصَاص لَهَا بِأَهلِ البَيتِ دُونَ سَائرِ الخَلقِ وَالمُكَلَّفِينَ؛ وَلأَنَّ هَذَا القَول يَقتَضِي المَدحَ وَالتَّعظِيمَ لَهُم بِغَيرِ شَكٍّ وَشُبهَةٍ، وَلَا مَدحَ وَلَا إِختِصَاصَ في الإِرَادَةِ المُجَرَّدَةِ، فَثَبُتَ الوَجهُ الثَّانِي[١].

وَفي ثُبُوتِه مَا يَقتَضِي عِصمَةُ مَن عَنَى بِالآيَةِ، وَأَنَّ شَيئاً مِنَ القَبَائحِ لَا يَجُوزُ أَن يَقعَ مِنهُم، عَلَى أَنَّ غَيرَ مَن سَمَّينَاهُ لَا شَكَّ أَنَّه غَيرُ مَقطُوعٍ عَلَى عِصمَتِهِ، وَالآيَةُ مُوجِبَةٌ لِلعِصمَةِ، فَثَبَتَ أَنَّهَا فِيمَن ذَكَرنَاهُم؛ لِبُطلَانِ تَعَلُّقِهَا بِغَيرِهِم[٢].

وَمَن قَالَ: إِنَّ صَدرَ الآيَةِ وَمَا بَعدَهَا في الأَزوَاجِ، فَالقَولُ فِيهِ: إِنَّ هَذَا لَا يُنكِرُهُ مَن عَرَفَ عَادَةَ الفُصَحَاءِ في كَلَامِهِم، فَإِنَّهُم يَذهَبُونَ مِن خِطَابٍ إِلى غَيرِهِ، وَيَعُودُونَ إِلَيهِ، وَالقُرآنُ مِن ذَلِكَ مَملُوءٌ، وَكَذَلِكَ كَلَامُ العَرَبِ وَأَشعَارَهُم[٣].

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٣٠٣.

(٢) إعلام الورى، الطبرسي: ١/ ٢٩٤.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٣٧٣.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (٣٥)

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ**﴾ أَي: بِقَلبِهِ وَلِسَانِه، أَو: بِهمَا، وَالإِشتِغَالُ بِالعِلمِ مِن الذِّكرِ[١] أَي: مِن ذِكرِ اللّهِ كَثِيرَاً، وَحَذفُ الـمَفعُولِ في الثَّاني لِدلَالَةِ الأَوَّلِ عَلَيهِ[٢].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:(مَن بَاتَ عَلَى تَسبِيحِ فَاطِمَةَ عليها السلام كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرَاً وَالذَّاكِرَاتِ)[٣].

وَعَطفُ الإِنَاثِ علَى الذُّكُورِ مِن نَحوِ قَولِه تعَالَى: ﴿**ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً**﴾[٤] في أَنَّهمَا جِنسَانِ مُختَلِفَانِ إِذَا اشتَرَكَا في حُكمٍ فَلَا بُدَّ مِن أَن يَتَوَسَّط عَاطِف بَينَهُمَا[٥].

رَوَى أَبو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ، عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ:(إِذَا أَيقَظَ الرَّجُلُ أَهلَهُ مِنَ اللَّيلِ، فَتَوَضَئا وَصَلَّيَا، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرَاً وَالذَّاكِرَاتِ)[٦].

عَن أُمِّ سَلَمَة: أَنَّهَا قَالَت: يَا رَسُولَ اللّـهِ، ذُكِرَ الرِّجَالُ في القُرآنِ بِخَيرٍ، فَمَا فِينَا خَيرُ

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٦١.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٢١١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٥٩، عنه وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٦/ ٤٤٧ح ٤.
(٤) التحريم: ٥.
(٥) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦٥.
(٦) المعجم الأوسط، الطبراني: ٣/ ٢١٨، الترغيب والترهيب، المنذري: ١/ ٤٢٩ح ٩٢٢.

نُذكَرُ بِهِ؟ فَنَزَلَت قَولُه: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَـهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1] أَي: لِهَؤلَاءِ المُؤمِنينَ الـمَوصُوفِينَ بِهَذِه الصِّفَاتِ؛ يَعنِي: الجَامِعِينَ وَالجَامِعَاتِ لِهَذِه الطَّاعَاتِ مَغفِرَةٌ لِذُنُوبِهم، وَأَجراً عَظِيماً.

وَقِيلَ: إنَّ أَسمَاءَ بِنت عُمَيسٍ، لَمَّا رَجعَت مِنَ الحَبَشَةِ مَعَ زَوجِهَا جَعفَر بِن أَبِي طَالِب، دَخَلَت عَلَى نِساءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَت: هَل نَزَلَ فِينَا شَيءٌ مِنَ القُرآنِ؟ قُلنَ: لَا، فَأَتَت رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللّـهِ، إِنَّ النِّسَاءَ لَفِي خَيبَةٍ وَخَسَارٍ، قَالَ:(وَمِمَّ ذَاكَ؟) قَالَت: لِأَنَّهُنَّ لَا يُذكَرنَ بِخَيرٍ كَمَا يُذكَرُ الرِّجَالِ، فَأَنزَلَ اللهُ تعَالَى هَذِه الآيَة[2].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ﴿٣٦﴾

الخِيَرَةُ: مَا يُتَخَيَّرُ[3].

قِيلَ: سَاقَ رَسُولُ اللّـهِ صلى الله عليه وآله عَن زَيدٍ لِنِكَاحِ زَينَب مَهرُهَا؛ عَشَرَةُ دَنَانِيرٍ وَسِتِّينَ دِرهَماً، وَخِمَاراً، وَمِلحَفَةً، وَدِرعَاً، وَإِزَاراً، وَخَمسِينَ مُدّاً مِن طَعَامٍ، وَثَلَاثِينَ صَاعَاً مِن تَمرٍ[4].

---

(١) تفسير البضاوي: ٤/ ٣٧٥.

(٢) أسباب النزول، الواحدي: ٢٤٠.

(٣) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦١.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣٧)

يُروَى: أَنَّ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ أَتَى إِلى مَنزِلِ زَيدٍ ذَاتَ يوم، فَإِذَا زَينَب جَالِسَةٌ وَسط حُجرَتِهَا، تَسحَقُ طِيباً بِفِهرٍ[1] لَهَا، قَالَ: فَدَفَعَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ البَابَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيهَا، قَالَ:

(سُبحَانَ اللّـهِ خَالِقُ النُّورِ، تَبَارَكَ اللهُ أَحسَنَ الخَالِقينَ).

وَرَجَعَ، فَجَاءَ زَيدٌ، وَأَخبَرَتهُ زَينَب بِمَا كَانَ، فَقَالَ لهَا: لَعَلَّكِ وَقَعتِ في قَلبِ رَسُول اللّـهِ ﷺ فَهَل لَكِ أَن أُطَلِّقُكِ حَتَّى يَتَزَوَّجُكِ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ؟ فَقَالَت: أَخشَى أَن تُطَلِّقُنِي وَلَا يَتَزَوَّجُنِي[2].

فَجَاءَ زَيدٌ، وَقَالَ: يَا رَسُول اللّـهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَن أُفَارِقَ صَاحِبَتِي، فَقَالَ:(مَالَكَ؟ أَرَابَكَ مِنهَا شَيءٌ؟) قَالَ: لَا وَاللّـهِ، مَا رَأَيتُ مِنهَا إِلَّا خَيراً، وَلَكِنَّهَا تَتَعَظَّمُ عَلَيَّ لِشَرَفِهَا وَتُؤذِينِي، فَقَالَ لَهُ:(أَمسِك عَلَيكَ زَوجُكَ، وَاتَّقِ الله) ثُمَّ طَلَّقَهَا بَعدُ.

فَلَمَّا اعتَدَّت، قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ:(مَا أَجِدُ أَحَدَاً أَوثَقُ فِي نَفسِي مِنكَ، إِخطِب عَلَيَّ زَينَب).

قَالَ زَيدٌ: فَانطَلَقتُ، فَإِذَا هِي تُخَمِّرُ عَجِينَتَهَا، فَلَمَّا رَأَيتُهَا عَظُمَت في صَدرِي، حَتَّى مَا أَستَطِيعُ أَن أَنظُرَ إِلَيهَا حِينَ عَلِمتُ أَنَّ رَسُول اللّـهِ ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيتُهَا ظَهرِي، وَقُلتُ:

---

(١) وهو حجر ملئ الكف، الصحاح، الجوهري، مادة (فهر) ٢/ ٧٨٤.

(٢) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦٦.

يَا زَينَب، أَبشِرِي، إِنَّ رَسُول اللّـهِ ﷺ يَخطِبُكِ، فَفرِحَت، وَقَالَت: مَا أَنَا بِصَانِعَةٌ شَيئاً حَتَّى أُؤامِرُ رَبِّي.

فَقَامَت إِلى مَسجِدِهَا، وَنَزَلَ القُرآنُ: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللّـهِ ﷺ وَدَخَلَ بِهَا، وَمَا أَولَمَ عَلَى إِمرَأَةً مِن نِسَائِهِ مَا أَولَمَ عَلَيهَا؛ ذَبَحَ شَاةً، وَأَطعَمَ النَّاسَ الخُبزَ وَاللَّحمَ، حَتَّى امتَدَّ النَّهَارُ[١].

فَقَالَ الكُفَّارُ مَا قَالُوا فِيهِ؛ مِن أَنَّ مُحَمَّداً يَنكِحُ زَوجَةَ ابنِه وَيَنهَانَا عَنهُ.

وَقَولُه تعَالَى: ﴿وَاتَّقِ اللهَ﴾ يُرِيدُ: لَا تُطَلِّقهَا، وَهِي نَهيُ تَنزِيهٍ لَا نَهي تَحرِيمٍ؛ لأَنَّ الأَولَى أَن لَا يُطَلِّق، وَقِيلَ: ﴿وَاتَّقِ اللهَ﴾ وَلَا يَذُمُّهَا بِالنِّسبَةِ إِلَى الأَذَى وَالكِبرِ وَأَذَى الزَّوجِ [٢].

يُروَى: إِنَّ رَسُول اللّـهِ ﷺ أَرَادَ أَن يَقتُلَ عَبدَ اللّـهِ بِن سَعد بِن أَبِي سُرح، وَقَد كَانَ أَهدَرَ دَمَهُ قَبلَ ذَلِكَ، وَقَد جَاءَ عُثمَان بِعَبدِ اللّـهِ بِن سَعد بِن أَبِي سُرحٍ يَستَأمِنَهُ مِنهُ، وَكَانَ ﷺ قَبلَ ذَلِكَ أَهدَرَ دَمَهُ، وَأَمر بِقَتلِه، فَلَمَّا رَأى عُثمَانَ استَحَى مِن رَدِّهِ، وَسَكَتَ طَوِيلاً لِيَقتُلَهُ بَعضُ المُؤمِنينَ، ثُمَّ أَمَّنَهُ بَعدَ تَرَدُّدِ الـمَسأَلَةِ مِن عُثمَان، وَقَالَ:

(أَمَا كَانَ مِنكُم رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلى هَذَا فَيَقتُلَهُ؟) فَقَالَ لَهُ عباد بن بِشر: يَا رَسُول اللّـهِ، إِنَّ عَينِي مَا زَالَت فِي عَينِكَ إِنتِظَاراً أَن تُومِئ فَأَقتُلُهُ، فَقَالَ ﷺ: (إِنَّ الأَنبِيَاءَ لَا يَكُونُ لَـهُم خَائِنَةُ أَعيُنٍ) فَلَم يَستَحِلَّ الإِشَارَة بِقَتلِ كَافِرٍ وَإِن كَانَ مُبَاحاً[٣].

وَرُوِي: إِنَّ زَينَب كَانَت تَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنِّي لأَدُلُّ عَلَيكَ بِثَلَاثٍ، مَا مِن نِسَائكَ إِمرَأَة

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٧٣.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٦٢.

(٣) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦٧، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢/ ٢٤٩.

تُدِلُّ بِهِنَّ: جَدِّي وَجَدُّكَ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَنكَحنِيكَ اللهُ في السَّماءِ، وَإِنَّ السَّفِيرَ لَجَبرَائِيلُ[١].

وَفي الحَدِيثِ: إِنَّ زَينَب كَانَت تَفتَخِرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ زَوَجَنِي اللهُ مِنَ النَّبِيِّ، وَأَنتُنَّ إِنَّما زَوَّجَكُنَّ أَولِيَاءُكُنَّ[٢].

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ ﴿٣٨﴾

يُقَالُ: فَرَضَ لِفُلَانٍ في الدِّيوَانِ كَذَا[٣].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ**﴾ أَي: قَسَمَ وَأَوجَبَ عَلَيهِ مِنَ التَّزوِيجِ بِامرَأَة النَّبِيِّ، لِيَبطُلَ حُكمَ الجَاهِلِيَّةِ في الأَدعِيَاءِ[٤].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ**﴾ سُنَّةَ اللَّهِ: إِسمٌ وُضِعَ مَوضِعَ المَصدَرِ المُؤكَّدِ لِعِلَّةٍ[٥].

﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ**﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: سَنَّ اللهُ ذَلِكَ، سُنَّةٌ في الَّذِينَ خَلَوا مِنَ الأَنبِيَاءِ المَاضِينَ، وَهوَ: أَن لَا يُحَرِّجَ عَلَيهِم فِيمَا أَبَاحَ لَهُم الإِقدَامَ عَلَيهِ مِنَ النِّكَاحِ وَغَيرِه، وَقَد كَانَ لِدَاودَ مَائَةَ امرَأَةٍ وَثَلَاثَمائةِ سَرِيَّة، وَلِسُلَيمانَ ثَلَاثَمائَةَ امرَأَةٍ وَسَبعُمائَةَ سَرِيَّة[٦].

---

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٨/ ٤٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦٤.
(٣) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦٤.
(٥) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٦٩.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٦٩.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِالسُّنَّةِ: إِلى أَنَّ النِّكَاحَ مِن سُنَّةِ الأَنبِيَاءِ، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وآله: (النِّكَاحُ مِن سُنَّتِي، وَمَن رَغِبَ عَنهُ فَقَد رَغِبَ عَن سُنَّتِي)[١].

لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله زَينَبَ بِنتِ جَحش، قَالَ النَّاسُ: إِنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله تَزَوَّجَ امرَأَةَ إِبنِهِ[٢].

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (٤٠)

فَقَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ**﴾ أَي: لَم يَكُن أَبَا رَجُلٍ مِنكُم عَلَى الحَقِيقَةِ، حَتَّى يَثبُتَ بَينَهُ وَبَينِهِ مَا يَثبُتُ بَينَ الأَبِ وَوَلَدِهِ؛ مِن حُرمَةِ الصِّهرِ وَالنِّكَاحِ ﴿**وَلَكِنْ**﴾ كَانَ ﴿**رَسُولَ اللَّهِ**﴾ وَكُلُّ رَسُولٍ أَبُو أُمَّتِهِ فِيمَا يَرجِعُ إِلى وُجُوبِ التَّوقِيرِ وَالتَّعظِيمِ لَهُ عَلَيهِم، لَا فِي سَائِرِ الأَحكَامِ الثَّابِتَةِ بَينَ الآبَاءِ وَالأَبنَاءِ، وَزَيدٌ وَاحِدٌ مِن رِجَالِكُم الَّذِينَ لَيسُوا بِأَولَادِهِ حَقِيقَةً[٣].

عَلَى أَنَّهُ لَم يَكُن الحَسَن وَالحُسَين عليهما السلام إِبنَيهِ، فَقَد أَبعَد؛ لأَنَّ الحَسَنَ وَالحُسَينَ عليهما السلام كَانَا طِفلَينِ، كَمَا أَنَّهُ كَانَ أَبَا إِبرَاهِيمَ؛ وَإِنَّمَا بَقِيَ أَن لَا يَكُونَ أَبَاً لِلرِّجَالِ البَالِغِينَ[٤].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٢/ ١٨٠.

(٢) تفسير الرازي: ١٠/ ٣٤.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٧٠.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٤٦.

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثيراً﴾ (٤١)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثيراً**﴾ أَي: اثنُوا عَلَيهِ بِضُرُوبِ الثَّنَاءِ، وَصُنُوفِ التَّمجِيدِ، وَالتَّحمِيدِ وَالتَّهلِيلِ، وَالتَّسبِيحِ وَالتَّكبِيرِ، وَمَا هُوَ أَهلُهُ، وَأَكثِرُوا ذَلِكَ[1].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:(مَن سَبَّحَ تَسبِيحَ فَاطِمَةَ الزَّهرَاءِ عليها السلام فَقَد ذَكَرَ اللهَ ذِكرَاً كَثِيرَاً)[2].

وَرُوِي عَن أَئمَّتِنَا عليهم السلام:(مَن قَالَ: سُبحَانَ اللّهِ، وَالحَمدُ للّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَاللهُ أَكبَرُ، ثَلَاثِينَ مَرَّةً، فَقَد ذَكَرَ اللهَ كَثِيرَاً)[3].

(جَاءَ جَبرَائيلُ عليه السلام إِلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُل: سُبحَانَ اللّهِ، وَالحَمدُ للّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَاللهُ أَكبَر، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ، عَدَدَ مَا عَلِمَ، وَزِنَةَ مَا عَلِمَ، وَمِلءِ مَا عَلِم.

فِإِنَّ مَن قَالَهَا، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا سِتَّ خِصَالٍ: كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرَاً ، وَكَانَ أَفضَلُ مَن ذَكَرَهُ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ، وَكَانَ لَهُ غَرسَاً فِي الجَنَّةِ، وَتَحَاتَت عَنهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتَّ وَرَقِ الشَّجَرَةِ اليَابِسَةِ، وَيَنظُرُ اللهُ إِلَيهِ، وَمَن نَظَرَ اللهُ إِلَيهِ لَم يُعَذبهُ)[4].

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (٤٢)

وَالأَصِيلُ: العَشِيّ[5].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٦٥.
(٢) معاني الأخبار، الصدوق: ١٩٣ح ٥عنه جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ٥/ ٣٦٥ح ٣٤٠٧.
(٣) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٧١.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦٧.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ٨٠/ ١٠٧.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ (٤٣)

قَولُه تعَالَى: ﴿**هُوَ الَّذي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ**﴾ أَي: هُوَ الَّذِي يَتَرَحَّمُ عَلَيكُم وَيَتَرَأَفُ، حَيثُ يَدعُوكُم إِلَى الخَيرِ، وَيَأمُرُكُم بِإِكثَارِ الذِّكرِ، وَالتَّوَفُّرِ عَلَى الطَّاعَاتِ[١].

وَالصَّلَاةُ مِنَ اللّهِ تعَالَى: الـمَغفِرَةُ وَالرَّحمَةُ، أَو: الثَّنَاء، أَو الكَرَامَة، وَمِنَ الـمَلَائكَة: دُعَاؤهُم، وَقِيلَ: طَلَبُهُم إِنزَالَ الرَّحمَةِ[٢].

وَالـمَعنَى: هُوَ الَّذِي يَتَرَحَّمُ عَلَيكُم... إِلَخ، وَالـمَلَائكَةُ يَستَغفِرُونَ وَيَطلِبُونَ الرَّحمَةَ لَكُم، وَالإِهتِمَامَ بِمَا يُصلِحَكُم؛ لِكَونِهِم مُستَجَابِي الدَّعوَةِ[٣].

﴿**لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ**﴾ وَهي: ظُلُمَاتُ الـمَعَاصِي: ﴿**إِلَى النُّورِ**﴾ أَي: نُورُ الطَّاعَةِ، أَو: ظُلُمَاتُ الجَهلِ إِلَى نُورِ الـمَعرِفَةِ، أَو: مِن ظُلَمَاتِ النَّارِ إِلَى نُورِ الجَنَّةِ[٤].

﴿**وَكانَ بِالْـمُؤْمِنينَ رَحِيماً**﴾ وَإِنَّمَا خَصَّهُم دُونَ غَيرِهُم؛ لأَنَّهُ سُبحَانَهُ جَعَلَ الإِيمَانَ بِمَنزِلَةِ العِلَّةِ فِي إِيجَابِ الرَّحمَةِ[٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٦٥.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦٧.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٦٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦٧.
(٥) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٣١٢.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾ (٤٤)

﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ**﴾ أَي: يَلقَونَ ثَوَابَهُ [١]: ﴿**سَلامٌ**﴾ عَن البَرَاء بِن عَازِب [٢]: لَا يَقبِضُ مَلَكُ الـمَوتِ رُوحَ مُؤمِنٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيهِ، وَقِيلَ: هُوَ سَلَامُ الـمَلَائكَةِ عِندَ الخُرُوجِ مِنَ القُبُورِ، وَقِيلَ: عِندَ دُخُولِ الجَنَّةِ، كَمَا قَالَ: ﴿**وَالـمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم**﴾ [٣] [٤].

﴿**وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً**﴾ وَالأَجرُ الكَرِيمُ: الجَنَّةُ، وَالثَّوَابُ الجَزِيلُ [٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (٤٥)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً**﴾ أَي: شَاهِدَاً عَلَى أُمَّتِكَ، فِيمَا يَفعَلُونَهُ مِن طَاعَةٍ وَمَعصِيَةٍ، وَإِيمَانٌ بِه أَو كُفرٌ؛ لِتَشهَدَ لَـهُم أَو عَلَيهِم يومَ القِيَامَةِ [٦].

يَعنِي: مَقبُولَاً قَولُكَ عِندَ اللّهِ لَـهُم وَعَلَيهِم، كَمَا يُقبَلُ قَولُ الشَّاهِدِ العَدلِ [٧] فَيُجَازِيهُم بِحَسَبِهِ: ﴿**وَمُبَشِّراً**﴾ لِمَن أَطَاعَنِي وَأَطَاعَكَ بِالجَنَّةِ: ﴿**وَنَذِيراً**﴾ لِمَن عَصَانِي وَعَصَاكَ بِالنَّارِ [٨].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ١٦٦.
(٢) أبو عامر، الأنصاري الخزرجي، صحابي، أصابته دعوة أمير المؤمنين عليه السلام لكتمانه حديث الغدير فعمي، وقيل: لم يثبت ذلك، ينظر: رجال الطوسي: ٢٧، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٧٨، معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ٤/ ١٨٤.
(٣) الرعد: ٢٣-٢٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٧٢.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٤٩.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٤٩.
(٧) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٧٢.
(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦٨.

﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ (٤٦)

المُنِيرُ: الَّذِي يَصدُرُ النُّورَ مِن جِهَتِه إِمَّا بِفِعلِه، وَإِمَّا لأَنَّهُ سَبَبٌ لَهُ، فَالقَمَرُ مُنِيرٌ، وَالسِّرَاجُ مُنِيرٌ بِهَذَا المَعنَي، وَاللهُ مُنِيرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ[١].

﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ وَبَعثَنَاكَ دَاعِياً إِلَى اللّهِ، وَإِلى الإِقرَارِ بِوحدَانِيَتِهِ، وَامتِثَالِ أَوَامِرِهُ وَنَوَاهِيَه بِعِلمِهِ وَأَمرِه: ﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ يُهتَدَى بِكَ فِي الدِّينِ كَمَا يُهتَدَى بِالسِّرَاجِ فِي ظَلَامِ اللَّيلِ، أَو: يُمَدُّ بِنُورِ نُبُوَّتِكَ نُورَ البَصَائِرِ، كَمَا يُمَدُّ بِنُورِ السِّرَاجِ نُورَ الأَبصَارِ، وَقِيلَ: عَنَى بِالسِّرَاجِ المُنِيرِ القُرآن، وَالتَّقدِيرُ: بَعَثنَاكَ ذَا سِرَاجٍ مُنِيرٍ، فَحُذِفَ المُضَافُ وَأُقِيمَ المُضَافُ إِلَيهِ مَقَامَهُ[٢].

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ (٤٧)

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ زِيَادَةٌ عَلَى مَا يَستَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّوَابِ[٣].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ المُرَاد: أَنَّ لَهُم فَضلاً كَبِيراً عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ الخَالِيَةِ[٤].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٤٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٦٨.
(٤) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٧٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ ﴿٤٩﴾

يُقَالُ: عَدَدتُ الدَّارِهِمَ فَاعتَدّهُا[١].

وَمِنهُ: ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ يعنِي: إِذَا طَلَّقتُم النِّسَاءَ: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تُبَاشِرُوهُنَّ، وَتَدخُلُوا بِهُنَّ: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ العِدَّةَ حَقٌّ وَاجِبٌ لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ[٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ﴿٥٠﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ خَالِصَةٌ مَصدَرٌ مُؤكَّدٌ، مِثلُ: ﴿وَعَدَ اللهُ﴾[٣] وَ: ﴿صِبْغَةَ اللّـهِ﴾[٤] أَي: خَلُصَ لَكَ إِحلَالُ مَا أَحلَلنَا لَكَ خَالِصَةً، بِمَعنَى: خَلُوصاً[٥].

وَذَلِكَ: إِنَّ اللهَ تعَالَى خَصَّ نَبِيَّهُ ﷺ حيثُ قَالَ: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٦٧.

(٢) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٧٣.

(٣) التوبة: ٦٨.

(٤) البقرة: ١٣٨.

(٥) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٧٤.

لِلنَّبِيِّ﴾ أَي: وَأَحلَلنَا لَكَ امرَأَةً مُصَدِّقَة بِتَوحِيدِ اللّـهِ: **﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها﴾** لَكَ بِغَيرِ صُدَاقٍ، إِن آثَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله نِكَاحَهَا، وَرَغِبَ فِيهَا: **﴿خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْـمُؤْمِنينَ﴾**[1] دُونَ غَيرِكَ، يَعنِي: لَا يَحِلُّ لِغَيرِكَ، وَهوَ حَلَالٌ لَكَ، وَهَذَا مِن خَصَائِصِهِ صلى الله عليه وآله في النِّكَاحِ، فَكَانَ يَنعَقِدُ النِّكَاحَ لَـهُ بِلَفظِ الهِبَةِ، وَلَا يَنعَقِدُ ذَلِكَ لأَحَدٍ غَيرُه.

واختُلِفَ في: أَنَّهُ هَل كَانَت عِندَ النَّبِيِّ امرَأَةٌ وَهَبَت نَفسَهَا لَهُ أَم لَا؟ فَقِيلَ: إِنَّه لَم يَكُن عِندَهُ امرَأَةٌ وَهَبت نَفسَهَا لَهُ، وَقِيلَ: بَل كَانَت عِندَهُ مَيمُونَةُ بِنتِ الحَارِث بِلَا مَهرٍ؛ فَقَد وَهَبَت نَفسَهَا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَقِيلَ: هِي خَولَة بِنت حَكِيم.

قِيلَ: إِنَّهَا لَمَّا وَهَبَت نَفسَهَا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَت عَائشَةُ: مَا بَالُ النِّسَاءِ يَبذُلنَ أَنفُسَهُنَّ بِلَا مَهرٍ؟ فَنَزَلَت الآيَةُ، فَقَالَت عَائشَةُ: مَا أَرَى اللهَ تعَالَى إِلَّا يُسَارِعُ في هَوَاكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّـهِ صلى الله عليه وآله: (وإِنَّكَ إِن أَطَعتِ اللهَ سَارَعَ في هَوَاكِ)[2].

الإِرجَاءُ: هُوَ التَّأخِيرُ، وَيَكُونُ مِن تَبعِيدِ وَقتِ الشَّيء عَن وَقتِ غَيرِه[3].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٧٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٧٤.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٥٥.

﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾

وَمِنهُ: قَولُه تعَالَى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَ﴾ أَي: تُؤخِّرهَا وَتَترُكَ مُضَاجَعتُهَا[١] وَقَرَأَ أَبو بَكرٍ: تُرجِئ بِالهَمزَةِ، وَالـمَعنَى وَاحِدٌ[٢].

﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ﴾ أَي: وَتَضُمُّ إِلَيكَ وَتُضَاجِعهَا مَن تَشَاءُ[٣].

وَالإِيوَاءُ هُنَا: الدُّعَاءُ إِلَى الفِرَاشِ[٤].

وَاختُلِفَ فِي مَعنَاهُ:

عَن عَائشَة، أَنَّهَا قَالَت: مَا فَارَقَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ الدُّنيَا، حَتَّى حُلِّلَ لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ[٥].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٨١.

(٢) تفسير أبي السعود: ٧/ ١١٠.

(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ١٠/ ٤١٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٧٤.

(٥) فقه القرآن، المقداد السيوري: ٢/ ٢٤٥.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَلكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾ ﴿٥٣﴾

يُقَالُ: أَنِيَ الطَّعَامُ يَأْنِي؛ إِذَا بَلَغَ حَالَةَ النُّضجِ[١].

وَقَولُه تعَالَيك ﴿**إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ**﴾ أَي: إِن يَدعُوكُم الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله إِلى طَعَامٍ فَادخُلُوا: ﴿**غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ**﴾ أَي: غَيرَ مُنتَظِرِينَ إِدرَاكَ الطَّعَامِ[٢].

وَالـمَعنَى: لَا تَدخُلُوا بِغَيرِ إِذنٍ، وَقِيلَ: نُضجُ الطَّعَامِ إِنتِظَارَاً لِنُضجِهِ[٣].

وَرُوِي: إِنَّ بَعضَهُم قَالَ: أَنُنهَى أَن نُكَلِّمَ بِنَاتِ عَمِّنَا إِلَّا مِن وَرَاءِ حِجَابٍ، لَئِن مَاتَ مُحَمَّد لأَتَزَوَّجَنَّ عَائِشَةَ[٤] وَهوَ: طَلحَة بن عُبِيدِ اللّـهِ[٥] فَنزَلَت: ﴿**وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ**﴾.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٧٢.

(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٨/ ٣٢٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٧٦.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٧١.

(٥) ابن عثمان بن عمرو بن كعب، أبو محمد، قرشي تيمي، صحابي، من السابقين الى الاسلام، من أصحاب الشورى، قتل في الجمل، ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٣/ ٢١٤، الاصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر: ٣/ ٤٣٠.

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (٥٦)

قَولُه تعَالَى: ﴿**إِنَ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ معنَاهُ: إِنَّ اللهَ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيُثني عَلَيهِ بالثَّناءِ الجَمِيلِ، وَيُبَجِّلُهُ بِأَعظَمَ التَّبجِيلِ، وَمَلَائكَتُه يُصَلِّونَ عَلَيهِ، يُثنُونَ عَلَيهِ بِأَحسَنَ الثَّنَاءِ، وَيدعُونَ لَهُ بِأَزكَى الدُّعَاءِ[١].

﴿**وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ أَي: انقَادُوا لأَمرِه وَأَطِيعُوهُ، وَسَلِّمُوا لَهُ في الأُمُورِ تَسلِيمَاً، وَسَلِّمُوا عَلَيهِ؛ بِأَن تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ اللّهِ[٢].

وَرُوِي عَن كَعبِ بِن عُجرَة[٣] أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَت هَذِه الآيَة، قُلنَا: يَا رَسُول اللّهِ، هَذَا السَّلَامُ عَلَيك قَد عَرَفنَاهُ، فَكَيفَ الصَّلَاةُ عَلَيك؟ قَالَ:

(قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إِبرَاهِيمَ وَآلِ إِبرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِك عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكتَ عَلَى إِبرَاهِيمَ وَآلِ إِبرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)[٤].

وَعَن ابنِ مَسعُودٍ، إِنَّه قَالَ: إِذَا صَلَّيتُم عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَحسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيهِ؛ فَإِنَّكُم لَا تَدرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعرَضُ عَلَيهِ، قَالُوا: فَعَلِّمنَا؟

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٧٩.

(٢) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٨٠.

(٣) وقيل: ابن عجزة بن أمية بن عدي، أبي محمد، صحابي، حليف الأنصار وقيل بل أنصاري، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام له أحاديث وروايات، ينظر: الإصابة، ابن حجر: ٥/ ٤٤٨.

(٤) الأمالي، الصدوق: ٤٧٠ح ٦٢٦، الأمالي، الطوسي: ٤٢٩ح ٩٥٨.

قَالَ: قُولُوا: اللَّـهُمَّ إجعَل صَلاتُكَ وَرَحمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ عَلَى سَيِّدِ المُرسَلِينَ، وَإمَام المُتَّقِينِ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينِ، مُحَمَّدٍ عَبدُكَ وَرَسُولُكَ، إمَامُ الدِّينِ، وَقَائدُ الخَيرِ، وَرَسُولُ الرَّحمَةِ، اللَّـهُمَّ ابعَثهُ مَقَاماً مَحمُوداً، يَغبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، اللَّـهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبرَاهِيمَ وَآلَ إبرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ[١].

وَعَن أَنَس بِن مَالِك، عَن أَبِي طَلحَةَ[٢] قَالَ: دَخَلتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَم أَرَهُ أَشَدَّ إستِبشَاراً مِنهُ يومَئِذٍ، وَلَا أَطيبَ نَفساً، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللّـهِ، مَا رَأَيتُكَ قَطُّ أَطيبَ نَفساً، وَلَا أَشَدَّ إستِبشَاراً مِنكَ اليَومَ؟ فَقَالَ:

(وَمَا يَمنَعُنِي، وَقَد خَرَجَ آنِفاً جبرَائيلُ مِن عِندِي، قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: مَن صَلَّى عَلَيكَ صَلاَةً، صَلَّيتُ بِهَا عَلَيهِ عَشرُ صَلَوَاتٍ، وَمَحَوتُ عَنهُ عَشرَ سِيِّئَاتٍ، وَكَتَبتُ لَهُ عَشرَ حَسَنَاتٍ)[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (٥٧)

وَعَن عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ:(حَدَّثَنِي رَسُولُ اللّـهِ، وَهوَ آخِذٌ بِشَعرِهِ، فَقَالَ: مَن آذَى شَعرَةً مِنكَ فَقَد آذَانِي، وَمَن آذَانِي فَقَد آذَى الله، وَمَن آذَى الله فَعَلَيهِ لَعنَةُ اللّـهِ)[٤] يَعنِي: ﴿**لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَـهُمْ عَذاباً**﴾.

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني: ٩/ ١١٥، سنن ابن ماجة: ١/ ٢٩٤ح ٩٠٦.

(٢) زيد بن سهل الأنصاري، صحابي، أحد النقباء، شهد جميع مشاهد رسول الله ﷺ توفي سنة (٣٤ هـ) ينظر: الكنى والألقاب، القمي: ١/ ١١٣.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٤٠٠.

(٤) الأمالي، الطوسي: ٤٥١ح ١٠٠٦، مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ١٣.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (٥٨)

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا**﴾ أَي: مِن غَيرِ أَن عَمِلُوا مَا يُوجِبُهُ أَذَاهُم: ﴿**فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً**﴾ أَي: فَقَد فَعلُوا مَا هُوَ أَعظَمَ الإِثم مِنَ البُهتَانِ، وَهوَ: الكَذِبُ عَلَى الغَيرِ يُوَاجِهَهُ بِهِ، فَجعَلَ إِيذَاءَ المُؤمِنينَ وَالمُؤمِنَات مِثلَ البُهتَانِ.

وَقِيلَ: يَعنِي بِذَلِكَ: أَذِيَّةُ اللِّسَانِ، فَيَتَحَقَّقُ فِيهَا البُهتَان: ﴿**وَإِثْماً مُبِيناً**﴾ وَمَعصِيَةً ظَاهِرَةً[1].

وَقَيَّدَ سُبحَانَهُ إِيذَاءَ المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَات بَعدَ أَن أَطلَقَ إِيذَاءَ اللّٰهِ وَرَسُولَهُ[2] بِقَولِه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾ بِارتِكَابِ مَا يَكرَهَانَه مِنَ الكُفرِ وَالمَعَاصِي[3] وَجَعَلَ أَذَى رَسُولَهُ أَذَىً لَهُ تَشرِيفاً وَتَكرِيماً، بَل يَجِب أَن يُصَلَّى عَلَيهِ وَيُعبَدُ، وَمُؤذِيهِ كَافِرٌ مَلعُونٌ بِقَولِه: ﴿**لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**﴾[4] فِي الآخِرَةِ؛ لِأَنَّ إِيذَاءَ اللّٰهِ وَرَسُولَه لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَيرِ حَقٍّ، وَمَعنَى: ﴿**بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا**﴾ بِغَيرِ جِنَايَةِ استِحقَاقٍ[5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٨١.

(٢) جوامع الجامع ، الطبرسي: ٣/ ٨٠.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٨٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٨٠.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٨٠.

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الْمُؤْمِنينَ يُدْنينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحيماً﴾ (٥٩)

الجِلبَابُ: ثَوبٌ وَاسِعٌ، أَوسَعُ مِنَ الخِمَارِ، وَدُونَ الرِّدَاءِ، تَلوِيهُ المَرأَةُ عَلَى رَأسِهَا وَتُبقِي مِنهُ مَا تُرسِلُهُ عَلَى صَدرِهَا[١].

وَعَن ابنِ عبَّاسٍ: إِنَّهُ الرِّدَاءَ الَّذِي يَستُرُ مِن فَوقٍ إِلَى أَسفَل[٢].

وَقِيلَ: الجِلبَابُ؛ المِلحَفَةُ، وَكُلُّ مَا يُتَسَتَّرُ بِهِ مِن كِسَاءٍ أَو غَيرُه[٣].

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الْمُؤْمِنينَ يُدْنينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ يُرخِينَهَا عَلَيهُنَّ، وَيُغَطِّينَ بِهَا وُجُوهَهُنَّ وَأَعطَافَهُنَّ، يُقَالُ: إِذَا زَلَّ الثَّوبُ عَن وَجهِ المَرأَةِ: أَدْنِي ثَوبَكِ عَلَى وَجهِكِ، وَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي أَوَّلِ الإِسلَامِ عَلَى عَادَتِهِنَّ فِي الجَاهِلِيَّةِ، مُبتَذَلَات يَبرُزنَ فِي دِرعٍ وَخِمَارٍ، لَا فَرقَ بَينَ الحُرَّةِ وَالأَمَةِ، وَكَانَ أَهلُ الشَّطَارَةِ وَالرِّيبَةِ يَتَعرَّضُونَ لِلإِمَاءِ، فَرُبَّمَا تَعرَّضُوا لِلحُرَّةِ بِعِلَّةِ الأَمَةِ، فَأُمِرنَ أَن يُخَالِفنَ بِزِيِّهِنَّ مِن زَيِّ الإِمَاءِ؛ لِئَلاَّ يَطمَعَ فِيهُنَّ طَامِعٌ، وَذَلِكَ قَولُهُ: **﴿ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾** أَي: أَقرَبُ إِلَى أَن لَا يَتَعرَّضَ لَـهُنَّ وَلَا يَلقَينَ مَا يَكرَهنَ[٤].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ ذَلِكَ أَقرَبُ إِلَى أَن يُعرَفنَّ بِالسَّترِ وَالصَّلَاحِ، فَلَا يُتَعَرَّضُ لَـهُنَّ؛ لأَنَّ الفَاسِقَ إِذَا عَرَفَ امرَأَةً بِالسَّترِ وَالصَّلَاحِ[٥].

---

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٩١، تفسير أبي السعود: ٧/ ١١٥.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٧٤.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٨٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٨١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٨١.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠)

الإِرجَافُ: إِشَاعَةُ البَاطِلِ لِلإِعتِمَامِ بِهِ[١] وَأَصلُهُ: الإِضطِرَابُ وَالتَّحرِيكُ، مِنَ الرَّجفَةِ؛ وَهي: الزَّلزَلَةُ، سُمِّي بِهِ الأَخبَار الكَاذِبَة، لِكَونه مُتَزَلزِلاً غَيرَ ثَابت[٢].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وَهُم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ لأَنَّهُم كَانُوا يُرجِفُونَ في المَدِينَةِ بِالأَخبَارِ الكَاذِبَةِ المُضعِفَةِ لِقُلُوبِ المُسلِمِينَ؛ بِأَن يَقُولُوا: اجتَمَعَ المُشرِكُون في مَوضِعِ كَذَا، قَاصِدِينَ لِحَربِ المُسلِمِينَ، وَيَقُولُونَ لِسَرَايَا المُسلِمِينَ: إِنَّهُم قُتِلُوا وَهُزِمُوا، وَفي الكَلَامِ حَذفٌ، تَقدِيرُه: لَئن لَم يَنتهِ المُنَافِقُونَ مِن نِفَاقِهِم وَعَدَاوَتِهم وَمَرَضِهِم[٣].

وَالمَعنَى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عَن عَدَواتِهِم وَكَيدِهِم، وَالفَسَقَةُ عَن إِيذَاءِ النِّسَاءِك ﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾ عَمَّا يُؤَلِّفُونَهُ مِن أَخبَارِ السُّوءِ[٤].

إِعلَم: إِنَّ مَا بَعدَ كَلِمَةِ الشَّرطِ لَا يَعمَلُ فِيمَا قَبلُهَا لِصَدَارَتِهَا[٥].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٦١.
(٢) التفسير الأصفى، الكاشاني: ٢/ ١٠٠٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٨٢.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٨١.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٤٠٥.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٦٢﴾

السُّنَّةُ: الطَّرِيقَةُ فِي تَدبِيرِ الحُكمِ[1] وَمِنهُ قَولُه تَعالَى: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ مَصدَرٌ مُؤكَّدٌ؛ أَي: سَنَّ اللهُ ذَلِكَ فِي الأُمَمِ الـمَاضِيَةِ؛ وَهوَ أَن يَقتُلَ الَّذِينَ نَافقُوا الأَنبِيَاءَ[2] أَن يُقَتَّلُوا إِينَمَا ثُقِفُوا؛ أَي: وُجِدُوا وَظَفَرُوا بِهِم أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقتِيلًا.

وَالتَّبدِيلُ: التَّحوِيلُ وَالتَّغيِيرُ؛ لأَنَّ سُنَّةُ اللَّـهِ لَا يُبَدِّلُهَا، وَلَا يَقدِرُ أَحَدٍ أَن يُبَدِّلَهَا[3].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٦٤﴾

السَّعِيرُ: النَّارُ المُسَعَّرَةُ[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٨٢.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٨٦.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٨٦.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/ ٦٠.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ ﴿٦٦﴾

التَّقلِيبُ: تَصرِيفُ الشَّيءِ في الجِهَاتِ[١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**﴾ تَقلِيبُ الوُجُوهِ، مَعنَاهُ: تَصرِيفُهَا في الجِّهَاتِ، كَمَا أَنَّ البِضعَةُ مِنَ اللَّحمِ تَدُورُ في القِدرِ مِن جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ، إِذَا غَلَت لِتُطبَخَ، أَو تَغيِيرِّهَا عَن أَحوَالِهَا، أَو: طَرحُهَا في النَّارِ مَنكُوسِينَ مَقلُوبِينَ، وَإِنَّمَا خَصَّ سُبحَانَهُ الوُجُوهَ بِالذِّكرِ؛ لأَنَّ الوَجهَ أَكرَمُ الأَعضَاءِ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ الوَجهُ عِبَارَةٌ عَن الجُملَةِ[٢].

﴿**يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولاَ**﴾ فَلَن نُبتَلَى بِهَذَا العَذَابِ[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ﴿٦٩﴾

يُقَالُ: فُلَانٌ وَجِيهٌ عِندَ السُّلطَانِ؛ أَي: ذَا جَاهٍ وَمَنزِلَةٍ.

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَكانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيهاً**﴾ أَي: إِنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ ذَا جَاهٍ وَمَنزِلَةٍ عِندَ رَبِّهِ؛ فَلِذَلِكَ يُمِيطُ عَنهُ التُّهَمَ، وَيُحَافِظُ عَلَيهِ، وَيَدفَعُ الأَذَى عَنهُ لَئِلَّا يَلحَقَهُ وَصمٌ، كَمَا يَفعَلُ المُلُوكُ بِمَن لَهُ عِندَهُم وَجَاهَةٌ[٤].

وَقِيلَ: فِي أَذَى مُوسَى عليه السلام حَدِيثُ المُومَسَةِ الَّتي حَمَلَهَا قَارُونُ عَلَى قَذفِهِ بِنَفسِهَا عَلَى

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٦٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٨٣.

(٣) التفسير الصافي، الكاشاني: ٤/ ٢٠٥.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٨٤.

رَأَسِ الـمَلَأ، فَعَصَمَهُ اللهُ تعَالَى مِن ذَلِكَ[١].

وَقِيلَ: إتَّهَمُوهُ بِقَتلِ هَارُونَ عليه السلام وَقَد كَانَا صَعَدَا الجَبَلَ، فَمَاتَ هَارُونَ عليه السلام فَقَالَت بَنُو إِسرَائيلَ: أَنتَ قَتَلتَهُ، فَأَمَرَ اللهُ الـمَلَائكَةَ، فَحَمَلتُهُ حَتَّى مَرُّوا بِهِ عَلَى بَنِي إِسرَائيلَ مِيِّتَاً، وَتَكَلَّفَ الـمَلَائكِةُ بِمَوتِه، حَتَّى عَرَفُوا أَنَّهُ قَد مَاتَ، فَبَرَّأَهُ اللهُ مِن ذَلِكَ[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾

السَّدَادُ: القَصدُ إِلى الحَقِّ، وَالقَولُ بِالعَدلِ، مِن سَدَّ يَسُدُّ سَدَادَاً[٣].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**قُولُوا قَوْلاً سَدِيدَاً**﴾ أَي: قَاصِدَاً إِلى الحَقِّ[٤].

الرِّجزُ: أَسوَأ العَذَابِ[٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٨٣.

(٢) غريب القرآن، الطريحي: ٦.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٤٠٩.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٧٦.

(٥) تفسير الرازي: ٢٥/ ٢٤٢.



الفصل الثالث والثلاثون

سورة سبأ



سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (١٠)

يُقَالُ: آبَ يؤوبُ؛ إِذَا رَجعَ[١] وَالتَّأْوِيبُ: التَّرجِيعُ بِالتَّسبِيحِ؛ وَهوَ رُجُوعٌ بَعدَ رُجُوعٍ[٢] وَقَولُه تعَالَى: ﴿**يا جِبالُ أَوِّبي مَعَهُ وَالطَّيْرَ**﴾ أَي: قُلنَا لِلجِبَالِ: سَبِّحِي مَعَهُ إِذَا سَبَّحَ[٣].

قَالَ ابن عبَّاس: أَمَرَ اللهُ الجِبَالَ أَن تُسَبِّحَ مَعَهُ إِذَا سَبَّحَ، فَسَبَّحَت مَعَهُ، وَتَأْويلَهُ عِندَ أَهلِ اللُّغَةِ: رَجِّعِي مَعَهُ التَّسبِيحَ[٤].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٤١٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٩٨.

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي: ٦/ ٢٢٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٠.

﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١)

الدِّرعُ: وَاحِدَةُ الدُّروعِ، السَّابِغُ: التَّامُّ مِنَ اللِّبَاسِ(١) وَسَردُ الحَدِيدِ: نَظمُهُ(٢) وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أَي: في نَسجِ الدُّرُوعِ، فَلَا تجعَل مَسَامِيرَهَا دِقَاقاً فَتُغلَق، وَلَا غِلَاظاً فَتَقصِمُ الحَلَقَ(٣).

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:(إِنَّ اللهَ أَوحَى إِلَى دَاودَ عليه السلام نِعمَ العَبدُ أَنتَ، إِلَّا أَنَّكَ تَأكُلُ مِن بَيتِ المَالِ، فَبَكَى دَاودَ عليه السلام أَربَعِينَ صَبَاحاً، فَأَلَانَ اللهُ لَهُ الحَدِيدَ، وَكَانَ يَعمَلُ كُلَّ يَوم دِرعاً، فَيَبيعُهَا بِأَلفِ دِرهَم، فَعَمِلَ ثَلَاثمِائة وَسِتِّينَ دِرعاً، فَبَاعَهَا بِثَلَاثمِائةٍ وَسِتِّينَ أَلفاً، فَاستَغنَى عَن بَيتِ المَالِ)(٤).

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢)

يُروَى: إِنَّ سُلَيمَان كَانَ يَغدُوا عَلَى البِسَاطِ مِن دِمَشقَ، فَيَقِيلُ بِإِصطَخرَ مِن أَرضِ أَصفَهَانَ، وَبَينَهُمَا مَسِيرَةُ شَهرٍ لِلمُسرِعِ، وَيَرُوحُ مِن إِصطَخرَ فَيَبِيتُ بِكَابِل، وَبَينَهُمَا مَسِيرَةُ شَهرٍ، تَحمِلُهُ الرِّيحُ مَعَ جُنُودِه، أَعطَاهُ اللهُ الرِّيحَ بِدَلاً مِن الصَّافِنَاتِ الجِيَادِ(٥).

الإِسَالَةُ: الإِذَابَةُ، يُقَالُ: أَسَالَ النُّحاسُ؛ إِذَا أَذَابَهُ(٦) وَأَسَالَ عَينَ القِطرِ؛ إِذَا ظَهَر

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٩٨.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٣٨٠.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٩٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٠.
(٥) مقتنيات الدرر، الحائري: ٩/ ٧، تفسير عبد الرزاق الصنعاني: ٣/ ١٢٧.
(٦) غريب القرآن، الطريحي: ٤٦٤.

كَيَنبُوعَ الـماءِ إِذَا نَبَعَ مِنَ العَينِ، وَعَينُ القِطرِ: تَسمِيَتُهُ بِهَا آلَ إِلَيهِ[١].

يُروَى: إِنَّ دَاودَ عليه السلام لَمَّا صَارَ أَربَعِينَ وَمَائَةَ سَنَةٍ تَوَفَّاهُ اللهُ، وَاستَخلَفَ سُلَيمان[٢].

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١٣)

يُقَالُ: حَسَرَ عَلَى قَتلِهِ؛ إِذَا جَرَّهُ.

الجَابِيَةُ واحدة الجواب و هو الحوض العظيم الذي يجبي فيه الماء أي يجمع[٣].

الجِفَانُ: الصِّحَافُ.

﴿**وَتَمَاثِيلَ**﴾ يَعنِي: صُوَرَاً مِن نُحَاسٍ وَشِبهَهُ، وَزُجَاجٍ، وَرُخَامٍ، كَانَت الجِنُّ تَعمَلُهَا، ثُمَّ اختَلَفُوا؛ فَقَالَ بَعضَهُم: كَانَت صُوَرَاً لِلحَيوَانَاتِ، وَقَالَ آخَرُونَ: كَانُوا يَعمَلُونَ صُورَ السِّبَاعِ وَالبَهَائمَ علَى كُرسِيَّهُ، لِيَكُونَ أَهيَبَ لَهُ، فَذَكَرُوا: أَنَّهُم صَوَّرُوا أَسَدَينِ أَسفَلَ كُرسِيَّهُ،وَنِسرَينِ فَوقَ عَمُودَي كُرسِيَّهُ.

فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَن يَصعَدَ الكُرسِيَّ، بَسَطَ الأَسدَانِ ذِرَاعَيهِمَا، وَإِذَا عَلَا علَى الكُرسِيِّ، نَشَرَ النِّسرَانِ أَجنِحَتَهُمَا فَظَلَّلَاهُ مِنَ الشَّمسِ، وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ مِمَّا لَا يَعرِفَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ....

فَلَمَّا حَاوَلَ بَختَ نَصر صُعُودَ الكُرسِيِّ بَعَد سُلَيمان، حِينَ غَلَبَ علَى بَنِي إِسرَائيلَ، لَم يَعرِف كَيفَ كَان يَصعَدُ سُلَيمانُ، فَرَفَعَ الأَسَدُ ذِرَاعَيهِ، فَضَرَبَ سَاقَهُ فَقَدَّهَا، فَوَقَعَ

---

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٢٧٢.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٤٢٥.

(٣) جامع البيان، الطبري: ٢٢/ ٨٧ح ٢١٩٥٨.

مَغشِيَّاً عَلَيهِ، فَمَا جَسَرَ أَحَدٌ بَعدَهُ أَن يَصعَدَ ذَلِكَ الكُرسَيّ(١).

وَرُوِي: إِنَّ الجَفنَةَ كَانَت وَاسِعَةً، يَأكُلُ عَلَيهَا أَلفَ رَجُلٍ بَينَ يَدَي سُلَيمَان عليه السلام(٢).

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً**﴾ أَي: قُلنَا لَهُم: يَا آلَ دَاودَ، إِعمَلُوا بِطَاعَةِ اللّهِ، شُكرَاً لَهُ علَى مَا آتاكُم مِنَ النّعَمِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ علَى وُجُوبِ شُكرِ النِّعمَةِ، وَإِنَّ الشُّكرَ طَاعَةُ الْمُنعِمِ وَتَعظِيمَهُ(٣).

﴿**وَقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**﴾ أَي: الْمُتَوَفِّرُ علَي أَدَاءِ الشُّكرِ بِقَلبِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِه، فِي أَكثَرِ أَوقَاتِه، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُوفِي حَقَّهُ؛ لأَنَّ تَوفِيقَهُ لِلشُّكرِ نِعمَةٌ تَستَدعِي شُكرَاً آخَرَ لَا إِلَى نِهَايَةٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: الشَّكُورُ مَن يَرَى عَجزَهُ عَن الشُّكرِ(٤).

وَيُؤيدُ ذَلِكَ، قَولُ مَن قَالَ بِالفَارِسِيَّة:

هر نفسي كه فرو مي ود ممد حيات است

وچون برمي‌آيد مفرح ذات است

پس در هر نفسي دو نعمت موجود و بر هر نعمتي

شكري واجب از دست و زبان كه...إلخ(٥).

قَالَ ابن عبَّاس: أَرَادَ بِهِ الْمُؤمِن الْمُوَحِّد، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ علَى أَنَّ الْمُؤمِن الشَّاكِرِ يَقِلُّ فِي كُلِّ عَصرٍ(٦).

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٤.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٤٢٧.

(٥) وملخص معناه: ان في كل نفس نعمتان موجودتان، وعلى كل نعمة يجب الشكر باليد واللسان.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٤.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ﴿١٤﴾

وَالمِنسَأَةُ: العَصَا الكَبِيرَةُ، الَّتي يَسُوقُ بِهَا الرَّاعِي غَنَمَهُ، مِفعَلَةٌ، مِن نَسَأْتُ النَّاقَة وَالبَعِير: إِذَا زَجَرتَهُ[1].

يُقَالُ: غَمَّ عَلَيهِ؛ خَفِي[2].

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام:(إِنَّ سُلَيمَانَ أَمَرَ الشَّيَاطِينَ[3] فَعَمِلُوا لَهُ قُبَّةً مِن قَوَارِير، فَبَينَا هُوَ قَائمٌ مُتكِئ عَلَى عَصَاه فِي القُبَّةِ، يَنظُرُ إِلى الجِنِّ كَيفَ يَعمَلُونَ، وَهُم يَنظُرُونَ إِلَيهِ، وَلَا يَصِلُونَ إِلَيهِ، إِذَا رَجُلٍ مَعَهُ فِي القُبَّةِ، فَقَالَ: مَن أَنتَ؟ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَقبَلُ الرُشَى، وَلَا أَهَابُ المُلُوكَ، فَقَبَضَهُ وَهوَ قَائمٌ مُتكِّئٌ عَلَى عَصَاه فِي القُبَّةِ، قَالَ: فَمَكَثُوا سَنَةً يَعمَلُونَ لَهُ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ الأَرَضَةَ فَأَكَلَت عَصَاه)[4].

وَفِي حَدِيثٍ آخَرِ عَن الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ:(فَكَانَ آصِف يُدَبِّرُ أَمرَهُ، حَتَّى دَبَّتِ الأَرَضَةُ)[5].

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أَي: سَقَطَ وَظَهَرَ: ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ رَأَتِ الجِنُّ، التَّبَيُّنُ: الظُّهُورُ وَالتَّجَلِّي، قَالَ أَهلُ التَّارِيخ: إِنَّ عُمرَ سُلَيمَانَ عليه السلام كَانَ ثَلَاثاً وَخَمسِينَ سَنَةٍ، وَمَلَكَ وَهوَ ابنُ ثَلَاثَةِ عَشَرَ سَنَةٍ، فَمُدَّةِ مُلكِه أَربَعُونَ سَنَةٍ[6].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٩٩.
(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الرضي: ١٢١.
(٣) في بعض المصادر: الجن بدل الشياطين.
(٤) علل الشرائع، الصدوق: ١/ ٧٤ح ٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٥ بتفاوت يسير.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ١٤/ ١٤٢.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٦.

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ ﴿١٦﴾

العَرِمُ: المِسناةُ الَّتي تَحبِسُ الـماءَ، وَاحِدُهَا عَرِمَةٌ، أُخِذَ مِن عَرَامَةِ الـماءِ؛ وَهوَ ذِهَابُهُ بِكُلِّ مَذهَبٍ[١].

وَقِيلَ: العَرِمُ؛ إِسمُ وَادٍ كَانَ تَجتَمِعُ فِيهِ سِيُولٌ مِن أَودِيَةٍ شَتَّى[٢].

وَقِيلَ: العَرِمُ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ إِسمُ الجُرذِ الَّذي نَقَّبَ السَّدَّ السَّكرَ علَى أَهلِ سَبأَ؛ وَهوَ الَّذي يُقَالُ لَهُ الخَلَد[٣].

وَسَبأ؛ هُوَ: أَبُو عَرَبِ اليَمَنِ كُلُّهَا، وَقَد تُسَمَّى بِهِ القَبِيلَة[٤].

وَقِيلَ: العَرِمُ جَمعُ عَرِمَةٍ؛ وَهي الحِجَارَةُ الـمَركُومَة[٥].

وَقِيلَ: العَرِمُ السَّيلُ الَّذي لَا يُطَاقُ دَفعُهُ[٦].

وَقِيلَ: الـمَطَرُ الشَّدِيدُ[٧].

وَقِيلَ: إِنَّمَا كَانَت ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَريَةٍ، في كُلِّ قَريَةٍ نَبيٍّ يَدعُوهُم إِلى اللّـهِ تَعَالَى[٨].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٨٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٨.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٣٣٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٩٤.

(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٤٣٣.

(٦) المصباح المنير، الفيومي، مادة (عرم) ٢/ ٤٠٦.

(٧) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٨٧.

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٠٩.

قَالَ ابِن عبَّاس: الخِمطُ: الأَرَاك[١].

وَقِيلَ: هُوَ شَجَرُ الغَضَا، وَثَمَرُ الخِمطِ البُرَير[٢].

وَقِيلَ: الخِمطُ؛ هُوَ كُلُّ شَجَرٍ لَه شَوكٌ[٣].

الإِثلُ: الطَّرفَاءُ، وَلَا ثَمَرَ لَهُ[٤].

وَقِيلَ: هُوَ ضِربٌ مِنَ الخَشَبِ[٥].

وَقِيلَ: هُوَ السَّمَرُ[٦].

النَّبقُ: السِّدرُ[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٤/ ٢٨٦.

(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٩/ ١٥.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٣٣٧.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٤٣٤.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٣٣٨.

(٦) الكشف والبيان، الثعلبي: ٨/ ٨٤.

(٧) تفسير مقاتل: ٣/ ٦٣.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿١٩﴾

التَّمزِيقُ: التَّفرِيقُ[١].

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٢٣﴾

يُقَالُ: الشَّفَاعَةُ عِندَ الأَمِيرِ لِزَيدٍ، علَى مَعنَى: إِنَّهُ الشَّافِعُ، وَإِنَّهُ الـمَشفُوعَ لَهُ[٢].

التَّفزِيعُ: كَشفُ الفَزَعِ عَن القَلبِ، وَفَزَّعَ عَن قَلبِهِ؛ أَي: كَشَفَ اللهُ الفَزَعَ عَن قَلبِهِ[٣].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٣﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ أَضرَبَ سُبحَانَهُ عَن إِضرَابِهِم؛ أَي: لَم يَكُن إِجرَامُنَا الصَّادُّ، بَل مَكرُكُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ صَدَّنَا عَن قَبُولِ الهُدَى[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ١٩٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٩٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢١٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤٠٢.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الزُّلفَى وَالزُّلفَةُ: كَالقُربَى وَالقُربَةُ وَزنَاً[1] وَمَعنَىً، وَقِيلَ: الزُّلفَى إِسمٌ لِلمَصدَرِ[2].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى**﴾ أي: لَيسَ أَموَالُكُم الَّتي خَوَّلتُمُوهَا: ﴿**وَلا أَوْلادُكُمْ**﴾ الَّتي رُزِقتمُوها: ﴿**بِالَّتي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى**﴾ أَي: قُربَى، وَقِيلَ: أَرَادَ بِالَّتي تُقَرِّبَكُم عِندَنَا تَقرِيباً، فَزُلفَى: إِسمٌ لِلمَصدَرِ[3].

﴿**إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً**﴾ إستِثنَاءٌ مِن كَم في: ﴿**تُقَرِّبُكُمْ**﴾ وَالمَعنَى: إِنَّ الأَموَالَ وَالأَولَادَ لَا تُقَرِّبُ أَحداً إِلَّا المُؤمِنُ الصَّالِحُ الَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ في سَبِيلِ اللّهِ، وَيُعَلِّمُ وَلَدُهُ الخَيرَ، وَيُرَبِيهِ عَلَى الصَّلَاحِ[4].

أَو مَعنَاهُ: لِكنَّ مَن آمَنَ بِاللّهِ، وَعَرَفَ صِدقَ نَبِيَّهُ، وَأَطَاعَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ، وَانتَهَى عَمَّا نَهَاهُ عَنهُ: ﴿**فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا**﴾ بِأَن يُضَاعِفَ لَهُم حَسَنَاتَهُم، فَيَجزِي بِالحَسَنَةِ الوَاحِدَةِ عَشرَاً فَصَاعِدَاً، إِلى سَبعُمَائةٍ وَأَكثَرُ، وَالضِّعفُ: إِسمُ الجِنسِ، يَدُلُّ عَلَى القَلِيلِ وَالكَثِيرِ[5].

وَ: ﴿**جَزاءُ الضِّعْفِ**﴾ مِن إِضَافَةِ المَصدَرِ إِلى المَفعُولِ، وَأَصلُهُ: فَأُولَئكَ لَهُم أَن يُجَازَوا الضِّعفَ[6].

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٩٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٢١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٢١.
(٤) كنز الدقائق، المشهدي: ١٠/ ٥٠٩.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٢١.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١٠٤.

﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾ أَي: هُم في غُـرَفِ الجَنَّةِ؛ وَهي: البُيُوتِ فَوقَ الأَبنِيَةِ: ﴿آمِنُونَ﴾ مِنَ الـمَكَارِهِ، لَا يَخَافُونَ شَيئاً مِمَّا يُخَافُ مِثلُهُ في دَارِ الدُّنيَا؛ مِنَ الـمَوتِ وَسَائِرِ الآفَاتِ[١].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩)

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أَي: يُعَوضُهُ وَيُعطِيكُم خِلفَةً؛ إِمَّا عَاجِلاً بِزِيَادَةِ النِّعمَةِ، وَإِمَّا آجِلاً، بِالثَّوَابِ الَّذِي كُلُّ خَلَفٍ دُونَهُ، يُقَالُ: أَخلَفَ اللهُ لَهُ وَعَلَيهِ؛ إِذَا أَبدَلَ لَهُ مَا ذَهَبَ عَنهُ[٢].

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لأَنَّهُ يُعطِي الـمَنَافِعَ عِبَادَهُ لَا لِدَفعِ ضَرَرٍ، أَو جَرِّ نَفعٍ؛ لِإستِحَالَةِ الـمَنَافِعِ وَالـمَضَارِّ عَلَيهِ[٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٤٠١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٢٢.
(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٩/ ٢٦.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ**﴾ أَي: قُل لَهُم يَا مُحَمَّد: إِنَّمَا آمُرُكُم بِخِصلَةٍ وَاحِدَةٍ[١].

وَقِيلَ: بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَهِي: كَلِمَةُ التَّوحِيدِ، وَقِيلَ: بِإِطَاعَةِ اللّهِ، وَمَن قَالَ بِالأَوَّلِ؛ قَالَ: إِنَّهُ فَسَّرَ الوَاحِدَة بِمَا بَعدَهُ: ﴿**أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنى وَفُرادى**﴾ أَي: إِثنَينِ إِثنَين، وَوَاحِداً وَاحِداً[٢].

وَأَرَادَ بِالقِيَامِ: إِمَّا القِيَام عَن مَجلِسِ رَسُول اللّهِ ﷺ وَتَفَرُّقهُم عَنهُ[٣] وَأَمَّا القِيَامُ بِالأَمرِ المَقصُودِ بِالإِصلَاحِ وَالإِقبَالِ عَلَيهِ مُنَاظِراً مَعَ غَيرِه، وَمُتَفَكِّراً فِي نَفسِهِ[٤].

﴿**ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ**﴾ مَعنَاهُ: أَن يَقُومَ الرَّجُلُ مِنكُم وَحدَهُ، أَو مَعَ غَيرِه، ثُمَّ تَتَسَاءلُونَ: هَل جَرَّبنَا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ كَذِباً؟ أَو: هَل رَأَينَا بِهِ جُنَّة، فَفِي ذَلِكَ دِلَالَةٌ عَلَى بُطلَانِ مَا ذَكَرتُم فِيهِ... وَقَد تَمَّ الكَلَامُ عِندَ قَولُه: ﴿**تَتَفَكَّرُوا**﴾ وَمَا لِلنَّفِي؛ يَعنِي: لَيسَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ جُنُونٌ.

وَإِن جَعَلتَ تَمَامَ الكَلَامِ آخِرَ الآيَةِ، فَالمَعنَى: ﴿**ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾ أَيُّ شَيءٍ بِصَاحِبِكُم مِنَ الجُنُونِ؛ أَي: هَل رَأَيتُم مِن مَنشَأهِ إِلَى مَبعَثِهِ وَصمَةً تُنَافِي النُّبُوَّةَ؛ مِن كَذِبٍ، أَو ضَعفٍ فِي العَقلِ، أَو إِختِلَافٍ فِي القَولِ وَالفِعلِ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى الجُنُونِ[٥].

---

(١) تفسير السمعاني: ٤/ ٣٤٠.

(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٩/ ٣٠.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٩٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٢٥.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٢٥.

بَل عَلِمتُمُوهُ أَرجَحُ النَّاسِ عَقلاً، وَأَصدَقَهُم قولاً، وَأَجمَعَهُم لِلمَحَامِدِ[١].

﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ**﴾ يَعنِي: عَذَابَ القِيَامَةِ، وَمَعنَاهُ: مَا هُوَ إِلَّا مُخَوِّفٌ لَكُم، قُدَّامَكُم عَذَابَ يومِ القِيَامَةِ[٢].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾ أَي: قُل يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وآله لَهُم: أَيُّ شَيءٍ سَأَلتُكُم مِن أَجرٍ علَى الرِّسَالَة: ﴿**فَهُوَ لَكُمْ**﴾[٣].

وَفِيهِ مَعنيَانِ:

أَحَدُهُمَا: نَفيُ مَسأَلَةِ الأَجرِ رَأسَاً، كَمَا يقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحبِهِ: إِن أَعطَيتَنِي شَيئاً فَخُذهُ، وهوَ يَعلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُعطِهِ شَيئاً، وَالمُرَادُ: لَا أَسأَلُكُم علَى تَبليغِ الرِّسَالَةِ شَيئاً مِن عَرَضِ الدُّنيَا فَتَتَّهِمُونِي.

وَالآخَرُ: أَن يُرِيدَ بالأَجرِ مَا يُرِيدُهُ في قَولِهِ: ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**﴾[٤] وَفي قَولِهِ: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[٥] لأَنَّ إتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلى اللّهِ يُصِيبَهُم، وَنَفعُهُ عَائدٌ إِلَيهِم، وَكَذَلِكَ المَودَّةُ في القُربَى؛ لأَنَّ ذُخرَهَا لَهُم دُونَهُ: ﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللّهِ**﴾ أَي: لَيسَ ثَوَاب عَمَلِي إِلَّا

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١٠٧.

(٢) تفسير السمرقندي: ٣/ ٩٠.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤٠٦.

(٤) الفرقان: ٥٧.

(٥) الشورى: ٢٣.

عَلَى اللّـهِ، فَهُو يُثِيبُنِي عَلَيهِ[١].

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللّـهِ﴾ تَعَالَى، فَإِنَّهُ يُثِيبُنِي عَلَيهِ، وَلَا يُضَيِّعَهُ، وَقَرَأ أَبو بَكرٍ بِإِسكَانِ اليَاءِ[٢].

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾

التَّنَاوُش: التَّنَاوُلُ السَّهلِ لِشَيءٍ قَرِيبٍ[٣].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَأَنَّى لَـهُمُ التَّناوُشُ﴾ أَي: وَمِن أَينَ لَـهُم أَن يِتَنَاوَلُوا الإِيمَانَ تَناوُلاً سَهلاً[٤].

﴿مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ﴾ وَهَذَا تَمثِيلٌ لِطَلَبِهِم مَا لَا يَكُونُ، وَهوَ أَن يَنفَعَهُم إِيمَانُهُم في ذَلِكَ الوَقتِ، كَمَا نَفَعَ الْمُؤمِنِينَ إِيمَانُهُم في الدُّنيَا، مُثِّلَت حَالُهُم بِحَالِ مَن يُرِيدُ تَنَاوَلَ الشَّيءِ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ، مِثلَ مَا يَتَنَاوَلُهُ الآخَرُ مِن مَوضِعٍ قَرِيبٍ تَناوُلاً سَهلاً[٥].

وَقَرَأ أَبُو بَكرٍ: التَّنَاؤش بِالهَمزَةِ، عَلَى قَلبِ الوَاوِ لِضَمَّتِهَا، وَقِيلَ: مِنَ النَّائشِ؛ وَهوَ: الطَّلَبُ[٦] وَمَعنَاهُ: إِنَّهُم طَلَبُوا الرَّدَّ إِلَى الدُّنيَا، فَالْمُرَادُ: إِنَّهُم طَلَبُوا الأَمرَ مِن حَيثُ لَا يُنَالُ، وَلَم يُرِد بُعدَ الـمَكَانِ، بَل الْمُرَادُ: بُعدُ انتِفَاعَهُم بِذَلِكَ، وَبُعدَهُم عَن الصَّوَابِ[٧].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١٠٨.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٢٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١٠٩.
(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤٠٧.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١٠٩.
(٦) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤٠٧.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٢٩.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ ﴿٥٤﴾

يُقَالُ: فُلَانٌ كَانَ فِي شَكٍّ مُرِيبٍ؛ أَي: شَكٍّ، كَمَا قَالُوا: عَجَبٌ عَجِيبٌ[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٤/ ٣١٨.



الفصل الرابع والثلاثون

سورة فاطر



سورة فاطر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أُبَي بِن كَعبٍ، عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَن قَرَأَ سُورَةِ الـمَلَائكَةِ، دَعَتهُ يوم القِيَامَةِ ثَلَاثَةُ أَبوَابٍ مِنَ الجَنَّةِ: أَن أُدخُل مِن أَيِّ الأَبوَابِ شِئتَ)[1].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾

الفَطرُ: الشَّقُّ[2] وَمِنهُ الفَاطِرُ.

قَولُه تعَالَى: ﴿**أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ أَي: ذَوِي أَجنِحَةٍ مُتَعَدِّدَةٌ، مُتَفَاوِتَةٌ بِتَفَاوتِ مَا لَـهُم مِنَ الـمَرَاتِبِ[3] لِيَتَمَكَّنُوا بِهَا مِنَ العُرُوجِ إِلى السَّمَاءِ، وَمِنَ النُّزُولِ إِلَى الأَرضِ، فَمِنهُم مَن لَـهُ جَنَاحَانِ، وَمِنهُم مَن لَهُ ثَلَاثَة أَجنِحَة، وَمِنهُم مَن لَهُ أَربَعَةُ أَجنِحَةٍ[4].

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٨/ ٩٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٨٨.

(٣) كنز الدقائق، المشهدي القمي: ١٠/ ٥٣٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٣١.

وَ: ﴿مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾ صِفَةٌ لِأَجنِحَةٍ، عَدِلَت عَن اثنَينِ اثنَينِ، وَثَلاثَةٍ ثَلاثَة، وَأَربَعَةٍ أَربَعَة[1].

وَمَعنَى العِدلِ: أَنَّكَ أَردتَ بِمَثنَى مَا أَردتَ بِاثنَينِ اثنَينِ، وَالأَصلُ: أَن تُرِيدَ بِالكَلِمَةِ مَعنَاهَا، دُونَ كَلِمَةٍ أُخرَى، وَالعِدلُ: أَن تَلفَّظَ بِكَلِمَةٍ مَا وَأَنتَ تُرِيدُ كَلِمَةً أُخرَى[2].

﴿يَزِيدُ فِي الْـخَلْقِ ما يَشاءُ﴾ أَي: يَزِيدُ في خَلقِ الأَجنِحَةِ، وَفي غَيرِ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ مِمَّا تَقتَضِيهِ حِكمَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ[3].

قَالَ ابن عبَّاس: رَأى رَسُولُ اللّـهِ صلى الله عليه وآله جبرَئيل لِيلَةَ المِعرَاجِ وَلَهُ سُتُّمائةِ أَلفِ جَنَاحٍ[4].

وَالآيَةُ مُطلَقَةٌ، تَتَنَاوَلُ كُلَّ زِيَادَةٍ في الخَلقِ؛ مِن طُولِ قَامَةٍ، وَاعتِدَالِ صُورَةٍ، وَقُوَّةٌ في البَطشِ، وَحَصَافَةٍ في العَقلِ... إِلى غَيرِ ذَلِكَ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ هُوَ الوَجهُ الحَسَن، وَالصَّوتُ الحَسَن، وَالشَّعرُ الحَسَن[5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٣١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١١٢.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٩٨.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤١٠.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٢٩٨.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (٣)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**﴾ هَذَا إِستِفهَامُ تَقرِيرٍ لَـهُم، وَمَعنَاهُ النَّفيُ؛ لِيُقِرُّوا بِأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، يَرزِقُ مِنَ السَّمَاءِ بِالـمَطَرِ، وَمِنَ الأَرضِ بِالنَّبَاتِ، وَفي جَوَازِ إِطلَاقِ لَفظِ الخَالِقِ علَى غَيرِهِ سُبحَانَهُ وَجهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَا تُطلَقُ هَذِهِ اللَّفظَةِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ؛ وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِهِ غَيرُهُ علَى جِهَةِ التَّقيِيدِ، وَإِن جَازَ إِطلَاقُ لَفظِ الصَّانِعِ وَالفَاعِلِ وَنَحوهُمَا علَى غَيرِه.

وَالآخَرُ: إِنَّ الـمَعنَى لَا خَالِقَ يَرزُقُ وَيَخْلُقُ الرِّزقَ إِلَّا الله تعَالَى شَأنُهُ[١].

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨)

الحَسرَةُ: شِدَّةُ الحُزنِ علَى مَا فَاتَ مِنَ الأَمرِ[٢].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٣٢.

(٢) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٥٦٥.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ ﴿١٠﴾

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً**﴾ تَقدِيرُهُ: مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ وَالغَلَبَةَ فَليَطلِبهَا عِندَ اللّهِ، فَوُضِعَ قَولُه: ﴿**فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً**﴾ مَوضِعَهُ؛ إستِغنَاءً بِه عَنهُ، لِدَلَالَتِه عَلَيهِ، فَإِنَّ الشَّيء لَا يُطلَبُ إِلَّا عِندَ صَاحِبِه وَمَالِكِه، وَمَعنَاهُ: العِزَّةُ كُلُّهَا مُختَصَّةٌ بِاللّهِ؛ عِزَّةُ الدُّنيَا وَعِزَّةُ الآخِرَة، فَمَن أَرَادَ العِزَّة فَليَتَعَزَّز بِطَاعَةِ اللّهِ سُبحَانَهُ[1].

وَيَدُلُّ عَلَيهِ مَا رَوَاهُ أَنَس بن مَالِك، عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ رَبَّكُم يَقُولُ كُلَّ يَومٍ: أَنَا العَزِيزُ، فَمَن أَرَادَ عِزَّ الدَّارَينِ فَليُطِعِ العَزِيزَ)[2].

﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ وَالكَلِمُ: جَمعُ كَلِمَةٍ، وكُلُّ جَمعٍ لَيسَ بَينَهُ وَبَينَ وَاحِدِهِ إِلَّا الهَاءَ جَازَ فِيهِ التَّذكِيرُ وَالتَّأنِيثُ، يَقُولُ: هَذَا كَلِمٌ وَهَذِهِ كَلِمٌ.

وَمعنَى الصُّعُودُ هُنَا: القَبُولُ، وَكُلُّ مَا يَتَقَبَّلُهُ تعَالَى مِنَ الطَّاعَاتِ يُوصَفُ بِالرَّفعِ وَالصُّعُودِ؛ لأَنَّ المَلَائكَةَ يَكتُبُونَ أَعمَالَ بَنِي آدَم، وَيرفَعُونَهَا إِلَى حَيثُ يشَاءُ اللهُ، كَمَا فِي قَولِه: ﴿**كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**﴾[3].

وَالكَلِمُ الطَّيِّبُ: تَمجِيدُ اللّهِ، وَتَقدِيسُهُ، وَتَحمِيدُهُ، وَأَطيَبُ الكَلِم قَولُ: لَا إِلَه إِلَّا الله[4].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١١٥.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي: ١٥/ ٧٨٤ح ٤٣١٠١، الدر المنثور، السيوطي: ٢/ ٢٣٤.

(٣) المطففين: ١٨.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١١٦.

﴿**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ يرفعُهُ؛ أَي: يَرفعُ الكَلِمَ الطَّيِّبَ إِلَى اللّـهِ سُبحَانَهُ، فَالهَاءُ ضَمِيرُ الكَلِمِ، وَقِيلَ: مَعناهُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفعُ الكَلِم الطَّيِّبِ؛ أَي: لَا يَنفَعُ العَمَلُ إِلَّا إِذَا صَدَرَ عَن التَّوحِيدِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ: وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفعُهُ اللهُ تعَالَى لِصَاحِبِهِ، فعَلَى الوَجهَينِ الآخِيرَينِ تَكُونُ الهَاء ضَمِيرُ العَمَلِ [١].

يُقَالُ: بَارَ الشَّيءُ يَبُورُ؛ أَي: يَكسِدُ وَيَفسِدُ[٢].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى**﴾ أَي: وَمَا تَحصَلُ مِنَ الإِنَاثِ حَامِلَةً وَلَدُهَا في بَطنِهَا، إِلَّا بِعِلمِ اللّـهِ تعَالَى، وَالـمَعنَى: إِلَّا وَهوَ عَالِمٌ بَذَلِكَ: ﴿**وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ**﴾ مَعنَاهُ: وَمَا يَمُدُّ في عُمرِ مُعَمَّرٍ؛ أَي: وَلَا يَطُولُ عُمرُ أَحدٍ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ مُعَمَّرًا بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيهِ [٣].

﴿**وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ**﴾ بِأَن يَذهَبَ بَعضُهُ بِمُضِيِّ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ: ﴿**إِلاَّ فِي كِتابٍ**﴾ مَحفُوظٍ أَثبَتَهُ اللهُ قَبلَ كَونِهِ، وَقِيلَ: مَعناهُ: لا يُطَوَّلُ عُمُرٌ ولاَ يُقَصَّرُ إِلَّا فِي كِتَابِ اللّـهِ، وَهوَ أَن يُكتَبَ فِي اللَّوحِ الـمَحفُوظِ: لَو أَطَاعَ اللهَ فُلَانٌ بَقِيَ إِلى وَقتِ كَذَا، وَإِذَا عَصَى نَقَصَ مِن عُمُرِهِ الَّذِي وُقِّتَ لَهُ، وَإِلَيهِ أَشَارَ رَسُولُ اللّـهِ صلى الله عليه وآله في قَولِهِ:

(إِنَّ الصَّدَقَةَ وَصِلَةَ الرَّحِمِ تُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ، وتُزِيدَانِ فِي الأَعمَارِ)[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٣٥.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ١٥٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٣٧.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١١٧.

﴿إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللّـهِ يَسيرٌ﴾ يَعنِي: تَعمِيرُ مَن يُعمِّرَهُ، وَنُقصَانُ مَن يُنقِصهُ، وَإِثبَاتُ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ سَهلٌ يَسِيرٌ، غَيرُ مُتَعَذِّرٍ عَلَى اللّـهِ العَزِيزِ القَادِرِ [١].

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾

الفُرَاتُ مِنَ المَاءِ: البَارِدُ الطَّيِّبُ [٢].

المَخرُ: هُوَ شَقُّ المَاءِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ، وَالمَخرُ أَيضاً: صَوتُ هُبُوبِ الرِّيحِ إِذَا اشتَدَّ هُبُوبُهَا، وَمَخرُ الأَرضِ: شَقُّهَا لِلزِرَاعَةِ [٣].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أَي: وَتَرَى أَيُّهَا الإِنسَانُ السُّفُنَ شَوَاقٍّ فِي البَحرِ، وَقَوَاطِعَ لِمَائِه، لِتَركَبُوهُ لِلتِجَارَةِ، وَتَطلِبُوا مِن فَضلِ اللّـهِ، وَلِكَي تَشكُرُوا اللهَ عَلَى نِعَمِه، لِيَزِيدَكُم مِنهَا [٤].

وَالهَاءُ فِي: ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ تَعُودُ إِلى اللّـهِ، وَإِن لَم يَجرِ لَهُ ذِكرٌ فِي الآيَةِ، وَلَكِن فِيمَا قَبلُهَا، وَلَو لَم يَجرِ ذِكرٌ فَلَم يَشكُل لِدَلَالَةِ المَعنَى عَلَيهِ، وَحَرفُ الرَّجَاءِ مُستَعَارٌ لِمَعنَى الإِرَادَةِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: لِتَبتَغُوا وَلِتَشكُرُوا [٥].

وَيُحتَمَلُ غَيرِ طَرِيقَةِ الإِستِطرَادِ؛ وَهوَ: أَن يُشَبَّهَ الجِنسَينِ بِالبَحرَينِ، وَيُفَضِّلُ البَحرَ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤١٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٠٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٠٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٤٦.

(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٥/ ٤٧٢.

الأُجَاجَ عَلَى الكَافِرِ، بِأَنَّهُ قَد شَارَكَ العَذبَ في مَنَافِعٍ مِنَ السَّمَكِ وَاللُّؤلُّؤ، وَجَرِي الفُلكِ فِيهِ، وَالكَافِرُ خَالٍ مِنَ النَّفعِ[1].

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٧)

العَزِيزُ: المُمتَنِعُ[2] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ**﴾ أَي: مُمتَنِعٌ، بَل هُوَ هَيِّنٌ يَسِيرٌ[3].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (١٨)

المُثقَلَةُ: مَا ثُقِّلَ عَلَيهِ بِالحِملِ مِنَ الدَّوَابِّ، قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: يَقُولُ الأَبُ وَالأُمُّ: يَا بُنَي، إِحمَل عِنِّي، فَيَقُولُ: حَسبِي مَا عَلَيَّ[4].

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ (٢٠) وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ (٢١)

الحَـرُورُ: فَعُولٌ مِنَ الحَرِّ، غَلَبَ عَلَى السَّمُومِ، وَقِيلَ: السَّمُومُ مَا يَهِبُّ نَهَارَاً، وَالحَرُورُ: مَا تَهُبُّ لَيلَاً[5].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿**وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ * وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْـحَرُورُ**﴾ أَي: وَلَا الشِّرك،

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٣٠٤.

(٢) تفسير السلمي: ٢/ ٣٣٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢/ ٥٤٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٣٩.

(٥) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤١٧.

وَلَا الإِيمَان، وَلَا الجَنَّة، وَلَا النَّار، وَلَا لِتَأْكِيدِ نَفِي الإِستِوَاءِ، وَتَكرِيرُهَا عَلَى الشِّقَّينِ لِمَزِيدِ التَّأْكِيدِ[١].

وَقِيلَ: مَثَلٌ لِلكَافِرِ وَالمُؤمِنِ، وَقِيلَ: لِلعُلَمَاءِ وَالجُهَّالِ[٢].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾ حَالٌ مِن أَحَدِ الضَّمِيرَينِ: يَعنِي مُحِقّاً أَو مُحِقَّينِ، أَو صِفَةً لِلمَصدَرِ؛ أَي: إِرسَالاً مَصحُوباً بِالحَقِّ، أَو: صِلَةٌ لِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ، عَلَى تَقدِيرِ: بَشِيراً بِالوَعدِ الحَقِّ وَنَذِيراً بِالوَعِيدِ الحَقِّ[٣].

وَاعلَم: إِنَّ النَّذَارَةَ لَمَّا كَانَت مَقرُونَةً بِالبِشَارَةِ دَلَّت إِحدَاهُمَا عَلَى الأُخرَى، لَا سِيَّمَا قَد اشتَمَلَت الآيَةُ عَلَى ذِكرِهِمَا[٤].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٤١٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٤٠.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٣٠٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ١٢٠.



الفصل الخامس والثلاثون

سورة الزُّمر



سورة الزُّمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

قَوْلُهُ: ﴿**يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ**﴾ أَي: يَا نَدَامَتِي عَلَى مَا ضَيَّعتُ مِن ثَوَابِ اللّهِ[1].

وَقِيلَ: بِمَا قَصَّرتُ[2].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾

صَعِقَ: مَاتَ[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٤١٠، عن ابن عباس.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ٩٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (صعق) ١٠/ ١٩٨.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

الإِشرَاقُ: الإِضَاءَةُ[1].

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾

حَفَّ حَولَ البَيتِ: طَافَ بِهِ[2].

---

(١) فتح القدير، الشوكاني: ٤/ ٤٧٦.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٣١.



الفصل السادس والثلاثون

سورة غافر



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٣)

التَّوبُ: وَالتَّوبُ وَالأَوبُ أَخَوَاتٌ في مَعنَى الرُّجُوعِ(١).

الطَّولُ: الإِنعَامُ الَّذِي يَطُولُ لَبثُهُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَطَالَ عَلَيهِ، وَتَطَوَّلَ؛ أَي: تَفَضَّلَ، وَذِي الطَّولِ: ذِي النِّعمَةِ دِيناً وَدُنياً، يُقَالُ: تَحَزَّبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالتَّكذِيبِ(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (١٠)

الـمَقتُ: أَشَدُّ العَدَاوَةِ وَالبُغضِ(٣).

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٣٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٣٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤٣٥.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾

﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ أَي: الدَّانِيَةُ؛ لأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ، يُقَالُ أَزَفَ الأَمرُ؛ إِذَا دَنَا، وَقِيلَ: مَعنَاهُ يومَ دُنُوِّ الْمُجَازَاةِ[١].

الحناجر جمع حنجرة[٢].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ ﴿٢١﴾

الوَاقِي: الدَّافِعُ[٣].

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ﴿٣٢﴾

يَومُ التَّنَاد: القِيامَةُ أَيضاً[٤].

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ ﴿٣٤﴾

الْمُرتَابُ: الشَّاكُّ[٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٤٣٣.
(٢) وهي: الحلق، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٣٢٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٤.
(٤) تفسير البيضاوي: ٥/ ٩٢.
(٥) المصباح المنير، الفيومي، مادة (ريب) ١/ ٢٧٤.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٣٦﴾

يُقَالُ: صَرَحَ الشَّيءُ إِذَا ظَهَرَ، وَالصَّرحُ: البِنَاءُ الظَّاهِرُ المَكشُوفُ الَّذِي لَا يَخفَى عَلَى النَّاظِرِ وَإِن بَعُدَ[١].

﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ ﴿٣٧﴾

التَّبَابُ: البُطلَانُ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ﴿٤٣﴾

يُقَالُ: لَا جَرَمَ؛ أَي: لَا رَدَّ لِمَا أَدعُوهُ إِلَيهِ، وَجَرَمَ: فِعلٌ بِمَعنَى حَقَّ[٢].

المَرَدُّ: المَرجِعُ[٣].

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٥﴾

يُقَالُ: حَاقَ بِهِ الشَّيء؛ أَي: أَحَاطَ[٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٥٤.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣/ ٤٢٩.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (ردد) ٢/ ٤٧٣.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٢٣.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾

الأَشهَادُ: جَمعُ شَاهِدٍ[١].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ**﴾ الدَّاخِرُ: الصَّاغِرُ[٢].

الدَّلِيلُ: رُوِي عن مُعَاوِيَة بن عَمَّارٍ[٣] أَنَّهُ قَالَ: قُلتُ لِأَبِي عَبدِ اللّٰهِ عليه السلام أَنَّهُ: سُئِلَ عَن رَجُلَينِ دَخَلَا فِي المسجِدِ فِي وَقتٍ وَاحِدٍ، وَافتَتَحَا الصَّلَاةَ فِي وَقتٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ دُعَاءُ أَحَدِهِمَا أَكثَر، وَكَانَ قُرآنُ الآخَرِ أَكثَر، أَيُّهُمَا أَفضَلُ؟ قَالَ: (كُلٌّ فِيهِ فَضلٌ، وَكُلٌّ حَسَنٌ).

قِيلَ: قَد عَلِمنَا ذَلِكَ، وَلَكِنَّا أَرَدنَا أَن نَعلَمَ أَيُّهُمَا أَفضَلُ؟ قَالَ:(الدُّعَاءُ أَفضَلُ؛ أَمَا سَمِعتَ قَولَ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ**﴾ هِي وَاللّٰهِ أَفضَلُ، هِي وَاللّٰهِ أَفضَلُ، هِي وَاللّٰهِ أَفضَلُ، أَلَيسَت هِي العِبَادَةَ، هِي وَاللّٰهِ العِبَادَةُ، هِي وَاللّٰهِ العِبَادَةُ، هِي وَاللّٰهِ العِبَادَةُ، أَلَيسَت هِي أَشَدُّ، هِي وَاللّٰهِ أَشَدُّ، هِي وَاللّٰهِ أَشَدُّ، هِي وَاللّٰهِ أَشَدُّ)[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٤٤٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٤٨٨.

(٣) معاوية بن عمار بن خباب بن عبد الله الدهني، كوفي من بجيلة، وجه في الأصحاب، ثقة، مقدم، وجه، روى عن الامام الصادق والكاظم عليهما السلام له كتب، توفي سنة ٢٧٥هـ، ينظر ترجمته في: رجال النجاشي: ٤١١، رجال الطوسي: ٣٠٣، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٢٧٣.

(٤) دعائم الأسلام، النعماني: ١/ ١٦٦، عنه جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ٥/ ١٧٣ح٢٠٠.

وَرُوِي عَن البَاقِرِ عليه السلام في هَذِه الآيَةِ، قَالَ:(هُوَ الدُّعَاءُ)[١].

وَسُئِلَ عليه السلام أَيُّ العِبَادَةِ أَفضَلُ؟ فَقَالَ عليه السلام:(مَا شَيءٌ أَحَبُّ إِلَى اللّهِ مِن أَن يُسأَلَ وَيُطلَبَ مَا عِندَهُ، وَمَا أَحَدٌ أَبغَضُ إِلى اللّهِ مِمَّن يَستَكبِرُ عَن عِبَادَتِه، وَلَا يَسأَلُهُ مَا عِندَهُ)[٢].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)

الأَشُدُّ: حَالَ إِستِكمَالِ القُوَّةِ[٣].

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١)

السَّحبُ: جَرُّ الشَّيءِ عَلَى الأَرضِ، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**يُسْحَبُونَ**﴾ أَي: يُجَرُّونَ[٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٥٠.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٦٦ح ٢، عنه وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٧/ ٣٠ح ٨٦٢٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٤٥٤.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٥٩.

﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾

الإِسجَارُ: الإِحرَاقُ.

يُقَالُ: سَجَرَ التَّنُورُ؛ إِذَا مَلَأَهُ بِالوَقُودِ، وَمِنهُ قَولُهُ: ﴿**يُسْجَرُونَ**﴾أي: يُحَرَّقُونَ[١].

﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ﴿٧٥﴾

الـمَرَحُ: شِدَّةُ الفَرَحِ[٢].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾ أَي: تَتَوَسَّعُونَ فِي الفَرَحِ[٣].

وَأعلَم: أَنَّ الـمَرَح لَا يَكُونُ إِلَّا بَاطِلاً[٤].

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٨٣﴾

حَاقَ بِهِ: نَزَلَ[٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣/ ٤٣٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب: ٤٦٥.

(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٠١.

(٤) مقتنيات الدرر، الحائري: ٩/ ٢٧٧.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادة (حوق) ١٠/ ٧١.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾

الإِصرُ: العِبء الَّذِي يَأْصِرُ حَامِلَهُ؛ أَي: يَحبِسَهُ مَكَانَهُ، لَا يَستَقِلُّ بِهِ لِثِقَلِهِ، وَفِي الآيَةِ مُستَعَارٌ لِلتَكلِيفِ الشَّاقِّ[1].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٦١.



الفصل السابع والثلاثون

سوة فصلت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (١٣)

الصَّاعِقَةُ: المُهلِكَةُ مِن كُلِّ شَيءٍ[1] وَفِي العُرفِ إِسمٌ لِلنَّارِ الَّتي تَنزِلُ مِنَ السَّماءِ فَتَحرِقُ[2].

قِيلَ: إِنَّ قَومَ عَادٍ أَنَّ الرَّجُل مِنهُم يَنزِعُ الصَخرَةَ فَيَقلَعُهَا بِيَدِهِ، مِنَ القُوَّةِ الَّتي فِيهِ[3].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (١٦)

يُقَالُ: تَصَرصَرَ؛ أَي: تَصَوَّتَ، وَالصَّرَّةُ الصَّيحَةُ، وَرِيحٌ صَرصَرٌ؛ أَي: عَاصِفَة.

وَقِيلَ: بَارِدَةٌ، تَحرِقُ بِبَردِهَا، مِنَ الصَّرِّ، وَهوَ البَردُ الَّذِي يَصِرُّ؛ أَي: يَجمَعُ وَيَقبِضُ[4].

النَّحِسَاتُ: النَّكِدَاتُ المَشؤومَاتُ، وَذَاتُ نُحُوسٍ، جَمعُ: نَحِسَةٍ، مِن نَحِسَ

---

(١) معالم التنزيل، البغوي: ٤/ ١٠٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١١.

(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ٤٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٦٣.

نَحساً، نَقِيضُ: سَعِدَ سَعداً[١] وَالنَّحسُ: سَبَبُ الشَّرِّ، وَالسَّعدُ: سَبَبُ الخَيرِ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَت: سُعُودُ النُجُومِ وَنُحُوسُهَا[٢].

وَقِيلَ: نَحِسَاتٌ؛ أَي: ذَوَاتُ غُبَارٍ وَتُرَابٍ، حَتَّى لَا يَكَادُ يُبصِرُ بَعضُهُم بَعضَاً[٣].

وَقِيلَ: نَحِسَاتٌ؛ أَي: بَارِدَاتٌ، وَالعَرَبُ تُسَمِّي البَردَ: نَحسَاً[٤].

وَقِيلَ: كَانَ عَذَاب قَومَ عَادٍ وَثَمُود آخِرَ شَوَّالٍ مِنَ الأَربِعَاءِ إِلَى يَومِ الأَربِعَاءِ، وَمَا عُذِّبَ قَومٍ إِلَّا فِي يَومِ الأَربِعَاءِ[٥].

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٧﴾

الهُونُ: الهَوَانُ، وَقَد يُوصَفُ بِالعَذَابِ مُبَالَغَةٌ[٦].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٥/ ١١١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٤، عن مجاهد وقتادة والسدي.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٤، عن الجبائي.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٤، عن أبي مسلم.

(٥) تفسير البيضاوي: ٥/ ١١١.

(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٥٠.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿١٩﴾

الوَزِعُ: الحَبسُ[١].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أَي: يُحبَسُ أَوَّلـهُم عَلَى آخِرِهِم؛ يَعنِي: يَستَوقِفُ سَوَابِقَهُم حَتَّى تُدرِكَهُم لَوَاحِقَهُم[٢].

﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا﴾ أَي: حَضَرُوا النَّارَ الَّتِي حُشِرُوا إِلَيهَا[٣] و: ﴿مَا﴾ زَائِدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢١﴾

الجِلدُ: العُضو، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا﴾ أَي: الأَعضَاءُ: ﴿أَنْطَقَنَا اللهُ﴾[٤].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (وزع) ٣/ ١٢٩٧.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٥٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٧.

﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾

الإِردَاءُ: الإِهلَاكُ[١].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ ذَلِكُم: إِشَارَةٌ إِلَى ظَنِّهُم هَذَا، وَهوَ مُبتَدَأ، وَظَنُّكُم خَبرٌ، وَأَردَاكُم خَبرٌ ثَانٍ[٢].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ: ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بَدَلَاً مِن: ﴿ذلِكُمْ﴾ وَ: ﴿أَرْداكُمْ﴾ الخَبَرُ[٣].

وَ: ﴿ظَنُّكُمُ الَّذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ أَنَّه لَا يَعلَمُ كَثِيرَاً مِمَّا تَعمَلُونَ أَهلَكَكُم إِذ هَوَّنَ عَلَيكُم أَمرَ المَعَاصِي، وَأَدَّى بِكُم إِلى الكُفرِ: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرينَ﴾[٤].

﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾

الثَّوَاءُ: المَكثُ؛ أَي: التَّوَقُّف، وَمِنهُ: المَثوَى[٥].

الإِستِعتَابُ: طَلَبُ الرِّضَا[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٧١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٧.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٦٤.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٧.
(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب: ٨٤.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٢٠.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

التَّقييِّضُ في الأَصلِ: التَّبدِيلُ، وَمِنهُ المُقَايَضَةُ؛ وَهي: مُبَادَلَةُ مَالٍ بِمَالٍ[١].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء﴾ أي: وَقَدَّرنَا لَهُم إِخوَانَاً مِنَ الشَّيَاطِينَ؛ أَي: بَدَّلنَاهُم قُرَنَاءَ سُوءٍ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ مَكَانَ قُرَنَاءِ الصِّدقِ[٢].

﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾ أَي: مَا تَقَدَّمَ مِن أَعمَالِهِم، وَمَا هُم عَازِمُونَ عَلَيهَا، وَمَا بينَ أَيدِيهُم مِن أَمرِ الدُّنيَا، وَمَا خَلفَهُم مِنَ العُقبَى الَّتِي يُنكِرُونَهَا[٣].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

إِلغَاءُ الكَلِمَةِ: إِسقَاطُ عَمَلِهَا[٤].

يُقَالُ: لَغِي يَلغَي، وَلَغَى يَلغُو لَغوَاً؛ أَي: اشتَغَلُوا عِندَ قِرَاءَتِهِ بِرَفعِ الأَصوَاتِ بِالخُرَافَاتِ وَبِالزَّجرِ وَالهَذَيَانِ، حَتَّى تُشَوِّشُوا عَلَيهِ قَرَاءَتَهُ لِتَغلِبُوهُ بِذَلِكَ[٥].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿الْغَوْا فيهِ﴾ يَعنِي: عَارِضُوهُ بِاللَّغوِ وَالبَاطِلِ الَّذِي لَا يُعتَدُّ بِهِ، وَلَا يُستَفَادُ مِنهُ مَعنَىً[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٨.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ٢/ ٢٤٠.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٢٢.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٢٦.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٩.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾

رَوى مُحمَّد بن الفُضيل[١] قَالَ: سَأَلتُ أَبَا الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنِ الإِسْتِقَامَةِ؟ فَقَالَ:(هِيَ وَاللّهِ مَا أَنتُم عَلَيهِ)[٢]

أَي: مِنَ الطَّرِيقَةِ وَالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ يَعنِي: عِندَ المَوتِ بِالبُشرَى، أَو عِندَ الخُرُوجِ مِنَ القُبُورِ، أَو في يَومِ القِيَامَةِ[٣] وَقِيلَ: إِنَّ البُشرَى في كُلٍّ مِنهَا[٤].

وَ: ﴿إِنَّ﴾ مَصدَرِيَّةٌ، أَو مُفَسِّرَةٌ، أَو مُخَفَّفَةٌ مُقَدَّرَةٌ بِالبَاءِ، وَأَصلُهُ: بِأَنَّهُ لَا تَخَافُوا، وَ: (الهاء) ضَمِيرُ الشَّأنِ[٥].

وَالخَوفُ: غَمٌّ يَلحَقُ لِتَوَقُّعِ المَكرُوهِ.

وَالحُزنُ: غَمٌّ يَلحَقُ لِوُقُوعِهِ مِن فَوتِ نَفعٍ، أَو حُصُولِ ضُارٍّ، وَالمَعنَى: إِنَّ اللهَ كَتَبَ لَكُمُ الأَمَانَ مِن كُلِّ غَمٍّ[٦].

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أَي: في الدُّنيَا عَلَى أَلسِنَةِ الأَنبِيَاءِ[٧].

---

(١) ابن كثير، الأزدي الصيرفي، أبو جعفر الأزرق، روى عن الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام له كتاب ومسائل، ينظر: رجال النجاشي: ٣٦٧، فهرست الطوسي: ٢٢٥، رجال ابن داود: ١٨٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢١، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٢٤/ ٢٨.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٥٣.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٢٤.

(٥) تفسير البيضاوي: ٥/ ١١٥.

(٦) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣/ ٤٥٣.

(٧) الكشف والبيان، الثعلبي: ٩/ ١٠٤.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (٣١)

ثُمَّ تَقُولُ لَهُم المَلَائِكَةُ: ﴿**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ أَي: يُلهِمكُم الحَقَّ، بَدَلَ مَا تَقُولُ الشَّيَاطِينُ بِالكُفرِ، وَيَحمِلكُم عَلَى الخَيرَاتِ مِن قِبَلِ اللّهِ تَعَالَى.

﴿**لَكُمْ فيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ**﴾ أَي: مِنَ اللَّذَائِذِ.

﴿**وَلَكُمْ فيها ما تَدَّعُونَ**﴾ أَي: تَتَمَنَّونَ مِنَ الدُّعَاءِ، بِمَعنَى الطَّلَب؛ وَهوَ أَعَمُّ مِنَ الأَوَّلِ[1].

﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (٣٢)

﴿**نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾ أَي: هَذِهِ المُشتَهَيَاتُ وَالمُتَمَنيَاتُ الَّتِي أَنَالَتهُم إِليهَا المَلَائِكَةُ[2].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**نُزُلاً**﴾ النُّزُلُ: رِزقُ التَّنزِيلِ؛ وَهوَ: الضَّيفُ، وَانتَصَبَ عَلى الحَالِ مِمَّا تَدَّعُونَ لِلإِشعَارِ بِأَنَّ مَا يَتَمَنَّونَ بِالنِّسبَةِ إِلَى مَا يُعطَونَ مِمَّا لَا يَخطُرُ بِبَالِهِم، كَالنُّزُلِ لِلضَّيفِ مِمَّن يَغفِرُ الذُّنُوبَ، وَيَستُرُ العُيُوبَ، رَحمَةً مِنهُ لِعِبَادِهِ[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٢٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٢.
(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ١١٥.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللّهِ﴾ وَهوَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وَالأَئمَّة عليهم السلام الدُّعَاةُ إِلَى الحَقِّ، القَائمُونَ مَقَامَهُ، وَقِيلَ: هُمُ المُؤَذِّنُونَ[١].

وَالمُرَادُ بِالآيَةِ: النَّفيُ، وَإِن كَانَ بِصُورَةِ الإِستِفهَامِ، وَالتَّقدِيرُ: لَيسَ أَحَدٌ أَحسَنَ قَولاً مِمَّن دَعَا إِلَى طَاعَةِ اللّهِ وَعَمِلَ؛ أَي: عَمَلاً صَالِحاً.

﴿وَقالَ إِنَّني مِنَ الْمُسْلِمينَ﴾ أَي: المُنقَادِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالمُستَسلِمِينَ لِأَمرِهِ تَعَالَى تَفَاخُرَاً بِهِ، وَاتِخَاذَاً لِلإِسلَامِ دِيناً وَمَذهَباً، مِن قَولِهِم: هَذَا قَولُ فُلَانٍ لِمَذهَبِهِ، وَالآيَةُ لِكُلِّ مَن فَيهِ تِلكَ الصِّفَاتِ؛ مُوَحِداً، مُعتَقِدَاً لِلحَقِّ، عَامِلاً بِالخَيرِ[٢].

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ﴾ أَي: تَتَفَاوَتُ[٣] وَلَا الثَّانِيَةُ مَزِيدَةٌ لِتَأكِيدِ النَّفيِ[٤].

الحميم: الأقرباء في النسب[٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٦٨.
(٢) تفسير البيضاوي: ٥/ ١١٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٣.
(٤) تفسير البيضاوي: ٥/ ١١٥.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٣.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾

النَّزْغُ: الإِزعَاجُ بالإِغوَاءِ[١] وقيل: الفسادُ[٢]

وقوله تعالى: **﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** أَي: إِن صَرَفَكَ الشَّيطَانُ بِالوَسوَسَةِ عَمَّا وَصَيّتَ بِهِ، فَاستَعِذ بِاللّهِ مِن شَرِّهِ، وَلَا تُطِعهُ: **﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** لاستِعَاذَتِكَ، العَلِيمُ بِحَالِكَ وَنِيَّتُكَ[٣].

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾

السَّآمَةُ: الـمَلَالُ[٤] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ أَي: لَا يَمِلُّونَ[٥].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾

الإِهتِزَازُ: التَّحَرُّكُ[٦].

الرَّبُو: الإِنتِفَاخُ عِندَ الخَصبِ، وَتَزَيِّنُ النَّبَاتِ[٧].

وَقَولُهُ تَعَالَى: **﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾** أَي: تَحَرَّكَت بِالنَّبَاتِ وَانتَفَخَت وَارتَفَعَت.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٦٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤١٤.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٦٨، زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ١٨٣.

(٤) تفسير الرازي: ٧/ ١٢٤.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٥.

(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب: ٥٤٢.

(٧) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٦.

وقِيلَ: قَبلَ أَن تُنبِتُ.

وَقِيلَ: ﴿اهْتَزَّتْ﴾ بِالنَّبَاتِ، وَ: ﴿وَرَبَتْ﴾ بِكَثْرَةِ رَيعِهَا[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤٠)

يُقَالُ: لَحَدَ الحَافِرُ، وَأَلحَدَ؛ إِذَا مَالَ عَن الإِستِقَامَةِ، فَحَفَرَ فِي شِقٍّ[٢].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ فَاستُعِيرَ الإِنحِرَافُ فِي تَأوِيلِ آيَاتِ القُرآنِ عَن جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالإِستِقَامَةِ بِالطَّعنِ وَالتَّحرِيفِ وَالتَّأوِيلِ البَاطِلِ[٣].

﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ خَيرٌ أَيُّهَا المَلَاحِدَةُ: ﴿أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ وَهَذِهِ الجُملَةُ لَفظُهَا لَفظُ الأَمرِ، وَمَعنَاهَا الوَعِيدُ وَالتَّهدِيدُ، أَي: إِذَا عَلِمتُم أَنَّ الإِيمَانَ وَالكُفرَ غَيرُ مُستَوِيَانِ فَليَختَر كُلُّ وَاحِدٍ مِنكُم مَا شَاءَ لِنَفسِهِ: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٦.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٠.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٥٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٦.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤)

﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً**﴾ أَي: لَو جَعلنَا هَذَا الكِتَابَ الَّذِي تَقرَأهُ عَلَى النَّاسِ أَعجَمِيَّاً بِغَيرِ لُغَةِ العَرَبِ، وَسَمُّوا مَن لَم يَتَبَيَّن كَلَامُهُ مِن أَيِّ صِنفٍ مِنَ النَّاسِ: أَعَجَمَيٌّ[1].

﴿**لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ**﴾ أَي: هَلَّا بَيَّنَت بِلِسَانِ العَربِ، حَتَّى نَفقَهَهُ: ﴿**أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾ أَي: قُرآنٌ أَعجَمِيٌّ وَرَسُولٌ عَرَبِيٌّ، وَالهَمزَةُ لِلإِنكَارِ عَلَى تَنَافِي حَالَتَي الكِتَابِ وَالـمَكتُوبِ إِلَيهِ، لَا عَلَى أَنَّ الـمَكتُوبَ إِلَيهِ وَاحِدٌ أَو جَمَاعَةٌ[2].

﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى**﴾ أَي: إِرشَادٌ إِلَى الحَقِّ: ﴿**وَشِفَاء**﴾ لِمَا فِي صُدُورَهُم وَأَبدَانَهُم مِنَ الشُّكُوكِ وَالأَمرَاضِ وَالعِلَلِ وَالأَسقَامِ[3].

﴿**وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ**﴾ أَي: ثِقلٌ وَصَمَمٌ عَن سَمَاعِه، فَلَا يَنتَفِعُونَ بِهِ فَكَأَنَّهُم صُمٌّ عَنهُ[4].

وَقَولُهُ: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ**﴾ لأَنَّ فِيهِ عَطفاً عَلَى عَامِلَين، وَأَجَازَهُ الأَخفَشُ، وَإِن جَعَلتَهُ مُبتَدَأً فَالخَبَرُ هُوَ: ﴿**فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ**﴾ عَمَّا حُذِفَ هُوَ، أَو: ﴿**فِي آذَانِهِمْ**﴾ منه ﴿**وَقْرٌ**﴾[5].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٠، معالم التنزيل، البغوي: ٤/ ١١٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧١.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٥٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٣٠.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣٤٥.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ لأَنَّهُم لَمَّا أَضَلُّوا عنهُ، وَأَعرَضُوا عَن تَدبُّرِه، فَكَأَنَّهُ عَمِي لَـهُم[١].

﴿أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ﴾ أَيك يُصَاحُونَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَهو مَثَلٌ لَـهُم في عَدَمِ قَبُولـهم واستِماعَهُم لَـهُم كَمَنَ يُصَاحُ بِهِ مِن مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ[٢].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾

الرِّيبَةُ: الشَّكُّ[٣].

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ ﴿٤٧﴾

الكِمُّ: بِكَسرِ الكَافِ، وَاحِدَة الأَكْمامِ بِسُكُونِهَا؛ وَهوَ: وعَاءُ الثَّمَرَةِ[٤].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أَي: مِن أَوعِيَتِهَا وَغُلُفِهَا[٥].

الحُبَالَى: جَمعُ حُبلَى[٦].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٣٠.
(٢) تفسير الرازي: ٢٧/ ١٣٤.
(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (ريب) ١/ ١٤١.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٣٢.
(٦) لسان العرب، ابن منظور، مادة (حبل) ١١/ ١٣٩.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ (٤٨)

الـمَحِيصُ: الـمَهرَبُ[١].

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (٤٩)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**لا يَسْأَمُ الْإِنسانُ مِنْ دُعاءِ الْـخَيْرِ**﴾ أَي: لَا يَمِلُّ مِن طَلَبِ السَّعَةِ فِي الـمَالِ وَالصِّحَّةِ[٢].

﴿**وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ**﴾ أَي: البَلَاءُ وَالشِّدَّةُ ﴿**فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ**﴾ أَي: فَهوَ شَدِيدُ اليَأسِ، وَهَذِهِ صِفَةُ الكَافِرِ، بِدَلِيلِ قَولِه: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُون**﴾[٣] فَمَن كَانَ شَدِيدُ اليَأسِ مِنَ الخَيرِ، مَقطُوعُ الرَّجَاءِ مِن فَضلِ اللّهِ وَرَوحِهِ تَعَالَى، فَهوَ كَافِرٌ بِوُجُودِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِيهِ[٤] وَقِيلَ: يَؤوُسٌ مِن إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، سَيِء الظَّنِّ بِرَبِّهِ[٥].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٨٨، بحار الأنوار، المجلسي: ٤٨/ ١٣٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٣٦.

(٣) يوسف: ٨٧.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٣٢.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٠)

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً﴾ أَي: خَيرٌ وَعَافِيَةٌ وَغِنَىً: **﴿مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾** أَي: هَذَا حَقِّي، وَأَنَا مُستَوجِبٌ لَهُ: **﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾** أَي: كَائنةٌ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْمُسلِمُونَ[١].

﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى﴾ أَي: لَستُ عَلَى يَقِينٍ مِنَ البَعثِ وَالنُّشُورِ، فَإِن كَانَ الأَمرُ كَذَلِكَ، أَي: رُدِدتُّ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ الحَالَةِ الحُسنَى وَالـمَنزِلَة، أَي: سَيُعطِينِي الجَنَّةَ، كَمَا أَعطَانِي فِي الدُّنيَا[٢].

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا﴾ أَي: لَنَجزِيَنَّهُم يَومَ القِيَامَةِ حَقِيقَةَ أَعمَالِهِم، وَلَنُبَصِّرَنَّهُم عَكسَ مَا اعتَقَدُوا فِيهَا: **﴿وَلَنُذيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَليظ﴾** أَي: شَدِيدٌ مُتَرَاكِمٌ لَا يُمكِنُهَم التَّفَصِّي عَنهُ[٣].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٣٢.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ١٩٢.

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ ﴿٥١﴾

﴿**وإذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإنْسانِ أَعْرَضَ**﴾ عَن الشُّكرِ: ﴿**وَنَأى بِجانِبِهِ**﴾ أي: بَعُدَ بِجَانِبِهِ تَكَبُّرًا[١] وَالنَّأْيُ: البُعدُ وَالتَّحَوُّلُ مِن مَكَانٍ إِلَى آخر[٢].

﴿**وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ**﴾ أَي: كَثِيرٌ عِندَ ذَلِكَ إِلتِجَاؤهُ، وَالعَرِيضُ: مُستَعَارٌ لِكَثرَةِ الدُّعَاءِ وَدوَامُهُ، كَمَا استعَارَ الغِلَظ لِشِدَّةِ العَذَابِ[٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ**﴾ وَلَم يَقُل: طَوِيلٌ؛ لأَنَّهُ أَبلَغُ، فَإِنَّ العَرضَ يَدُلُّ عَلَى الطُّولِ دُونَ العَكسِ، وَقَد يَصِحُّ طَوِيلٌ وَلَا عَرضَ لَهُ، وَلَا يَصِحُّ عَرضٌ وَلَا طُولَ لَهُ؛ لأَنَّ العَرضَ الإِنبِسَاطُ فِي خِلَافِ جِهَةِ الطُّولِ، وَالطُّولُ الإِمتِدَادُ فِي أَيِّ جِهَةٍ كَانَ[٤].

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ ﴿٥٢﴾

الشِّقَاقُ وَالْمُشَاقَّةُ: الـمَيلُ إِلَى شِقِّ العَدَاوَةِ[٥].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ**﴾ أَي: القُرآنُ مِن عِندِ اللّهِ: ﴿**ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ**﴾ وَجَحَدتُمُوهُ مِن غَيرِ نَظَرٍ وَاتِّبَاعِ دَلِيل: ﴿**مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ**﴾ أَي: هُوَ أَضَلُّ مِنكُم، وَأَنتُم بَلَغتُمُ الغَايَةَ فِي الْمُشَاقَّةِ وَالْمُنَاصَبَةِ، فَوَضعَ ﴿**مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ**﴾ فِي مَوضِعِ مِنكُم بَيَانًا لِصِفَتِهِم[٦].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٣٣.
(٢) تفسير الرازي: ٢١/ ٣٥.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٣.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٣٨.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٣٣.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٤.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣)

﴿**سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ سَنُريهم آيَاتِنَا في نُصرَةِ رَسُولِنَا **مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله في آفَاقِ الدُّنيَا؛ مِنَ الفُتُوحَاتِ، وَمِن الإظهَارِ عَلَى الأَكَاسِرَةِ وَالمُلُوكِ، وَتَغلِيبِ العَدَدِ القَلِيلِ عَلَى الكَثِيرِ وَسَائِرِ الأَيَادِي: ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَـهُمْ أَنَّهُ**﴾ أَي: إِنَّ اللهَ أَو القُرآن، أَو الرَّسُول: ﴿**الْـحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ**﴾[1].

وَقَولُهُ: ﴿**بِرَبِّكَ**﴾ مَرفُوعُ الـمَوضِعُ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلُ كَفَى، وَالبَاءُ مَزِيدَةٌ لِلتَأكِيدِ، وَلَا تَكَادُ تُزَادُ فِي الفَاعِلِ إِلَّا مَعَ كَفَى، وَ: ﴿**أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ**﴾ بَدَلٌ مِنهُ، تَقدِيرُهُ: أَوَ لَم يَكفِهِم أَنَّ رَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ[2].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٤.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٥٨.



الفصل الثامن والثلاثون

سورة الشورى



سورة الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:(مَن قَرَأَ حمعسق بَعَثَهُ اللهُ يومَ القِيامَةِ ووَجهُهُ كَالثَّلجِ، أَو كَالشَّمسِ، حَتَّى يَقِفَ بَينَ يَدَي اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: عَبدِي، أَدمتَ قِرَاءَةَ حمعسق، ولَم تَدرِ مَا ثَوَابُهَا، أَمَا لَو دَرَيتَ مَا هِيَ، وَمَا ثَوَابُهَا لَمَا طِلتَ قِرَاءَتَهَا، وَلَكِن سَأُجِيزُكَ جَزَاءَكَ، أَدخِلُوهُ الجَنَّةَ، وَلَهُ فِيهَا قَصرٌ مِن يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، أَبوَابُهَا وَشُرَفُهَا وَدَرَجُهَا مِنهَا، يُرَى ظَاهِرُهَا مِن بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِن ظَاهِرِهَا، وَأَلفُ غُلَامٍ مِنَ الوِلدَانِ الْـمُخَلَّدِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ)[1].

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥﴾

التَّفَطُّرُ: التَّشَقُّقُ[2].

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١١٣.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٨/ ٨٢.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿٧﴾

يُقَالُ: يومُ الجمعِ؛ وَهوَ: يومُ القِيامَةِ، لاجتِماعِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرينَ فِيهِ[١].

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾

يُقَالُ: ذرَءه؛ أي كَثَّرَهُ[٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**يَذْرَؤُكُمْ فيهِ**﴾ أَي: يُكَثِّرُكُم فِي هَذَا التَّدبِيرِ؛ وَهوَ أَن جَعَلَ بَينَ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ مِمَّا خَلَقَهُ التَّوَالِدِ وَالتَّنَاسُلِ مِنَ الذَّرَّةِ وَالبَثِّ.

يُقَالُ: مِثلُكَ لَا يَبخُلُ؛ أَي: لا يَبخُلَ فِي مِثلِكَ، وَهوَ مِن بَابِ الكِنَايَةِ عَلَى قَصدِ المُبَالَغَةِ فِي نَفيِهِ عَنهُ، فَإِنَّهُ إِذَا بَقِي عَمَّن يَسُدُّ مَسَدَّهُ كَانَ نَفيُهُ أَولَى، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ أَي: لَيسَ مِثلُهُ شَيءٌ يُزَاوِجُهُ وَيُماثِلُهُ، وَالكَافُ زَائِدَةٌ مُؤكِّدَةٌ لِلنَفي[٣].

وَالمُرَادُ: وَمَن مِثلُهُ ذَاتَهُ وَيُماثِلَهُ، وَالكَافُ زَائِدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِنَفيِ المُرَادِ مِن مِثلِهِ ذَاتُهُ تَعالَى، كَقَولِهُم: الَّذِي مِثلُنَا، فَالـمَعنَى: نَفيُ المُماثَلَةِ عَن ذَاتِهِ سُبحَانَهُ، فَلَا فَرقَ بَينَ أَن يُقَالَ: لَيسَ شَيءٌ كَاللّهِ، وَأَن يُقَالَ: لَيسَ كَاللّهِ شَيءٌ، وَأَن يُقَالَ: لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ، وَقِيلَ: وَكُرِّرَت كَلِمَةُ التَّشبِيهِ لِلتأَكِيدِ، وَقِيلَ: مِثلُه صِفَةٌ؛ أَي: لَيسَ لِصَفَتِه صِفَةٌ[٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٤٨.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٩.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٧٩، الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٦٢.

﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، وَأَسبَابُهَا وَخزَائنُهَا، يَبسِطُ الرِّزقَ لِمَن يَشَاءَ وَيَقدِرُ، عَلَى وُفقِ الـمَصلَحَةِ وَالـمَشِيئَةِ.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾

أَي: بَيَّنَ[١].

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٦﴾

يُقَالُ: دُحِضَتُ الحُجَّةُ؛ أَي: بَطُلَت وَزَالَت، وَمِنهُ: ﴿**حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾[٢].

إِعلَم: إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَخفَى السَّاعَةَ، وَوَقتُ مَجِيئهَا عَلَى العِبَادِ؛ لِيَكُونُوا عَلَى خَوفٍ، وَلِيُبَادِرُوا إِلَى التَّوبَةِ، وَلَو عَرَّفَهُم مَجِيؤهَا لَكَانُوا مُصِرِّينَ بِالقَبَائحِ، قِيلَ: ذَلِكَ تَعوِيلاً عَلَى البَلَدِ فِي التَّوبَةِ، وَلِهَذَا قَالَ:

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ﴿١٧﴾

﴿**وَمَا يُدْرِيكَ**﴾ يَا مُحَمَّد، وَلَا غَيرُكَ: ﴿**لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**﴾[٣].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٥٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٢٦.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٥٥.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿١٨﴾

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لِجَهلِهِم بِأَحوَالِهَا وَأَهوَالِهَان فَهُم يَظُنُّونَهَا بَعِيدَاً لِكَونِهَا استِهزَاءً: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾** أَي: خَائفُونَ غَيرَ مُتَأَهِبِينَ لَهَا: **﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾** الوَاقِعُ[1].

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ أَي يُلَاجُّونَ وَيُخَاصِمُونَ فِي مَجِيئِهَا ، مِنَ المِريَةِ وَالشَّكِّ[2] أَو يُقَالُ: مِن مَرَيتُ النَّاقَة إِذا مَسَحتُ ضِرعَهَا بِشِدَّةٍ لِلحَلبِ؛ لأَنَّ كُلَّاً مِنَ المُتَجَادِلَينِ يَستَخرِجُ مَا عِندَ صَاحِبِهِ بِكَلَامٍ فِيهِ شِدَّة[3].

﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ مِنَ الحَقِّ؛ لأَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ غَيرُ مُستَبعَدٍ مِن قُدرَةِ القَادِرِ بِالذَّاتِ، وَلِدِلَالَةِ الكِتَابِ المُعجِزِ عَلَى إِنَّهَا آتِيَةٌ لَا رَيبَ فِيهَا، وَلِقِيَامِ دَلِيلِ العَقلِ عَلَى إِنَّهُ لَا بُدَّ مِن دَارِ جَزَاءٍ لِكُلِّ عَمَلِ عَامِلٍ[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٤٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨١.

(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٢٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨١.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (٢٠)

الحَرثُ في الأَصلِ: إِلقَاءُ البَذرِ عَلَى الأَرضِ[١] ويُقَالُ لِلزَرعِ الحَاصِلِ مِنهُ، وَسُمِّي مَا يَعمَلُهُ العَامِلُ مِمَّا يَبتَغِي بِهِ الفَائِدَةُ: حَرَثاً عَلَى المَجازِ[٢].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أَي: مَن يُرِيدُ بِعَمَلِهِ يَقَعُ فِي الآخِرَةِ، نُجَازِهِ وَنُضَاعِفُ عَلَى ثَوَابِهِ، عَلَى الوَاحِدِ عَشَرَةٌ أَقَلَّاً.

﴿وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها﴾ أَي: شَيئاً مِنهَا عَلَى مَا قَسمنَا لَهُ لَا جَمِيعَ مَا يُرِيدَهُ: ﴿وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ إِذ:(الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امرِءٍ مَا نَوَى)[٣].

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:(مَن كَانَت نِيَّتُهُ الدُّنيَا، فَرَّقَ اللهُ عَلَيهِ أَمْرَهُ، وَجعَلَ الفَقرَ بَينَ عَينَيهِ، وَلَم يَأتِهِ مِنَ الدُّنيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَن كَانَت نِيَّتُهُ الآخِرَةَ، جَمَعَ اللهُ شَملَهُ، وَجعَلَ غِنَاهُ فِي قَلبِهِ، وَأَتَتهُ الدُّنيَا وَ هِيَ رَاغِمَةٌ)[٤].

وَقِيلَ: مَن كَانَ يَعمَلُ لِلآخِرَةِ، نَالَ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن عَمِلَ لِلدُنيَا، فَلَا حَظَّ لَهُ فِي ثَوَابِ الآخِرَةِ؛ لأَنَّ الأَعلَى لَا يُجعَلُ تَبَعَاً لِلأَدوَنِ[٥].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب: ٤٠.

(٢) مدارك التنزيل، النسفي: ٤/ ١٠٠.

(٣) تفسير الرازي: ٢٠/ ١٨٢، تفسير البيضاوي: ٥/ ١٢٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٤٩، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٦٧/ ٢٢٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٤٩، عن الحسن البصري.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢٢)

الرَّوضَةُ: وَاحِدَةُ الرَّوضَاتِ، وَهي: الأَرضُ الخَضِرَةُ، الحَسَنَةُ النَّبَاتِ وَأَرضُهَا أَطيَبُ البِقَاعِ وَأَنزَهُهَا[١].

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٣)

وَقَولُهَ: ﴿**ذلِكَ الَّذي يُبَشِّرُ اللهُ**﴾ أَي: ذَلِكَ الثَّوَابُ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَحَذَفَ الجَارِّ، كَما في قَولِهِ: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسى قَوْمَهُ**﴾[٢] ثُمَّ حَذَفَ الضَّمِيرَ العَائِدِ إِلَى الـمَوصُولِ[٣].

القربى: مصدر كالزلفى و البشرى[٤].

﴿**قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾ قِيلَ: الـمَعنَى؛ قُل يَا مُحَمَّد لَـهُم: لَا أَسأَلَكُم في تَبلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَتَعلِيمِ الشَّرِيعَةِ أَجرَاً مِنكُم، إِلَّا أَن تَوَدُّونِي في قَرَابَتِي، وَتَحفَظُونِي لَها[٥].

وَقِيلَ: الـمَعنَى: إِن لَم تَـوَدُّونِي لِأَجلِ النُّبُوَةِ، فَوُدُّونِي لِأَجلِ القَرَابَةِ الَّتِي بَينِي

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٢١٠.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٦٦.

(٤) مدارك التنزيل، النسفي: ٤/ ١٠١.

(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٣/ ٢٢٩.

وَبَينكُم[١] وَالإِستِثنَاءُ عَلَى هَذَا التَّأوِيلِ مُتَّصِلٌ؛ لأَنَّ قَرَابَتَهُ صلى الله عليه وآله قَرَابَتُهُم، وَكَانَ صِلَتُهُم لَازِمَةٌ لَـهُم فِي الـمَوَدَّةِ، وَهَذَا لِقُرِيشٍ خَاصَّةً، وَالـمَعنَى: لَا أَسأَلُكُم أَجرَاً إِلَّا هَذَا[٢].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ لَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجرَاً قَطُّ، وَلَكِنِّي أَسأَلُكُم أَن تَوَدُّوا قَرَابَتِي وَعِترَتِي الطَّاهِرَة، وَتَحفَظُوا مَن فِيهِم، فَعَلَى هَذَا مُنقَطِعٌ[٣].

وَمَعنَى: ﴿**فِي الْقُرْبى**﴾ أَنَّهُ جَعَلَهُم مَكَانَاً فِي الـمَوَدَّةِ، وَمَقَرَّاً لَهَا، كَمَا تَقُولُ: لِي فِي آلِ فُلَانٍ مَوَدَّةٌ، وَلِي فِيهِم حُبٌّ شَدِيدٌ، تُرِيدُ: أُحِبُّهُم، وَهُم مَكَانُ حُبِّي وَمَوَدَّتِي، وَلَيسَت فِي بِصِلَةِ الـمَوَدَّةِ كَاللَّام إِذَا قُلتَ: إِلَّا الـمَوَدَّةَ لِلقُربَى، إِنَّمَا هِي مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ، كَمَا يَتَعَلَّقُ الظَّرفُ بِهِ فِي قَولِكَ: الـمَالُ فِي الكِيسِ، تَقدِيرُهُ: إِلَّا الـمَوَدَّةِ ثَابِتَةٌ فِي القُربَى، وَمُتَمَكِّنَةٌ فِيهَا[٤].

عَن إِبنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَت: ﴿**قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، مَن هَؤلَاءِ الَّذِينَ أَمَرَنَا اللهُ بِمَوَدَّتِهِم؟ قَالَ: (عَلِيٌّ وَفَاطِمَة وَوُلدِهمَا)[٥].

وَعَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ الأَنبِيَاءَ مِن أَشجَارٍ شَتَّى، وَخُلِقتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِن شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَنَا أَصلُهَا وَعَلِيٌّ فَرعُهَا، وَالحَسَنُ وَالحُسَينُ ثِمَارُهَا، وَأَشيَاعُنَا أَورَاقُهَا، فَمَن تَعَلَّقَ بِغُصنٍ مِن أَغصَانِهَا نَجَا، وَمَن زَاغَ هَوَى.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٤٨.

(٢) سعد السعود، ابن طاوس: ١٤٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٣.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٤.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ٣٨٩ح٥١٦، مناقب علي بن أبي طالب، ابن المغازلي: ٣٣٩ح٤٣٧.

وَلَو أَنَّ عَبداً عَبَدَ اللهَ بَينَ الصَّفَا وَالْـمَروَةِ أَلفَ عَامٍ، ثُمَّ أَلفَ عَامٍ، ثُمَّ أَلفَ عَامٍ، حَتَّى يَصِيرَ كَالشَّنِّ البَالِي، ثُمَّ لَمْ يُدرِك مَحبَّتَنَا، أَكَبَّهُ اللهُ عَلَى مَنخِرَيهِ فِي النَّارِ ثُمَّ تَلَا الآيَةَ[١].

ورُوِي عَن زَاذَانَ[٢] عَن عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: (فِينَا فِي آلِ حَمَ آيَةٌ [إنَّهُ] لَا يَحفَظُ مَودَّتَنَا إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ قَرَأَ الآية: ﴿**لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾)[٣].

وَإِلى هَذَا أَشَارَ الكُمَيتُ[٤] فِي قَولِهِ:

وَجَدنَا لَكُم فِي (آلِ حَم) آيَةً
تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ[٥].

وَعَن الحَسَن بن عَلِيٍّ عليهما السلام أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ فِي خُطبَتِهِ: (أَنَا مِن أَهلِ البَيتِ الَّذِينَ افتَرَضَ اللهُ مَودَّتَهُم وَوَلَايَتَهُم، فَقَالَ فِيمَا أَنزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله: ﴿**قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً**﴾)[٦].

وَعَن السُّدِّيّ: أَنَّ الحَسَنَة الـمَودَّةُ في آلِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله[٧]:

---

(١) شواهد التنزيل، الحسكاني: ٢/ ٢٠٣ح٨٣٧، بحار الأنوار، المجلسي: ٢٣/ ٢٣٠.

(٢) زاذان بن عمرو، الفارسي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ينظر ترجمته في: رجال البرقي: ٤، رجال الطوسي: ٦٤، رجال ابن داود: ٢٢٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٤.

(٤) الكميت بن زيد الأسدي، أبو المستهل، كوفي، من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام من فحول الشعراء المجاهرين، ورد فيه مدح من الأئمة عليهم السلام ينظر ترجمته في: معالم العلماء، ابن شهرآشوب: ١٨٥، نقد الرجال، التفريشي: ٤/ ٧١.

(٥) الشاهد له كما في: الصحاح، الجوهري، مادة (عرب) ١/ ١٧٩، مجاز القرآن، معمر بن المثنى: ٢/ ١٩٣، خزانة الأدب، البغدادي: ٤/ ٢٩٠،

(٦) المناقب، ابن شهرآشوب: ٣/ ١٧٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٠.

(٧) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٩٣ح ٢٧٢.

وَمَا صَحَّ عَن الحَسَنِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (.. وَاقتِرَافُ الحَسَنَةِ مَوَدَّتُنَا أَهلَ البَيتِ)[١].

عَن الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: (إِنَّهَا نَزَلَت فِينَا أَهلَ البَيتِ أَصحَابَ الكسَاءِ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾)[٢].

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٤﴾

قَولُهُ: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾ أَمْ منقَطِعَةٌ، وَمَعنَى الهَمزَةِ فِيهَا: التَّوبِيخُ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَينسِبُونَ مِثلَهُ إِلى الافتِرَاءِ، ثُمَّ إِلى الافتِرَاءِ عَلَى اللّهِ الَّذِي هُوَ أَفحَشُ الفِرَى وأَعظَمُهَا[٣].

وَالمَعنَى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى**﴾ **مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وآله كَذِباً فِي دُعَائِهِ رِسَالَةً عَن اللّهِ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾ أَي: وَإِن جَلَّت وَعَظُمَت مَعَاصِيهِم، وَالقَبُولَ يُعَدَّى إِلَى مَفعُولٍ ثَانٍ بِمَن وَعَن، لِتَضَمُّنِهِ مَعنَى الأَخذِ وَالإِبَانَةِ: ﴿**وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ**﴾ أَي: صَغِيراً كَانَ أَو كَبِيراً لِمَن يَشَاءُ[٤].

---

(١) روي ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام اليقين، ابن طاوس: ٣٢٠، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٢٦/ ٢٥٢.

(٢) المناقب، ابن شهرآشوب: ٣/ ١٧١.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٢٩.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٢٦)

﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ أَي: وَيَستَجِيبُ لَهُم، فَحَذَفَ اللَّامَ، كَمَا حَذَفَ فِي قَولِهِ: ﴿**وَإِذا كالُوهُمْ**﴾[1] أَي: يُجِيبَهُم إِلَى مَا يَسأَلُونَهُ، أَو: يَقبَلُ طَاعَاتِهُم، أَو دُعَائِهُم: ﴿**وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ**﴾ تَفضِيلاً بِحَسَبِ الإِستِحقَاقِ، وَإِذَا دَعَوهُ استَجَابَ إِلَى مَطلُوبِهِم[2].

وَعِن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿**وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ**﴾ الشَّفَاعَةُ لِمَن وَجَبَت لَهُ النَّارُ مِمَّن أَحسَنَ إِلَيهِم فِي الدُّنيَا)[3].

﴿**وَالْكافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ**﴾.

---

(١) المطففين: ٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥١.

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾

﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ**﴾ أَي: ظَلَمَ هَذَا ذَاكَ، وَذَاكَ هَذَا، فَخَرَجُوا عَن الطَّاعَةِ؛ لأَنَّ الغِنَى مُبطِرَةٌ، وَكَفَى بِحالِ قَارُون عِبرَةً[1].

وَقَالَ إِبنُ عَبَّاسٍ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ**﴾: بَغيُهُم فِي الأَرضِ: طَلَبُهُم مَنزِلَةً بَعدَ أُخرَى، وَدَابَّةً بَعدَ أُخرَى، وَمَلبَساً بَعدَ آخر [2].

﴿**وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ**﴾ أَي: وَلَكِنَّهُ يُنزِلُ مِنَ الرِّزقِ قَدرَ صَلَاحِهِم مَا يَشَاءُ، نَظَراً مِنهُ لَـهُم، عَن قَتَادَة.

وَالـمَعنَى: إِنَّهُ يُوَسِّعُ الرِّزقَ عَلَى مَن تَكُونُ مَصلَحَتُهُ فِيهِ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَن تَكُونُ مَصلَحَتُهُ فِيهِ، وَيُؤَيِّدُهُ الحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَنَس، عَن النَّبِيِّ ﷺ عَن جَبرَائِيل عليه السلام عَن اللّـهِ: (... إِنَّ مِن عِبَادِي مَن لَا يُصلِحُهُ إِلَّا السَّقَم، وَلَو صَحَحتُهُ لأَفسَدَهُ، وَإِنَّ مِن عِبَادِي مَن لَا يُصلِحَهُ إِلَّا الصِّحَّةُ، وَلَو أَسقَمتُهُ لأَفسَدَهُ، وَإِنَّ مِن عِبَادِي مَن لَا يُصلِحَهُ إِلَّا الغِنَى، وَلَو أَفقَرتُهُ لأَفسَدَهُ، وَإِنَّ مِن عِبَادِي مَن لَا يُصلِحُهُ إِلَّا الفَقرُ، وَلَو أَغنَيتَهُ لأَفسَدَهُ، وَذَلِكَ أَنِّي أُدبِّرُ عِبَادِي لِعِلمِي بِقُلُوبِهِم...)[3].

وَالحَدِيثُ طَوِيلٌ، أَخَذنَا مِنهُ مَوضِعُ الحَاجَةِ[4].

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٦٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٢ بتفاوت.

(٣) الأمالي، الطوسي: ١٦٦ح ٢٧٧ عنه الوافي، الكاشاني: ٥/ ٧٣٤ح ٢٩٤٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٢.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾

يُقَالُ: بَثَّ فِي الأَرضِ؛ أَي: دَبَّ عَلَيهَا، وَمِنهُ قَولُهُ: ﴿**وَما بَثَّ فيهِما مِنْ دابَّةٍ**﴾ أَي: يَدُبُّ عَلَى الأَرضِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿**فيهِما**﴾أَي: فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ؛ لأَنَّ الشَّيء يَجُوزُ أَن يُنسَبَ إِلَى جَمِيعِ الـمَذكُورَاتِ وَإِن كَانَ مُتَلَبِّساً بِبعضِهِ، كَقَولِهِ: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْـمَرْجان**﴾[١] وَإِن كَانَ يَخرُجُ مِنَ المِلحِ[٢].

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ**﴾ أَي: وَمَا أَصَابَكُم مَعَاشِرَ العِبَادِ مِن بَلوَى فِي نَفسٍ، أَو قَالَ: ﴿**فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ مِنَ الـمَعَاصِي[٣].

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤمِنِينَ عليه السلام عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: (خَيرُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللّهِ هَذِهِ الآيَةُ، يَا عَلِيُّ، مَا مِن خَدشِ عُودٍ، وَلَا نَكبَةِ قَدَمٍ، إِلَّا بِذَنبٍ، وَمَا عَفَا اللهُ عَنهُ فِي الدُّنيَا، فَهُوَ أَكرَمُ مِن أَن يَعُودَ فِيهِ، وَمَا عَاقَبَ عَلَيهِ فِي الدُّنيَا، فَهُوَ أَعدَلُ مِن أَن يُثَنِّيَ عَلَى عَبدِهِ)[٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٦.

(٢) الرحمن: ٢٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٣.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٧، بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٣١٦.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ﴿٣٢﴾

الجَوَارِ: مَصدَرٌ مِنَ المُجَاوَرَةِ[١].

الجَوَار: جَمعَ جَارِيَةٍ، يُقَالُ: رَأَيتُ جَوَارِي في البَحرِ؛ أَي: السُّفُنِ الجَارِيَةِ فِيهِ، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْ آياتِهِ الْجَوارِ**﴾ أَي: الجَوَارِي؛ يَعنِي: السُّفُن الجَارِيَةِ: ﴿**فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ**﴾ أَي: الجِبَالِ الطِوَالِ[٢].

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿**إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ**﴾ أَي: عَلَى ظَهرِ المَاءِ، يَعنِي: مِن كَمَالِ قُدرَتِهِ تَعَالَى هُبُوبُ الرِّيَاحِ هُنَا[٣].

﴿**فَيَظْلَلْنَ**﴾ أَي: يُدِمنَ وَيُقمنَ، يُقَالُ: ظَلَّ بِفِعلِ كَذَا؛ إِذَا فَعَلَهُ بِهَا نَهَارًا.

وَالرَّوَاكِدُ: الثَّوَابِتُ.

الإِيبَاقُ: الإِهلَاكُ وَالإِتلَافُ[٤].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِما كَسَبُوا**﴾ أَي: يُهلِكهُنَّ؛ بِأَن يُرسِلَ الرِّيحَ عَاصِفَةً، فَيُغرِقُهُنَّ بِسَبَبِ مَا كَسَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ[٥].

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (جور) ٦/ ١٧٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٥.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٤.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٨.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ ﴿٣٥﴾

الـمَحِيصُ: المُعَدَّلُ وَالـمَلجأ(١).

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

الفَوَاحِشُ: جَمعُ فَاحِشَةٍ؛ وَهي: أَقبَحُ القَبِيحِ(٢).

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٣٨﴾

الشُّورَى: مَصدَرُ التَّشَاوُرِ، يُقَالُ: هَذَا الأَمرُ شُورَى بَينَ القَومِ؛ إِذَا تَشَاوَرُوا عَنهُ؛ أَي: لَا يَنفَرِدُونَ بِرَأيِهِم حَتَّى يَتَشَاوَرُوا وَيَجتَمِعُوا عَلَيهِ، وَذَلِكَ مِن فَرطِ تَدَبُّرِهِم وَتَيَقُّظِهِم فِي الأُمورِ(٣).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ**﴾ أَي: أَجَابُوهُ فِيمَا وَعَّاهُمُ اللهُ مِن أُمورِ الدِّينِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ فِي أَوقَاتِهَا بِشُرُوطِهَا.

﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ قِيلَ: إِنَّ الأَنصَارَ تَشَاوَرُوا فِي أَمرِ رَسُولِ اللّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا وَرَدَ النُّقَبَاءُ عَلَيهِم مِن عِندِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاجتَمَعُوا فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ عَلَى الإِيمَانِ بِهِ، وَالنُّصرَةِ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَذِه دَلِيلٌ عَلَى فَضلِ المُشَاوَرَةِ فِي الأُمُورِ(٤).

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (مَا مِن رَجُلٍ يُشَاوِرُ أَحَداً إِلَّا هُدِيَ إِلَى الرُّشدِ)(٥).

---

(١) معاني القرآن، النحاس: ٢/ ١٩٧، زاد المسير، ابن الجوزي: ٢/ ١٩٦.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٦٨.
(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٣٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٨٩.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٧.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**﴾ قِيلَ: هُوَ جَوابُ القَبيحِ إِذَا قَالَ: أَخزَاكَ اللهُ، وَتَقُولُ: أَخزَاكَ اللهُ، مِن غَيرِ أَن تَعتَدِي[١].

وَقِيلَ: هُوَ القِصَاصُ في الجِرَاحَاتِ وَ الدِّمَاءِ[٢].

﴿**فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِين**﴾ المُبتَدِئينَ بِالسَّيِئَةِ، وَالمُتَجَاوُزِينَ فِي الإِنتِقَام[٣].

وَفِي الحَدِيثِ عَن النَّبِيِّ ﷺ: (إِذَا كَانَ يومُ القِيَامَةِ، نَادى مُنَادٍ: مَن كَانَ لَهُ عَلَى اللّهِ أَجرٌ فَليَقُم، قَالَ: فَيَقُومُ خَلقٌ، فَيُقَالُ لَهُم: مَا أَجرُكُم عَلَى اللّهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَحنُ الَّذِينَ عَفَونَا عَمَّن ظَلَمَنَا، فَيُقَالُ لَهُم: ادخُلُوا الجَنَّةَ بِإِذنِ اللّهِ تَعَالَى)[٤].

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿٤١﴾

﴿**وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ**﴾ أَضَافَ المَصدَرَ إِلَى مَفعُولِهِ؛ أَي: بَعدَ أَن ظُلِمَ وَتُعِدِّي عَلَيهِ[٥].

﴿**فَأُولئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبيل**﴾ بِالمُعَاقَبَةِ وَالمُعَاتَبَةِ، وَأُولَئكَ: إِشَارَةٌ إِلَى مَعنَىً مِن دُونِ لَفظِهِ[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٧، عن السدي ومجاهد.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٥٧، عن مقاتل.
(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٣٣.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٧٣.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٧٠.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٩٠.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿**إِنَّمَا السَّبيلُ**﴾ أَي: العِقَابُ: ﴿**عَلَى الَّذينَ**﴾ أي: يَظلِمُونَ النَّاسَ ابتِدَاءً: ﴿**وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ**﴾[١].

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ أَي: إِنَّ ذَلِكَ الصَّبرُ وَالمَغفِرَةُ مِنهُ: ﴿**لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ فَحُذِفَ الرَّاجِعَ لِلعِلمِ بِهِ، كَمَا حُذِفَ مِن قَولِهِم: السَّمنُ مَنَوَانِ بِدِرهَم؛ أَي: مِنهُ: ﴿**عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾: الأَخذُ بِأَعلَاهَا في بَابِ نَيلِ الثَّوَابِ وَالأَجرِ[٢].

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿**اسْتَجيبُوا لِرَبِّكُمْ**﴾ أَي: أَجِيبُوا دَاعِيَ اللّهِ؛ وَهوَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فِيمَا دَعَاكُم إِلَيهِ، وَرَغَّبَكُم فِيهِ: ﴿**قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّهِ**﴾ أَي: لَا رُجُوعَ بَعدَهُ إِلَى الدُّنيَا.

قِيلَ: هُوَ يومُ القِيَامَةِ المَحتُومِ، وَقِيلَ: يَومُ المَوتِ المُقَدَّرِ[٣].

المَعقِلُ: المَلجَأُ[٤].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٧٢/ ٢٩٧، مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ٣٩٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٩٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٦٠.

(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (عقل) ٥/ ١٧٦٩.



الفصل التاسع والثلاثون

سورةُ الزخرف



سورةُ الزخرف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾

يُقَالُ: مَن لَم يَعتَبِر بِالقُرآنِ، وَجَحَدَ مَا فِيهِ مِنَ البَيَانِ، فَاجتَنِبُوا مِنهُ جِدّاً[1].

يُقَالُ: صَفَحَ عَنهُ؛ إِذَا: أَعرَضَ[2] وَقِيلَ: الصَّفحُ بِمَعنَى: الجَانِب[3].

وَقولُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾ أَي: أَفَنَترُكُ عَنكُمُ الذِّكرَ ؛ أَي: القُرآن، وَلَا نَأمُرُكُم، وَلَا نَنهَاكُم، وَلَا نُرسِلُ إِلَيكُم رَسُولاً[4].

يُقَالَ: ضَرَبتُ عَنهُ، وَأَضرَبتُ عَنهُ ؛ أَي: تَرَكتُهُ وَأَمسَكتُ عَنهُ[5].

وَ: ﴿صَفْحَاً﴾ إِمَّا مَصدَرٌ، مِن صَفَحَ: إِذَا أَعرَضَ، انتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفعُولٌ لَهُ، عَلَى مَعنَى: أَفَنَعزِلُ عَنكُم إِنزَالُ القُرآنِ، وَإِلزَامُ الحُجَّةِ بِهِ إِعرَاضاً عَنكُم، وَإِمَّا بِمَعنَى: الجَانِبُ، فَانتَصَبَ عَلَى الظَّرفِ، كَمَا قَالَ: فُلَانٌ يَمشِي جَانِبَاً، وَالهَمزَةُ إِستِفهَامٌ إِنكَارِيٌّ، وَالـمَعنَى: لَا تَفعَل ذَلِكَ[6].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٦٨.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٧٨.
(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (صفح) ١/ ٣٤٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٦٨.
(٥) تفسير الرازي: ٢٧/ ١٩٤.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٩٧.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٨﴾

أَي: فَأَهلَكنَا مِن أُولَئكَ الأُمَمِ بِأَنواعِ العَذَابِ مَن كَانَ أَشَدَّ قُوَّةً وَمَنعَةً مِن قَومِكَ، فَلَا يَغتَرُّ هَؤلَاءِ المُشرِكُونَ بِالقُوَّةِ وَالنَجدَةِ[١].

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١١﴾

الإِنشَارُ: الإِحيَاءُ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً**﴾[٢].

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

يُقَالُ: أَترَفَتهُمُ النِّعمَةَ؛ أَي: أَبطَرَتهُم، وَآثَرُوا التَّرَفُّهَ عَلَى طَلَبِ الحُجَّةِ، وَالمُترَفُونَ؛ أَي: الرُّوؤسَاء[٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٦٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نشر) ٥/ ٢٠٧، مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٤٩٣.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ١٩٢، جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٠١.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

يُقَالُ: نَحنُ بَرَاءٌ مِنكَ، وَأَنَا بَرَاءٌ مِنكَ، وَالمَعنَى: أَنَا ذُو بَراءٌ مِنهُ، وَهوَ كَما يُقَالُ: رَجلٌ عَدلٌ، وَإِمرَأَةٌ عَدلٌ، وَقَومٌ عَدلٌ؛ أَي: ذُو عَدلٍ، وَذَوَاتُ عَدلٍ[1].

وَالبَرَاءُ: مَصدَرٌ وُصِفَ بِهِ؛ وَلِذَلِك استوَى فِيهِ الفُرُوعَ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّني بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾ أَي: بَريءٌ مِن عِبَادَتِكُم أَو مَعبُودكُم[2].

وَبَعدَهُ: ﴿**إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ إِلَّا: صِفَةٌ، بِمَعنَى: غَير، وَالتَّقدِيرُ: إِنَّنِي بَرَاءٌ مِن آلِهَةٍ تَعبُدُونَهَا غَيرَ الَّذِي فَطَرَنِي[3].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾

يُقَالُ: هَذَا سِحرٌ؛ أَي: حِيلَةٌ خَفِيَّةٌ وَتَموِيهٌ[4].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٧٦.

(٢) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٤٣.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٠٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٧٧.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**يَمْلِكُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ**﴾أَي: وَلَا يَملِكُ آلِهَتُهُم الَّذِينَ يَدَّعُونَ مِن دُونِ اللّهِ الشَّفَاعَةَ، كَمَا زَعَمُوا أَنَّهُم شُفَعَاؤهُم عِندَ اللّهِ[1].

﴿**إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ**﴾ أَي: وَلَكِن مَن شَهِدَ بِالحَقِّ، وَهوَ تَوحِيدُ اللّهِ، وَهوَ يَعلَمُ مَا يَشهَدُ بِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَإِخلَاصٍ وَإِيقَانٍ، هُوَ الَّذِي يَملِكُ الشَّفَاعَةَ، وَهوَ إِستِثنَاءٌ مُنقَطِعٌ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مُتَّصِلاً؛ لِأَنَّ فِي الجُملَةِ:﴿**الَّذِينَ يَدَّعُونَ مِن دُونِ اللّهِ**﴾ عِيسَى بِن مَريَم ﴿عليه السلام﴾ وَعُزَيرٌ، وَالمَلَائِكَةُ، فَإِنَّ لَهُم عِندَ اللّهِ مَنزِلَةُ الشَّفَاعَةِ[2].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٤٩٨.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣١٧.



الفصل الأربعون

سورةُ الدّخان



سورةُ الدّخان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣)

البَرَكَةُ: نَمَاءُ الخَيرِ، وَالمُبَارَكَةُ: الكَثِيرَةُ البَرَكَةِ[1].

وَيُقَالُ لِلَيلَةِ القَدرِ: لَيلَةٌ مُبَارَكَةٌ؛ لأَنَّ فِيهَا تَقسِيمُ اللّهِ تَعَالَى نِعمَهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَيَدُومُ بَرَكَاتُهُ[2].

الإِنذَارُ: الإِعلَامُ[3].

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١٠)

الإِرتِقَابُ: الإِنتِظَارُ[4].

يُقَالُ: رَقَبتُه فأرتَقِبته[5].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٢٠.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٢٢٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نذر) ٥/ ٢٠٣.

(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (رقب) ١/ ١٣٧.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٠١.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾

البَطْشُ: الأَخذُ بِشِدَّةٍ وَقعِ الأَلَمِ[1].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٨﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللّهِ**﴾ أَنْ: هِي مُفَسِّرَة؛ لأَنَّه: لَا يَجِيءُ رَسُولُ قَومِهِ إِلَّا مُبَشِّرَاً وَنَذِيراً، فَيَتضمِنُ مَعنَى القَولِ، أَو مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ أَي: جَاءَهُم بِأَنَّ الشَّأنَ وَالحِدِيث.

﴿**أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللّهِ**﴾ مَفعُولٌ بِهِ، وَهُم: بَنُو إِسرَائيلَ؛ أَي: أَدُّوا إِلَيَّ وَأَرسِلُوهُم مَعِي، كَقَولِهِ: ﴿**أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائيلَ**﴾[2] وَلَا تُعَذِّبهُم، أَو: أَدُّوا إِليَّ يَا عِبَادَ اللّهِ مَا يَجِبُ عَلَيكُم مِنَ الإِيمَانِ بِين وَقَبُولِ دَعوَتِي[3].

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

الرَّهو: السَّاكِنُ السَّهلُ[4] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً**﴾ أَي: سَاكِناً عَلَى مَا هُوَ بِهِ إِذَا قَطَعتَهُ وَعَبَرتَهُ[5].

وَقِيلَ: الرَّهوَةُ: الفَجوَةُ الوَاسِعَةُ، فَعَلَى هَذَا فَالـمَعنَى: اترُكهُ مَفتُوحَاً عَلَى حَالِهِ[6].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٠٥.

(٢) الشعراء: ١٧.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٠٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٠٦.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٠٧.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٢٥.

﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾

يُقَالُ: فُلَانٌ مَاتَ، وَبَكَت عَلَيهِ السَّمَاءُ، وَكَسَفَت لَمِهلَكِهِ الشَّمسُ[١].

وَفي الحَدِيثِ: (إِنَّ المُؤمِنَ لَيَبكِي عَلَيهِ مُصَلَّاهُ، وَمَحَلُّ عِبَادَتِهِ، وَمَصعَدُ عَمَلِهِ، وَمَهبِطُ رِزقِهِ)[٢].

وَرُوِيَ عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِن مُؤمِنٍ إِلَّا وَلَهُ بَابٌ يَصعَدُ مِنهُ عَمَلُهُ، وَبَابٌ يَنزِلُ مِنهُ رِزقُهُ، فَإِذَا مَاتَ بَكَيَا عَلَيهِ)[٣].

فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعنَى البُكَاءِ: الإِخبَارُ عَن الإِختِلَالِ بَعدَهُ[٤].

﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾

التُّبَّعُ: مَن كَثُرَ أَتبَاعُهُ مِنَ النَّاسِ وَالجُيُوش[٥].

وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: (لَا تَسُبُّوا تُبَّعاً)[٦] أَي: لَا تَسُبُّوا الحِميَرِيَّ، مَلِكُ اليَمَنِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ قَد أَسلَمَ وَقَومُهُ كَافِرِينَ.

وَهوَ الَّذِي سَارَ بِالجُيُوشِ حَتَّى حَيَّرَ الحِيرَةَ، ثُمَّ أَتَى سَمَرقَند فَهَدَمَهَا، ثُمَّ بَنَاهَا،

---

(١) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٦١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ١٣٩ح ٣٨١ بتفاوت يسير، زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ٢٨٧، تفسير أبي السعود: ٨/ ٦٣.

(٣) الأمالي، المرتضى: ١/ ٣٩، كنز العمال، المتقي الهندي: ٢/ ٤١ح ٣٠٤١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٠٩.

(٥) مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٣٠٥.

(٦) مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٣٤٠، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٨/ ٧٦، بحار الأنوار، المجلسي: ١٤/ ٥١٣.

وَكَانَ إِذَا كَتَبَ، كَتَبَ: بِإِسمِ اللّـهِ الَّذِي مَلَكَ بَرَّاً وَبَحراً[١].

وَسُمِّي تُبَّعَاً؛ لِكَثرَةِ أَتبَاعِهِ مِنَ النَّاسِ، أَو لأَنَّهُ تَبعَ مَن قَبلُهُ مِن مُلُوكِ اليَمَنِ، وَالتَّبَابِعَةُ: إِسمُ مُلُوكِ اليَمَنِ، كَمَا يُقَالُ: خَاقَان لِمَلِك الصِّينِ، وَ: قَيصَر لِمَلِكِ الرُّومِ، فَتُبَّع هُوَ لَقَبٌ لَهُ، وَاسمُهُ أَسعَد، وَكُنيَتُهُ أَبُو كَربٍ[٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أَي: مُشرِكُوا قُرَيشٍ أَكثَرُ عَدَدَاً وَعِدَّةً وَنِعمَةً وَقُوَّةً، أَم قَومُ تُبَّعٍ؟[٣].

وقال كعب: نعم الرجل الصالح ذمّ الله قومه و لم يذمّه[٤].

وَعن الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ:(إِنَّ تُبَّعَاً قَالَ لِلأَوسِ وَالخَزرَجِ: كُونُوا هَاهُنَا حَتَّى يَخْرُجَ هَذَا النَّبِيُّ، فَأَمَّا أَنَا، فَلَو أَدرَكْتُهُ لَخَدَمتُهُ، وَخَرَجتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله)[٥].

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٤٣﴾

يُقَالُ: نَحنُ نَتَزَقَّمُ؛ أَي: نَملأ أَفوَاهُنَا مِنَ الزَّقُومِ وَنَأَكُلُهُ[٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٢٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١١١، وفيه: خاقان لملك الترك.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ١٥/ ١٨٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٦/ ١٤٦.
(٥) كمال الدين، الصدوق: ١٧٠ح ٢٦، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٥/ ١٨٢ح ٦.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٢٣٩.

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ﴿٤٥﴾

المُهلُ: هُوَ المُذَابُ مِنَ النُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَنحوهُمَا، وَقِيلَ: هُوَ دُردِيُّ الزَيتِ[١].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ**﴾ أَي: الطَّعَامُ، وَقُرِئ بِالتَّاءِ، فَالمَعنَى: تَغلِي الشَّجَرَةُ فِي أَجوَافِ أَهلِ النَّارِ كَغَلي المَاءِ الحَارِّ الشَّدِيدِ الحَرَارَة[٢].

﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٤٧﴾

العَتلُ: الأَخذُ بِمَجَامِعِ الشَّيء، وَجَرُّهُ بِقَهرٍ[٣].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ**﴾ أَي: يُقَالُ لِلزَّبَانِيَةِ: خُذُوهُ بِالإِثمِ: ﴿**فَاعْتِلُوهُ**﴾ أَي: زَعزِعُوهُ وَادفَعُوهُ بِعُنفٍ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ: جُرُّوهُ عَلَى وَجهِهِ[٤].

﴿**إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾ أَي: إِلَى وَسَطِهَا وَمُعظَمُهَا، وَسُمِّي وَسَطُ الشَّيءِ: سَوَاءُ؛ لاستِوَاءِ المَسَافَةِ بَينَهُ وَبَينَ أَطرَافُهُ المُحِيطَةُ بِهِ، ثُمَّ صَبُّوا فَوقَ رَأسِهِ مِن عَذَابِ الجَحِيمِ[٥].

قِيلَ: إِنَّ خَازِنَ النَّارِ يَمُرُّ عَلَى رَأسِهِ، فَيَذهَبُ رَأَسُهُ عَن دِمَاغِهِ، وَيُصَبُّ فِيهِ مِن عَذَابِ الحَمِيمِ؛ وَهوَ: المَاءُ الَّذِي قَد انتَهَى حَرُّهُ[٦].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ الصَبُّ مُستَعَارَاً.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٢٨، ودردي الزيت: ما يبقى في أسفله، الصحاح، الجوهري، مادة (درد) ٢/ ٤٧٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١١٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (عتل) ٤/ ٢٢٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١١٤.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٢٨.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١١٤ عن مقاتل.

﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾

أَي: يُقَالُ لَهُ استِهزَاءً بِهِ، وتَقرِيعاً عَلَى مَا كَانَ يَزعَمُهُ، وَذَلِكَ: أَنَّ أَبَا جَهلٍ كَانَ يَقُولُ: أَنَا أَعَزُّ أَهلَ الوَادِي وَأَكرَمَهُم، فَيَقُولُ لَهُ الـمَلَكُ: ذُقِ العَذَابَ أَيُّهَا المُتَعَزِّزُ المُتكَرِّمُ فِي زَعمِك.

وَقِيلَ: إِنَّهُ عَلَى مَعنَى النَّقِيض، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّك أَنتَ الذَّلِيلُ المُهِينُ.

وَقِيلَ: إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ فِي قَومِكَ، الكَرِيمُ عَلَيهِم، فَمَا أَغنَى عَنكَ ذَلِكَ[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾

المِريَةُ: الشَّكُّ فِي الشَّيءِ[٢].

﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣﴾

السُّندُسُ: مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ[٣].

وَالإِستَبرَقُ: مَا غَلُظُ مِنهُ، وَهوَ مُعَرَّبُ استبر.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١١٤.
(٢) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٦٥.
(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (سدس) ١/ ٢٧١.

﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

الحَوَرَاءُ: هِيَ البَيضَاءُ[(١)].

وَالعَينَاءُ: عَظِيمَةُ العَينَينِ[(٢)].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عينٍ﴾ أَي: وَقَرَنَّاهُم بِهِنَّ[(٣)].

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

جَمعُ الـمَوتَةِ: مَوتَاتٌ[(٤)].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (حور) ٢/ ٦٣٩.

(٢) تفسير الرازي: ٢٧/ ٢٥٣.

(٣) غريب القرآن، الطريحي: ١٥٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٤٢.



الفصل الحادي والأربعون

سورة الجاثية



سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٨)

الأَفَّاكُ: كَثِيرُ الإِفكِ[١].

الأَثِيمُ: ذُو الإِثمِ[٢].

﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠)

الوَرَاءُ: إِسمٌ لِلجِهَةِ الَّتِي يُوَارِيهَا الشَّخصُ، مِن خَلف أَو قُدَّام[٣].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أَي: مِن قُدَّامَهُم؛ لأَنَّهُم: مُتَوَجِّهُونَ إِلَيهَا، أَو مِن خَلفِهِم؛ لأَنَّهَا مِن بَعدِ آجَالِهِم[٤].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٢٢.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٥٠.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥١٠.
(٤) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٦٩.

﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾

الهُدَى: الدِّلَالَةُ الـمَوصِلَةُ إِلَى الحَقِّ، كَامِلَةٌ فِي الهِدَايَةِ، كَمَا يُقَالُ: زَيدٌ رَجُلٌ؛ أَي: كَامِلٌ فِي الرُّجُولِيَّةِ[١].

الرِّجزُ: هُوَ أَشَدُّ العَذَابِ[٢].

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾

قَالَ اللهُ: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا**﴾ أَي: اغفِرُوا يَغفِرُوا، فَحَذَفَ الـمَقُول لِدِلَالَةِ جَوَابِهِ عَلَيهِ: ﴿**لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللّهِ**﴾ أَي: لَا يَتوقَعُونَ وَقَائعَ اللّهِ بِأَعدَائِه.

وَقِيلَ: لَا يَأمَلُونَ الأَوقَات الَّتِي وَقَّتَهَا اللهُ تَعَالَى لِثَوَابِ المُؤمِنِينَ وَوَعدِهُم الفَوزَ فِيهَا[٣].

وَمَعنَى يَغفِرُوا هَا هُنَا: يَترُكُوا مُجَازَاتَهُم عَلَى أَذَاهُم، وَلَا يُكَافِؤوهُم لِيتَوَلَّى اللهُ مُجَازَاتَهُم: ﴿**لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٤].

﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

يُقَالُ: هَذَا بَصَائِرٌ لَك؛ أَي: وَعِظَاتٌ وَ عِبَرٌ تُبصِرُ بِهَا أُمُورَ خَيرِكَ وَشَرِّك[٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٣٤.
(٢) كنز الدقائق، المشهدي: ١٢/ ١٥١.
(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٧٠.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٢٥٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٢٧.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢٠)

الإِجتِرَاحُ: الإِكتِسَابُ، وَمِنهُ الجَارِحَةُ[١].

وَقولُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ أَم مُنقَطِعَةٌ، وَمَعنَى الهَمزَةُ فِيهَا: إِنكَارُ الحُسبَانِ[٢].

وَ: ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ﴾ بِمَعنَى: أَن نُصَيِّرَهُم، وَهوَ مِن جَعلِ الَّذِي يَتَعَدَّى إِلَى مَفعُولَينِ؛ فَالأَوَّلُ الضَّمِيرُ، وَالثَّانِي الكَاف، وَالجُملَةُ الَّتِي هِي: ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنَ الكَافِ؛ لأَنَّ الجُملَة تَقَعُ مَفعُولاً ثَانِياً، فَكَانَت فِي حُكمٍ المُفرَدِ.

وَ: ﴿سَوَاءً﴾ عَلَى قِرَاءَةِ النَّصبِ مِثلُ مُستَوِياً وَمَحيَاهُم مِمَّا رُفِعَا عَلَى الفَاعِلِيَّةِ، وَالـمَعنَى: إِنكَارٌ أَن يَستَوِي المُسِيؤونَ والمُحسِنُنَ مَحيَاهُم، وَأَن يَستَووا مَمَاتَاً؛ لافتِرَاقِ أَحوَالِـهُم أَحيَاءً، حَيثُ عَاشُوا عَلَى الحَالَتَينِ المُختَلِفَتَينِ: هَؤلَاءِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَأُولَئك عَلَى الـمَعَاصِي، وأَمَوتَاً حَيثُ مَاتَ هَؤلَاءِ عَلَى البُشرَى بِالرَّحمَةِ، وَأُولَئكَ عَلَى اليَأسِ مِن رَحمَةِ اللّهِ وَالوُصُولِ إِلَى سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ[٣].

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَي: سَاءَ مَا حَكَمُوا عَلَى اللّـهِ[٤].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٧١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٣٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٣٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٣٠.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

يُقَالُ: أَحمَدْتُهُ؛ أَي: وَجدتُهُ حَمِيداً، وَأَحمَدَهُ اللهُ ؛ أَي: وَجدَهُ حَمِيداً، وَمِنهُ قَولُهُ تَعالَى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ﴾ أَي: وَجدَهُ ضَالّاً عَلَى حَسَبِ عِلمِهِ، فَخَرَجَ مَعلُومَهُ مُطَابِقَاً لِمَا وَقَعَ[١].

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً﴾ قِيلَ: إِنَّ الجُثوّ لِلكُفَّارِ خَاصَّةً، وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ لِلكُفَّارِ وَغَيرِهُم[٢].

﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾

الإِستِنسَاخُ: الأَمرُ بِالنَّسخِ، مِثلُ الإِستِكتَابِ؛ فَإِنَّهُ الأَمرُ بِالكِتَابَةِ[٣].

﴿رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٣٠﴾

الفَوزُ: الفَلَاحُ[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٣٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٣٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٣٣.
(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (فوز) ٥/ ٣٩٢.



الفصل الثاني والأربعون

سورةُ الأحقاف



سورةُ الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾

الأَثَارَةُ: البَقِيَّةُ[١].

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٨﴾

الإِفَاضَةُ في الأَصلِ: الدَّفعُ[٢].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿بِمَا تُفِيضُونَ﴾ أَي: تَندَفِعُونَ[٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٣٧.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٢٢٤.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٤٦.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٩﴾

البِدعُ بِمَعنَى: البَدِيعُ، كَالخِفُّ بِمَعنَى: الخَفِيفُ[١] وَالبِدعُ: الأَوَّلُ مِنَ الأَمرِ[٢].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ أَي: لَستُ بِأَوَّلِ رَسُولٍ بُعِث[٣].

﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ﴾ وَمَا الثَّانِيَةُ؛ إِمَّا مَوصُولَةٌ مَنصُوبَة، أَو: إِستِفهَامِيَّةٌ مَرفُوعَةٌ[٤].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾

فَجَاءَتِ اليهودُ، فَقَالَ لَـهُم النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله:(أَيُّ رَجُلٍ عَبدُ اللّهِ فيكُم؟) فَقَالُوا: خَيرُنَا وَابنُ خَيرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابنُ سَيِّدنَا، وَأَعلَمُنَا وَابنُ أَعلَمِنَا.

قَالَ:(أَرَأَيتُم، إِنْ أَسلَمَ عَبدُ اللّهِ؟) قالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِن ذَلِك، فَخَرجَ إِلَيهِم عَبدُ اللّهِ، فَقَالَ: أَشهَدُ أَن لَا إِلَه إِلَّا اللهَ، وَأَشَهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابنُ شَرِّنَا، قَالَ: هَذَا مَا كُنتُ أَخَافُ يَا رَسُول اللّهِ[٥].

وَقَالَ سَعد بِن أَبِي وَقَّاص: مَا سَمِعتُ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمشِي عَلَى وَجهِ الأَرضِ:(إِنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ) إِلَّا عَبدَ اللّهِ بِن سَلَّام، وَفِيهَ نَزَلَ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ﴾[٦].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥١٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٣٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٣٩.
(٤) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٧٨.
(٥) علل الشرائع، الصدوق: ١/ ٩٥ح ٣، جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٤٨.
(٦) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٧٩.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ ﴿١١﴾

وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ العَرَبِ[١]: لَو كَانَ دِينُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله خيراً، مَا سَبَقَنَا إِلَيهِ رُعَاءُ البُهمِ[٢] يَعنُونَ: صِغَارَ الغَنَمِ.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً**﴾ أَي: مَن قَبلِ القُرآنِ كِتَابُ التَّورَاة مِن مُوسَى عليه السلام: ﴿**إِمَاماً**﴾ يُقتَدَى بِهِ[٣] وَ هوَ ـ أَي ﴿**إِمَاماً**﴾ ـ حَالٌ مِنَ الظَّرفِ الَّذِي هُوَ الخَبَرُ الْمُقَدَّم عَلَى مَا ابتَدَأَهُ، كَقَولِكَ: فِي الدَّارِ زَيدٌ قَائِماً.

---

(١) وهم: بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥١٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٤٣.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً**﴾ أَي: أَمَرنَاهُ بِالإِحسَانِ دُونَ الإِسَاءَة، وَانتِصَابُ الإِحسَانِ عَلَى المَصدَرِ، وَهوَ خِلَافُ الإِسَاءَةِ[١].

الفِصَالُ: الفِطَامُ[٢].

﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً**﴾ أَي: أَقَلُّ مُدَّةِ الحَملِ، وَكَمَالُ مُدَّةِ الرَّضَاعِ ثَلَاثُونَ شَهرَاً[٣].

وَ: ﴿**كُرْهاً**﴾ حَالٌ مِنَ الفَاعِلِ؛ أَي: ذَاتَ كُرهٍ، أَو نَصبُه عَلَى أَنَّهُ صِفَة لِلمَصدَرِ المَحذُوفِ؛ أَي: حَمَلاً ذَا كُرهٍ وَمَشَقَّةٍ[٤].

الأَشُدُّ: أَن يَكتَهِلَ، وَيَستَوفِي السِّنَّ الَّتِي يَستَحكِمُ فِيهَا قُوَّة اللإِنسَانِ؛ وَهوَ عَقلُهُ وَتَمييِّزُهُ، وَهوَ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةٍ، وَذَلِكَ أَوَّلُ الأَشُدِّ، وَغَايَتُهُ الأَربَعِينَ، وَهنَا وَقتُ إِنزَالِ الوَحِي عَلَى الأَنبِيَاءِ[٥].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**حَتَّى إِذا بَلَغَ**﴾ أَي: الإِنسَانُ أَشُدَّهُ، وَبَلَغَ أَربَعِينَ سَنَةً.

الإِيزَاعُ: الإِلهَامُ[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٤١.
(٢) فقه القرآن، الراوندي: ٢/ ١٢٣.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٢٧٥.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٥٠.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٣٥٠.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/ ٣٦٨.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾

يُقَالُ: أَكرَمَنِي الأَمِيرُ حَالَ كَونِي فِي نَاسٍ مِن أَصحَابِهِ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٧﴾

التَّأَفِيفُ: مِنَ الأُفِّ؛ وَهوَ كَلِمَةُ تَضَجُّرٍ[١].

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

وَفِي الحَدِيثِ: أَنَّ عُمَرَ بن الخَطَّاب، قَالَ: استَأذَنتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَدَخلتُ عَلَيهِ فِي مَشرَبَةِ أُمِّ إبرَاهِيمَ، وَإِنَّهُ لَمُضطَجِعٌ عَلَى خَصفَةٍ، وَإِنَّ بَعضَهُ عَلَى التُّرَابِ، وَتَحْتَ رَأسِهِ وِسَادَةٌ مَحشُوَّةٌ لِيفاً، فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، ثُمَّ جَلَستُ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ: أَنتَ نَبِيُّ اللّهِ، وَصَفوَتُهُ وَخِيَرَتُهُ مِن خَلقِهِ، وَكِسرَى وَقَيصَرُ عَلَى سُرُرِ الذَّهَبِ، وَفُرُشِ الدِّيبَاجِ وَالحَرِيرِ؟.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: (أُولَئِكَ قَومٌ عُجِّلَت طَيِّبَاتُهُم، وَهِيَ وَشِيكَةُ الإِنقِطَاعِ، وَإِنَّمَا أُخِّرَت لَنَا طَيِّبَاتُنَا)[٢].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (أفف) ٩/ ٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٤٧، المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٤/ ١٠٤.

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ**﴾ وَهوَ مِثلُ قَولِكَ: عُرِضَ بَنُو فُلَانٍ علَى السَّيفِ؛ إِذَا قُتِلُوا بِهِ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها**﴾ أَو يَكُونُ المَعنَى: عُرِضَت النَّارُ عَلَيهِم، كَمَا يُقَالُ: عُرِضَت النَّاقَةُ علَى الحَوضِ، وَإِنَّمَا يُعرَضُ الحَوضُ عَلَيهَا[١].

﴿**النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها**﴾ أَي: فَيُقَالُ لَهُم: آثَرتُم طَيِّبَاتكُم وَلَذَّاتُكُم فِي دَارِ الدُّنيَا عَلَى طَيِّبَاتِ الجَنَّةِ، وَاستَمتَعتُم فِيهَا، وَانتَفَعتُم بِهَا، مُنهَمِكِينَ فِيهَا [٢] إِلَّا مَا قَد أَصبتُمُوه فِي دُنيَاكُم، وَقَد أَذهَبتُم بِهِ وَأَخذتُمُوهُ، فَلَم يَبقَ لَكُم بَعدَ استِيفَاءِ حَظِّكُم شَيء مِنهَا [٣].

وَقَال أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عليه السلام فِي بَعضِ خُطَبِه:(وَاللّـهِ، لَقَد رَقَّعتُ مِدرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحيَيتُ مِن رَاقِعِهَا، وَلَقَد قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنبِذُهَا عَنكَ؟ فَقُلتُ: اغرُب عَنِّي، فَعِندَ الصَّبَاحِ يَحمَدُ القَومُ السُّرَى) [٤].

وعن البَاقِرِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ:(وَاللّـهِ، إِنْ كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام لَيَأكُلُ أَكلَ العَبدِ، وَيَجلِسُ جِلسَةَ العَبدِ، وَإِن كَانَ لَيَشتَرِي القَمِيصَينِ السُّنبُلَانِيَّينِ [٥] فَيُخَيِّرُ غُلَامَهُ خيرَهُمَا، ثُمَّ يَلبَسُ الآخَرَ، فَإِذَا جَازَ أَصَابِعَهُ قَطَعَهُ، وَإِذَا جَازَ كَعبَهُ حَذَفَهُ.

وَلَقَد وَلِيَ خَمسَ سِنِينَ، مَا وَضَعَ آجُرَّةً عَلَى آجُرَّةٍ، وَلَا لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، وَلَا أَقطَعَ قَطِيعاً،

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٥٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٤٦.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٢٣.

(٤) نهج البلاغة: ٢٢٩خ ١٦٠.

(٥) وهو القميص الذي طال خلفه وأمامه، وقيل: منسوب الى موضع، لسان العرب، ابن منظور، مادة (سنبل) ١١/ ٣٤٨.

وَلَا أَورَثَ بَيضَاءَ وَلَا حَمرَاءَ، وَإِن كَانَ لَيُطعِمُ النَّاسَ خُبزَ البُرِّ وَاللَّحم وَيَنصَرِفُ إِلَى مَنزِلِهِ، وَيَأكُلُ خُبزَ الشَّعِيرِ وَالزَّيتِ وَالخَلِّ، وَمَا وَرَدَ عَلَيهِ أَمرَانِ كِلاهُمَا لله رِضَىً إِلَّا أَخَذَ بِأَشَدِّهِمَا عَلَى بَدَنِهِ، وَلَقَد أَعتَقَ أَلفَ مَملُوكٍ مِن كَدِّ يَدِهِ، تَرِبَت فِيهِ يَدَاه، وَعَرِقَ فِيهِ وَجهُهُ.

وَمَا أَطَاقَ عَمَلَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَإِن كَانَ لَيُصَلِّي فِي اليَوم وَاللَّيلَةِ أَلفَ رَكعَةٍ، وَإِن كَانَ أَقرَبُ النَّاسِ شَبَهاً بِهِ عَلِيَّ بن الحُسَينِ عليه السلام وَمَا أَطَاقَ عَمَلَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بَعدَهُ[١].

ثُمَّ إِنَّهُ قَد اشتَهرَ في الرِّوَايَةِ: أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا دَخَلَ عَلَى العَلَاءِ بن زِيَادٍ[٢] بِالبَصرَةِ يَعُودُهُ، قَالَ لَهُ العَلَاءُ: يَا أَمِيرَ الـمُؤمِنِينَ، أَشكُو إِلَيكَ أَخِي عَاصِمَ بن زِيَادٍ[٣] لَبِسَ العَبَاءَ، وَ تَخَلَّى مِنَ الدُّنيَا، فَقَالَ عليه السلام: عَلَيَّ بِهِ...)[٤].

وَرُوِي عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله دَخَلَ على أَهلِ الصَّفَّةِ، وَهُم يَرقَعُونَ ثِيَابَهُم بِالآدَم، مَا يَجِدُونَ لَهَا رِقَاعَاً، فَقَالَ:(أَنتُم اليَومَ خَيرٌ، أَم يَومَ يَغدُو أَحَدكُم فِي حُلَّةٍ وَيَرُوحُ فِي أَخرَى، وَيُغدَى عَلَيهِ بِجفنَةٍ وَيُرَاحُ عَلَيهِ بِأُخرَى، وَيَستُرُ بَيتَهُ كَمَا تُستَرُ الكَعبَةَ؟) قَالُوا: نَحنُ يَومَئِذٍ خَير؟ قَالَ:(بَل أَنتُم اليَومَ خَيرٌ)[٥].

---

(١) الكافي، الكليني: ٨/ ١٣٠ح ١٠٠، الأمالي، الصدوق: ٣٥٦ح ٤٣٧.

(٢) ينظر ترجمته في: أعيان الشيعة، الأمين: ٦/ ٤٥٧.

(٣) زاهد عابد ورع، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ينظر: منتهى المقال، المازندراني: ٤/ ٤٦، طرائف المقال، البروجردي: ٢/ ٩٠.

(٤) وبقية الرواية: (يَا عُدَيَّ نَفسه، لَقَد استَهَامَ بِكَ الخَبِيثُ، أَمَا رَحِمتَ أَهلَكَ وَولدِكَ، أَترَى اللهُ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهوَ يَكرَهُ أَن تَأخُذَهَا؟ أَنتَ أَهوَنُ عَلَى اللّهِ مِن ذَلِكَ ، قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، هَذَا أَنتَ فِي خُشُونَةِ مَلبَسِكَ، وَجُشُوبَة مَأكَلِكَ؟! قَالَ: وَيحَكَ، إِنِّي لَستُ كَأَنتَ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَى أَئمَّةِ العَدلِ أَن يُقَدِّرُوا أَنفُسَهُم بِضَعفَةِ النَّاسِ؛ كَيلَا يَتَبَيَّغُ بِالفَقِيرِ فَقرُهُ) نور الثقلين، الحويزي: ٢/ ٢٥ح ٨٨.

(٥) جامع البيان، الطبري: ٢٦/ ٢٨، تفسير الرازي: ٢٨/ ٢٥.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ**﴾ العَارِضُ: السَّحَابُ الَّذِي يَعرِضُ فِي أُفقٍ مِن آفَاقِ السَّمَاءِ، وَمِثلُه العَنَانُ، مِن عَنَّ إِذَا أَعرَضَ[1].

إِعلَم: إِنَّ اسمَ الجِنسِ إِذَا أُضِيفَ إِلى الـمَعرِفَةِ لَم يُعَرَّف.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**فَلَوْ لا نَصَرَهُمُ الَّذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ قُرْباناً آلِهَةً**﴾ أَي: فَهَلَّا نَصَرَ هَؤلَاءِ الْمُهلَكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آلِهَةً[2] وَشُفَعَاءَ مُتَقَرَّباً بِهِم إِلى اللّهِ تَعَالَى، قَالُوا: هَؤلَاءِ شُفَعَاؤنَا عِندَ اللّهِ، وَأَحَدُ مَفعُولَي: ﴿**اتَّخَذُوا**﴾ الـمَحذُوفِ الرَّاجِعِ إِلى الَّذِينَ، وَالثَّانِي: آلِهَتُهُ قُربَاناً، هُوَ: حَالٌ، وَالـمَعنَى: فَهَلَّا مَنَعَهُم مِن الهَلَاكِ آلِهَتُهُم[3].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٢٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥٣.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٥٥.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ (٢٩)

النَّفَرُ: وَاحِدُ الأَنفَارِ؛ وَهوَ مَا دُونَ العَشرَةِ[١].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ**﴾ أَي: واذكُر يَا مُحمَّد، إِذ أَمَلنَاهُم إِلَيكَ عَن بِلَادِهِم بِالتَّوفِيقِ وَالإِلطَافِ حَتَّى أَتَوكَ[٢].

وَعَن ابن عبَّاس: صَرَفنَاهُم إِلَيكَ عَن استِرَاقِ السَّمعِ مِنَ السَّمَاءِ بِرُجُومِ الشُّهُبِ، فَقَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي حَدَثَ فِي السَّمَاءِ إِلَّا مِن أَجلِ شَيءٍ قَد حَدَثَ فِي الأَرضِ، فَضَرَبُوا فِي الأَرضِ حَتَّى وَقفُوا عَلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله بِبَطنِ نَخلَة، عَامِدَاً إِلَى عُكَاظ، وَهوَ يُصَلِّي الفَجرَ، فَاستَمَعُوا القُرآنَ، وَنَظَرُوا كَيفَ يُصَلِّي، فَلَمَّا حَضَرُوه[٣]: ﴿**قالُوا أَنْصِتُوا**﴾ أَي: بَعضُهُم لِبَعضٍ: اسكُتُوا لِنَستَمِعَ إِلَى قِرَاءَتِه، فَلَا يَحُولُ بَينَنَا وَبَينَ القُرآنِ شَيءٌ[٤].

﴿**فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾ أَي: فَلَمَّا فَرغَ صلى الله عليه وآله مِنَ التِّلَاوَةِ، انصَرَفُوا إِلَى قَومِهُم: ﴿**مُنْذِرِينَ**﴾ أَي: يُخَوفُونَهُم مِن عَذَابِ اللّـهِ إِن لَم يُؤمِنُوا[٥].

---

(١) معاني القرآن، النحاس: ٤/ ٢٤١.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ٧٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥٣.

(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ١٨/ ٧٦.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى﴾ أَي: القُرآن، وَإِنَّما قالُوا: ﴿مِن بَعْدِ مُوسَى﴾ لأَنَّهُم عَلَى اليَهُودِيَّةِ[1].

﴿مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدي﴾ أَي: لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الكُتُبِ: ﴿يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أَي: يُرشِدُ إِلَى الدِّينِ الحَقِّ، وَيُدِلُّ عَلَيهِ، وَيَدعُوا إِلَيهِ: ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يُؤدِّي إِلَى الجَنَّةِ[2].

وَنُبذَةٌ مِن هَذِه القِصَّة، عَن الزُّهرِيِّ، إِنَّهُ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ، اشتَدَّ البَلَاءُ عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَعَمَدَ لِثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ، رَجَاءَ أَن يُؤوُوهُ، فَوَجَدَ ثَلاثَةَ نَفَرٍ مِنهُم هُم سَادَةٌ؛ هُم: إِخوَةُ عَبد يَالِيلَ، وَمَسعُودٌ وَحَبِيبٌ بَنُو عَمرٍو، فَعَرَضَ عَلَيهِم نَفسَهُ.

فَقَالَ أَحدُهُم: أَنَا أَسرِقُ ثِيَابَ الكَعبَةِ إِن كَانَ اللهُ بَعَثَكَ بِشَيءٍ قَطُّ، وَقَالَ الآخَرُ: أَعَجزَ اللهُ أَن يُرسِلَ غَيرُكَ، وَقَالَ الآخَرُ: وَاللّـهِ لَا أُكَلِّمُكَ بَعدَ مَجلِسِكَ هَذَا أَبداً، وَلَئِن كُنتَ رَسُولَاً ـ كَمَا تَقُولُ ـ فَلَأَنتَ أَعظَمُ خَطَراً مِن أَن يُرَدَّ عَلَيكَ الْكَلَامُ، وَإِن كُنتَ تَكذِبُ عَلَى اللّهِ فَمَا يَنبَغِي لِي أَن أُكَلِّمَكَ بَعدُ، وَتَهَزَّأوا بِهِ، وَأَفشَوا فِي قَومِهِم، مَا رَاجَعُوهُ بِهِ.

فَقَعَدُوا لَهُ صَفَّينِ عَلَى طَرِيقِهِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ بَينَ صَفَّيهِم جَعَلُوا لَا يَرفَعُ رِجلَيهِ، وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالحِجَارَةِ، حَتَّى أَدمَوا رِجلَيهِ، فَخَلَصَ مِنهُم وَهُمَا يَسِيلَانِ دَماً، فَعَمَدَ فَجَاءَ إِلَى حَائِطٍ مِن حِيطَانِهِم، فَاستَظَلَّ فِي ظِلِّ نَخلَةٍ مِنهُ وَهُوَ

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٥٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥٣.

مَكرُوبٌ مُوجَعٌ، تَسِيلُ رِجلَاهُ دَماً، فَإِذَا فِي الحَائِطِ عُتبَةُ ابنُ رَبِيعَةَ، وَشَيبَةُ بنُ رَبِيعَةَ، فَلَمَّا رَآهُمَا كَرِهَ مَكَانَهُمَا؛ لِمَا يَعلَمُ مِن عَدَاوَتِهِمَا لِلّهِ وَرَسُولِهِ.

فَلَمَّا رَأَيَاهُ، أَرسَلَا إِلَيهِ غُلَاماً لَهُمَا يُدعَى عَدَّاسٌ، مَعَهُ عِنَبٌ، وَهُوَ نَصرَانِيٌّ مِن أَهلِ نَينَوَى، فَلَمَّا جَاءَهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله:(مِن أَيِّ أَرضٍ أَنتَ؟) قَالَ: مِن أَهلِ نَينَوَى، قَالَ:(مِن مَدِينَةِ العَبدِ الصَّالِحِ يُونُسَ بنِ مَتَّى؟) فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدرِيكَ مَن يُونُسُ بنُ مَتَّى.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله:(أَنَا رَسُولُ اللّهِ، وَاللهُ تَعَالَى أَخبَرَنِي خَبَرَ يُونُسَ بنِ مَتَّى) فَلَمَّا أَخبَرَهُ بِمَا أَوحَى اللهُ إِلَيهِ مِن شَأنِ يُونُسَ، خَرَّ عَدَّاسٌ سَاجِداً لله، وَمُعَظِّماً لِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وَجَعَلَ يُقَبِّلُ قَدَمَيهِ وَهُمَا تَسِيلَانِ الدِّمَاءَ.

فَلَمَّا بَصُرَ عُتبَةُ وَشَيبَةُ مَا يَصنَعُ غُلَامُهُمَا سَكَتَا، فَلَمَّا أَتَاهُمَا، قَالَا: مَا شَأنُكَ، سَجَدتَ لِمُحَمَّدٍ، وَقَبَّلتَ قَدَمَيهِ، وَلَم نَرَكَ فَعَلتَ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَّا!؟.

قَالَ: هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ، أَخبَرَنِي بِشَيءٍ عَرَفتُهُ مِن شَأنِ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَينَا، يُدعَى يُونُسَ بن مَتَّى، فَضَحِكَا وَقَالَا: لَا يَفتِنَنَّكَ عَن نَصرَانِيَّتِكَ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ خَدَّاعٌ.

فَرَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِنَخلَةٍ، قَامَ فِي جَوفِ اللَّيلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ نَفَرٌ مِن أَهلِ نَصِيبِينَ مِنَ اليَمَنِ، فَوَجَدُوهُ يُصَلِّي صَلَاةَ الغَدَاةِ، وَيَتلُو الْقُرآنَ، فَاستَمَعُوا لَهُ، وَهَذَا مَعنَى قَولُ سَعِيد بن جُبَير وَجَمَاعَة[1].

وَقَالَ آخَرُونَ: أُمِرَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله أَن يُنذِرَ الجِنَّ، وَيَدعُوَهُمْ إِلَى اللّهِ، وَيَقرَأَ عَلَيهِمُ القُرآنَ، فَصَرَفَ اللهُ إِلَيهِ نَفَراً مِنَ الجِنِّ مِن نَينَوَى، فَقَالَ صلى الله عليه وآله:(إِنِّي أُمِرتُ أَن أَقرَأَ عَلَى الجِنِّ اللَّيلَةَ، فَأَيُّكُم يَتَّبِعُنِي؟) فَاتَّبَعَهُ عَبدُ اللّهِ بن مَسعُودٍ.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآب: ١/ ٦٢.

قَالَ عَبدُ اللّـهِ: وَلَم يَحضُر مَعَهُ أَحَدٌ غَيرِي فَانطَلَقنَا، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعلَ مَكَّةَ، وَدَخَلَ نَبِيُّ اللّـهِ شِعباً يُقَالُ لَهُ: شِعبُ الحَجُونِ، وَخَطَّ لِي خَطّاً، ثُمَّ أَمَرَنِي أَن أَجلِسَ فِيهِ، وَقَالَ:(لَا تَخرُج مِنهُ حَتَّى أَعُودَ إِلَيكَ).

ثُمَّ انطَلَقَ حَتَّى قَامَ، فَافتَتَحَ القُرآنَ، فَغَشِيَتهُ أَسوِدَةٌ كَثِيرَةٌ، حَتَّى حَالَت بَينِي وَبَينَهُ، حَتَّى لَم أَسمَع صَوتَهُ، ثُمَّ انطَلَقُوا، وَطَفِقُوا يَتَقَطَّعُونَ مِثلَ قِطَعِ السَّحَابِ ذَاهِبِينَ حَتَّى بَقِيَ مِنْهُمْ رَهْطٌ وَ فَرَغَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مَعَ الفَجرِ، فَانطَلَقَ فَبَرَزَ، ثُمَّ قَالَ:(هَل رَأَيتَ شَيئاً؟) فَقُلتُ: نَعَم، رَأَيتُ رِجَالًا سُوداً مُستَثفِرِي ثِيَابٍ بِيضٍ، قَالَ:(أُولَئِكَ جِنُّ نَصِيبِينَ)[1].

وَعَن ابنِ عبَّاس: كَانُوا سَبعَةَ نَفَرٍ مِن جِنِ نَصِيبِينَ، فَجَعَلَهُم رَسُولُ اللّـهِ ﷺ رُسُلًا إِلَى قَومِهِم[2].

وَعَن جَابِر بن عَبد اللّـهِ، إِنَّهُ قَالَ: لَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ الرَّحمَنَ عَلَى النَّاسِ سَكَتُوا، فَلَم يَقُولُوا شَيئاً، فَقَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ:(الجِنُّ كَانُوا أَحسَنَ جَوَاباً مِنكُم؛ لَمَّا قَرَأتُ عَلَيهِم: ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾[3] قَالُوا لَا وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ آلَائِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥٥.

(٢) نور الثقلين، الحويزي: ٥/ ٢٢.

(٣) الرحمن: ١٣.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٥/ ٢٢٨ ح ١٠٢٩٠.

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣١)

ثُمَّ بَيَّنَ سُبحَانَهُ وَتعَالَى تَمَامَ خَبرِ الجِنِّ، فَقَال حَاكِيَاً عَنهُم: **﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾** أَي مُحَمَّد صلى الله عليه وآله إِذ دَعَاهُم إِلى تَوحِيدِه، وَآمَنُوا بِهِ يَغفِرُلَكُم مِن ذُنُوبِكُم ؛ أَي: فَإِنَّهُ حِينَئذٍ: **﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[1].

قَالَ عَلِيُّ بن إِبرَاهِيم: فَجَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله فَأَسلَمُوا وَآمَنُوا، وَعَلَّمَهُم رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله شَرَائِعَ الإِسلَامِ، فَأَنزَلَ اللهُ سُبحَانَهُ سُورَةَ الجِنِّ وَكَانُوا يَعُودُونَ إِلَيهِ فِي كُلِّ وَقتٍ[2].

وَفِيه دِلَالَةٌ عَلَى بِعثَتِهِ صلى الله عليه وآله إِلَى الجِنِّ أَيضاً، وَلَم يُرسِل اللهُ تعَالَى نَبِيَّاً كَذَلِك.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٢)

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: يُعجِزَ الله، إِذ لَا مَنجَى مِنهُ وَمَهرَب، وَلَا سَبَقَهُ سَابِقٌ: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء﴾ أَي: أَنصَارٌ يَدفَعُونَ عَنهُ عَذَابَهُ[3].

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيَ اللّهِ: **﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥٦.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٢٩٩.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٥٦.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٢٨٦.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾

قَالَ اللهُ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ أَي: وَلَم يَتعَب، وَلَم يَعجز بِخَلقِهِنَّ، وَلَم يُصِبهُ إِعياءٌ، تَعَالَى عَن ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً[١].

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الاظهر ان من اللتبعيض ﴿أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ مَن أَتى بِشَرِيعَةٍ مُستَأنَفَةٍ، نَسَخَت شَرِيعَةَ مَن خَلَى، وَهُم خَمسَةٌ؛ نُوحٌ عليه السلام وَإِبرَاهِيم عليه السلام وَمُوسَى عليه السلام وَعِيسَى عليه السلام وَمُحَمَّد صلى الله عليه وآله صَلَوَاتُ اللّهِ تعَالَى عَلَيهِم[٢].

وَهُم سَادَةُ النَّبِيِّنَ، وَعَلَيهِم دَارَت رَحَا المُرسَلِينَ[٣].

وَقِيلَ: الصَّابِرُونَ عَلَى بَلَاءِ اللّهِ؛ كَنُوحٍ عليه السلام صَبَرَ عَلَى أَذَى قَومِه، كَانُوا يَضرِبُونَهُ حَتَّى يُغشَى عَلَيهِ، وَإِبرَاهِيمَ عليه السلام عَلَى النَّارِ، وَذَبحِ وَلَدِه العَزِيز وَالذَّبِيحَ عَلَى الذَّبحِ، وَيَعقُوبَ عليه السلام عَلَى فَقدِ الوَلَدِ وَالبَصَرِ، وَيُوسُف عليه السلام عَلَى الجُبِّ وَالسِّجنِ، وَأَيُّوبَ عليه السلام عَلَى الضُّرِّ، وَمُوسَى عليه السلام قَالَ لَهُ قَومَهُ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٤] وَعِيسَى عليه السلام لَم يَضَع لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةً[٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٥٧.

(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ١٢/ ٢٠٧.

(٤) الشعراء: ٦١-٦٢.

(٥) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٨٧.



الفصل الثالث والأربعون





بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (مَن قَرَأَ سُورَةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ أَن يَسقِيَهُ مِن أَنهَارِ الجَنَّة) [1].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَن أَرَادَ أَن يَعرِفَ حَالَنَا وَحَالَ أَعدَائنَا، فَليَقرَأ سُورَةَ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فَإِنَّهُ يَرَاهَا آيَةً فِينَا، وَآيَةً فِيهِم) [2].

(وَمَن قَرَأَهَا لَم يُدخِلهُ شَكٌّ فِي دِينِهِ أَبدَاً، وَلَم يَزَل مَحفُوظَاً مِنَ الشِّركِ وَالكُفرِ أَبَدَاً حَتَّى يَمُوتَ، فَإِذَا مَاتَ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ فِي قَبرِهِ أَلفَ مَلَكٍ، يُصَلُّونَ فِي قَبرِهِ، وَيَكُونُ ثَوَابَ صَلَاتِهِم لَهُ، وَيُشَيِّعُونَهُ حَتَّى يُوقِفُوهُ مَوقِفَ الأَمنِ مِن عِندِ اللّهِ، وَيَكُونُ فِي أَمَانِ اللّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ)[3].

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٤٠.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ٣٤٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٥٩.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ ﴿٣﴾

﴿**ذلِكَ**﴾ مُبتَدَأ، أَي: ذَلِكَ الأَمرُ؛ وَهوَ: إِضلَالُ أَعمَالِ أَحَدِ الفَرِيقَينِ، وَتَكفِيرُ سَيِّئَاتِ الآخَرِينَ، وَإِصلَاحُ بَالِهِم كَائِنٌ بِسَبَبِ اتِّبَاعِ هَؤلَاءِ البَاطِلِ وَهَؤلَاءِ الحَقَّ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ: ﴿**ذلِكَ**﴾ خَبَرُ مُبتَدَأ مَحذُوفٍ، أَي: الأَمرُ ذَلِكَ بِهَذَا السَّبَبِ، فَيَكُونُ مَحَلُّ الجَارِّ وَالـمَجرُورِ مَنصُوباً عَلَى هَذَا الوَجهِ، وَمَرفُوعاً عَلَى الأَوَّلِ، و: ﴿**الْباطِلَ**﴾ مَا لَا يُنتَفَعُ بِهِ[1].

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٤﴾

﴿**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ**﴾ وَاللِّقَاءُ هُنَا؛ بِمَعنَى: الحَربُ، وَ: ﴿**فَضَرْبَ الرِّقابِ**﴾ أَصلُهُ: فَاضرِبُوا الرِّقَابَ ضَرباً، فَحَذَفَ الفِعلَ، وَقَدَّمَ الـمَصدَرَ وَأُنِيبَ مَنَابُهُ مُضَافاً إِلَى الـمَفعُولِ، وَفِيهِ إِختِصَارٌ مَعَ إِعطَاءِ مَعنَى التَّوكِيدِ؛ لأَنَّك تَذكُرُ الـمَصدَرَ دَالَّاً عَلَى الفِعلِ بِالنَّصبَةِ الَّتي فِيهِ، وَ: ﴿**فَضَرْبَ الرِّقابِ**﴾ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ القَتلِ؛ لأَنَّ الوَاجِبَ أَن يَضرِبَ الرِّقَابَ خَاصَّةً دُونَ غَيرِهَا مِنَ الأَعضَاءِ، وَإِن جَازَ الضَّربُ فِي سَائِرِ الأَعضَاءِ[2].

وَالـمَعنَى: فَإِذَا لَقِيتُم ـ مَعَاشِرَ الْمُسلِمِينَ ـ أَهلَ دَارِ الحَربِ، فَاضرِبُوا أَعنَاقَهُم[3].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٢.

(٣) مفتنيات الدرر، الحائري: ١٠/ ١٣٩.

التَّخِينُ: الغَلِيظُ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾ أَي: أَكثَرتُم قَتلَهُم وَأَغلَظتُمُوهُ، مِنَ الشَّيءِ الثَّخِينِ، بِمَعنَى الغَلِيظُ[١].

﴿فَشُدُّوا الْوَثاقَ﴾ أَي: فَأَسَروهُم، وَأَحكِمُوا وَثَاقَهُم، وَالوَثَاقُ، بِالفَتحِ وَالكَسرِ: إِسمُ مَا يُوثَقُ بِهِ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِداءً﴾ وَهُمَا مَنصُوبَانِ بِفعلَيهِمَا مُضمَرَينِ؛ أَي: فَإِمَّا أَن تَمُنُّونَ مَنّاً، وَإِمَّا أَن تُفدَونَ فِدَآءً، وَالـمَعنَى: التَّخييِّرُ بَعدَ الأَسرِ بَينَ أَن تَمُنُّوا عَلَيهِم فَتُطلِقُونَهُم، وَبَينَ أَن تُفَادُوهُم بِأُسَارَى المُسلِمِينَ أَو بِالـمَالِ[٢].

وَالـمَروي عَن أَئمَّةِ الهُدَى صَلَوَاتُ الرَّحمَنِ عَلَيهِم: أَنَّ الأُسَارَى ضَربَانِ: ضَربٌ يُؤخَذُونَ قَبلَ إِنقِضَاءِ القِتَالِ وَالحَربُ قَائمَةٌ، فَهؤلاءِ يَكُونُ الإِمَامُ مُخَيَّراً بَينَ أَن يَقتِلَهُم، أَو يَقطَعَ أَيدِيهِم وَأَرجُلَهُم مِن خِلَافٍ، وَيَترُكَهُم حَتَّى يَنزِفُوا، وَلَا يَجُوزُ الـمَنُّ وَلَا الفِدَاء.

والضِربُ الآخَر: الَّذِينَ يُؤخَذُونَ بَعدَ أَن وَضَعَت الحَربُ أَوزَارُهَا، وَانقَضَى القِتَال، فَالإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِيهِم بَينَ الـمَنِّ وَالفِدَاء؛ إِمَّا بِالـمَالِ، أَو بِالنَّفسِ، وَبَينَ الاستِرقَاقِ وَضَربِ الرِّقَابِ، فَإِذَا أَسلَمُوا فِي الحَالَينِ سَقَطَ جَمِيعُ ذَلِكَ، وَكَانَ حُكمَهُم حُكمُ المُسلِمِينَ[٣].

يُقَالُ: انتَصَرَ مِنهُ؛ أَي: انتَقَم مِنهُ[٤].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَشاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أَي: لَانتَقَمَ مِنهُم بِبَعضِ أَسبَابِ الهَلَاكِ؛ مِن خَسفٍ، أَو غَرَقٍ، أَو مَوتٍ جَارِفٍ[٥] وَالجَارِفُ: المُستَأصِلُ.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٦٢.

(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٤٩٥.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٦/ ٣٥٠.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٨﴾

التَّعَسُ: الإِنحِطَاطُ وَالعُثُورُ[١].

وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ﴾ أَي: مَكرُوهَاً وَانحِطَاطَاً لَهُم[٢].

قَالَ ابن عبَّاس: يُرِيدُ فِي الدُّنيَا القتلَ، وَفِي الآخِرَةِ التَّعسُ في النَّارِ[٣].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مُبتَدَأ ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ عَطفٌ عَلَى الفِعلِ الَّذِي هُوَ الخَبَرُ، وَانتَصَبَ بِهِ: ﴿فَتَعْساً﴾ أَي: فَقَضَى تَعسَاً لَهُم، أَو: فَقَالَ: تَعسَاً لَهُم، أَي: أَتعَسَهُم اللهُ تعَالَى فَتَعِسُوا تَعسَاً، وَنَقِيضُ: ﴿فَتَعْساً لَهُمْ﴾ لَعَاً لَهُ، قَالَ الأَعشَى:

فَالتَّعسُ أَولَى لَهَا مِن أَن يُقَالَ لَعَاً[٤]

وَالمُرَادُ: فَالعُثُورُ وَالإِنحِطَاطُ أَولَى لَهَا مِنَ الإِنتِعَاشِ وَالثُّبوتِ[٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٩﴾

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فِي حَقِّ عَلِيٍّ عليه السلام)[٦].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (تعس) ٦/ ٣٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٦٤.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٤.

(٤) الشاهد عجز بيتٍ للأعشى، صدره: (بذات لوث عفر أناةٍ إذا عثرت) خزانة الأدب، البغدادي: ١١/ ٣٨٦.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٤.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٦٤.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ ﴿١٠﴾

التَّدمِيرُ: الإِهلَاكُ[١] وَيَتَعَدَّى بِعَلَى.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ﴿١٢﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾ أَي: مَتَاعُ الدُّنيَا أَيَّاماً قَلَائِلَ: **﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعامُ﴾** أَي: يَأكُلُونَ غَافِلِينَ غَيرَ مُفَكِّرِينَ فِي العَاقِبَةِ: **﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعامُ﴾** فِي مَسَارِحِهَا وَمَعَالِفِهَا، غَافِلَةً عَمَّا هِي بِصَدَدِهَا مِنَ الذَّبحِ وَالنَّحرِ: **﴿وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾**[٢].

---

(١) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٤/ ٣٦٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٥.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥)

يُقَالُ: أَسِنَ المَاءُ؛ إِذَا تَغيَّرَ طَعمُهُ وَرِيحُهُ[١] وَقَولُه تعَالَى: ﴿**أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ**﴾ أَي: فِي الجَنَّةِ أَنهَارٌ مِن مَاءٍ غَيرُ مُتَغَيِّرٍ لِطُولِ الْمُقَامِ، كَمَا تَتَغَيَّرُ مِياه الدُّنيَا[٢].

﴿**وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى**﴾ أَي: خَالِصٌ مِنَ الشَّمعِ وَالرَّغوَةِ وَالقَذَى، وَمِن جَمِيعِ الأَذَى وَالعُيوب الَّتي تَكُونُ لِعَسَلِ الدُّنيَا: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾[٣].

﴿**وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ أَي: وَلَهُم مَعَ هَذَا مَغفِرَةً مِن رَبِّهِم، وَهوَ: إِنَّهُ يَستُرُ ذُنُوبَهُم، وَيُنسِيهِم سِيئاتِهِم، حَتَّى لَا يَتَنَغَّصُ عَلَيهِم نَعِيمُ الجَنَّةِ[٤].

يُقَالُ لِأَهلِ النَّارِ: سُقُوا مَاءً حَمِيمًا، شَدِيدُ الحَرِّ مَكَانَ تِلكَ الأَشرِبَةِ: ﴿**فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾ أَي: مِن فَرطِ الحَرَارَةِ[٥] إِذَا دَخَلَ فِي أَجوَافِهِم.

قِيلَ: إِذَا دَنَا مِنهُم شَوَى وُجُوهَهُم، وَانمَازَت فَروَةُ رُؤوسَهُم، فَإِذَا شَرِبُوهُ قَطَّعَ أَمعَاءَهُم[٦].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٣٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٦٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٦٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٦٧.
(٥) تفسير البيضاوي: ٥/ ١٩٢.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٣٤.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿١٦﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**ماذا قالَ آنِفاً**﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهوَ مِن استَأنَفتُ الشَّيءَ؛ إذَا ابتَدَأتَهُ، وَالمَعنَى: مَاذَا قَالَ فِي أَوَّلِ وَقتٍ يَقرُبُ مِنَّا[1].

وَعَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام قَالَ: (إِنَّا كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله فَيُخبِرُنَا بِالوَحيِ، فَأَعِيهِ أَنَا وَمَن يَعِيه، فَإِذَا خَرَجنَا قَالُوا: ﴿**ماذا قالَ آنِفاً**﴾)[2].

أَي: إِذَا خَرَجُوا مِن عِندِهِ صلى الله عليه وآله قَالُوا لِلَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ العِلمَ وَالفَهمَ مِنَ المُؤمِنِينَ ذَلِكَ، استِهزَاءً، وَقِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِهِ، يَعنُونَ: إِنَّا لَم نَشتَغِل بِوَعيِهِ وَفَهمِهِ[3].

يُقَالُ: طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلبِه؛ إِذَا وَسَمَهُ بِسِمَةِ الكُفرِ[4].

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ ﴿١٨﴾

الأَشرَاطُ: العَلَامَاتُ[5].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٧، البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٨/ ٧١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٦٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٧٠.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٢٩٩.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ ﴿٢٥﴾

وَقولُه تعالَى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أَي: سَهَّلَ لَهُم رُكُوبَ العظَائمِ مِنَ الذُّنُوبِ[1].

﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أَي: مَدَّ لَهُم في الآمَالِ[2] وهوَ: جُملَةٌ مِن مُبتَدَأ وَخَبَر، وَقَعَت جَزَاءً؛ لأَنَّ في قَولِه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ أَي: نَعتُهُ مَكتُوباً عِندَهُم: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ[3].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (إِنَّهُم بَنُو أُمَيَّةَ، كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ في وُلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام)[4].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ﴿٢٦﴾

الإِسرَارُ: مَا أَسَرتُهُ[5].

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أَي: كَيفَ يَعلَمُونَ، وَمَا حِيلَتَهُم عِندَ قَبضِ الرُّوحِ[6].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٣٧.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٣٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٧٥.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ٣٦٢.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٧٦.

(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ٣٦٢.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (٢٩)

الإِضطِغَانُ وَالأَضغَانُ وَالأَحقَادُ بِمَعنًى.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٠)

السَّيمَا: العَلَامَةُ[١].

اللَّحنُ: هُوَ أَن تُلحِنَ بِكَلَامِكَ؛ أَي: تُمِيلَهُ إِلَى نَحوٍ مِنَ الأَنحَاءِ، لِيَتَفَطَّنَ لَهُ صَاحِبُكَ، كَالتَّعرِيضِ وَالتَّورِيَةِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلمُخطِئِ: لَاحِنٌ لأَنَّه يَعدِلُ بِكَلَامِهِ عَن الصَّوَابِ[٢].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾ أَي: وَتَعرِفَهُم الآن في فَحوَى كَلَامِهِم، وَمَعنَاهُ وَمَقصَدَهُ وَمَغزَاهُ؛ لأَنَّ كَلَامَ الإِنسَانِ يَدُلُّ عَلَى مَا في ضَمِيرِهُ[٣].

قَالَ أَبس سَعِيدِ الخُدرِيّ: ﴿**لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾ قَالَ: بِبُغضِهِم عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ، وَعَن جَابِرٍ مِثلُهُ[٤].

وَعَن عُبَادَة بِن الصَّامِتِ[٥] قَالَ: كَنَّا نَبُورُ أَولَادُنَا بِحُبِّ عَلِيِّ بِن أَبِي طَالِب عليه السلام فَإِذَا

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (سوم) ١٢/ ٣١٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٧٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٧٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٨، الدر المنثور، السيوطي: ٦/ ٦٦.

(٥) ابن أخي أبي ذر الغفاري، من الشيعة، ومن السابقين لأمير المؤمنين عليه السلام أقام بالبصرة، ينظر: خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٢٢٤، نقد الرجال، التفريشي: ٣/ ١٩.

رَأَينَا أَحَدَهُم لَا يُحِبُّهُ عَلِمنَا أَنَّهُ لِغَيرِ رُشدِه[١].

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٥)

السَّلمُ: المُسَالمَةُ أَو المُصَالحَةُ[٢].

يُقَالُ: وَتَرَهُ يَتِرَهُ وتراً؛ إِذَا نَقَّصَهُ.

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أَي: وَلَن يُضَيِّعَ أَعمَالَكُم، بَل يُثِيبَكُم عَلَيهَا، مِن: وَتَرتُ الرَّجُلَ؛ إِذَا قَتَلتُ لَه قَتِيلاً، مِن وَلَدٍ وَأَخٍ أَو حَمِيمٍ، وَحَقِيقَتُهُ: أَفرَدتُهُ مِن قَرِيبِهِ أَو مَالِهِ، مِنَ الوُترِ، وَهوَ الفَردُ، فَشَبَّهَ إِضَاعَةَ عَمَلِ العَامِلِ، وَتَعطِيلُ ثَوَابِه بِوترِ الوَاتِرِ، وَهوَ مِن فَصِيحِ الكَلَامِ[٣].

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ (٣٧)

وَالإِحفَاءُ: المُبَالَغَةُ، وَبُلُوغُ الغَايةِ في كُلِّ شَيءٍ، يُقَالُ: أَحفَاهُ في المَسأَلَةِ؛ إِذَا لَم يَترُكَ شَيئاً مِنَ الإِلحَاحِ، وَمِنهُ: إِحفَاءُ الشَّارِبِ، وَهوَ استِئصَالُ شَعرِهِ[٤].

---

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ١٠/ ١٥٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ١٨٥.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ٣٦٥.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٧٥.



الفصل الرابع الأربعون

سورة الفتح



سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾

قَالَ عُمَر بِن الخَطَّاب، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّـهِ صلى الله عليه وآله في سَفَرٍ، فَقَالَ:(نَزَلَت عَلَيَّ البَارِحَة سُورَةٌ هِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنيا وَمَا فِيهَا ﴿**إِنَّا فَتَحْنا لَكَ**﴾ إلى قَولِه: ﴿**وَما تَأَخَّرَ**﴾)[1].

عَن الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ:(حَصِّنُوا أَموَالَكُم وَنِسَائكُم، وَمَا مَلَكَت أَيمَانكُم مِنَ التَّلَفِ بِقرَاءَةِ: ﴿**إِنَّا فَتَحْنا لَكَ**﴾ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مِمَّن يُدمِنُ قِرَاءتِهَا، نَادَى مُنَادٍ يومَ القِيَامَةِ، حَتَّى تَسمَعُ الخَلَائق: أَنتَ مِن عِبَادِي المُخلِصينَ، أَلحِقُوهُ بِالصَّالحِينَ مِن عِبَادِي، وَأَدخِلُوهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَاسقُوهُ مِنَ الرَّحِيقِ الـمَختُومِ بِمِزَاجِ الكَافُورِ)[2].

الحُدَيبِيَّةُ: بِئرٌ نَفَدَ مَاؤهَا حَتَّى لَم يبقَ فِيهَا قَطرَةٌ يومَ فَتحِ مَكَّة، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللّـهِ صلى الله عليه وآله فَجَلَس عَلَى شَفِيرِهَا، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِن مَآءٍ، فَتَوَضأ، ثُمَّ تَمَضمَضَ، وَمَجَّهُ فِيهَا، فَدَرَّت بِالـمَاءِ، حَتَّى أَصدَرَت جَمِيعَ مَن مَعَهُ وَرَكَائبَهُم[3].

---

(١) نور الثقلين، الحويزي: ٥/ ٤٧، مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٣١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٧٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٧٩.

وَهَذَا مَا قَالَهُ الشَّعبِيُّ[١]: أَنَّهُ صلى الله عليه وآله بُويعَ بِالحُدَيبِيَّةِ بَيعَةَ الرُّضوَانِ، وَأَطعَمُوا نَخِيلَ خَيبَرَ، وَظَهَرَت الرُّومُ عَلَى فَارِس، وَفَرِحَ المُسلِمُونَ بِظُهُورِ أَهلِ الكِتَابِ ـ وَهُم الرُّوم ـ عَلَى الـمَجُوسِ؛ إِذ كَانَ فِيهِ مِصدَاقُ قَولُ اللّـهِ تعَالَى أَنَّهُم: ﴿**سَيَغْلِبُونَ**﴾[٢].

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ (٢)

رَوَى مُفَضَّل بِن عُمَر[٣] عَن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَن قَولِه تعَالَى: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ**﴾:(وَاللّـهِ مَا كَانَ لَهُ ذَنبٌ، وَلَكِنَّ اللهَ ضَمِنَ لَهُ أَن يَغفِرَ ذُنُوبَ شِيعَتِهِ، مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ)[٤].

وَالذَّنبُ: مَصدَرٌ، أُضِيفَ إِلَى مَعمُولِهِ[٥].

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (٤)

السَّكِينَةُ: السُّكُونُ وَالهَيبَةِ.

---

(١) عامر بن شراحيل الكوفي، أبي عمرو، من كبار التابعين، فقيه شاعر، روى عن أكثر من مئة وخمسين صحابي، توفي سنة (١٤٠ هـ) ينظر: الكنى والألقاب، القمي: ٢/ ٣٦٢، تقريب التهذيب، ابن حجر: ١/ ٤٦١.

(٢) الروم: ٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٨٢.

(٣) أبو عبد الله الجعفي، روى عن الإمام الصادق عليه السلام طعن في عقيدته، وفساد مذهبه، له مصنفات وكتب، ينظر: رجال النجاشي: ٤١٦، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٤٠٧.

(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٥٩.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣١٤.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ ﴿٦﴾

يُقَالُ: أَرَادَ بِهِ السُّوءَ، وَأَرَادَ بِهِ الخَيرَ؛ وَلِذَلِكَ أُضِيفَ الظَّنُّ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ**﴾ إِلَى المَفتُوحِ، لِكَونِه مَذمُوماً[(١)].

الدَّائِرُ: الحَائِقُ، وَالدَّائِرَةُ، هِي: الرَّاجِعَةُ بِخَيرٍ أَو شَرٍّ[(٢)].

فَرقٌ بَينَ السُّوءِ وَالسَّوءِ؟ هُمَا كَالكَرهِ وَالكُرهِ، وَالضَّعفِ وَالضُّعفِ، مِن سَاءَ، إِلَّا أَنَّ الفَتحَ غَلَبَ في أَن يُضَافَ إِلَيهِ مَا يُرَادُ ذَمُّهُ مِن كُلِّ شَيءٍ، وَإِمَّا السُّوءُ بِالضَمِّ، فَمَعنَاهُ جَارٍ مجرَى الشَّرِّ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الخَيرِ[(٣)].

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ ﴿١١﴾

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا**﴾ وَأَمَّا الأَهَالِي فَاسمُ جَمعٍ لأَهلٍ كَاللَّيَالي[(٤)].

الأَهلُونَ: جَمعُ أَهلٍ[(٥)].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٤٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٨٨.

(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ١٠/ ١٦٦.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ١/ ٦٤٠.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٨٤.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً﴾ ﴿١٢﴾

البُورُ: جَمعُ بَائِرٍ، كَعَائِذٍ وَعُوَّذ[١].

وَقِيلَ: إِنَّهُ مَصدَرُ بَارَ، كَالهَلَكُ مَصدَرُ هَلَكَ؛ وَلِذَلِكَ وُصِفَ بِهِ الوَاحِدُ وَالجَمعُ، وَالمُذَكَّرُ وَالمُؤنَّث[٢].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿**وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً**﴾ أَي: فَاسِدِينَ فِي أَنفُسَكُم وَقُلُوبَكُم وَنِيَّاتَكُم، لَا خَيرَ فِيكُم، أَو هَالِكِينَ عِندَ اللّـهِ، مُستَوجِبِينَ لِسَخَطِهِ وَعَذَابِهِ[٣].

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً﴾ ﴿١٣﴾

تُسعِرَهُ النَّارُ: تُحرِقَهُ[٤].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٨٤.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي: ٤/ ١٥٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣٢٢.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ ﴿١٦﴾

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ مَعنَاهُ: إِنَّ أَحَدِ الأَمرَينِ لَا بُدَّ أَن يَقَعَ؛ إِمَّا المُقَاتَلَةِ أَو الإِسلَام، لَا ثَالِثَ لَـهُمَا[١] وَالتَّقدِيرُ: أَو هُم مُسَلِّمُونَ؛ أَي: يُقِرُّونَ بِالإِسلَامِ وَيَقبَلُونَهُ[٢].

وَفي الحَدِيثِ: فَلِمَ نُعطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا[٣].

إِنَ كَاتِب رَسول اللّهِ ﷺ في هَذَا الصُّلحِ عَليّ بن أَبي طَالِب ﵇ فَلَمَّا قَالَ لَهُ:(اكتُب: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيهِ مُحَمَّدُ بن عَبدِ اللّهِ سُهَيل بِنَ عَمرو) وَجعَلَ عَليٌّ يَتَلَكَّأُ وَيَأَبى أَن يَكتُبَ)[٤].

يُقَالُ: بَصَقَ في عَينَيهِ؛ إِذَا جَعَلَ رِيقَهُ فِيهَا.

وَفي الحَدِيثِ:(فَبَصَقَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ في عَينَيهِ) أَي: عَينَي عَلِيّ بِن أَبِي طَالِبٍ ﵇ وَهوَ يَشتَكِي مِنَ الرَّمَدِ، فَبَرِأَ كَأَن لَم يَكُن لَهُ وَجعٌ، فَأَعطَاهُ الرَّايَةَ، فَبَرَزَ مُرحَب وَهوَ يَرتَجِزُ: وَمِنهُ:

قَد عَلِمَت خَيبرَاً أَنِّي مُرحَب.... الأَبيَات.

(١) تفسير البيضاوي: ٥/ ٢٠٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٣٩.

(٣) وهو قول عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ يعاتبه، في صلح الحديبية، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٩٨.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٨٨.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام:

أَنَــا الَّـــذِي سَـمَّـتـنِـي أُمِّـــي حَـيـدَه
كَـلَـيـثِ غَــابَــاتِ كَــرِيــهُ الــمَـنـظَـرَة

أَكِيلَكُم بِالسَّيفِ كَيلَ السَّندَرَه[1].

وَالسِّندَرَةُ: كَيلٌ عَظِيمٌ صُرَاخ[2].

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾

قَولُه تعَالَى: ﴿**سُنَّةَ اللّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ**﴾ أَي: هَذَا القُرآنُ، وَمَا فِيهِ سُنَّتِي في أَهلِ طَاعَتِي وَأَهلِ مَعصِيَتِي، أَنصُرُ أَولِيَائي، وَأَخذِلُ أَعدَائي[3].

وَسُنَّةُ اللّهِ في مَوضِعِ الـمَصدَرِ المُؤكَّدِ؛ يَعنِي: سَنَّ اللهُ تعَالَى غَلَبَةَ أَنبِيَاءه سُنَّةً[4].

﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْديلاً**﴾ تَغيِيرًا[5].

---

(١) ينظر في هذه القصة: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٠١.
(٢) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري: ١/ ٢٣٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٠٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٨٩.
(٥) تفسير البيضاوي: ٥/ ٢٠٥.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ ﴿٢٥﴾

الـمَعكُوفُ: الـمَحبُوسُ[1] وَمِنهُ قَولُه تعالَى: ﴿**وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً**﴾.

﴿**هُمُ الَّذينَ**﴾ أَي: قُرَيش، كَفَرُوا: ﴿**وَصَدُّوكُمْ**﴾ أَي: مِنَ الطَّوَافِ وَالعُمرَةِ: ﴿**عَنِ الْـمَسْجِدِ الْـحَرامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ**﴾ أَي: مَكَانَ النَّحرِ[2].

يُقَالُ: عَرَّهُ يُعِرَّهُ؛ إِذَا وَهَاهُ مَا يَكرَهُهُ وَيَشُقُّ عَلَيهِ[3].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَلَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ**﴾ يَعنِي: الْمُستَضعَفِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ بَينَ الكُفَّارِ مِن أَهلِ الإِيمَانِ[4].

﴿**لَمْ تَعْلَمُوهُمْ**﴾ الجُملَةُ صِفَةٌ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَمِيعَاً: ﴿**أَنْ تَطَؤُهُمْ**﴾ وَهي بَدلُ اشتِمَالٍ مِنهُم، أَو مِنَ الضَّمِيرِ الـمَنصُوبِ في تَعلَمُوهُم: ﴿**فَتُصيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ مُتَعَلِّقٌ بِأَن تَطَؤهُم؛ بِمَعنَى: أَن تَطَؤهُم غَيرَ عَالِمِينَ بِهِم، وَالوَطَءُ: عِبَارَةٌ عَن الإِبَادَةِ[5].

وَجَوَابُ: ﴿**وَلَوْ لا**﴾ مَحذُوفٌ؛ لِدَلَالَةِ الكَلَامِ عَلَيهِ، وَالـمَعنَى: لَو لَا كَرَاهَةَ أَن تُهلِكُوا أُنَاسَاً مُؤمِنِينَ بَينَ أَظهُرِ الْمُشرِكِينَ، جَاهِلِينَ بِهِم؛ لاختِلَاطِهِم بِالكَافِرِينَ، غَيرَ مُتَمَيِّزِينَ مِنهُم، وَلَا مَعرُوفِي الأَمَاكِنِ، فَيُصِيبَكُم بِإِهلَاكِهِم مَكرُوهٌ وَمَشَقَّةٌ، لـمَا كَفَّ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣٣٢.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣٣١.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٩٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٠٧.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٤٨.

أَيدِيكُم عَنهُم[١].

التَّزَيلُ: التَفرِيقُ، وَقَولُه تعَالَى: ﴿**لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ**﴾ مِن زَالَه يُزِلهُ[٢].

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (٢٦)

الأَنَفَةُ: الحَمِيَّةُ تَحمِي الإِنسَانَ؛ يَعنِي: حَمِيَت قُلوبُهُم بِالغَضَبِ، وَحَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّةِ عَادَتُهَا[٣].

(١) زبدة التفاسير: ٦/ ٤٠٠.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٩١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢١٠.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩)

الشَّدِيدُ: وَاحِدُ الأَشِدَّاءُ[١] كَالرَّحِيمِ وَاحِدُ الرُّحَمَاء.

السِّيمَا: هُوَ العَلَامَةُ[٢] وَقَولُه تعَالَى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ**﴾ عَلَامَتُهُم يومَ القِيَامَةِ أَن تَكُونَ مَوَاضِعَ سُجُودَهُم أَشَدُّ بَيَاضاً، وَقِيلَ: يَكُونُ مَوَاضِعُ سُجُودَهُم كَالقَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ[٣].

وَيُقَالُ لِلسَجَّادِ عليه السلام: ذُو الثَّفِنَاتِ؛ لأَنَّهُ قَد ظَهَرَ فِي مَسَاجِدِهِ أَشبَاهُ ثَفِنَاتِ البَعِيرِ[٤].

﴿**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ**﴾ أَي: وَصفُهُم وَمَثَلهُم في الإِنجِيلِ[٥].

﴿**كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ**﴾ أَي: شَدَّ أَزرُهُ[٦] قَالَ: فَصَارَ مِن الدِّقةِ إِلَى الغِلظَةِ[٧] وَإِشطَاءُ الزَّرعِ: تَفرِيخُهُ؛ أَي: تَهيأ لِلإِنشِقَاق[٨].

---

(١) سبل الهدى والرشاد، الشامي: ١/ ٤٧٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٤١٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢١٢.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٥٥٠.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣٣٦.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٧٤.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٩٥.

(٨) تفسير البيضاوي: ٥/ ٢٠٩.

﴿**فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ**﴾ جَمعُ سَاقٍ[١] أَي: فَاستَقَامَ عَلَى قَصَبِهِ وَأُصُولِهِ، فَاستَوَى الصِّغَارُ مَعَ الكِبَارِ[٢] وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعَالَى لأَمرِ الإِسلَامِ وَتَرَقِيهِ في الزِّيَادَةِ إِلَى أَن قَوَى وَعَلَى[٣].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣٣٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢١٣.
(٣) معالم التنزيل، النسفي: ٤/ ١٦٠.



فهرس المحتويات

الفصل السادس عشر (سورة النحل)

الفصل السابع عشر (سورة الإسراء)

الفصل الثامن عشر (سورة الكهف)

الفصل التاسع عشر (سورة مريم)

الفصل العشرون (سورة طه)

الفصل الحادي والعشرون (سورة الأنبياء)

الفصل الثاني والعشرون (سورةُ الحجّ)

الفصل الثالث والعشرون (سورة المؤمنون)

الفصل الرابع والعشرون (سورة النور)

الفصل الخامس والعشرون (سورة الفرقان)

الفصل السادس والعشرون (سورة الشعراء)

الفصل السابع والعشرون (سورة النمل)

الفصل الثاني والثلاثون (سورة الأحزاب)

الفصل الثالث والثلاثون (سورة سبأ)

الفصل الرابع والثلاثون (سورة فاطر)

الفصل الخامس والثلاثون (سورة الزُّمر)

الفصل السادس والثلاثون (سورة غافر)

الفصل السابع والثلاثون (سوة فصلت)

الفصل الثامن والثلاثون (سورة الشورى)

الفصل التاسع والثلاثون (سورةُ الزخرف)

الفصل الأربعون (سورةُ الدّخان)

الفصل الحادي والأربعون (سورة الجاثية)

الفصل الثاني والأربعون (سورةُ الأحقاف)

الفصل الثالث ولأربعون(سورةُ محمد صلى الله عليه وآله)

الفصل الرابع الأربعون (سورة الفتح)